

جَارُ الْبَيْتِ الْخَيْرِ

صَبْحُ الْأَسْوَءِ

الجزء السادس

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
١٣٣٢ هـ
١٩١٥ م

فهرس

الجزء السادس

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

صفحة

- المهييع الثانى — في ذكر الألقاب والتعوت المستعملة عند كتاب الزمان
 ٥ بيان معانيها؛ وهى نوعان ٥
- النوع الأول — الألقاب الإسلامية؛ وهى صنفان ٥
- الصنف الأول — المذكرة؛ وهى ضربان ٥
- الضرب الأول — الألقاب المفردة المختصة فى اصطلاح الكتاب باسم
 الألقاب ٥
- » الثانى — المركبة المعبر عنها فى اصطلاح الكتاب بالتعوت ... ٣٥
- الصنف الثانى — (ركتب خطأ الضرب الثانى) من الألقاب المفردة المؤنثة ٧٥
- » — (لعل الصواب النوع الثانى كما نبه عليه) من الألقاب المفردة
 على الأصول ألقاب من يكتب إليه من أهل
 الكفر ... وهى على ضربين ٧٨
- الضرب الأول — الألقاب المذكرة؛ وهى نمطان ٧٩
- انقط الأول — المفردة ٧٩
- » الثانى — الألقاب المركبة ٨٣
- الضرب الثانى — من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة ٩٥
- الجملة السابعة — فى تفاوت الألقاب فى المراتب؛ وهى قسمان ... ٩٧
- القسم الأول — ما يقع التفاوت فيه فى الصعود والهبوط؛ وهو نوعان ٩٧
- النوع الأول — « » « بحسب القلة والكثرة ... ٩٧
- » الثانى — ما يقع فيه التفاوت فى العلو والهبوط بحسب ما يقتضيه
 جوهر اللفظ أو ما وقع الاصطلاح عليه؛ وهو صنفان ٩٨

صفحة

- الصفى الأول — الألقاب المفردة ؛ وهى على أربعة أنماط ٩٨
- النمط الأول — التوايح ٩٨
- » الثانى — ما يقع التفاوت فيه بحسب الحقوق ياء النسب
- وتجوده منها ٩٩
- » الثالث — ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة خير ياء النسب ... ١٠١
- » الرابع — » فيه التفاوت بحسب ما فى ذلك اللقب من
- اقتضاء التشريف لعلو متعلقه ورفعته ١٠١
- الصفى الثانى — الألقاب المركبة ؛ وهى على ضربين ١٠٢
- الضرب الأول — ما يترتب بعضه على بعض لقباً بعد لقب ؛ وله اعتباران ١٠٢
- الاعتبار الأول — أن يشترك فى رعاية الترتيب أرباب السيوف والأقلام
- وغيرهم ؛ وهو على ثلاثة أنماط (سواء أربعة) ... ١٠٢
- النمط الأول — ما يضاف إلى الإسلام ١٠٢
- » الثانى — » إلى الأمراء والوزراء ونحوهم ١٠٥
- » الثالث — » إلى الملوك والسلطين ١٠٦
- » الرابع — » لأمير المؤمنين ١٠٨
- الاعتبار الثانى — أن يختص الترتيب فى الألقاب بنوع من المكتوب
- له ؛ وهو أربعة أنماط ١٠٩
- النمط الأول — ما يختص بأرباب السيوف ١٠٩
- » الثانى — » بالوزراء ومن فى معانهم ١١١
- » الثالث — » بالقضاة والعلماء ١١١
- » الرابع — » بالصلحاء ١١٢

صفحة

- القسم الثاني — مما تفاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه بالتقديم والتأخير؛ وهو فوطان ... ١١٥
- النوع الأول — الألقاب المفردة؛ وهي على ستة أنماط ... ١١٥
- النمط الأول — « التي على الألقاب الأصول ... ١١٥
- « الثاني — ما على العالي أو السامي من الألقاب ... ١١٦
- « الثالث — ما على لقب الوظيفة ... ١١٧
- « الرابع — ما يقع قبل لقب التعريف ... ١١٧
- « الخامس — « فصلا بين الألقاب المفردة والمركبة ... ١١٨
- « السادس — ما ليس له موضع مخصوص من الألقاب المفردة ... ١١٨
- النوع الثاني — مما تفاوت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير
- الألقاب المركبة؛ وهي على ثلاثة أنماط ... ١١٩
- النمط الأول — ما على لقب التعريف ... ١١٩
- « الثاني — ما يقع في آخر الألقاب المركبة ... ١١٩
- « الثالث — ما بين أول الألقاب المركبة وبين آخرها ... ١٢٠
- الجملة الثامنة — في بيان محل اللقب المضاف إلى الملك ولقب التعريف الخاص به ... ١٢٠
- « التاسعة — في ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
- على قدر طبقاتها؛ وهي قسمان ... ١٢١

صفحة

القسم الأول - الألقاب الإسلامية ... ١٢١

الضرب الأول - « المتعلقة بالخلافة وما يلحق بها » وهي

ثلاثة أنواع ... ١٢٢

النوع الأول - ألقاب الخلفاء ... ١٢٢

» الثاني - « ولاية العهد بالخلافة ... ١٢٣

» الثالث - « إمام الزيدية باليمن ... ١٢٣

الضرب الثاني - الألقاب المملوكية؛ وهي قوتان ... ١٢٣

» النوع الأول - « التي أصطلح عليها للسلطان بالديار المصرية ... ١٢٣

» الثاني - « التي يكتب بها عن السلطان لغيره من المملوك؛

وهي على ثلاثة أصناف ... ١٢٥

الضرب الأول - ألقاب ولاية العهد بالسلطنة ... ١٢٥

» الثاني - « المملوك المستقلين بصغار البلدان ... ١٢٥

» الثالث - « المكتوب إليهم من المملوك عن الأبواب

السلطانية؛ وهي نمطان ... ١٢٦

الضرب الأول - ما يصدر بالألقاب المذكورة ... ١٢٦

» الثاني - « » الموثنة ... ١٢٩

الضرب الثالث - من الألقاب الإسلامية، الألقاب العامة لسائر

الطوائف؛ وهي ثمانية أنواع ... ١٣٠

النوع الأول - ألقاب أرباب السيوف من أهل المملكة وضيهم ... ١٣٠

» الثاني - من الألقاب الإسلامية الألقاب الدويانية ... ١٤٦

منه

النوع الثالث - من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الوظائف

الدينية ... ١٥٤ ...

» الرابع - من الألقاب الإسلامية ألقاب مشايخ الصوفية

وأهل الصلاح ... ١٦١ ...

» الخامس - ألقاب التجار والخوارجية ... ١٦٥ ...

» السادس - من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الصناعات

الرئيسية كريمة الطب ... ١٦٨ ...

» السابع - من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية ... ١٧٠ ...

» الثامن - » » » النساء ... ١٧١ ...

القسم الثانى - » المرتبة » أهل الكفر؛ وهى على

ثلاثة أضرب ... ١٧٣ ...

الضرب الأول - ألقاب متديتهم؛ وهى نومان ... ١٧٣ ...

النوع الأول - » بطارقة النصارى ... ١٧٣ ...

» الثانى - » رؤساء اليهود ... ١٧٤ ...

الضرب الثانى - ألقاب ملوكهم وتختص بالنصارى؛ وهى نمطان ... ١٧٤ ...

انمط الاول - الألقاب المذكورة ... ١٧٤ ...

» الثانى - » المؤتة ... ١٧٩ ...

الضرب الثالث - ألقاب قواب ملوكهم وكلاصتهم؛ وهى على نوعين ... ١٨٠ ...

النوع الأول - » التواب ... ١٨٠ ...

» الثانى - » الكلاصلة ... ١٨٠ ...

صفحة

- الجملة العاشرة - في ذكر ألقاب جمع على أشياء متفرقة قد جرت
 في حرف الكتاب؛ وهي على ضربين ١٨٣
- الضرب الأول - فيما يجرى من ذلك مجرى التفاضل، ويختلف باختلاف
 الأحوال والوقائع ويتنوع إلى أنواع ١٨٣
- » الثاني - ما يجرى من ذلك مجرى التشريف، ويختلف أيضا
 باختلاف الأحوال، ويتنوع أنواعا ١٨٦
- الباب الثاني - من المقالة الثالثة في مقادير قطع الورق وما يناسب
 كل مقدار منها من الأقلام؛ وفيه فصلان ١٨٩
- الفصل الأول - في مقادير قطع الورق؛ وفيه طرفان ١٨٩
- الطرف الأول - « « « في الزمن القديم ١٨٩
- » الثاني - في بيان مقادير قطع الورق المستعمل في زماننا
 (زمن المؤلف)؛ وفيه ثلاث جمل ١٩٠
- الجملة الأولى - في مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب
 السلطانية بالديار المصرية ١٩٠
- » الثانية - في مقادير الورق المستعملة بدواوين الإنشاء
 بالممالك الشامية ١٩٢
- » الثالثة - في مقادير قطع الورق الذي يجرى فيه مكاتبات
 أعيان الدولة ١٩٣
- الفصل الثاني - من الباب الثاني من المقالة الثالثة في بيان ما يناسب
 كل مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذكر
 من الأقلام إلخ؛ وفيه طرفان ١٩٤

صفحة

- الطرف الأول — فيما يناسب كل مقدار منها من الأقسام ... ١٩٤
- » الثاني — في مقادير البياض الواقع في أول الدرج وماشيته وبُعد ما بين السطور في الكتابة ... ١٩٥
- الباب الثالث — من المقالة الثالثة في بيان المستندات وكتابة المخصصات وكيفية التعمين؛ وفيه فصلان ... ١٩٧
- الفصل الأول — في بيان المستندات : وهي التوقيع على القصص وما يجرى مجراها؛ وهو على ضربين ... ١٩٧
- الضرب الأول — السلطانيات؛ وهي صنفان ... ١٩٧
- الصنف الأول — ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء ... ١٩٧
- » الثاني — ما يصدر عن غير صاحب ديوان الإنشاء ... ١٩٩
- الضرب الثاني — ما يتعلق بالكتب في المظالم؛ والنظر فيه من وجهين ٢٠٢
- الوجه الأول — فيما يتعلق بالقصاص ... ٢٠٢
- » الثاني — فيما يتعلق بالنظر في المظالم وما يكتب على القصص؛ وهو ستة أنواع ... ٢٠٤
- الوجه الأول — ما يرفع إلى السلطان في آحاد الأيام ... ٢٠٦
- » الثاني — ما يرفع لصاحب ديوان الإنشاء ... ٢٠٦
- » الثالث — ما يرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان للحكم في المواقب ... ٢٠٧
- » الرابع — ما يرفع منها للثائب الكافل إذا كان ثمَّ ثائب ... ٢٠٨
- » الخامس — ما يرفع من القصص إلى الأتابك إذا كان في الدولة أتابك عسكر وهو الأمير الكبير ... ٢٠٨
- » السادس — ما يرفع منها للدوادار ... ٢٠٩

صفحة

الفصل الثاني - في التمين وكيفية كتابة ديوان الإنشاء على	
الرقاع والقصص	٢١٠
الطرف الثاني - في كتابة الملخصات والإجابة عنها	٢١٢
الباب الرابع - من المقالة الثالثة في الفوائد والخواتم والواحق ؛	
وفيه فصلان	٢١٧
الفصل الأول - في الفوائد؛ وفيه ستة أطراف	٢١٧
الطرف الأول - في البسملة	٢١٧
» الثاني - في الحمدلة	٢٢٤
» الثالث - في التشهد في الخطب	٢٢٦
» الرابع - في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم	
وعلى آله وصحبه في أوائل الكتب	٢٢٧
» الخامس - في السلام في أول الكتب	٢٢٩
» السادس - في أما بعد	٢٣١
الفصل الثاني - في الخواتم والواحق؛ وفيه سبعة أطراف	٢٣٢
الطرف الأول - في الاستثناء بالمشيئة بأن يكتب إن شاء الله تعالى	٢٣٢
» الثاني - في التاريخ	٢٣٤
» الثالث - في المستندات	٢٦٢
» الرابع - في الحمدلة في آخر الكتاب	٢٦٥
» الخامس - في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب	
وما يلحق بذلك	٢٦٧

صفحة

الطرف السادس - في الحسيلة في آخر الكتاب ٢٦٩

» السابع - في اللواحق ٢٧١

المقالة الرابعة

في المكتبات ؛ وفيها بيان ٢٧٤

الباب الأول - في أمور كلية في المكتبات ؛ وفيه فصلان ٢٧٤

الفصل الأول - في مقتنيات المكتبات ؛ وفيه ثلاثة أطراف ٢٧٤

الطرف الأول - في أصول يمتد بها الكتاب في المكتبات ٢٧٤

» الثاني - في بيان مقادير المكتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز ٣١٥

» الثالث - في أمور تختص بالأجوبة ٣٢٣

الفصل الثاني - من الباب الأول من المقالة الرابعة ، في ذكر أصول

المكتبات وترتيبها وبيان لواحقها ولوازمها ؛ وفيه طرفان ٣٢٧

الطرف الأول - في ذكر أصولها وترتيبها ٣٢٧

» الثاني - في ذكر لواحق المكتبات ولوازمها ٣٤٥

الباب الثاني - من المقالة الرابعة ، في مصطلحات المكتبات الدائرة

بين كتاب أهل الشرق والغرب والديار المصرية في كل

زمن من صدر الإسلام إلى زمننا (زمن المؤلف) ؛

وفيهِ ستة فصول ٣٦٥

الفصل الأول - في الكتب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛

وفيهِ ثلاثة أطراف ٣٦٥

الطرف الأول - في ذكر ترتيب كتبه صلى الله عليه وسلم في الرسائل

على سبيل الإجمال ٣٦٥

صفحة

الطرف الثاني — في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ... ٣٦٧

» الثالث — » » » » الكفر للدعاية

إلى الإسلام ... ٣٧٦

الفصل الثاني — من الباب الثاني من المقالة الرابعة في الكتب الصادرة

عن الخلفاء ؛ وهي على قسمين ... ٣٨٣

القسم الأول — المكتبات إلى أهل الإسلام ؛ وفيه تسعة [عشرة]

أطراف ... ٣٨٣

الطرف الأول — في الكتب الصادرة عن الخلفاء من الصعابة

رضى الله عنهم ... ٣٨٣

» الثاني — في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية ... ٣٨٩

» الثالث — » » » » بني العباس ببغداد ؛

وولاية العهد بالخلافة ؛ وفيه ثلاث جمل ... ٣٩٢

الجملة الأولى — في بيان ترتيب كتبهم في الرسائل على سبيل الإجمال ٣٩٢

» الثانية — في الكتب العامة ... ٣٩٥

» الثالثة — في الكتب الخاصة بما يصدر عن الخلفاء ... ٤١٥

الطرف الرابع — في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس في الديار

المصرية بعد مصير الخلافة إليها ... ٤٢١

» الخامس — في الكتب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار

المصرية ... ٤٣٢

» السادس — في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية بالأندلس ٤٤٣

منه

الطرف السابع — في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحديين ... ٤٤٣

» الثامن — في الأجوبة ... ٤٤٧

» التاسع — في الكتب الصادرة عن ولاية العهد بالخلافة ... ٤٥٦

» العاشر — من المكتبات عن الخلفاء : المكتبات إلى أهل الكفر ٤٥٧

الفصل الثالث — من الباب الثاني من المقالة الرابعة في المكتبات

الصادرة عن الملوك ومن في معنهم مما الجارى طيه

الحال؛ وهو على قسمين ... ٤٦٤

القسم الأول — المكتبات الصادرة عن الملوك إلى أهل الإسلام؛

وفيه أطراف ... ٤٦٤

الطرف الأول — في مكاتبتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ... ٤٦٤

» الثاني — في المكتبات الصادرة عن الأمراء من المال وأمرأه

السرايا إلى الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم ... ٤٧٧

» الثالث — في المكتبات الصادرة عن الأمراء من المال وأمرأه

السرايا أيضا إلى خلفاء بني أمية ... ٤٧٨

» الرابع — في المكتبات الصادرة عن الملوك ومن في معنهم

إلى خلفاء بني العباس ... ٤٨٠

» الخامس — في المكتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار

المصرية ... ٥٢١

» السادس — في المكتبات الصادرة عن الملوك ومن في معنهم

إلى خلفاء بني أمية بالأندلس ... ٥٢٤

» السابع — في المكتبة الصادرة إلى خلفاء الموحديين بالمغرب ٥٢٦

صفحة

- الطرف الثامن — في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرء
 السرايا في صدر الإسلام إلى من في معانهم ... ٥٥٨
 » التاسع — في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم
 إلى الملوك ومن في معانهم على ما كان عليه مصطلح
 أهل المشرق ... ٥٥٩



(تم فهرس الجزء السادس من كتاب صبح الأعشى) .



صَبْحُ الْأَسْبَحِ

الجزء السادس

دار الكتب الخديوية

كتاب

صحيح الأئمة

نالتف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء السادس

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب الخديوية

طبع
بالمطبعة الأميرية بالقاهرة
سنة ١٣٣٣ هـ
١٩١٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله وسلّم على سيدنا محمد وآله وصحبه

المهَيِّعُ الثَّانِي

في ذكر الألقاب والنعوت المستعملة عند كُتّاب الزمان، وبيان معانيها،
ومن يقع عليه كل واحد منها من أرباب السيوف وغيرهم
(وهي نونات)

النوع الأول

(الألقاب الإسلامية، وهي صفات)

الصف الأول

(المذكّرة، وهي ضربان)

الضرب الأول

(الألقاب المفردة المختصة في اصطلاح الكُتّاب باسم الألقاب)

وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم لتسهيل استخراجها .

حرف الألف

(الألقاب) وهو من ألقاب أمير المؤمنين ومن في معناه، كالتائب الكافل ونحوه،
وهو بالألف أحسن . ولقد تفتّم معنى الألقاب في الكلام على الألقاب أرباب الوظائف .

وَأَنَّ أَصْلَهُ بِالطَّاءِ فَقُلِيتَ تَاءً فِي الِاسْتِمَالِ ، وَأَنْ مَعْنَاهُ «الْأَبُ الْأَمِيرُ» وَحِينَئِذٍ فَتَكُونُ النِّسْبَةُ فِيهِ لِلْبَالِقَةِ . نَعَمْ إِنْ نُسِبَ إِلَيْهِ فَيُرَى مِنْ أَتْبَاعِهِ كَانَتْ النِّسْبَةُ إِلَيْهِ حَقِيقَةً عَلَى بَابِهَا .

(الْأَثْنَى) مِنْ أَقْنَابِ مَلُوكِ الْمَغْرِبِ الَّتِي يُكْتَبُ إِلَيْهِمْ بِهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، مَضَاهَا لَهَا يُوجَدُ فِي مَكْتَبَاتِهِمْ مِنَ الْأَقْنَابِ . وَهُوَ أَفْضَلُ التَّفْضِيلِ مِنَ التَّقْوَى .

(الْأَمِيرُ) بِالْثَاءِ الْمُثَلَّثَةِ مِنْ أَقْنَابِ أَرْبَابِ الْأَقْلَامِ : مِنْ الْقَضَاةِ وَالْعُلَمَاءِ وَالْكَتَّابِ وَنَحْوِهِمْ ، وَرَبَّمَا اسْتُعْمِلَ فِي أَقْنَابِ الصُّلَحَاءِ أَيْضًا . وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ السُّخَالِصِ ، وَحِينَئِذٍ فَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ لِقَبَا لِكُلِّ مَنْ نُسِبَ إِلَى الْمُطَالَعَةِ مِنْ أَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ جَمِيعًا ، وَالْأَمِيرُ نِسْبَةً إِلَيْهِ لِلْبَالِقَةِ .

(الْأَيْلُ) بِالْمُثَلَّثَةِ أَيْضًا مِنْ أَقْنَابِ الْأَقْلَامِ كَالْأَمِيرِ ، وَمَعْنَاهُ فِي اللُّغَةِ الْأَصِيلُ ، وَمِنْهُ قِيلَ مَجْدٌ مُؤْتَلٌ وَأَيْلٌ أَيْ أَصِيلٌ . وَحِينَئِذٍ فَيَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ لِقَبَا لِكُلِّ ذِي أَصَالَةٍ مِنْ أَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ ، وَالْأَيْلُ نِسْبَةً إِلَيْهِ لِلْبَالِقَةِ .

(الْأَجَلُ) يَكُونُ فِي الْأَصْطِلَاحِ مِنْ أَقْنَابِ السُّلْطَانِ كَمَا يُقَالُ السُّلْطَانُ السَّيِّدُ الْأَجَلُ وَيَكُونُ مِنْ أَقْنَابِ السَّامِيِّ بِضَرِيَاءٍ لَهَا دُونُهُ فَيُقَالُ : «السَّامِيُّ الْأَمِيرُ الْأَجَلُ» وَنَحْوُ ذَلِكَ ، وَهُوَ مِمَّا يُشْكِرُ عَلَى كُنْهٍ الزَّمَانِ : لِاسْتِمَالِهِ فِي الْأَجَلِ وَالْأَدْنَى عَلَى مَا سَأَلَنِي بَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . عَلَى أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ فِي الدَّوْلَةِ الْفَاتِمِيَّةِ كَانَ هُوَ عَلَى الْأَقْنَابِ وَأَرْقَعَهَا قَدَرًا ، حَتَّى قَالَ ابْنُ شَيْثٍ فِي «مَعَالِمِ الْكِتَابَةِ» : إِنَّهُ مَحْظُورٌ عَلَى خَيْرِ الْوُزَرَاءِ . وَقَدْ كَانَتْ الْوِزَارَةُ فِي زَمَانِهِمْ بِمَتَابَةِ السُّلْطَانَةِ فِي زَمَانِنَا ، فَتَصَرَّفَ فِيهِ الْكُتَّابُ حَتَّى اسْتُعْمِلُوا فِي أَدْنَى الرُّتَبِ أَيْضًا ، وَالْأَجَلُ نِسْبَةً إِلَيْهِ لِلْبَالِقَةِ .

(الأخص) من ألقاب أرباب السيوف، والكاتب يستعملونه في أدنى الألقاب مما تسقط فيه ياء النسب : من الساي بنيرياه فـ دونه ، على أن معناه رقيق : لأخذه من الخُصُوصية : وهى الأفراد بالشئ، وكان الأحق أن يكون مختصاً بالألزام المقرين دون غيرهم ، والأخصى نسبة إليه للبالغة .

(الأخوي) من الألقاب المختصة في الغالب بالمكاتب الإخوانية ، وربما وقعت في المكاتب الملوكة إذا كان قدر المالكين المتكاتبين متقارباً ، وهو نسبة إلى الأخوة ، وكأنه جعله أخاه حقيقة .

(الأريب) من ألقاب أرباب الأقلام ، وهو في اللغة العاقل ، ومنه قيل للدهاء إريب بكسر الهمزة وإسكان الراء لأنَّ الدهاء من جملة العقل ، والأريب نسبة إليه للبالغة .

(الأرق) من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذ من الرقى : وهو الارتفاع والعلو في الدرج .

(الأزكى) من ألقاب ملوك المغرب أيضاً . وهو مأخوذ من الزكاة : وهى الزيادة ، كأنه نسبته إلى الزيادة في الرقة ونحوها .

(الأسرى) بالسين المهملة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذ من السرو وهو نخلة في مروءة ، ومنه قيل لمن أشتمل على ذلك سرى ، وبه لقب من لقب «سرى الدين» .

(الأسفهلار) بسنتين مهملتين بينهما فاء ثم هاء من ألقاب أرباب السيوف ، وكان في الدولة الفاطمية لقباً على صاحب وظيفة تلى صاحب الباب ، على ما تقدم

بيانه في الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية في المقالة الثانية . ومعناه «مقدم العسكر» وهو مُرتَّب من لفظين : فارسي ، وَتُرْكِي ، فاشتقَّ بالفارسية بمعنى 'المقدم ، وسَلَّار بالتركية بمعنى 'العسكر ، والعامية تحول لبعض من يقف بباب السلطان من الأجوان : (أسپاسلار) بالباء الموحدة ، وكانهم راحوا فيه معنى 'المقدم في الجملة ، والباء تعاقب الفاء في اللغة الفارسية كثيرا ؛ ولذلك قالوا : أَصِيَّانَ وَأَصْفِيَّانَ بالباء والفاء جميعا ؛ والأستفهلاري نسبةٌ إليه للبالغة . وقد ذكر المقرئ الشهابي بن فضل الله في بعض دساتيره أن هذا اللقب يختصُّ بأمراء الطلبة خاتناه ، على أنه قد ترك استعماله في زماننا ، وكانهم كرهوا مشاركة بعض الأعوان فيه فأضربوا عنه لذلك ، أولم يفهموا معناه فتركوه .

(الأشفي) من ألقاب ملوك المغرب . وهو مأخوذ من السَّناء بالمد ؛ وهو الرفعة ؛ ويموز أن يكون من السَّنا بالقصر : وهو الضياء .

(الأشرف) من ألقاب المَقَام والمَقَرِّ في مصطلح كُتَّاب الإيمان على ما تقدّم ذكره ، وربما وقع أيضا في ألقاب ملوك المغرب . وهو أفضل التفضيل من الشرف بمعنى المُلْك .

(الأضعد) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو أفضل التفضيل من الصعود ضدَّ الهبوط .

(الأصيل) من ألقاب أرباب الأعلام غالبا ، وربما وقع في ألقاب أرباب السيوف إذا كان لصاحب اللقب عِراقةٌ نَسَب ؛ وهو قيل من الأصيل بمعنى الحَسَب ؛ والأصيل نسبةٌ إليه للبالغة ؛ قال في «عرف التعريف» ؛ وينتصُّ بن له ثلاثة في الرئاسة ، أبنٌ عن أب عن جد ،

(الأعظم) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو مأخوذ من الصَّعْظَانَة ؛ والمراد بها هنا المَظْلَمَة ، وهي في أصل اللغة الفِلَظْ واستعملت في المَظْلَمَة كَجُوزًا .

(الأعز) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وقد يستعمل في ألقاب من لم يثبت فيه ياء النسب من السامى بغير ياء فإدونه كالأخص : فيقال « الأعزُّ الأخص » ونحو ذلك ؛ وهو أفعل التفضيل من العز .

(الأعظم) من ألقاب السلطان ، يقال فيه « السلطان الأعظم » ويقع في ألقاب ملوك المغرب أيضا . وهو أفعل التفضيل من المَظْلَمَة ؛ وهي الكِبَرِيَاء .

(الأعل) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعل التفضيل من العلو ؛ وهو الارتفاع .

(الأعلم) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعل التفضيل من العلم الذى هو خلاف الجهل .

(الأفخم) من ألقاب ملوك المغرب . وهو أفعل التفضيل من الفخامة ؛ وهي المَظْلَمَة والقُوَّة .

(الأفضل) من ألقاب السلطان ؛ ويستعمل في ألقاب ملوك المغرب أيضا . وهو أفعل التفضيل [من الفضل] بمعنى الزيادة ، والمراد الزيادة في الفضيلة .

(الأكمل) من ألقاب السلطان أيضا ؛ ويستعمل في ألقاب ملوك المغرب وفى ألقاب من لم يثبت فيه ياء النسب من السامى بغير ياء فإدونه ؛ والأعلى نسبة إليه للبالغة .

(الإمام) من ألقاب الخلفاء كما يقال فى المكاتباتهم « من صيد الله ووليّه الإمام الفلانى » وقد تهم أن أول من تلقب به « إبراهيم بن محمد » أول من جوس له

بالخلافة من بنى العباس، ويقع أيضا في ألقاب أكابر العلماء . وأصل الإمام في اللغة الذي يُقْتَدَى به ؛ ولذلك وقع على المجتهدين كالأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة : وهم الشافعي، ومالك، وأبو حنيفة، وأحمد . والإمامي نسبة إليه للبالغة .

(الأمجد) من ألقاب ملوك المغرب ؛ وربما كُتِبَ به للتجّار ونحوهم في ألقاب الصّدر الأجل . وهو أفضل التفضيل من المجد : وهو الشرف أو الأصالة .

(الأميري) من ألقاب أرباب السيوف . قال في "حرف التعريف" : وَيُكْتَبُ به لكّار وإن كانوا من أرباب الأعلام . وذكر في دستور له آخر أنه يكتب به لتيب الأشراف ولا يُكْتَبُ له القضاة أصلا وإن كان من أرباب الأعلام ؛ وقد تقدم لقب الأمير مجّزا عن ياء النسب وأصله المأخوذ منه في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف فأغنى عن إعادته هنا . وأعلم أنهم لم يستعملوا فيه النسبة لنفس الإمرة فلم يقولوا في النسبة إليه الإمري كما قالوا في النسبة إلى القضاء القضاة .

(الأمين) من ألقاب التجّار الخواجكة وألقاب الخُدام المعروفين في زماننا بالطواشيّة ، خُصّوا بذلك لأمانة التجّار على الجوّاري والممالك في حال جلّهم إلى الملوك ، وأمانة الخُدام على الحرّيم والممالك بأبواب الملوك ، وهو مأخوذ من الأمانة ضدّ الخيانة ؛ والأمين نسبة إليه للبالغة .

(الأوحد) يقع في الألقاب السلطانية ، ويكون من ألقاب أرباب الأعلام لمن لا تنبت الياء في ألقابه من السامي بغير ياء لما دونه ، وفيه ما تقدّم في الكلام على

الأجل من الاعتراض على الكُتَّاب في جمعهم الأعلَى والأدنى في لقب واحد،
والأوحدى نسبة إليه للبالغة .

حرف الباء

(البارِعُ) من ألقاب أرباب الأعلام، وهو فاعلٌ من البراعة : وهي النهضة
بالشيء والتقدم فيه ؛ والبارِعُ نسبة إليه للبالغة .

(البليغُ) من ألقاب أرباب الأعلام ، وأحسن ما يقع في ألقاب ذوى البلاغة
من الكُتَّاب ونحوهم ، وهو فعيل من البلاغة : وهي تأدية كُنْهِ المراد بليغاً لا يُخفى ،
وإطناج لا يُخفى ، والبليغُ نسبة إليه للبالغة .

حرف التاء

(التقيُّ) من ألقاب ملوك المغرب يقال التقيُّ الزكيُّ ونحو ذلك ؛ وربما استعمل
بالديار المصرية في ألقاب أرباب الأعلام وأهل الصلاح ؛ وهو مأخوذ من التقوى
كما قلتم في الأتني :

حرف الحيم

(الحليّل) من ألقاب مَنْ يُكْتَبَلُه الحاجُّ كقَدَمِي الدولة ونحوهم ، ويقال فيه :
«الحاجُّ الحليّل» ونحو ذلك ؛ والحليّل في أصل اللغة العظيمُ ، وكان مقتضى الوضع
أن يكون لأعلى من هذه الرتبة .

حرف الحاء المهملة

(الحاجُّ) من ألقاب مقدّمى التولية ومنتارية البيوت وَمَنْ في معناهم وإن لم
يكن قد سجَّ ، وإن كانت موضوعُ الحاجِّ في العرف العام إنما هو لمن سجَّ البيت
وإنما أصطلح لهم على ذلك حتى صار كالعالم عليهم .

(الحافظ) من ألقاب المحدثين ؛ وأصله من الحفظ ضد النسيان ، واختص بالمحدثين لاحتياجهم إلى كثرة الحفظ لتون الأحاديث وأسماء الرجال ونحو ذلك ؛ والحافظي نسبة إليه للبالغة .

(الحافل) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه الكثير الجمع ، أخذنا من قولهم وإِدِ حافل إذا كثر سيله .

(الحاكم) من ألقاب القضاة . قال أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" : وأصله من الحكمة بفتح الكاف : وهي حليمة مستديرة في القلم تمنع الدابة من الجري والشباب ؛ ثم بذلك لأنه يرد الناس عن القلم ؛ وأكثر ما يستعمله كتاب الزمان في عنوان المكتبات في تعريف المكتوب إليهم ، وفي أثنائها في وصف المكتوب بسببه ؛ والحاكمي نسبة إليه للبالغة .

(الحائز) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعل من الحيازة ؛ وهي الحياطة ، والمواد الحائز للملك ، أو الحائز للفضائل ونحو ذلك .

(الحبر) من ألقاب أكابر العلماء - وهو بفتح الحاء وكسرهما لفتان ، والذي أخاره ابن قتيبة في "أدب الكاتب" الكسر ، وبه ثمى الحبر الذي يكتب به ، ولكن الجارى على ألسنة الناس الفتح ؛ والحبري نسبة إليه للبالغة .

(الحجتي) بضم الحاء وكسر الجيم المشددة وفي الأثرية النسب من ألقاب أكابر القضاة والعلماء ، وهو منسوب إلى الحجّة بحذف تاء التانيث منه على قاعدة النسب ، كما تحذف من كلمة ونحوه على ما هو مقرر في علم النحو . وبعض جهلة الكتاب يثبت فيه تاء التانيث مع النسب فيقول الحجتي وهو خطأ ؛ ثم النسبة فيه

حقيقة لأن المسبب إليه وهو الحجة خير من له القلب، ويجوز أن تكون للبالغة بأن يجعل صاحب القلب هو نفس الحجة تجوزاً وهو أبلغ .

(الحسيب) من ألقاب الشرفاء من ولد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من فاطمة رضي الله عنها، أخذاً من الحسب: وهو ما يعلّمه الإنسان من مقانر آباءه علي ما ذكره جماعة من أهل اللغة ولذلك أختص في الاصطلاح بالشرفاء، إذ كان آباؤهم أعظم الناس مقانراً، لكن قد ذكر ابن السكيت في "إصلاح المنطق" أن الحسب يكون في الرجل وإن لم يكن له آباء لهم شرف؛ وعلي هذا فلا يختص هذا القلب بنوى الأنساب التي فيها عرافة، والحسيب نسبة إليه للبالغة .

حرف الخاء المعجمة

(الخاشع) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وربما استعمل في العلماء، بل ربما استعمل في أرباب السيوف إذا كانت المكتوبة له متصفاً بذلك، بل ربما استعمل في ألقاب بكتاكة النصاري من الباب وفيه، علي ما سياتي ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى . والخاشع في اللغة الخاضع والمتذل، والخاشعي نسبة إليه للبالغة .

(الخواجه) من ألقاب أكابر التجار الأعيان من القرم ونحوهم . وهو لفظ فارسي، ومعناه السيد؛ والخواجهي زيادة كاف نسبة إليه للبالغة، وكان الكاف في لغتهم تدخل مع ياء النسب .

(الخير) بفتح الخاء وتشديد الياء المثناة تحت، من ألقاب أهل الدين والصلاح . وهو في أصل اللغة خلاف الشر، ثم غلب استعماله فيمن غلب عليه الخير؛ والخيري نسبة إليه للبالغة، وقيل أن يستعمله الكتاب إلا بإثبات الياء في آخره .

حرف الذال المعجمة

(الذئبر) بضم الذال وإسكان الخاء من ألقاب أرباب السيوف ، وربما أُطلق على غيرهم . وأصله في اللغة لما يُذَنَّبُ من النقائص ، وهو مصدر ذَنَرْتُ الشيءَ أَذْنَرُهُ ، وكثيرا ما يُفْلَطُ فيه فيجعل بالذال المهملة . ويمنَّ وقع له الذم في ذلك الشئ جمال الدين الأستوي في "طبقات الفقهاء" فأورد صاحب "الذخائر" في الدال المهملة ، والذئبرى نسبة إليه للبالغة ، وأكثر ما يستعمله الكتاب كذلك .

حرف الراء المهملة

(الرباني) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وربما لُقِّبَ به العالم فيقال «العالم الرباني» قال الجوهرى ، وهو المتأله والعارف بالله تعالى . قال تعالى : (كُونُوا رَبَّانِيِّينَ)

(الرحلة) بضم الراء من ألقاب أكابر العلماء والمحدثين ، والرحلة في اللغة ما يرحل إليه ، لُقِّبَ بذلك لأنه في حيز أدب يرحل إليه للاخذ عنه . أما الرحلة بالكسر فالأوتحال ، والرحلى بالضم أيضا نسبة إليه للبالغة .

(الرئيس) بالهمزة على وزن فَعِيل من ألقاب عليّة الناس وأشرفهم ، ويقال : فيه رئيس على وزن قِيمَ قاله الجوهرى . وأصله من الرئاسة وهي رفعة القدر وعلو الرتبة ، والرئيسى نسبة إليه للبالغة ، وغالب ما يستعمله الكتاب كذلك ، وهو من ألقاب أرباب الأقلام من العلماء والكتاب .

حرف الزاي

(الزاهد) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وهو في اللغة خلاف الرغب ، والمراد هنا من أعرض عن الدنيا فلم يَلْتَفِتْ إليها ، والزاهدى نسبة إليه للبالغة ،

(الرَّعِيمُ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف، كقُوتاب السلطنة ومن في معانهم؛ وهو نسبة إلى الرِّعِيم بمعنى السيد والكافل وكأنه بولايته على القوم سادهم أو كفَّلهم وتولَّاهم ولم يستعملوا فيه الرِّعِيم بغير ياء : لأنه إذا كان مختصا بكار أرباب السيوف دون أئانهم، وجب إثبات الياء للبالغة.

(الرُّزْكَ) من ألقاب المتنبيين من أرباب الأعلام وغيرهم، يقال التقى الرُّزْكَ ونحو ذلك . وهو في أصل اللغة بمعنى الزاكن وهو الزائد وقد تقدم مثله في الأركا في حرف الألف .

حرف السين المهملة

(السالك) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو فاعل من السلوك، والمراد سلوك سبيل الرشاد الموصل إلى الله تعالى، والسالكي نسبة إليه للبالغة .

(السامي) من ألقاب المجلس، وقد تقدمت الإشارة إليه في الكلام على الألقاب الأصول وأنه يتقسم إلى السامي بالياء والسامي بغير ياء فراجع منه .

(السَّفير) قال في "عُرف التعريف" : وهو من الألقاب الخالصة بالنوادر، على أن قدرأيته في بعض التسميات الشامية قد كُتِبَ به لبعض التجار الخواجكية لسفارتهم بين الملوك وترددهم في المسالك بلحلب المالِك والحواري ونحو ذلك وهو منسوب إلى السفير : وهو الرسول والمصلح بين القوم نسبة مبالغة ولم يستعمله الكتاب مجزوا عن الياء : لأنه إذا كان خاصا بهدين وربتهما عليه لأريق بها حذف الياء لم يناسب استعماله مجزوا عنها .

(السلطاني) من ألقاب الملوك فيثبت في ألقاب المقام الشريف ونحوه، فيقال المقام الشريف العالي السلطاني ونحو ذلك ؛ وهو منسوب إلى السلطان وقد تقدم الكلام عليه في الكلام على أرباب الوظائف .

(السيد) من الألقاب السلطانية يقال السلطان السيد الأجل ونحو ذلك ؛ ويقع في اللغة على المالك والزعيم ونحوهما ؛ والسيد نسبة إليه للبالغة ، وهو من الألقاب الخاصة بالجناب الشريف فما فوقه . قال في "عرف التعريف" ولا يكتب به عن السلطان لأحد .

حرف الشين المعجمة

(الشاهنشاه) من الألقاب الملوكة المختصة بالسلطان وأكبر الملوك . وهو لفظ فارسي معناه بالعربية «ملك الأملاك» وقد ورد النهي عن التسمي به ؛ وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال : «لَنْ أُخْتَعَ أَسِمٌ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكَ الْأَمَلِكِ ، لَا مَلِكَ الْأَمَلِكِ إِلَّا اللَّهُ» . قال سفيان بن عيينة : معناه شاهنشاه ؛ ولذلك يحذفه المتدينون من الكتاب من الألقاب السلطانية ؛ وقد أشار إلى ذلك في "التتيف" في مكتبة صاحب المغرب .

وأعلم أنه كان قد وقع في تقييب الملوك بهذا اللقب نزاع بين العلماء في سلطنة السلطان «جلال الدولة» السلجوقي في سنة تسع وعشرين وأربعمائة كما حكاه ابن الأثير في تاريخه «الكامل» وذلك أن السلطان جلال الدولة كان قد سأل أمير المؤمنين (القائم بأمر الله) الخليفة يومئذ في أن يحاطب بملك الملوك فامتنع ، فكتب قنوي للفقهاء في ذلك ؛ فكتب القاضي أبو الطيب الطبري ، والقاضي أبو عبد الله الصيمري . والقاضي ابن البيضاوي ، وأبو القاسم الكرتي بجوازه ؛ ومنع منه أفضى القضاة أبو الحسن الماوردي ، وجرى بينه وبين من ألقى بجوازه مراجعات ؛ وخطب بحلال الدولة بـ «ملك الملوك» وكان الماوردي من أغص الناس بجلال الدولة ، وكان يتردد إلى دار المملكة كل يوم فلما ألقى في ذلك بالمنع ، أقطع ولزم بيته جانبا ،

وأقام بمقطعا من شهر رمضان إلى يوم النحر، فاستدماه جلال الدولة، فحضر خائفاً فادخله عليه وحده، وقال له : قد علم كل أحد أنك من أكثر الفقهاء مالاً وجاهاً وقرباً منا وقد خالفتم فيما خالف هواي، ولم تحصل ذلك إلا لمدح المحابة منك وأتباع الحق، وقد بان لي موضعك من الدين ومكانك من العلم، وجعلت جزاء ذلك إكرامك بأن أدخلتك إلى وحدك، وجلت إذن الحاضرين إليك، ليتحققوا قودي إلى ما يجب . فشكره ودنا له وأذن لكل من حضر الخدمة بالانصراف .^(١)

(الشریف) من ألقاب المقر والجناب، من حيث إنه يقال المقر الشريف والجناب الشريف، وذكر في "عرف التعريف" أنه مختص بالأشراف أبناء فاطمة من علي رضي الله عنهما، وكأنه يريد في الألقاب المطلقة التي لا تلي المقر والجناب وهو فيميل من الشرف وهو العلو والرفعة، قال ابن السكيت : ولا يكون إلا لمن له آباء يتقدمونه في الشرف بخلاف الحسيب ومن هنا جعله الخُطاب أصل رتبة من الكريم لشماله على قدر زائد لا يعتبر في الكريم من عرافة الأصل وشرَف المشتد، والشرِفي نسبة إليه للبالغة .

(الشهير) من ألقاب ملوك المغرب، ومعناه المشهور الظاهر، والمراد هنا من أشهر علو قدره ورفته .

(الشيخ) من ألقاب العلماء والصلحاء وأصله في اللغة الطاعن في السن، ولُقّب به أهل العلم والصلاح توقيراً لهم كما يوقر الشيخ الكبير، والشيخ نسبة إليه للبالغة .

حرف الصاد المهملة

(الصاحب) من ألقاب الوزراء . قال في "عرف التعريف" : وهو مختص بأرباب الأنلام منهم دون أرباب السيوف . وهو في أصل اللغة أمم للصديق ،

(١) أورد ابن الأثير هذه البارة في مخطوطة الكامل (ج ٩ ص ١٧١) .

وأول من لُقِّبَ به من الوزراء كافي الكُفَاةَ إسماعيلُ بنُ حَبَاد، وذلك أنه كان يصحب الأستاذَ ابنَ العميد، فكان يقال له بذلك «صاحبُ ابنِ العميد» ثم ظلب عليه حتى استعمل فيه بالآلاف واللام، ثم صار لُقِّباً على كل من ولى الوزارة بعده . على أن كُتِّبَ الإنشاء بالمالك الشامية يلقَّبون العلباء من قضاة القضاة ومن في معانهم بذلك، وهم على ذلك إلى الآن ، بخلاف كُتِّبَ الديار المصرية ، فإنهم يقصرونه على الوزراء دون غيرهم كما تقدمت الإشارةُ إليه . والصاحي نسبةٌ إليه للبالغة . وهو المستعمل عند كُتِّبَ الإنشاء، وبغير الياء في العرف العام .

(الصالح) من ألقاب أهل الصِّلَاح والصُّوْفِيَّة يقال الشيخُ الصالحُ ويحذو ذلك . وهو مأخوذ من الصِّلَاح ضدَّ الفساد، ولم يستعملوه بإثبات ياء النسب فلم يقولوا الصالحِيَّة ، وكأنهم تركوا ذلك خوفاً من الاكتباس بالنسبة إلى البلد المعروف أو غيره .

(الصُّدْر) من ألقاب التجَّار ويحوم . والمراد من يكون صدرًا في المجالس، وصدر كلِّ شيء في اللغة أوَّلُه، وصُبر عن صدر المجلس بأوَّلُه لأنه في الحقيقة أوَّلُ المجلس وكل جانب من جانبيه يَأوَّلُه، والصُّدْرِيَّة نسبةٌ إليه للبالغة .

حرف الطاء

(الطاهر) من ألقاب ملوك المغرب، والمراد المتَّزِّه عن الأدناس .

حرف الظاء

(الظهيرى) من ألقاب كبار أرباب السُّيُوف كأعيان الأمراء من نواب السلطنة وغيرهم، وهو نسبةٌ إلى الظَّهير بمعنى العَوْن للبالغة، ومنه قوله تعالى :

﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ولم يستعملوه مجزأ عن ياء النسب لاختصاص المظاهرة بأكابر أرباب السيوف، وهو بنير الباء لا يفتح إلا على الأتوان منهم .

حرف العين

(العايد) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو فاعل من العبادة وهي الطاعة، وربما استعمل في أرباب السيوف والأقلام أيضا : لاختصاص متصيف منهم بذلك أو وقوعه أولا على متصيف به منهم ثم لزومه من بعده من أهل تلك المرتبة كما في نائب الشام، حيث كُتِبَ ليبدئ الخوارزمي في نيابته بذلك؛ ثم لزم من بعده من نواب الشام والنائب الكامل على ما سياتى ذكره في المكتبات إن شاء الله تعالى .

(العدل) من ألقاب السلطان، وهو خلاف الجائر، وذلك أعلى ما وُصف به الملك ونحوه من ولاة الأمور : لأن العدل به تنعم عمارة الممالك، والعدل نسبة إليه للبالغة؛ وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف من النواب ونحوهم .

(العارف) من ألقاب أكابر أهل الصلاح، وهو خلاف الجاهل، ومنهم من يفرق بينه وبين العالم بأن المعرفة قد يتقدمها جهل والعلم لا يتقدمه جهل، ولذلك لم يطلق اسم العارف على البارئ سبحانه وتعالى بخلاف العالم فإنه يطلق عليه؛ والعارف نسبة إليه للبالغة .

(العايد) من ألقاب ملوك المغرب؛ وهو في أصل اللغة اسم للمعين، يقال عَصِدْتُهُ أعصده إذا أعنته .

(العالم) من ألقاب السلطان، وهو خلاف الجاهل . ثم هو في الحقيقة إنما هو من ألقاب العلماء إلا أنهم نعتوا به الملوك تعظيما، إذ العلم كل أحد يزاحم على .

الانحصاف به ؛ والعالمى نسبة إليه للبالغة . وهو من الألقاب المشتركة في الاصطلاح بين أرباب السيوف والأفلام وإن كان المختص بها في الحقيقة العلماء .

(العالمى) من الألقاب التى يشترك فيها أرباب السيوف والأفلام ، ويوصف به المقام والمقز والحناب والمجلس فى إحدى حالتيه ؛ وهو من العلماء بالمد وهو الشرف . يقال على بكسر اللام يعلى بفتحها إذا شرف ، ومنه قيل فى على ونحوه «علاء الدين» ويحتمل أن يكون من العلو فى المكان يقال فيه علا بفتح اللام يعلو علواً ؛ ومبناى معنى الفرق بينه وبين السامى وإن كان بمعناه فى اللغة .

(العامل) من ألقاب أهل الصلاح ، والمراد المجد فى العمل المجتهد فى العبادة ؛ والعالمى نسبة إليه للبالغة ، وهو من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأفلام كالعالمى .

(العريق) من ألقاب ذوى الأصالة ، وأكثر ما يقع على أرباب الأفلام ، والمراد من له صرافة فى كرم الأصل ؛ والعريق نسبة إليه للبالغة .

(العزیز) من ألقاب ديوان الخلافة ، يقال فيه «الديوان العزیز» على ما ساقى بيانه فى المكتبة إلى أبواب الخلافة ، وربما استعملوه فى الولد فقالوا الولد العزیز ، ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب .

(المُعبد) من ألقاب أرباب السيوف ؛ وهو فى الأصل اسمٌ للمساعد ؛ وهو ما بين الموفق والكثيف ، واستعمل فى المعين والمسلمد لقيامه فى المساعدة مقام المعبد الحقيقى من الإنسان ؛ ثم الأفضح فيه فتح العين مع ضم الضاد ، ويحوز فيه كسر الضاد وإسكانها مع الفتح أيضاً وضم العين مع إسكان الضاد ؛ والمعبدى نسبة إليه للبالغة .

(العَوْنُ) من ألقاب المختصة بأكابر أرباب السيوف، وهو نسبة إلى العَوْن وهو الظهير على الأمر المعاوَن عليه . ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب لوقوع العَوْن على الواحد من أعوان صاحب الشرطة ونحوه .

(العلامة) بالتشديد من ألقاب أكابر العلماء . قال الجوهري : وهو العالم للفاية ، وقيل أن يستعملوه إلا في ألقاب المكتوب بسببه ونحو ذلك ، وحذف الهاء منه لغة ، وليست بمستعملة بين الكتاب أصلاً ؛ والعلامة نسبة إلى العلام أو العلامة للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ويختص بالمُعْتَمَد .

حرف الغين المعجمة

(الغازي) من ألقاب أرباب السيوف، وهو من الأسماء المنقوصة كالقاضي ونحوه ، وقيل أن يستعمل إلا في ألقاب السامي بنيرياه فإدونه .

(الغوث) بالناء المثلثة من ألقاب الصوفية ، وهو عندهم لقب على القطب الذي هو رأس الأولياء ؛ وأصله في اللغة من قول الرجل واغوثاً ، وقيل أن تستعمله الكتاب بل لم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب أصلاً .

(الغياثي) من ألقاب أرباب السيوف ، وأكثر ما يستعمل في الملوك ، وهو في اللغة الاسم من استغاثني فاشتبه ، وأصله الغواثي بالواو فقلبت الواو ياء . لا تكسار ما قبلها .

حرف الفاء

(الفايح) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعل من الفتح بمعنى النصر ، والمواد فضح الأمصار وتلكها .

(الفاضل) من ألقاب أرباب الأقلام ، وأكثر ما يقع في ألقاب العلماء ، ودبما وقع في ألقاب الكُتّاب ، وهو خلاف الناقص ، والمراد زائد الفضل ، وبه لقب الفاضل الفاضل « عبد الرحيم اليماني » الكاتب المشهور ، والفاضل نسبة إليه بالالفه .

(الفائز) من ألقاب ملوك المغرب ، وهو فاعل من الفوز بمعنى النجاة أو الفخر ، وقد يُسَاحَّ في التلقب به فإن الفوز يطلق على الهلاك أيضا على ما هو مقرر في كتب اللغة ، ومثل ذلك يجب اجتنبه لما فيه من الاشتراك بين المحمود والمذموم ، إلا أنه طلب استعماله في النجاة حتى إنه لم يرد في القرآن إلا بمعناها ، ولذلك عول الكُتّاب على استعماله .

(القيس) من ألقاب العلماء وهو اسم فاعل من قَسَّ بضم القاف إذا صار الفقه له حجة ، كثرهم إذا صار الكرم له حجة . قال المسيل^(١) في شرح مختصر ابن الحاجب : وإنما يقع على المجتهد دون المقلد ، أما إطلاقه على فقهاء المكاتب ونحوهم فعلى سبيل المجاز . على أن الكُتّاب بالديار المصرية لم يستعملوا هذا اللقب إلا في القليل النادر ، بل كثير من جهالة الكُتّاب وغيرهم يستصغرون التلقب به ويملونه قصفا ، وإنما يُعَظَّم به جدّ التعظيم أهل المغرب ، والقيسي نسبة إليه بالالفه ، وهو مستعمل في ألقاب العلماء .

(الفریدی) من ألقاب أكابر العلماء ، وهو نسبة إلى الفرید بمعنى المنفرد بالالفه ، والمراد المنفرد بما لم يُسَارِكْ فيه غيره ، ولم يستعملوه مجردا عن ياء النسب .

(١) كذا بالأصول ولعله السبكي انظر شرح مختصر ابن الحاجب في كشف الظنون .

حرف القاف

(القاضى) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وهو نسبة إلى القاضى للبالغة ، ثم فى الحقيقة كان يجب أن يختص بالقضاة الذين هم حكام الشريعة دون غيرهم ، إلا أنه توسع فيه حتى استعمل فى غيرهم من ألقاب أرباب الأقاليم .

(القُدوة) بكسر القاف وضمها لغة من ألقاب العلماء والصباحاء ، وهو بمعنى الأموة . يقال : فلان قُدوة يقتدى به ؛ والقُدوى نسبة إليه للبالغة ، وحذفت منه تاء التأنيث المبدلة من الهاء على قاعدة النسب عند النحاة ، وكثير من جملة الكتاب . يُثبتون فيه تاء التأنيث مع النسب فيقولون القُدوى ، وهو خطأ كما تقدم فى الكلام على النجدة فى حرف الحاء .

(القضايرى) من الألقاب التى يستعملها بعض الكتاب فى ألقاب من أجمع له رياسة السيف والقلم ، وهو نسبة إلى القضاء والأمير تشبيها بمنصب من يرى النسبة إلى المضاف والمضاف إليه جميعا فيقول فى النسبة إلى عبد شمس شمسى ، وإلى عبد الدار دارى ، ونحو ذلك ، وهو منعب مرجوح على ما تقدم بيانه فى المقالة الأولى فى الكلام على النحو ، والأحسن فيه النسبة إلى كل منهما على أنفراد ، فيقال القضائى الأميرى ، أو الأميرى القضائى ؛ وعلى العمل به فاللاحق بئلو الرتبة أن يقال القاضيرى ليكون مرتباً من القاضى والأميرى ، إذ كان القاضى فى المعنى أبلغ من القضائى لما فى القاضى من البالغة على ما تقدم بيانه .

(القضائى) من ألقاب أرباب الأقاليم ، وهو نسبة إلى القضاء فلا مبالغة فيه .

(القُطب) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وهو عندهم عبارة عن رأس الأئلياء الذى عليه مدارهم كما هُتم فى النوث ، وقيل أن يستعمله الكتاب ؛

ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب فيما وقفت عليه أصلاً . والقُطْبُ في أصل اللغة كَوَكَبٌ بين الجندى والفرقدَيْنِ يدور عليه التَّكَلُّبُ فيما قاله الجوهرى . والتحقيق أنه نقطة متوهمة بالقرب من هذا الكَوَكَبِ على ما هو مقرر في علم الهيئة ، ولذلك قيل لسيد القوم الذى عليه مدار أمرهم قُطْبُ بنى فلان ، ومن هنا صبروا عن مدار الأولياء بالقُطْبِ . وقُلْ أن يستعمله الحُكَّابُ ، ولم يستعملوه مضافاً إلى ياء النسب فيما وقفت عليه ،

(القَوَامِي) بفتح القاف من ألقاب أرباب السيوف . وهو نسبة إلى القوام وهو العبد . ومنه قوله تعالى : (وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب .

حرف الكاف

(الكافل) من الألقاب المختصة بنائب السلطنة بالحضرة ، يقال فيه النائب الكافل وبحو ذلك ، والكافل في اللغة الذى يَكْفُلُ الإنسانَ ويعوله ، ومنه قوله تعالى : (وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا) وثُقِبَ بذلك لأنه يكفل الرعية ويعولهم ، والكافل نسبة إليه للبالغة . قال في "حرف التعريف" : وهو مخصص بنائب سلطان أو وزير كبير . وذكر في دستور آخر أنه لا يكتب به لغيرهما .

(الكبير) من الألقاب المشتركة بين أرباب السيوف والأقلام ، وهو في الأصل خلاف الصغير ، والمراد هنا الرفيع الرتبة ، والكبرى نسبة إليه للبالغة .

(الكريم) من ألقاب المَقَرِّ والجَنَابِ ، ويشترك فيه أرباب السيوف والأقلام ، والكريم خلاف اللئيم فيما يقتضيه كلام الجوهرى حيث قال : الكرم تقيض اللؤم ، وحيث أن يكون المراد بالكريم انحصار اللؤم ، ومن ثم جعل دون الشريف

في الرتبة، إذ في الشرف قدر زائد على ذلك، وهو اعتبار ثبوت رتبة القدر، بل اعتبار ذلك في آباءه أيضاً كما قاله ابن السكيت على ما تقدم ذكره في الكلام على لقب الشريف، ويوضح ذلك أن الفقهاء قالوا يستحب في الزوجة أن تكون نسبة حملها بعضهم على الصحيحة النسب احترازاً بذلك عن بات الزنا، وحمله آخرون على المراقبة في النسب، والأول في معنى الكرم الذي لم يعتبر فيه سوى خلوصه من اللؤم، والثاني بمعنى الشريف الذي اعتبر فيه قدر زائد، ثم هو قيل من كرم بضم الراء إذا صار الكرم له سبيحة كما تقدم في الفقيه.

(الكفيلي) من ألقاب أكابر أبواب السلطنة، وهو أعلى من الكافل، لأن صيغة قيل أبلغ من صيغة فاعل على ما هو مقرر في علم النحو والتصرف.

حرف اللام

(الليب) من ألقاب أرباب الأعلام، وهو قيل من اللب وهو العقل، والليب نسبة إليه للبالغة.

(اللودعي) بالذال المعجمة من ألقاب أرباب الأعلام، وهو الذي القلب.

حرف الميم

(الماجد) من ألقاب أرباب الأعلام ظاهراً، وربما أطلق على غيرهم، وهو غنص بذوى الأصالة فقد قال ابن السكيت إن المجد لا يكون إلا بالآباء، والماجد نسبة إليه للبالغة.

(المالكي) من الألقاب المختصة بأرباب السيوف والأعلام. قال في "معرف التعريف": ولا يكتب به عن السلطان لأحد، وهو نسبة إلى المالک الذي هو خلاف الملوك للبالغة، ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب.

(المُتَاغِرُ) بالشاء المثلثة من ألقاب السلطان، والمراد القائم بِسَدِّ الثُّغُور : وهي البلاد التي في تَحْرِيرِ العدو، أَخْذًا من الثُّغُر وهو السِّنُّ، لأنه كالْبَابِ على الحلق الذي يمتنع الوصول إليه إلا منه؛ والمُتَاغِرُ - نسبةٌ إليه البالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوبِ السلطنة ونحوهم .

(الْمُتَصَرِّفُ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ في معنَاهم ، والمراد مَنْ يَنْفُذُ تَصَرُّفَهُ في الأمور، ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب .

(المُجَاهِدُ) من الألقاب السلطانية ، والمراد المُجَاهِدُ في سبيل الله تعالى، وربما أَسْتَعْمِلَ في ألقاب السامِي من غير ياء فإِذَا دُونَهُ كَمَا تَقَدَّمَ في الغازی ؛ والمُجَاهِدِيُّ - نسبةٌ إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوبِ السلطنة ونحوهم .
(المُجْتَبَدُ) من ألقاب العلماء ، والمرادُ بِهِ في الأصل مَنْ يَسْتَنْبِطُ الأحكامَ الشرعيةَ مِنَ الكُتُبِ والسُّنَنِ والإِجْمَاعِ والقياس ، وَقَدْ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ الْكُتَّابُ ؛ والمُجْتَبَدِيُّ - نسبةٌ إليه للبالغة . وأكثَرُ أَسْتَعْمَالِهِ كَذَلِكَ .

(المُحْتَرَمُ) من ألقاب العامة مَن يَلْقَبُ بِالصَّنْدَرِ الْأَجَلِّ . فيقال : «الصَّنْدَرُ الْأَجَلُّ الْكَبِيرُ الْمُحْتَرَمُ» ونحو ذلك .

(الحَقِيقُ) من ألقاب العلماء ، وربما أَسْتَعْمِلَ في ألقاب الصُّوفِيَّةِ ، والمراد أَنَّهُ يَأْتِي بِالْأَشْيَاءِ عَلَى حَقَائِقِهَا لِحِلَّةِ ذَهَبِهِ وَصِحَّةِ حَقِيقَتِهِ ؛ والحَقِيقِيُّ - نسبةٌ إليه للبالغة .

(الْمُخْتَارُ) من ألقاب أرباب السيوف غالباً ، وَيَخْتَصُّ بِالسَّامِي بِغَيْرِ ياء فإِذَا دُونَهُ ، وهو أَسْمُ مَفْعُولٍ مِنَ الْإِخْتِيَارِ ، بِمَعْنَى أَنَّ الْمُلُوكَ وَأَرْبَابَ الْأُمُورِ يَخْتَارُونَهُ ، عَلَى أَنَّ أَسْمَ الْفَاعِلِ مِنْهُ أَيْضاً الْمَخْتَارُ كَلَفْظُ الْمَفْعُولِ عَلَى السَّوَاءِ وَإِنَّمَا تُرْشَدُ إِلَيْهِ الْقِرَائِنُ .

(المخدوم) من الألقاب المختصة بالمكاتبات، والمراد من هو في رتبة أن يكون مخلوما لعلو رتبته ومُؤَخَّلَه ؛ والمخدوم نسبة إليه للبالغة . قال في "عرف التعريف" : ولا يُكْتَبُ به عن السلطان لأحد .

(المُدَبِّر) من ألقاب الوزراء ومن في معناتهم ككُتَّاب السر ونحوهم ، وهو نسبة إلى المدبّر بكسر الباء الموحدة : وهو الذي ينظر في الأمر وما تُؤَلِّب إليه طاقته ، ولم يستعملوه مجزداً عن ياء النسب .

(المُدَقِّق) من ألقاب العلماء ، وهو الذي يُنَمِّع النظر في المسائل ويدققه ، والمُدَقِّق نسبة إليه للبالغة .

(المُرَاطِ) من الألقاب السلطانية ، وهو مُقَاطِل من الرِّباط : وهو ملازمة نقر العدو ، والمُرَاطِي نسبة إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، ككُتَّاب السلطنة ونحوهم .

(المُرَبِّي) من ألقاب الصوفية ، والمراد من ربِّي المريدين ويسلكهم ويعرفهم الطريق إلى الله تعالى .

(المرتضى) من ألقاب أرباب السيوف والأقلام ، ويختص بالسامى بغير ياء فسا دونه ، والمراد من يرضاه ولأه الأُمُور ويختارونه .

(المرشد) من ألقاب ملوك المغرب ، وربما استعمل في ألقاب الصوفية ، والمراد من يرشد الناس إلى الحق ويهتد بهم السبيل ؛ والمرشدي نسبة إليه للبالغة .

(المُسَدِّد) من ألقاب أرباب السيوف وألقاب الوزراء ومن في معناتهم ، وهو بفتح الدال المشتدة نسبة إلى المسدّد ، وهو اسم مفعول من السَّدَاد بالفتح : وهو

الصواب والقصد من القول والعمل . ويموز أن يكون بالكسر على أنه أسم فاعل منه بمعنى أنه يُسَلَّد فيه ، ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب .

(المسلِّك) بتشديد اللام المكسورة من ألقاب الصوفية ، وهو أسم فاعل من تسليك الطريق وهو تعريفها ، والمراد تعريف المريدين الطريق إلى الله تعالى ، وأصل التسليك إدخال الشيء في الشيء ، ومنه قيل لخيط مسلك ، لقب بذلك لإدخاله المريدين في الطريق ، والمسلكى نسبة إليه للبالغة .

(المشيدى) بتشديد الباء المكسورة من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، كقواب السلطنة ونحوهم ، وهو نسبة إلى المشيد فاعل من التشيد وهو رفع البناء ، ومنه قوله تعالى : (وقصر مشيد) أى مرفع ، والمراد أنه يُشيد قواعد المملكة ويرفعها ، ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب إذ لا يليق بالأذنين .

(المشيرى) من ألقاب الوزراء وأكابر الأمراء ومن ضاهاهم ممن يؤخذ رأيه في الأمور . قال في "عريف التعريف" : ولا يُسمح به لأحد من أرباب السيوف ما لم يكن مقدم ألف ، وهو نسبة إلى المشير : وهو الذى يؤخذ رأيه . واختلف في أصله المأخوذ منه قليل : من شُرْتُ العسل إذا استخرجته من كؤارة النحل ، لأن الرأى يُستخرج من المشير . وقيل من شُرْتُ الناقة إذا عرضتها على الخوض لأن الاستشير يعرض ما عنده على المشير ، ولم يستعملوه مجزئاً عن ياء النسب لاختطاطه عن رتبة الأكابر .

(المظاهر) من ألقاب ملوك المغرب ، ومعناه المعاون أخذاً من المظاهرة : وهى المعاونة .

(المظفر) من الألقاب السلطانية ، أخذاً من الظفر وهو النصر ، والمظفرى نسبة إليه للبالغة ، وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف .

(المُعْرِق) بضم الميم وإسكان العين وكسر الراء من ألقاب ملوك المغرب، والمراد به من أَعْرَقَ في الكرم . على أن المُعْرِق قد يُطْلَق في اللغة على المُعْرِق في اللوم أيضا فهو من الأضداد، ومثل ذلك يُخْتَلَب في التلقيب .

(المُعَزِّز) بزائين معجمتين الأولى منهما مشددة مفتوحة من ألقاب ملوك المغرب، وهو اسمُ مفعول من العَزَّ خلاف اللُّ، ومنه قراءة من قرأ (ويعزِّزه ويوقِّره) بزائين معجمتين .

(المُعْظَم) بفتح الظاء المشددة من ألقاب ملوك المغرب أيضا، وهو اسمُ مفعول من العَظَمَة وهي الجلالة، وربما أُسْتَعْمِل في ألقاب بعض ملوك الكُفَر على ما سياتي ذكره فيها بعد إن شاء الله تعالى .

(المُعْظَم) بفتح الخاء المعجمة المشددة من ألقاب ملوك المغرب، وهو مأخوذ من العَظَمَة وهي الضخامة .

(المُعْزَوْه) بفتح الواو المشددة من ألقاب البُلَغاء من الكُتَّاب وغيرهم . وهو البليغ اللِّين، والمُعْزَوْه نسبة إليه بالافتة .

(المُعِيد) من ألقاب العلماء، وهو اسمُ فاعِل من الإفاضة وهي إنالة الشخص . ما لم يكن حاصلًا عنده، والمُعِيد نسبة إليه بالافتة .

(المُعَدِّي) بفتح الدال المشددة من ألقاب أرباب السيوف . ويختص بمقدبي الأثوف من الأمراء، والمراد أنه مُقَدَّم على مضاهيه من الأمراء والأجناد، ولم يستعملوه مجردا عن ياء النسب .

(المُقَرَّب) بفتح الراء المشددة من ألقاب الخُدَّام والخَوَاجِكَة ، والمراد أنه مقربٌ عند الملوك ومن في معناهم ، وهو من القُرب خلاف البُعد ، والمقَرَّب نسبة إليه للبالغة .

(المُكْرَم) بفتح الراء المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفْعَل من الكرامة .

(المَلِكِيّ) بفتح اللام من ألقاب المَلِك وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء ومن في معناهم ، وهو نسبةٌ إلى المَلِك بكسر اللام وإنما نُصِّحَتْ لأمته في النسب جرًّا على قاعدة النسب في تَمَرُّغِه ياسب إليه تَمَرُّيْ بفتح الميم على ما هو مقرر في علم النحو . على أن كثيرا من كُتَّاب الزمان يغلطون فيه فيكسرون لامه في النسب أيضا وهو خطأ . ثم النسبة إن كانت في حق المَلِك نفسه كقولهم في ألقاب المَلِك المَلِكِيّ ، فالنسبة فيه للبالغة ، وإن كانت في حق أحد من أتباعه كقولهم في حق بعض الأمراء ونحوهم المَلِكِيّ الغلاني فالنسبة فيه على حقيقة النسب .

(المُتَّعِد) بفتح الجيم المشددة من ألقاب ملوك المغرب . وهو مُفْعَل من التَّعِد وهو الشرف . وقد تقدّم في الكلام على المساجد عن ابن السكيت أنه يكون المُتَّعِد^(١) للرجل وإن لم يتقدّمه شرف آباءه .

(المُتَّهَدِيّ) بكسر الهاء المشددة من ألقاب أكابر أرباب السيوف ، نسبةٌ إلى المُتَّهَد : وهو الذي يُمَّهَدُ الممالك ويُدَوِّخُهَا ، والنسبة فيه للبالغة ، ولم يستعملوه مجزوا عن ياء النسب .

(١) المقول في كتب اللغة عن ابن السكيت أن التَّعِد والشرف لا يكونان إلا بالآباء والحسب والكرم يكونان للرجل وإن لم يكن له آباء كرام وقد نقل المؤلف قسمه هذا المعنى في غير هذا الموضع فتنبه .

(الْمُنْتَخَبُ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ : وهو المختار ، والمُتَخَيَّرُ نسبةً إليه للبالغة .

(الْمُنْفِذُ) بكسر الفاء المشددة وبالذال المعجمة من ألقاب الوزراء وَمَنْ في معانهم نسبة إلى المنفذ : وهو الذي له معرفة بتنفيذ الأمور وَوَضْعُ الْأَشْيَاءِ في مواضعها ، والنسبة فيه للبالغة ؛ ولم يستعملوه مجزأ عن ياء النسب .

(الْمُنْصِفُ) من ألقاب الوزراء وولاء الأمور نسبةً إلى الْمُنْصِفِ : وهو الذي يُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ ، والنسبة فيه للبالغة ؛ ولم يستعملوه مجزأ عن ياء النسب .
(الْمَنْصُورُ) من ألقاب السلطانية ، يقال منه «المؤيد المنصور» ونحو ذلك ، ومعناه ظاهر ، والمنصورى نسبة إليه للبالغة ؛ وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوبِ السُّلْطَنَةِ ونحوهم .

(الْمُؤَمَّنُ) من ألقاب الخُدَّامِ والتُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ ، والمراد أن الخُدَّامَ يُؤَمِّنُونَ على الحرِّيمِ والمَمَالِكِ في الحَضَرِ ، والتُّجَّارُ يُؤَمِّنُونَ على المَالِكِ والجَوَارِي في السَّفَرِ ، أو يُؤَمِّنُونَ على أخبار المَمَالِكِ وأحوالها ، فلا يُخْبِرُونَ عن مملكة بمملكة أخرى إلا بما فيه السُّدَادُ .

(الْمَوْلَى) من ألقاب الكُتَّابِ ، وأكثر ما يجرى ذلك في تعيين كاتب السرِّ ونحوه . فيقال : « المولى فلان الدين » والمراد هنا السيد ، والمولى نسبةً إليه للبالغة . وهو من ألقاب أكابر أرباب السيوف والأقلام . قال في «عُرف التعريف» : ولا يُكْتَبُ به عن السلطان لأحد . على أن المولى لفظ مشترك يقع في اللغة على السيد كما هُتِمَ ويبرَّ عنه بالمولى من أعلى ؛ ويقع على المملوك والعتيق ويسبَّ عنه بالمولى من أسفل ؛ ويقع على المنضمِّ إلى القبيلة من غير أنفسهم ، كما يقال في الإمام

الْبَحَارِيَّ « الْجَبْعِيُّ مَوْلَاهُمْ » بمعنى أنه ليس من صُلب القيسلة ؛ ويُطْلَقُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ أَيْضًا . وَإِذَا كَانَ مُشْتَرَكًا بَيْنَ الْمَوْلَى مِنْ أَعْلَى وَالْمَوْلَى مِنْ أَسْفَلِ فَكَانَ الْأَحْسَنُ الْإِضْرَابَ عَنْهُ .

(الْمُوَيْدُ) بفتح الياء المشددة من الألقاب السلطانية، وبالكسر من ألقاب السامية بإياه لما دونه ، والمراد أنه يُؤَيِّدُ الْمَلِكَ وينصره ، وكلاهما مأخوذٌ من الأَيْدِ وهو الْقُوَّةُ، والمراد أن الله تعالى يُؤَيِّدُهُ وَيُقَوِّيه ، ومنه قولهم في الدُّعَاءِ : « أَيَّدَ اللَّهُ تَعَالَى » أَيْ قَوَّاهُ ؛ وَالْمُوَيْدِيُّ بِالْفَتْحِ مِنَ الْأَلْقَابِ الْمُلْكِيَّةِ نَسْبَةً إِلَى الْمُوَيْدِ بِالْفَتْحِ لِلْبَالِغَةِ ؛ وبالكسر من ألقاب أكابر أرباب السيوف نسبةً إِلَى الْمُوَيْدِ بِالكسر لِلْبَالِغَةِ .

(الْمَلَّازِي) بِالذَّالِ الْمُعْجَمَةِ مِنَ أَلْقَابِ الْوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعَنَاهُمْ مِنْ وُلاَةِ الْأُمُورِ . وَهُوَ مُنْسَوْبٌ إِلَى الْمَلَّازِ بِمَعْنَى الْمَلْجَأِ نَسْبَةً مُبَالِغَةً ، وَلَمْ يَسْتَعْمَلُوهُ عِزًّا مِنْ بَاءِ النِّسْبِ .

حرف النون

(النَّاسِكُ) مِنَ أَلْقَابِ الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ ، وَمَعْنَاهُ الْعَابِدُ أَخَذًا مِنَ النَّاسِكِ وَهُوَ الْعِبَادَةُ ؛ وَالنَّاسِكِيُّ نَسْبَةً إِلَيْهِ لِلْبَالِغَةِ . وَهُوَ مِنْ أَلْقَابِ الصُّلَحَاءِ أَيْضًا ، وَرَبَّمَا كُتِبَ بِهِ لِأَرْبَابِ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ إِذَا كَانَ فِيهِمْ مَنْ يُنْسَبُ إِلَى الصَّلَاحِ .

(النَّبَوِيُّ) مِنَ أَلْقَابِ دِيْوَانِ الْخِلَافَةِ وَمَا فِي مَعْنَاهُ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِهَا ، يُقَالُ فِيهِ : « الدِّيْوَانُ الْعَزِيزُ النَّبَوِيُّ » وَنَحْوُ ذَلِكَ . وَيُقَعُّ أَيْضًا فِي أَلْقَابِ وُلاَةِ الْعَهْدِ بِالْخِلَافَةِ ؛ وَرَبَّمَا وَقَعَ فِي أَلْقَابِ الْأَشْرَافِ . وَهُوَ نَسْبَةٌ إِلَى النَّبَوَّةِ لِانْتِسَابِ الْخِلَافَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ إِلَى الْعَبَّاسِ عَمِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَانْتِسَابِ الْأَشْرَافِ إِلَى ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(النسب) من ألقاب الشرفاء أبناء فاطمة من علي بن أبي طالب رضى الله عنهما، والمراد العريق في النسب؛ لقبوا بذلك لأنهم أعرق الناس نسباً، لا تساهم إلى بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم جواز نسبة أولاد بنيته إليه بخلاف غيره، علي ما هو مقرر في كتب الفقه. وقد أوضحت ذلك في كتابي المسمى «القيوث الموامع»، في شرح جامع المختصرات ومختصر الجوامع، في أوائل النكاح؛ والنسبي نسبة إليه للبانة.

(النصير) من ألقاب أرباب السيوف الجلوس السامي بالياء من ثبوته. وهو بمعنى الناصر إلا أنه أبلغ منه، لأن صيغة فيل أبلغ من صيغة فاعل على ما تقدم؛ والنصيري نسبة إليه للبانة في نصره.

(النظام) من ألقاب الوزراء ومن في معانهم، وهو نسبة إلى النظام وهو صورة الاجتماع والانتظام، ومنه نظم التوثيق وغيره، والمراد أنه يكون به انتظام الأمور واكتنائها، ويحتمل أن يكون النسب فيه على حقيقته، لأنه نسبة إلى غير صاحب اللقب؛ ويحتمل أن تكون السببة فيه للبانة على معنى أن صاحب اللقب قد جعل من النظام نموذجاً؛ ولم يستعملوه مجزاً عن بقاء النسب.

(التون) بضم النون وضع الواو وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر من ألقاب كُتال الممالك بالمالك القانية: كاتب السلطنة، وأمراء الأتوس، والوزير ويحتمل فيما كان عليه مملكة إيران إلى آخر مملكة أبي سعيد؛ والتون نسبة إليه للبانة. قال في «التجديف»: وهو بمثابة الكافل في ألقاب التولاب. قال: وهو نعت يستعمل دائماً لأهل تلك البلاد ولا يستعملون الكافل أصلاً.

(١) أى أطلق عليه النظام.

حرف الهاء

(الهُمام) من ألقاب أرباب السيوف ، والمراد الشجاع ، والمُعَامِي نسبة إليه للبالغة .

حرف الواو

(الوالديّ) من ألقاب المُسَيَّن من الأكابر ، وهو نسبة إلى الوالد ، وكأنه جعله والدًا له فكان النسبة إليه على حقيقة النسب ، لأن النسبة فيه ليست إلى صاحب اللقب نفسه ، وربما قُعيد بذلك الوالد حقيقة ؛ وأكثر ما يقع هذا اللقب في المكتّبات .

(الوَرِيع) من ألقاب الصُوفيّة وأهل الصلاح ، وربما لُقّب به أرباب السيوف والأقلام أيضا إذا اتصفوا بذلك ؛ والمراد من يتنزه عن الوقوع في الشُّبُهات . وهو في اللغة التقيّ ، يقال منه وَرِيع وَرِيع بكسر الراء فيهما وَرِيعًا فهو وَرِيع ، والوَرِيعِي نسبة إليه للبالغة .

(الوزيريّ) من الألقاب انخاصة بالوزراء من أرباب السيوف والأقلام . وهو نسبة إلى الوزير ، وقد تحتمل معناه واشتقاقه في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف .

(الوَلَدِيّ) من ألقاب الأحداث من الرؤساء ، وهو نسبة إلى الولد ، كأنه جعله ولداً له ، وربما وقع على الولد حقيقة ؛ وأكثر ما يقع في المكتّبات كما تحتمل في الوالديّ .

حرف اللام ألف

(الأمي) من ألقاب الأذكياء . قال الجوهرى : ومعناه الذكى المتوقد .

حرف الياء

(اليمينى) من ألقاب الدوادار وكاتب السر والحاجب . قال فى "عرف التعريف" ولا يقال لغريم ، وهو نسبة إلى اليمين كأنه يمين السلطان الذى يتناول به الأشياء ، وإلا فيجلس كاتب السر بدار العدل عن يسار الساطان ، والدوادار والحاجب قائمان أمامه .

الضرب الثانى

(المرجلة للمبر عنها فى اصطلاح الكتّاب بالنسوت)

(وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا)

حرف الألف

(إتاك السّاكر) من نسوت الأمير الأتابك ومن فى معناه كالنائب الكامل ومن فى رتبته . وذكر فى "عرف التعريف" أنه مما يختص بالنائب الكامل . وقد همّتم ذكر معنى الأتابك فى الكلام على الألقاب الأصول ، والصّاكر جمع صكر وهو الجيش .

(إسكندر الزمان) من الألقاب السلطانية ، والمراد بالإسكندر هنا الإسكندر ابن فيلبس اليونانى ، وهو الذى يؤرخ بظهوره على القوس وظلته أيام على ماينياتى فى الكلام على التاريخ فى أواخر هذه المقالة .

كَانَتْ مِلْكًا عَظِيمًا مَلِكُ الشَّامِ، وَبَيْتُ الْمَقْدِسِ، وَالْعِرَاقَيْنِ، وَالسَّنْدَ، وَالْهِنْدَ،
وَبِلَادَ الصِّينِ، وَالْأَنْدَلُسِ، وَبِلَادَ التُّرْكِ؛ وَذَلِكَ لَهُ سَائِرُ الْمُلُوكِ؛ وَهَذَا أَهْلُ
الْغَرْبِ، وَالْأَنْدَلُسِ، وَالسُّودَانِ؛ وَهُوَ الَّذِي بَنَى مَدِينَةَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ
ذُو الْقَرْنَيْنِ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ. قَالَ الْمُؤَيَّدُ صَاحِبُ حِمَاةٍ فِي تَارِيخِهِ:
وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ مَلِكٌ عَظِيمٌ كَانَ قَبْلَ الْإِسْكَنْدَرِ بَيْنَ طَوِيلٍ .

(أَمِيرُ الْإِمَامِ) مِنْ ألقَابِ أَرْبابِ الْأَقْلَامِ غَالِبًا، وَهُوَ أَمِيرٌ بِمَعْنَى مَأْتُو، وَالْمُرَادُ
أَنَّ الْإِمَامَ يُؤْتَرَى عَلَى غَيْرِهِ فَيَقْتَسِمُهُ عَلَيْهِ .

(اِعْتِصَادُ صِنَائِدِ الزَّمَانِ) مِنْ ألقَابِ أَرْبابِ السُّيُوفِ؛ وَقَدْ يَكْتُبُ بِهِ لِبَعْضِ
الْمُلُوكِ . وَالْاِعْتِصَادُ اِلْتِمَاعُهُ، يُقَالُ: اِعْتَصَدْتُ بِفُلَانٍ إِذَا اِسْتَعَنْتُ بِهِ، وَالصِّنَائِدُ
جَمْعُ صِنْدِيدٍ وَهُوَ الشُّجَاعُ .

(أَكْرَمُ نَجَبَاءِ الْأَبْنَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ ألقَابِ الرُّؤَسَاءِ مِنْ أَرْبابِ الْأَقْلَامِ، وَأَكْرَمُ
أَفْضَلُ التَّفْضِيلِ مِنَ الْكَرَمِ خِلَافِ الْكُؤُومِ، وَالنَّجَبَاءُ جَمْعُ نَجِيبٍ وَهُوَ الْكَرِيمُ .

(أَجْمَلُ الْبُلَغَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) مِنْ ألقَابِ أَرْبابِ الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ،
وَمِنْهَا ظَاهِرٌ .

(الذَّابُّ) مِنْ حَوْزَةِ الْمُؤْمِنِينَ) مِنْ ألقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ، وَيُصْلَحُ لِكُلِّ مَلِكٍ
مُسْلِمٍ يَقُومُ بِقَرْضِ الْجِهَادِ . وَالذَّابُّ الدَّافِعُ، وَالْحَوْزَةُ بَشْرَحُ الْحِمَاةِ الْمُهَمَّلَةِ وَالزَّايِ
الْمَجْمُوعَةِ النَّاحِيَةِ .

(الْقَائِمُ فِي مَصَاتِحِ الْمُسْلِمِينَ) مِنْ ألقَابِ مُلُوكِ الْمَغْرِبِ . ذَكَرَ فِي "التَّعْرِيفِ"
أَنَّهُ يُكْتُبُ بِهِ إِلَى صَاحِبِ تُونِسَ، وَيُصْلَحُ لِكُلِّ مُتَصِفٍ بِذَلِكَ مِنْ مُلُوكِ الْإِسْلَامِ،
وَمِنْهَا ظَاهِرٌ .

(الجهاد عن الدين) من ألقاب ملوك المغرب، ومعناه ظاهر أيضا .
 (المعنى ملوك آل ساسان، وبقايا فراسياب وخاقان) من ألقاب عظماء ملوك الإجماع .
 وقد ذكره في "التعريف" في ألقاب صاحب الهند . والمعنى بتشديد الفاء المكسورة
 الماسح للأثر، يقال غُبت الرمح كذا بالتشديد إذا درسته وحث أثره، وشدد للبالغة .
 وقال ساسان ملوك الأكاسرة وهم الطبقة الرابعة من ملوك الفرس
 الساسانية إلى أن غلبهم الإسلام وأتزعج الملك من أيديهم ، يُسبون إلى جنتهم
 ساسان : وهو ساسان بن أردشير بهمن بن كيهستاسف من ملوك الطبقة الساسانية
 فيهم ، على ما ساقى بيانه في الكلام على مكتبة ملوك إيران ، في المقالة الرابعة
 إن شاء الله تعالى .

وفرأسياب بغاء في قوله ثم سين مهملة بعد ياء ثم ألف وباء موحدة ملك عظيم
 من ملوك الترك ، ويقال إن أصله من أبناء ملوك الفرس ، وهو فراسياب بن طوج
 ابن أفريدون ، من الطبقة الأولى من ملوك الفرس ، وإن ابن عمه منوشر غلب
 عليه بعد أن قتل أباه طوجا ففر إلى بلاد الترك وتزوج منهم ، وأتمت به الحال
 إلى أن ملكهم وعظم ملكه فيهم .

وخاقان بجاء معجمة وقاف ونون ملك من ملوك الترك أيضا كان في زمن
 كسرى أنوشروان فيما يقتضيه كلام أبي هلال العسكري في كتابه "الأوائل" حيث
 ذكر أنه كان بينه وبينه حرب .

(البواقف المقلسة) . من ألقاب الخلفاء في نظامياتهم في المكتبات ونحوها ،
 والمراد الأماكن التي يقف فيها الخليفة ، كُنِيَ بها عن الخليفة توتيا عن التصريح
 بذكره ، والمقلسة المظهر ، والمراد بطايتها عن الأمان المصنوية .

(إمام الأئمة) من ألقاب العلماء ، وربما قيل «إمام الأئمة في العالمين» .

(إمام البلقاء) من ألقاب أهل البلاغة من العُكَّاب ومن في معانهم

(إمام المتكلمين) من ألقاب العلماء ، وهو بأهل المعقول أَيْقُ لإطلاق علم الكلام على أصول الدين ، وإنما سُمِّيَ بذلك لأنه لما وقع القولُ بخلق القرآن في صدر الإسلام من وقع كثير الكلام والخوض في ذلك فأُطلق على أصول الدين علم الكلام وبقِيَ علماً عليه .

(أَوْحَدُ الْأَشْرَافِ) من ألقاب الشرفاء ، وربما قيل «أَوْحَدُ الْأَشْرَافِ فِي الْعَالَمِينَ» أو «أَوْحَدُ الْأَشْرَافِ الطَّاهِرِينَ» أو «أَوْحَدُ الْأَشْرَافِ الْمَسْجِدِينَ» ونحو ذلك .

(أَوْحَدُ الْأَصْحَابِ) من ألقاب الوزراء من أرباب الأعلام ومن في معانهم ككتاب السِّرِّ ونحوه وإن كان الصاحبُ يختصُّ بالوزير في عُرْفِ [مُكْتَلَبِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ] ^(١) على ما تقدم .

(أَوْحَدُ الْأَكْبَارِ) من ألقاب التجار الخَوَاجِكَةِ ، وربما كُتِبَ به لقبهم من الرؤساء ، وربما قيل «أَوْحَدُ الْأَكْبَارِ فِي الْعَالَمِينَ» .

(أَوْحَدُ الْأَمَّةِ) من ألقاب العلماء ، وربما أُطلق على فيهم .

(أَوْحَدُ الْأَنْبَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب العُكَّاب ، والأمناء جمع أمين وهو خلاف الخائن .

(أَوْحَدُ الْأَمَّةِ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب العلماء ، وربما اقْتَصِرَ على أَوْحَدِ الْعُلَمَاءِ .

(١) بياض بالاحول والصحيح من لقب الصاحب المتقدم في الألقاب المقررة .

(أَوْحَدُ الْبَلَاءِ) من ألقاب أرباب الأقطام، وربما قيل «أَوْحَدُ الْبَلَاءِ فِي الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك والْبَلَاءُ جمعٌ يُلَيِّقُ وقد تَهْتَمُ معناه .

(أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ) وربما قيل «أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ» أو «أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْأَنْحَامِ» ونحو ذلك، ومعناه ظاهر .

(أَوْحَدُ الْحُفَّاظِ) من ألقاب المحدثين، وربما قيل «أَوْحَدُ الْحُفَّاظِ فِي الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك .

(أَوْحَدُ الْخُطَبَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب الخطباء .

(أَوْحَدُ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ) من ألقاب العلماء، وربما قيل «أَوْحَدُ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَالَمِينَ» .
(أَوْحَدُ الْفَضَلَاءِ) من ألقاب العلماء، وربما استعمل في غيرهم من أرباب الأقطام، وربما قيل «أَوْحَدُ الْفَضَلَاءِ الْمُفِيدِينَ» أو «أَوْحَدُ الْفَضَلَاءِ الْعَارِفِينَ» ونحو ذلك .
(أَوْحَدُ الْكُجَرَاءِ) من ألقاب التجار الخواجكية، ويموز أن يستعمل في غيرهم .
(أَوْحَدُ الْكُتَّابِ) من ألقاب الكُتَّابِ سواء كُتَّابُ الْإِنْشَاءِ وغيرهم .

(أَوْحَدُ الْمُتَصَرِّفِينَ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمِنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(أَوْحَدُ الْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف .

(أَوْحَدُ الْمُحَقِّقِينَ) من ألقاب العلماء .

(أَوْحَدُ الْمُتَكَلِّمِينَ) من ألقاب العلماء، وهو بعلماء الْعَقُولِ أَنَسَبُ .

(أَوْحَدُ الْمُفِيدِينَ) من ألقاب العلماء .

(أَوْحَدُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب السُلْطَانِيَةِ .

(أَوْحَدُ الْوُطَّائِ) من ألقاب أهل التذكير والوُطْطِ .

(أَوْحِدُ الْوَقْتُ) . من ألقاب أرباب الأعلام ، وربما قيل «أَوْحِدُ الْوَقْتُ وَالْأَوَانُ» والوقت معروف ، والأَوَانُ الحِلْيَةُ ، ويجمع على آوَانَةٍ بثل زَمَانٍ وَأَزْمِنَةٍ . . .

حرف الباء

(بَرَكَةُ الْإِيمَانِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ ، وقد تُسَمَّلُ للعلماء أيضا . .

(بَرَكَةُ الْقُوَّةِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ أيضا ، وقد يقال « بَرَكَةُ الْقُوَّةِ » على الجمع ، وربما كُتِبَ به لأرباب الأعلام من العلماء وغيرهم . والمراد بالقُوَّةِ المملَكَةُ القَائِمَةُ ، وأصلها من القُوَّةِ في الحرب وهي النَّصْرُ والقَبْلَةُ .

(بَرَكَةُ الْمَسَامِينِ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ ، وقد تُسَمَّلُ لأهل العلم أيضا .

(بَقِيَّةُ الْأَكْبَرِ) من ألقاب بَقَايَا الْبُيُوتِ الرَّئِيسَةِ من أهل الأعلام وغيرهم ، وربما قيل «بَقِيَّةُ الْأَكْبَرِ فِي الْعَالَمِينَ» .

(بَقِيَّةُ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ) من ألقاب الأشراف ، وبه يُكْتَبُ للمُؤَدِّمِ الزَّيْدِيَةِ بِالْيَمَنِ .

(بَقِيَّةُ السَّلَفِ) من ألقاب العلماء والصُّلَحَاءِ ، وربما قيل «بَقِيَّةُ السَّلَفِ الصَّالِحِ» أو «بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْكَرَامِ» والمراد بالسَّلَفِ الْآيَةُ الْمُتَقَدِّمُونَ ، أَخَذًا مِنْ قَوْلِهِمْ سَلَفَ إِذَا مَضَى ، وربما أُطْلِقَ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَ فِي صَنْعَةِ الْإِسْلَامِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ .

(بَقِيَّةُ السَّلَاطَةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف ، وقد يقال فيه بَقِيَّةُ السَّلَاطَةِ الطَّاهِرَةِ الرَّيْكِ ، وربما أُطْلِقَ عَلَى غَيْرِهِمْ . وبذلك يُكْتَبُ لصاحب تُوْبُسٍ لِأَدَمَاتِهِ أَنَّهُ مِنْ تَسْلٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرٍ بنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . وَالسَّلَاطَةُ فِي الْأَجْهَلِ مَا أَسْتَلَّ مِنَ الشَّيْءِ ، والمراد هنا السَّلَاطَةُ لِأَنَّهَا مَسْتَلَّةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ .

(بِقِيَّةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب مَنْ لَهُ سَلْفٌ فِي الْمُلْكِ، كصاحبِ حِصْنٍ
كَيْفًا مِنْ بَقَا الْمُلُوكِ الْأَيُّوْبِيَّةِ .

(بِقِيَّةُ الْأَصْحَابِ) من ألقاب الْوُزَرَاءِ أرباب الْأَقْلَامِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .
(بِقِيَّةُ شَجَرَةِ الْقَهَّارِ) من ألقاب ذَوِي الْأَصْحَالَةِ الْعَرِيقِينَ فِي النَّسَبِ، وَبِهِ يُكْتَبُ
لَا بَنَ الْأَحْمَرِ صَاحِبِ الْأَنْدَلُسِ .

(بِهَاءُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب أرباب الْأَقْلَامِ، وَبِهَاءِ الْحُسْنِ، وَالْأَعْيَانِ: جَمْعُ عَيْنٍ
يَجْمَعُ عَلَى أَعْيُنٍ وَصُيُوفٍ وَأَعْيَانٍ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْخِيارُ، إِذْ عَيْنٌ كُلُّ شَيْءٍ خِيَارُهُ .
(بِهَاءُ الْأَنْكَمِ) من ألقاب أرباب السُّيُوفِ غَالِبًا، وَرَبْعًا أُطْلِقَ عَلَى فَرَسِهِ،
وَالْأَنْكَمُ الْخَلِيقُ .

(بِهَاءُ الْعِصَابَةِ الْقَلَوِيَّةِ) من ألقاب الْأَشْرَافِ، وَبِهِ يُكْتَبُ لِأَمِيرِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ
الْمُشْرِفِينَ، وَالْعِصَابَةُ بِالْكَسْرِ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ وَتَجْمَعُ عَلَى عِصَابَتٍ . وَالْقَلَوِيَّةُ
نسبةً إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حرف التاء المشتاة من فوق

(تاجُ الْعِلْمِ وَالْحُكْمِ) من ألقاب الْقُضَاةِ، وَالتَّاجُ مَا يُوضَعُ عَلَى الرَّاسِ
وَهُوَ مَعْرُوفٌ .

(تاجُ الْأَمْوَالِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِيكَةِ، وَيَصْلُحُ لِكُلِّبِ الْأَمْوَالِ أَيْضًا .
(تاجُ الْمُتَصَرِّفِينَ) من ألقاب الْوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(تاجُ الْقُضَلَاءِ) من ألقاب أرباب الْأَقْلَامِ . وَرَأَيْتُ فِي بَعْضِ النُّسَخِ الشَّامِيَةِ
« تاجُ الْقُضَلَاءِ الْمُتَشَيِّخِينَ » وَهُوَ مُنَاسِبٌ لِمَنْ هُوَ فِي أَوَّلِ تَشَايُهُ وَأَبْتَدَاءِ رِأَسَتِهِ،
وَحَدَاثَةِ سَنَتِهِ .

(تاج الملة) من الألقاب التي يشترك فيها أرباب السيوف والأقلام جميعاً .
والملة في أصل اللغة الدين والشريعة ، والمراد هنا ملة الإسلام ، والألف واللام فيها
للمعهد اللغوي .

حرف الشاء المثلثة

(هبة الدول) من ألقاب التجار الخواجكة ، وربما قيل «هبة الدولتين» والثقة
في اللغة الأيمن وخص ذلك بالتجار لترتفعهم في الممالك ، ويمسح أن يلقب به
المرتقدون في الرسائل بين الملوك .

حرف الجيم

(جامع كلمة الإيمان) من الألقاب السلطانية .
(جامع طرق الواصفين) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، وربما قيل
«جامع الطرق» ويصلح أن يكون من ألقاب العلماء أيضا .
(جمال الإسلام) من ألقاب العلماء ، وربما قيل جمال الأكابر من ألقاب التجار
الخواجكة ، وقد يستعمل لأرباب الأقلام ، والجمال في اللغة الحسن .
(جمال الذرية) والمراد ذرية النبي صلى الله عليه وسلم لأن الذرية تشمل أولاد
البنات ، وقد عد الله تعالى عيسى عليه السلام [من ذرية إبراهيم عليه السلام]^(١)
وهو ابن بنته .

(جمال المشور) من ألقاب أرباب الأقلام ، والمشور جمع صدر ، والمراد
صُدُور الحِجَاليس .

(١) الزيادة لتسمي الكلام وسقوطها من التام .

- (جمال الأئمة) من ألقاب العلماء، وربما قيل «جمال الأئمة العارفين» .
- (جمال الباريين) من ألقاب أرباب الأقلام، والباريين جمع بارع وهو الناحض .
- (جمال البلغاء) من ألقاب كُتّاب الإنشاء ونحوهم .
- (جمال الطائفة الهاشمية) من ألقاب الشرفاء، والطائفة في أصل اللغة اسم للقطعة من الشيء . قال ابن عباس وتطلق على الواحد فإفوه ، والهاشمية نسبة إلى هاشم : وهو هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم .
- (جمال العترة الطاهرة) من ألقاب الشرفاء أيضا، وربما اقتصر على جمال العترة فقط . وعترة الرجل نسله وأهله الأذنون، والمراد عترة النبي صلى الله عليه وسلم .
- (جمال العصبة الفاطمية) من ألقاب الشرفاء أيضا، والعصبة بفتح العين والصاد واحدة العصبات ، وهي في أصل اللغة البتون والقرباء للآب . قال الجوهري : سموا عَصْبَةً لأنهم عَصَبُوا بالشخص بمعنى أنهم أحاطوا به : فالأم طرف، والآب طرف ، والعلم جانب ، والأخ جانب . والمراد هنا أبناء فاطمة رضي الله عنها وهم أحد أفراد العصبة . ولا يجوز أن يقال العصبة بضم العين واسكان الصاد : لأن المراد بذلك الرجال ما بين العشرة والأربعين كما قاله الجوهري . وبنو فاطمة رضي الله عنها قد أربوا عن العدد في الشرق والغرب .
- (جمال العلماء) من ألقاب أهل العلم .
- (جمال الفضلاء) من ألقاب أرباب الأقلام من العلماء والكُتّاب، وربما قيل «جمال الفضلاء المفيدين» ونحو ذلك ويختص حينئذ بالعلماء .
- (جمال الكُتّاب) من ألقاب كُتّاب الإنشاء وغيرهم من الكُتّاب .
- (جمال المتكلمة) من ألقاب الكُتّاب .

- (جَمَلُ الْوَرِيِّينَ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح .
- (جَمَالُ أَهْلِ الْإِقْنَاءِ) من ألقاب أكابر العلماء .
- (جَلَالُ الْإِسْلَامِ) من ألقاب أرباب الأقاليم، ويصلح أن يكون لقباً لبعض الملوك، وبه يُكْتَبُ لإمام الزيدية باليمن، وربما قيل «جَلَالُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ» .
- (جَلَالُ الْأَشْخَابِ) من ألقاب الوزراء ومن في معانهم .
- (جَلَالُ الْأَكْبَارِ) من ألقاب أرباب الأقاليم، وبه يُكْتَبُ لناظر الخالص .
- (جَلَالُ الْحُكَّامِ) من ألقاب أكابر القضاة، والجَلَالُ في اللغة العظمة .
- (جَلَالُ الْعِثْرَةِ الطَاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء، وبه يُكْتَبُ لأمير مكة والمدينة المشركتين .
- (جَلَالُ الْعُلَمَاءِ فِي الْعَالَمِينَ) من ألقاب أهل العلم، وربما قيل «جَلَالُ الْعُلَمَاءِ الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك .
- (جَلَالُ الْكُفَرَاءِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم .
- (جَلَالُ الْأُمَرَاءِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف . والأسرة بضم الهمزة الرَّحْمَةُ، والمراد رَحْمَةُ بَنِي هَاشِمٍ، والزاهرة المُضِيئَةُ، وبه سُمِّيَ الْكَوْكَبُ المعروف بِالزَّهْرَةِ .
- (جَهَنَّمُ الْخُلُقِ) من ألقاب الكُفَّاءِ، وربما قيل «جَهَنَّمُ الْخُلُقِ الْمُتَصَرِّفِينَ» والجَهَنَّمُ يَفْتَحُ الْجِمْ وَاسْتَكَانَ الْمَاءَ وَنَحْوُ الْمَوْجَةِ الْقَادِ لِلْهَبِّ وَالْفِضَّةِ، وَلِلْمَلِكِ يَقَالُ لِلصَّيْرِفِيِّ جَهَنَّمُ، وَالْمُرَادُ هُنَا أَنَّهُ يَتَّقِدُ الْأُمُورَ فَيَسْتَخْرِجُ جَيِّدَهَا مِنْ رَدِيئِهَا كَمَا يَفْعَلُ الصَّيْرِفِيُّ .

(١) ضبط في القاموس الفيروز باذى بالكسر ثم قال شارحه كزرج .

حرف الحاء المهملة

(حَاكِمُ الْحُكَم) من ألقاب قضاة القضاة .

(حَاكِمُ أُمُورِ وَلَاَةِ الزَّمان) من ألقاب أرباب السُّيُوف ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك .

(حَافِظُ الْأَسْرَار) من ألقاب كُتِبَ السِّرُّ .

(حُجَّةُ الْأُمَّة) من ألقاب قضاة القضاة وأكابر العلماء ، والحُجَّةُ في اللغة البرهان ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ والأُمَّةُ في أصل اللغة الجماعة ، والمراد هنا أمة النبي صلى الله عليه وسلم ، والمعنى أنه تقوم به الحجة لأهل الإسلام على غيرهم .

(حُجَّةُ الْأُمَّة) من ألقاب أكابر العلماء ، والامِّمةُ جمع إمام ، وقد تقدم أنه الذي يقتدى به .

(حُجَّةُ الْبَلَاء) من ألقاب أرباب الأعلام ، وهو بالكُتَابِ أَمْسٌ .

(حُجَّةُ الْعَرَب) من ألقاب النُّحاة واللُّغَوِيين وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، كَانَهُمْ يَحْتَجُّونَ بِهِ لِفَتْهِمِهِمْ .

(حُجَّةُ الْمَذَاهِب) من ألقاب أكابر العلماء ، وربما قيل « حُجَّةُ الْمَذَاهِب » إذا أُريدَ مَلَحَبُهُ خَاصَّةً ، وهو دون الأول .

(حُجَّةُ الْمُفْتِينَ) من ألقاب أكابر العلماء ، والمراد بِالْمُفْتِينَ مَنْ هُمْ أَهْلُ لِفَتْوَى فِي الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ .

(حِرْزُ الْإِمَامِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمِنْ فِي مَعْنَاهُمْ من حَفَظَ الْأُمُوالَ . وَالْحِرْزُ فِي اللَّفْظِ الْمَوْضِعُ الْحَصِينُ ، وَالْمُرَادُ بِالْإِمَامِ السُّلْطَانُ وَمِنْ فِي مَعْنَاهُ .

(حُسَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أرباب السيوف كُتُوبُ السُّلْطَنَةِ وَمَحْوْمٌ . وَالْحُسَامُ من أسماء السِّيفِ ، سُمِّيَ بِذَلِكَ أَخْذًا مِنَ الْحَسْمِ وَهُوَ الْقَطْعُ .

(حَسَنَةُ الْأَيَّامِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقلام من الوُزَرَاءِ وَالْقُضَاةِ وَمِنْ فِي مَعْنَاهُمْ . وَالْحَسَنَةُ خِلَافُ السَّيِّئَةِ ، وَالْمُرَادُ أَنَّ الْأَيَّامَ أَحْسَنَتْ بِالْإِمْتِنَانِ بِهِ . وَقَدْ ذَكَرَ الْقَاضِي «شَهَابُ الدِّينِ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ» فِي بَعْضِ دَسَائِيهِ أَنَّهُ يَصْلُحُ لِكُلِّ مَنْ لَهُ سَلَفٌ فِي الْكِتَابَةِ ، وَهُوَ بَعِيدُ الْمَأْخَذِ .

(حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب قُضَاةِ الْقُضَاةِ ، وَالْحَكَمُ بِمَعْنَى الْحَاكِمِ .

حرف الخاء المعجمة

(خَادِمُ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ) من الألقاب السلطانية ، وَالْمُرَادُ حَرَمُ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ ، وَالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ عَلَى سَاكِنَيْهَا أَفْضَلُ الْعِمْلَةِ وَالسَّلَامِ وَالنَّحْيَةِ وَالْإِكْرَامِ .

(خَالِصَةُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوزراء ، وَالْخَالِصَةُ فِي اللَّفْظِ بِمَعْنَى الْخَالِصَةِ . يُقَالُ هَذَا لِي خَالِصَةٍ بِمَعْنَى خَاصَّةٍ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ وَعَلَيْهِ [حَمَلٌ] قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُورَى بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي ﴾ .

(خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) من ألقاب أرباب الأقلام . قَالَ فِي «عُرْفِ التَّعْرِيفِ» : وَهُوَ فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ حَاكِمًا فِي مَقَامِ حَكَمِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ لَمَنْ هُوَ حَاكِمٌ .

(خَالِصَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أرباب الأقلام .

(خالصة الإمام) من ألقاب الصوفية، وربما جعل من ألقاب العلماء أيضا، والمراد بالإمام الخليفة أو السلطان .

(خالصة سلف الأنصار) من الألقاب التي يكتب بها لابن الأحمر صاحب الأندلس : لأنه يذكر أنه من ذرية « سعد بن عباد » الأنصاري رضي الله عنه ، ويصلح لكل من واقفه في ذلك ، وكان الأحسن أن يقال خلاصة بدل خالصة ، لما تقدم من أن المراد بالخالصة الخاصة . والمراد بالأنصار أنصار النبي صلى الله عليه وسلم وهم الأوس والخزرج الذين هاجر إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة . (خطيب الخطباء) من ألقاب أكابر الخطباء، وربما كتب به لقضاة القضاة، إذا أضيف له خطابة جليلة، تخطابة جامع القلعة بالديار المصرية ، وخطابة الجامع الأموي بمشقق .

(خلف الأولياء) من ألقاب أولاد الصالحين .

(خليفة الأئمة) من ألقاب الشيعة، والمراد من يعتقدونه من الأئمة المعصومين كالإمامية ونحوهم . وبه يكتب لإمام الزيدية باليمن .

(خليل أمير المؤمنين) من ألقاب أولاد السلطان ، وربما كتب به لبعض الملوك، والخليل بمعنى الصديق .

(خلاصة الخلافة المعظمة) من ألقاب بعض الملوك ، والخلاصة الذي خلاص من الثقل ونحوه . ويقال فيه خلاص أيضا بنيرها .

(خلاصة سلف القوم) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح ، والقوم يختص في اللغة بالرجال كقول النساء قال تعالى : (لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ) ثم قال : (وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ) .

(خَيْرَةُ الْإِسْلَام) من ألقاب أهل الصَّلاح فيما ذكره في "مُرْفُ التعريف" :
 وَيُصْلَحُ لأهل العلم أيضا . والخَيْرَةُ الأسمُ من قولك أَخْشَرُ فُلَانٌ فُلَانًا ، والمراد أَنَّ
 الإسلامَ أَخْشَرُهُ .

حرف الدال المهملة

(دَلِيلُ الْمُرِيدِينَ إِلَى أَوْضَحِ الطَّرَاقِ) من ألقاب مشايخ الصُّوفِيَّةِ ، والمراد بِالْمُرِيدِينَ
 طَلَبُ الطَّرِيقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى .

(دَاعِيُ النَّعْمَةِ بِالْبِرَاهِينِ الظَّاهِرَةِ إِلَى اسْتِغْلَامِ الْحَقَائِقِ) من ألقاب العلماء .

حرف الذال المعجمة

(ذُنُرُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب الْمُلُوكِ ، وبه يُكْتَبُ لصاحبُ تُوُسٍ .
 وَمَلِكُ التُّكُرُورِ . وَالذُّنُرُفِي اللُّغَةُ مُصْنَدُ ذُنُرَتِ الشَّيْءِ أَذْنُرُهُ يَفْتَحُ الخَاءُ إِذَا جَعَلْتَهُ
 ذَخِيرَةً .

(ذُنُرُ الْأُمَّةِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كتُّوَابِ السُّلْطَنَةِ وَنَحْوِهِمْ .
 (ذُنُرُ النَّوَلَةِ) من ألقاب أرباب السيوف ، وقد يقع في ألقاب الصُّلَحَاءِ
 والعلماء .

(ذُنُرُ الْقَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف أيضا .
 (ذُنُرُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب الصُّلَحَاءِ والعلماء ، والمراد طَالِبُو الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِّ
 أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

(ذُنُرُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب الْمُلُوكِ ، وبه يُكْتَبُ لِإِسْمَاعِيلَ الزَيْدِيَّةِ بِالْمِصْرِ فِيهَا ذَكَرَهُ
 فِي "التَّعْرِيفِ" .

- (ذُنُرُ الْمَلَّةِ) من ألقاب أرباب السيوف، وقد تهتم معنى المَلَّةِ .
 (ذُنُرُ الْمَالِكِ) من ألقاب بعض الملوك . وربما قيل ذُنُرُ الْمَلَكَةِ .
 (ذُنُرُ الْمُوحِّدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالتائب الكافل ونحوه ،
 وجعله في "حرف التعريف" خاصاً بالكافل ذُنُورَ غيره .
 (ذُنُرُ أمير المؤمنين) من ألقاب الملوك، وهو ذُنُورَ خَلِيل أمير المؤمنين .

حرف الراء المهملة

- (رَأْسُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أكابر رُكَّاب الإنشاء ككاتب السَّرومن يجرى بجَرا .
 (رَأْسُ الصُّدُورِ) من ألقاب أكابر أرباب الأعلام في الجملة من أهل العلم
 والكَتَابِ وَمَنْ يجرى بجَراهم . والمراد رأسُ صدورِ المجالسِ .
 (رَأْسُ الْعُلَمَاءِ) من ألقاب أكابر أرباب الأعلام من العلماء والوزراء وَمَنْ
 في معناتهم ، ويصلح لكلِّ عَلَى الْقَدْرِ في الجملة، وبه يُكْتَبُ إلى إمام الزَّيْدِيَّةِ بِالْمِنْ .
 (رُحْلَةُ الْحَفَاطِ) من ألقاب المحدثين، وقد تهتم أن الرُّحْلَةَ بضم الراء نَائِرِحَلْ
 إليه ، والحَفَاطُ جمع حَافِظٍ، والمراد حَفِظَ الحديث .
 (رُحْلَةُ الْقَاصِدِينَ) من ألقاب كبار أرباب الأعلام ، وهو بأهل الكرم والجود
 أَخْصَ ، والمراد مَنْ يُقْصَدُ بِالرَّحَالِ إليه .
 (رُحْلَةُ الْمُحْصِلِينَ) من ألقاب العلماء ، والمراد مَنْ يُرْحَلُ إليه لتحصيل العلم
 بِالْأَخْذِ عنه .
 (رُحْلَةُ الْوَقْتِ) من ألقاب العلماء والمراد من آفَرَدَ في الوقت بالرجل إليه
 لِأَخْذِ الْعِلْمِ عنه .

(رَضِيَ الدولة) من ألقاب الكُتَّاب، والمراد من يُرضيه أعيانُ الدولة بالتقريب .
ثم الظاهر أنه بكسر الضاد بمعنى مَرْضَى عند أعيان أهل الدولة . ويجوز أن يكون
بفتح الضاد على جعله هو نفس الرضا مجوزا .

(رَضِيَ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب الأعلام . والكلام فيه كالكلام
في الذي قبله .

(رُكْنُ الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف . وبه كان يُكْتَب
للتائب الكافل على ما هو مذكور في "التعريف" والركن واحد الأركان وهو معروف .
(ركن الأمة) من ألقاب الملوك، وبه يُكْتَب للملك التُكْرُور .

(ركن الملوك والسلاطين) من الألقاب الملوكية وما في معنى ذلك من أرباب
السيوف . وقيل في "التتيف" أنه كُتِبَ به لبعض مشايخ التصوف ثم أنكره
وقال : الأولى أن يكون بآله (بركة الملوك والسلاطين) وما ذكره واضح . على أنه
في "عرف التعريف" قد أورد في ألقاب الصلحاء، وكأنهم راعوا في ذلك أنه
رُكْن لهم من حيث البركة والدعاء إلا أن الأول أظهر .

(رُكْنُ الأولياء) من ألقاب أهل الصلاح على أن المراد أولياء الله تعالى ويجوز
أن يكون من ألقاب أرباب السيوف وأرباب الأعلام أيضا على معنى أن المراد
أولياء الدولة .

(رئيس الكُتَّاب) من ألقاب الوُزَرَاء من أرباب الأعلام ومن في معانهم . وأهل
الشام يستعملونه في أكابر أرباب الأعلام من قضاة القضاة ونحوهم ، وقد تنقلم^(١)
المراد بالصاحب في الكلام على الألقاب المفردة .

(١) أى في حرف الصاد المهمة وهذه الجملة غير مناسبة لشرح هذا القب .

حرف الزاى المعجمة

(زَعِيمُ الْجُنُودِ) من ألقاب أكابر أرباب السُّيُوف كالنائب الكافل ، والزَّعيمُ الكفيل . والمراد هنا التَّكْفُلُ بالجنود والقيامُ بأمرها . ويحوز أن يكون بمعنى السيد ، يُقال لسيد القوم زعيمُهم ، والأولُ أليقُ بالمقام ، والجنُود جمع جُنْد وهم الأعوان على ما هُتَم .

(زَعِيمُ الْجُيُوشِ) من ألقاب أكابر أرباب السُّيُوف كُتُوب السلطنة ونحوهم ، والجيُوش جمعُ جيش وهو السَّكْر .

(زَعِيمُ الْمُوحِّدِينَ) من ألقاب صاحب تُوس على تخصيص الموحِّدين ، والمراد بالموحِّدين فيه أتباعُ المهديِّ بن تُوُسرت الذين من بقاياهم ملوكُ تُوس ، كان المهديُّ المذكور قد سماهم الموحِّدين تعريضا بأنَّ من كان قبله ببلاد المغرب ممن يدعى التجسيم على ما ميبأى ذكره في الكلام على مكتبة صاحب تُوس في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى . ويحوز أن يراد بالموحِّدين هنا طائفةُ أهل الإيمان ويكون المراد بالموحِّدين جميع المؤمنين . ويصح وقوعُ هذا اللقب حيثُ على غير صاحب تُوس من الملوك ونحوهم ، ولذلك يُكْتَب به الملك التُّكُور على ما ذكره في "التعريف" .

(زَعِيمُ الْمُؤْمِنِينَ) من الألقاب التي يُكْتَب بها لإمام الزينية باليمن . ويصحُّ وقُوعه على غيره من ملوك المسلمين أيضا كما في « زعيم الموحِّدين » إذا جعل مأمنا في حق كل واحد على ما تقدَّم بيَّأته .

(زَعِيمُ جُيُوشِ الْمُوحِّدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السُّيُوف ، كُتُوب السلطنة بَلَب ، وبه يُكْتَب لصاحب حصن كُفَّا فيما ذكره في "التعريف" .

(زَيْنُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب أرباب الأعلام ، والزَّيْنُ في اللغة تَقْيُضُ الشَّيْنُ .

(زَيْنُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب أرباب الأعلام ، والأَعْيَانُ جمعُ عَيْنٍ ، وقد تقدم الكلام عليه .

(زَيْنُ الْأَكْبَارِ) من ألقاب الثَّجَارِ الْخَوَاجِكَةِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

(زَيْنُ الْأَنْبَاءِ) من ألقاب صِغَارِ أرباب السيوف ، وربما كُتِبَ به لغيرهم .

(زَيْنُ الْأَئِمَّةِ) من ألقاب العلماء ، وربما قيل «زَيْنُ الْأَئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ» .

(زَيْنُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب الكُتَّابِ ونحوهم .

(زَيْنُ الْحُكَّامِ) من ألقاب القضاة .

(زَيْنُ الدُّوَابِ الْمَسِيئَةِ) من ألقاب الشرفاء ، والدُّوَابِ بالذال المعجمة جمعُ ذُوَابَةٍ بالهمز: وهي ما يُرْسَى من الشَّعْرِ . قال الجوهري: وكانت الأَصْلُ ذَاتِبِ [لأن ألف التي في ذُوَابَةٍ^(١)] كالألف التي في رسالة حقها أن تُبَدِّلَ منها همزة في الجمع ، ولكنهم استعملوا أن تحق ألف الجمع بين الهمزتين فأبدلوا من الأولى واوا . وإنما اخْتَصَّ هذا اللقب بالشرفاء لأنهم من صميم عَرَبِ الْمَجَازِ ، وطادة عرب المجاز إِرْعَاءُ الرِّجَالِ الدُّوَابِ .

(زَيْنُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وأهل الصلاح .

(زَيْنُ الْعِبَادِ) من ألقاب أهل الصَّلاح أيضا .

(زَيْنُ الْعِتَّةِ الطَّاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء، وبه يُكْتَبُ لِأَمِيرِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ . وقد تقدم معنى الْعِتَّةِ .

(١) الزيادة عن الصلح الجوهري .

(زَيْنُ الْكُتَّابِ) من ألقاب كُتَّابِ الإنشاء وغيره .

(زَيْنُ الْمَجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل « زَيْنُ الْأُمَرَاءِ الْمَجَاهِدِينَ » وربما كُتِبَ به لبعض صغار الملوك ، كصاحب دُقْلَةَ ونحوه .
(زَيْنُ الْمُنَشِّئِينَ) رأيتُه في بعض الدساتير الشامية في ألقاب الكُتَّابِ ونحوهم ، وهو صالح لكل حَدِيثٍ مَرَّقٍ في الملوِّ .

حرف السين المهملة

(سِنَادُ الثُّغُورِ) من ألقاب الوزراء ، وهو بكسر السين وتخفيف الدال بعدها ، بمعنى أنه الذي تُسَدُّ به الثُّغُورُ ، أخذًا من سِنَادِ الْقَارُورَةِ وهو ما يُسَدُّ به قُبُهَا ، ومنه قول الشاعر :

أَصْبَاعُونِي وَأَيَّ قَتَى أَصْبَاعُوا • يَوْمَ كَرِهِيهِ وَسِنَادِ قَتَرِ

وَيُمْكِي أَنْتَ الْمَامُونُ نَطَقَ بِمِثْلِ ذَلِكَ بِفَتْحِ السِّنِّ بِحَضْرَةِ النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ فَرَدَهُ عَلَيْهِ فَأَمَرَ لَهُ بِتَمَانِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فكان النَّضْرُ يَفْتَحُ بِذَلِكَ ويقول : أَخَذْتُ بِإِفَادَةِ حَرْفِ وَاحِدِ تَمَانِينَ أَلْفِ دِرْهَمٍ .

(سَفِيرُ الْأُمَّةِ) من ألقاب البُؤَادَارِ وَكُتَّابِ السَّرِّ ، وقد تَهْتَمُّ بمعنى السَّفِيرِ .

(سَفِيرُ النُّوَلَةِ) من ألقاب المذكورين .

(سَفِيرُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب من تهتم ، وربما قيل « سَفِيرُ الْمَمْلَكَةِ » .

(سَفِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) كذلك .

(سُلْطَانُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(سُلْطَانُ الْأَوَانِ) من الألقاب السلطانية الجليَّة .

(سُلطان البَسيطة) من الألقاب السلطانية، والبَسيطة الأرض أخذنا من البَسيطة وهي البَيعَة ومنه قيل : تَبَسَّطَ فلانٌ في البلاد إذا سار فيها طولا وقصرًا .

(سلطان العرب والعجم والتُّرك) من الألقاب السلطانية أيضا . وهو غير محذور الوضع لأنَّ العجم في اللغة يقع على مَنْ هذا العرب في الجملة ولا يختص بالقرص على ما هو المعروف بين العامة وهو مقصودهم هنا ، فالتُّرك من جملة العجم فكان يكفي أن يقال سلطان العرب والعجم ، وإنما حملهم على ذلك زيادة الإطراد والمدح .
(سَليل الأَطهار) من ألقاب الشُّرفاء، والسَّليل الولد، والمراد بالأطهار المبرِّون عن الأدناس .

(سَليل الأكابر) من ألقاب أولاد الأكابر والرؤساء .
(سَليل الطَّيِّبين) من ألقاب أرباب الأعلام من قَوِي الأوصال .
(سَليل الملوك والسلاطين) من ألقاب أولاد الملوك ومن مَضَى له سَلَف في الملْك .
(سيدُ الأمراء المقدِّمين) من ألقاب الأمراء مقدِّمي الألوْف ، في الرتبة المتوسطة .
(سيدُ الأمراء في العالمين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كَتُوب السلطنة ونحوهم ، وربما كُتِب به لبعض الملوك عن الأبواب السلطانية .
(سيدُ الرؤساء في العالمين) من ألقاب أكابر أصحاب الأعلام ككتّاب السرِّ ونحوه .

(سيدُ العلماء والحُكَّام في العالمين) من ألقاب القُضاة .
(سيدُ الكُبراء في العالمين) من ألقاب أكابر أرباب الأعلام كناظر الخِلاص ونحوه .

(سيد الوزراء في العالمين) من الألقاب الخاصة بالوزراء .

(سيد أمراء العالمين) من ألقاب الثواب المتوسطين .

(سيف الإسلام والمسلمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما كتب به لبعض الملوك .

(سيف الحق) من ألقاب العلماء وأهل النظر .

(سيف الخلافة) من الألقاب الملوكية ، وبه يكتب للملك المذكور .

(سيف المناظرين) من ألقاب العلماء ، والمراد بالمناظرين أهل البحث والجدل ، أخذاً من النظر وهو الفكر المؤدى إلى الدليل .

(سيف النظر) بمعناه أيضا .

(سيف أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف كثواب السلطنة ، وهو في الرتبة المتوسطة .

(سيف جماعة الشاكرين) من الألقاب الخاصة بصاحب تونس ، وهذا لقب رأيته واردا في "التصنيف" ولم أعرف له معنى ؛ وسألت "قاضي القضاة ولي الدين ابن خلدون" هل يعرف لذلك معنى ؟ فقال : لا .

حرف الشين المعجمة

(شرف الأصفياء المقربين) من ألقاب كبار التجار الخواجة .

(شرف النول) من ألقاب بعض الملوك ، ويصلح لتبر الملوك أيضا .

(شرف الأمراء في العالمين) من ألقاب أرباب السيوف ، وربما قيل شرف

الأمراء الأشراف في العالمين إذا كان شرفا ، أو شرف الأمراء العريان في العالمين

إذا كان غير أمير عرب، وربما قيل «شرفُ الأمراء المقدَّمين» إذا كان مُقدِّمًا
ألف، وقد يُقتصر على شرفِ الأمراء فقط .

(شرفُ الرؤساء في العالمين) من ألقاب أكابر أرباب الأعلام كوزير الشام
ونحوه، وربما أقتصر على «شرفِ الرؤساء» ويكون من ألقاب التجار الخواجكة
ونحوهم .

(شرفُ الصلحاء في العالمين) من ألقاب أهل الصلاح .

(شرف العلماء العالمين) من ألقاب أكابر العلماء كقضاة القضاة ونحوهم،
وربما قيل «شرف العلماء في العالمين» .

(شرفُ الكتَّاب في العالمين) من الألقاب الكتابية .

(شرف الملوك والسلاطين) من الألقاب الملوكية .

(شمس الأفق) من ألقاب أكابر أرباب الأعلام، وهو بالعلماء اليق، لأن بهم
يُحصل النور كما يحصل بالشمس . وهو ما يُخَيَّل أنطبأ السماء على الأرض بالنظر
في كل ناحية فيه . وأصل الأفق الناحية ومنه قيل للنواحي أفاق، وإنما خصَّ
الشمس هنا بالإضافة للأفق لأنها عند مطلعها تكون في النظر أعظم صورة .

(شمس الشريعة) من ألقاب أكابر العلماء، والمراد بالشريعة هنا شريعة
الإسلام، استُعيرت الشمس لها لمشابهتها لها في النور .

(شمس العصر) من ألقاب العلماء والصلحاء ونحوهم .

(شمس المذاهب) من ألقاب العلماء الأكابر، والمذاهب جمع مذهب وهو
ما يذهب إليه المجتهد، وأصله في اللغة لموضع الدَّهَاب .

(شيخ المشايخ) من ألقاب العلماء وأهل الصلاح، وربما قيل «شيخ شيوخ الإسلام» .

(شيخ الملوك والسلاطين) من ألقاب المستن من الملوك . وهذا اللقب رأيته في كتاب وقف عن الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب، بعث به نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين يوسف .
(شيخ شيوخ العارفين) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، ومرادهم بالعارفين العارفون بالله تعالى .

حرف الصاد المهملة

(صالح الأولياء) من ألقاب إمام الزيدية باليمن، ويصلح لأهل الصلاح أيضا .
(صدر المدرسين) من ألقاب العلماء .
(صدر مصر والشام) من ألقاب أكابر العلماء كقضاة القضاة ونحوهم، وإنما خص هذان القطران بالذكر لكثرة علمائهما، وربما قيل «صدر مصر والعراق والشام» وربما اقتصر على صدر الشام فقط إذا كان يرسم وظيفة في الشام ونحو ذلك .
(صفوة الدولة) من ألقاب من في معنى الوزراء كناظر الخالص ونحوه .
(صفوة الصلحاء) من ألقاب أهل الصلاح .
(صفوة الأنبياء) من ألقاب الصلحاء أيضا .
(١١)
(صفوة الملوك والسلاطين) من ألقاب أرباب الأقاليم كناظر الشام ونحوه، وربما كتب به للتجار الخواجكة .
(صلاح الإسلام) من ألقاب الصوفية والعلماء .

(١) له كناظر الخالص أو ناظر الجيش .

(صلاح الإسلام والمسلمين) من ألقاب أكابر أرباب الأقبلام، كالوُزراء ومن في معانهم .

(صَلَاحُ الدُول) من ألقاب بعض الملوك، وبه يُكْتَب لصاحب تُوس .
ويصلح أيضا لأكابر أرباب الأقبلام من الوُزراء وغيرهم .
(صلاحِ المِلَّة) من ألقاب العلماء والصلحاء .

حرف الضاد المعجمة

(ضياء الإسلام) من ألقاب العلماء والصلحاء، وبما قيل «ضياء الإسلام والمسلمين»
والضياء خلاف الظلام . وهو مخصوص بما كان مُضيئاً لذاته، بخلاف النور فإنه يقع
على ما هو مكتسب النور، ولذلك قال تعالى : (جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرُ نُورًا) .
نفخ الضياء بالشمس لأن نورها لذاتها ، والنور بالقمر لأن نوره مكتسب من
الشمس، على ما هو مقرر في علم الهيئة .
(ضياء الأنام) من ألقاب من تهتم ذكره .

حرف الطاء المهملة

(طِرَازُ العِصَابَةِ السَّوِيَّةِ) من ألقاب الأشراف كأميرى مكة والمدينة المشرقيين .
والطراز في أصل اللغة علم الثوب . قال الجوهري : . وهو فارسى مغرب، كان
صاحب اللقب يُجِل علما لتلك الطائفة كما يُجِل الطراز علما للثوب .

حرف الظاء المعجمة

(ظِلُّ الله في أرضه) من الألقاب السلطانية ، والظل ما يحصل عن الشاخص
في ضوء الشمس، والمراد أن الخلق يستظلون بالسلطان من حر الجور كما يستظل

المستظِلُّ بِظِلِّ الشَّجَرَةِ ونحوهما من حَرَ الشمس . وقال ابن قتيبة في "أدب الكاتب" أصل الظِّلُّ السَّتْرُ ومنه قولهم : أنا في ظِلِّكَ أي في سِتْرِكَ ، ثم أَسَمُ الظِّلَّ مَحْصُوصٌ بما قَبْلَ الزَّوَالِ ؛ أما بعد الزَّوَالِ فإنه يَسْمَى فَيْثًا لِأَنَّهُ يَرْجِعُ من جهة الغرب إلى جهة الشرق أَخَذًا من قولهم فَأَهْ لَذا رَجِعَ .

(ظهيرُ الملوك والصلطين) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوب السلطنة .

(ظهيرُ أمير المؤمنين) من ألقاب أرباب السيوف أيضا ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك كصاحب الأندلس ونحوه .

(ظهيرُ الإمامة) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَبُ إلى صاحب التُّكُور .

حرف العين المهملة

(عائِدُ البُنُودِ) من ألقاب النائب الكافِل ونحوه ، والعائِدُ فاعِل من المَقْد قَبِيض الحَلِّ ، والبُنُودُ جَمْعُ بَنَدٍ - بفتح الباء وإسكان النون - وهو العَلَمُ الكبير قال الجوهري : وهو فارسيٌّ معربٌ .

(عِزُّ الإسلام) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يُكْتَبُ إلى ملك التُّكُور .

(عِزُّ الإسلام والمسلمين) من ألقاب الرتبة الوُسْطَى من قُوتاب السلطنة ومن في معانهم ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك .

(عُدة الدنيا والدين) من ألقاب الملوك ، وبه يُكْتَبُ لصاحب قُوتس .

والمُدة بالضم في اللغة ما أَعْدَدَهُ لحوادث النهر من المال والسلاح ونحو ذلك وهو المراد هنا ، وربما أُطْلِقَ على قَسَمِ الاستعداد .

(عُدة الملوك والصلطين) من ألقاب أصاغر أرباب السيوف .

(عَضُدُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب متوسّطى أرباب السيوف ، وقد تقدّم
أن أصل العَضُدِ لَمَّا يَنْ السَّاعِدِ وَالْكَيْفِ .

(عَضُدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف من تُوَابِ السُّلْطَنَةِ
وغيرهم . وربما كُتِبَ به إلى بعض الملوك كملك التُّكُرُورِ .

(عَلَمُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء والوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ . وقد تقدّم معنى
الْعَلَمِ وَمَعْنَى الدَّوْلَةِ .

(عَلَمُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ ، وقد تقدّم أن المراد بِالْعَلَمِ
الرَّايَةُ وَبِالزُّهْدِ الْإِفْلَاحُ عَنِ الدُّنْيَا .

(عَلَمُ الْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ) من ألقاب أكابر أهل العلم ، وربما قيل «عَلَمُ الْمُفَسِّرِينَ»
أو «عَلَمُ النُّحَاةِ» ونحو ذلك .

(عَلَمُ الْهُدَاةِ) من ألقاب إمام الزيدية باليمن ، ويصْلَحُ لِأكابر العلماء والصلحاء .
وَالْهُدَاةُ جَمْعُ هَادٍ وَهُوَ الْمُرْشِدُ .

(عَلَمُ الْأَعْلَامِ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، ويصْلَحُ لِأرباب السيوف أيضا .

(عِمَادُ الْحُكَّامِ) من ألقاب أكابر القضاة ، وربما قيل «عِمَادُ الْحُكَّامِ الْبَارِعِينَ»
أو «عِمَادُ الْحُكَّامِ فِي الْعَالَمِينَ» ونحو ذلك . وَأَصْلُ الْعِمَادِ فِي اللَّفْظِ الْأَبْنِيَّةُ الرَّفِيعَةُ وَاحِدُهَا
عِمَادَةٌ ، وَمِنْهُ قِيلَ فَلَانٌ طَوِيلُ الْعِمَادِ كَانَ بَنَاهُ بِالْأَرْتِفَاعِ صَارَ عَمَلًا لِزَائِرِيهِ .

(عِمَادُ الْعَرَبِ) من ألقاب أكابر أمراء العربان ، كأمير آل فَضْلٍ ونحوه .

(عِمَادُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الأمراء وأكابر الوزراء ونحوهم .

(عماد الملة) كذلك .

(عماد المملكة) نحوه ، وهو دونه في الرتبة .

(عماد المحدثين) من ألقاب علماء الحديث النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، وبه يكتب لقضاة القضاة ومن في معانهم .

(عمدة الملوك والسلاطين) من ألقاب صغار أرباب السيوف ، وهو دون عمدة الملوك والسلاطين والعمدة في اللغة ما يعتمد عليه .

(عون العساكر) من ألقاب ناظر الجيش ونحوه ، والعون في اللغة الظهير والمعان .

(عون جيوش الموحدين) من ألقاب بعض الملوك ، وبه يكتب الملك التتوور ، ويصلح لجار أرباب السيوف من أهل المملكة أيضا .

(علاء الإسلام والمسلمين) من ألقاب العلاء والصلحاء ويصلح لأرباب السيوف أيضا .

(علاء بالفتح والمدة مصدر صلا في الشرف ونحوه على بفتح اللام^(١) .

(عين المملكة) من ألقاب أرباب الأفلام ونحوهم .

(عين الأعيان) نحوه .

حرف الغين المعجمة

(غرة الزمان) من ألقاب أرباب الأفلام ، والغرة في أصل اللغة بياض في جبهة

الفرس فوق الدرهم ، شبه بالغرة في وجه الفرس لظهورها وتحسين الفرس بها .

(غوث الأنام) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالثائب الكافل ونحوه .

وقد تقدم معنى الغوث .

(١) قوله بفتح اللام أى فيما وهى لغة فى على على من باب نصب أنظر المختار .

(غِيَاثُ الْأَنَامِ) من ألقاب أكابر الملوك كصاحب الهند ونحوه . وقد تهتم
معنى الغِيَاث .
(غِيَاثُ الْأُمَّةِ) نحوه .

حرف الفاء

(فَاتِحُ الْأَقْطَارِ) من الألقاب السلطانية، والفَاتِحُ فَايِلٌ من الفتح وهو معروف،
والأَقْطَارُ جمع قُطْرٍ وهو الناحية والجَانِبُ، والمراد نواحي الممالك .
(فَارِيسُ الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف، ذكره ابن شدِّث من
مُكْتَابِ الدَّوْلَةِ الْأَيُّوبِيَّةِ في "معالم الكتابة" .
(نَخْرُ الْأَنَامِ) من ألقاب أرباب الأعلام، ويعوز أن يكون من ألقاب أرباب
السيوف أيضا .
(نَخْرُ الْأُمَرَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء كأميرى مكة والمدينة المشرقيين،
وأُسرة الرجل بضم الميمزة رَغَطَهُ .
(نَخْرُ الْأَعْيَانِ) من ألقاب التجَّار الخَوَاجِكَةِ، ويصلح لغيرهم من الرؤساء أيضا .
(نَخْرُ الرُّؤَسَاءِ) من ألقاب التجَّار الخَوَاجِكَةِ .
(نَخْرُ السُّلَالَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الأشراف، كأميرى مكة والمدينة المشرقيين،
والسُّلَالَةُ الزَاهِرَةُ تهتم الكلام على معناها .
(نَخْرُ الصُّلُودِ) من ألقاب أرباب الأعلام، ورد بما كُتِبَ به للتجَّار الخَوَاجِكَةِ .
(نَخْرُ الصُّلَمَاءِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ واهل الصَّلَاحِ .

- (فَخَرُّ الْبَادِ) من ألقاب أهل الصَّلاح أيضا .
- (فَخَرُّ الْمَجَاهِدِينَ) من ألقاب أرباب السيوف .
- (فَخَرُّ الْمُحَدِّثِينَ) من ألقاب أصحاب الحديث .
- (فَخَرُّ الْمُدْرِسِينَ) من ألقاب العلماء، وبه يُكْتَبُ لِقَضَاءِ الْقَضَاءِ وَنَحْوِهِمْ .
- (فَخَرُّ الْمُفِيدِينَ) من ألقاب العلماء أيضا .
- (فَخَرُّ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من ألقاب بعض الملوك .
- (فَخَرُّ الشَّجَرَةِ الزَّرَكِيَّةِ) من ألقاب الشرفاء، والمراد شجرةُ نَسَبِهِمُ الشَّرِيفِ .
- (فَخَرُّ النَّسَبِ الْمَلَوِيِّ) من ألقاب الشرفاء أيضا، وبه يُكْتَبُ لِإِمَامِ الزَّيْدِيَّةِ بِالْيَمَنِ .
- (فَرْدُ السَّالِكِينَ) من ألقاب أهل الصَّلاح .
- (فَرْدُ الزَّيْنَانِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .
- (فَرْدُ الْوُجُودِ) من ألقاب العلماء وأهل الصَّلاح .
- (فَرْعُ الشَّجَرَةِ الزَّرَكِيَّةِ) من ألقاب الشرفاء .

حرف القاف

(قَامِعُ الْبِدْعَةِ) من ألقاب أكابر العلماء، وربما قيل «قَامِعُ الْبِدْعِ» وقد يقال «قَامِعُ الْبِدْعِ وَعُثْيُ أَهْلِهَا» والقامع فاعلٌ من قَمَعَ إِذَا ضَرَبَهُ بِالْقَمْعَةِ : وهي عُجْجَنٌ من خَلِيدٍ يُضْرَبُ بِهِ عَلَى رَأْسِ الْفِيلِ، وَالْبِدْعَةُ وَاحِدَةُ الْبِدْعِ : وهي خِلَافُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ وَمَا طَبِعَ الْجَمَاعَةُ .

(قُدْوَةُ الْأَوَّلِيَاءِ) من ألقاب أهل الصلاح .

(قُدْوَةُ الْبَارِعِينَ) من ألقاب أرباب الأعلام، وهو الكُتَّابُ أليق، والبارِعُ الماهر .

(قُدْوَةُ الْبُلَّغَاءِ) من ألقاب أرباب الأعلام . وهو كُتَّابُ الْإِنشَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ أَخْصٌ .

(قُدْوَةُ الْخَلَفِ) من ألقاب العلماء وأهل الصلاح، وانْخَلَفَ فِي اللُّغَةِ الَّذِي يَخْلُفُ بَعْدَ غِيَرِهِ وَيَقُومُ مَقَامَهُ، وَالْمُرَادُ خَلَفَ مَنْ سَلَفَ مِنْ طُلَمَاءِ الْأُمَّةِ أَوْ صَالِحِيهَا .

(قُدْوَةُ الْعُبَادِ) من ألقاب أهل الصلاح، وربما قيل «قُدْوَةُ الْعِبَادِ وَالزُّهَّادِ» أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

(قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ) من ألقاب أكابر أهل العلم، وربما قيل «قُدْوَةُ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِينَ» وَنَحْوِ ذَلِكَ .

(قُدْوَةُ الْفِرَقِ) من ألقاب العلماء، والمراد فِرَقُ أَهْلِ الْحَقِّ مِنْ أَرْبَابِ الْمَذَاهِبِ وَالْعَقَائِدِ الصَّحِيحَةِ، وَالْفِرَقُ جَمْعُ فِرْقَةٍ .

(قُدْوَةُ الْفُضَّلَاءِ) من ألقاب أكابر العلماء، وَالْفُضَّلَاءُ جَمْعُ فَاضِلٍ وَهُوَ خِلَافُ النَّاقِصِ .

(قُدْوَةُ الْكُتَّابِ) من ألقاب أكابر الكُتَّابِ كَالْوُزَرَاءِ مِنْ أَرْبَابِ الْأَعْلَامِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ مَنْ كَاتَبَ السِّرَّ وَنَحْوَهُ .

(قُدْوَةُ الْمُجْتَهِدِينَ) من ألقاب كبار العلماء، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْأَلْقَابِ أَنَّ الْأَجْتِهَادَ عِبَارَةٌ عَنْ اسْتِنْبَاطِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ الْكُتَّابِ وَالسُّنَنِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ .

(قُدْوَةُ الْمُحَقِّقِينَ) من ألقاب أكابر العلماء، وَقَدْ تَقَدَّمَ مَعْنَى التَّحْقِيقِ .

(قُدوةُ المُسَلِّكِينَ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، والمراد بالمسلكين المعرفون الطريق إلى الله تعالى كما تهتم بيأته .

(قُدوةُ المشتغلين) من ألقاب أهل العلم، والمراد الاشتغال بالعلم .

(قُدوةُ الموحدين) من الألقاب الخاصة بصاحب تُوُس : لوقوع الموحدين في اصطلاحهم على أتباع المهدي بن تومرت؛ وصاحب تُوُس الآن من بقاياهم كما تهتم .

(قَسِيمُ أمير المؤمنين) من الألقاب السلطانية، وهو فعيل بمعنى فاعل فيكون معناه يقاسم أمير المؤمنين، والمراد مقاسمته الأمر .

(قُطْبُ الزهاد) من ألقاب أهل الصلاح؛ والقُطْب تهتم معناه .

(قُطْبُ الأولياء) من ألقابهم أيضا، والأولياء جمع ولي وهو خلاف العدو، والمراد أولياء الله تعالى .

(قَوَامُ الأمة) من ألقاب الوزراء ومن في معانهم، والقَوَام بالكسر نظام الشيء وعمادته وملاكه؛ يقال فلان قوام أهل بيته، ومنه قوام الأمر بمعنى نظامه .

(قَوَامُ الجمهور) قال في "معرف التعريف" : هو من ألقاب الوزراء؛ والجمهور من الناس جلهم، أخذنا من الجمهور وهي الرملة المضممة المشرفة على ماحولها .

(قَوَامُ الدولة) من ألقاب الكُتَّاب وهو بالكسر أيضا .

(قَوَامُ المصالح) من ألقاب أكابر الكُتَّاب من الوزراء ومن في معانهم، وهو بالكسر أيضا، والمصالح جمع مصلحة وهي خلاف المقبلة .

(قَوَامُ الإسلام) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح؛ وهو بالكسر كالذي قبله .

حرف الكاف

(كَافِلُ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب بَكر التَّوَابِ كَتَّابِ دِمَشْقَ، وقد تقدّم معنى الكافل في الكلام على ألقاب أرباب الوظائف .

(كَافِلُ الْمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ) من ألقاب النائب الكافل : وهو النائب بمحضرة السلطان .

(كَافِي النَّوَلَةِ) من ألقاب الوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، والكافي أسمٌ فاعِلٍ من الكِفَايَةِ .

(كَثَرُ الثَّنَى) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، والكثرة في أصل اللغة المأل المدفون، استعير لصاحب الألقب لأنه كالثني المكنوز لذلك الباب .

(كَثَرُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب العلماء .

(كَثَرُ الْعِلْمَاءِ) من ألقاب أهل العلم وربما قيل « كَثَرُ الْمُفَسِّرِينَ » أو « كَثَرُ الْمُتَقَفِّهِينَ » ونحو ذلك .

(كَثَرُ الْمُسْلِكِينَ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح .

(كَهْفُ الْأُسْرَةِ الزَاهِرَةِ) من ألقاب الشرفاء، والكهفُ المَلْجَأُ، ومنه قولهم : فَلَانٌ كَهْفٌ . والأصل في الكهف البيت المنقود في الجبل ويجمع على كُهُوفٌ ، وقد حتمت الكلام على الأُسْرَةِ والزَاهِرَةِ .

(كَهْفُ الْكُتُبِ) من ألقاب أكابر الكُتَّابِ كالوزير من أرباب الأقسام وكاتب السرِّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ .

- (كُتِبَ الْمَلَّةُ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوب السلطنة ونحوهم .
 (كُتِبَ الْأُمْرَةُ الزَاهِرَةُ) من ألقاب الأشراف كأبي بكر مكي والمدنية المشركين
 والكوكب واحد الكواكب وهو يقع على النجوم والشمس والقمر .
 (كُتِبَ الذَّرِيَّةُ) من ألقاب الشرفاء أيضا، والمراد الذرية العلوية .

حرف اللام

- (لِسَانُ الْحَقِيقَةِ) من ألقاب الصوفية ، واللسان هنا جارحة الكلام ، والحقيقة
 خلاف المجاز ، وهي في الأصل عين الحق ، والمراد هنا معرفة الأمر على ما هو عليه .
 (لِسَانُ الْحَفَاطِ) من ألقاب المحدثين والوعاظ ، والمراد المتكلم عنهم ، يقال فلان
 لسان القوم إذا كان متكلمًا عنهم ؛ ويجوز أن يكون المراد اللسان الذي هو جارحة
 الكلام ويكون المعنى 'آلتهم للكلام' كما أن اللسان آلة الكلام للتكلم ؛ ويجوز أن يكون
 من اللسان بمعنى 'اللسان' ، كما في قوله تعالى : (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ)
 ويكون المعنى 'أنه المترجم عنهم والمتكلم بلغاتهم المختلفة' .
 (لِسَانُ النُّوَلَةِ) من ألقاب كتّاب السر ومن في معناه ، واللسان فيه يشمل
 المعنيين .

(لِسَانُ السُّلْطَانَةِ) من ألقاب كتّاب السر .

- (لِسَانُ الْمُتَكَلِّمِينَ) من ألقاب العلماء ، والمتكلمون يجوز أن يراد بهم كل متكلم
 في الجملة تعمياً للحد ، ويجوز أن يراد العلماء بعلم الكلام وهو أصول الدين ،
 لأن أصحابه هم أرباب النظر التقيق والبحث لدقة متعلقه ، وهو الظاهر .

(لسانُ الممالك) من ألقاب كتّابِ السرّ، والممالكُ جمعُ مملكة وهو موضعُ الملك، والمعنى أنه يتكلم بلسان ملوكِ الممالك .
(لسانُ ملوكِ الأمصار) من ألقاب كتّابِ السرّ .

حرف الميم

(مالكُ زمامِ الأدب) من ألقاب البلغاء من الكتّاب ونحوهم، ويصلح لكتّاب السرّ ومن في معناه .

(مانعُ الممالك والأقاليم والأمصار) من الألقاب السلطانية، والمانعُ المعطى، والممالكُ تخدمُ بَيَّانُهُ، والأقاليمُ جمعُ أَقْلِيمٍ، وله معنيان أحدهما واحدُ الأقاليم السبعة التي تُسمِّيها الحكماء، ممتدة في طول الأرض ما بين المغرب والمشرق . والثاني الواحد من الأقاليم العُرفيّة : كصر والشام والعراق وما أشبه ذلك وقد مرّ القولُ فيها .

(متعمّد المصالح) من ألقاب الوزراء ومن في معنائهم، والمراد بالمتعمّد المتقصّد .

(مجتد الإسلام) من ألقاب صغار أرباب السيوف .

(مجتد الإسلام والمسلمين) من ألقاب متوسطيهم .

(مجتد الأسماء) من ألقاب أصاغر أرباب السيوف كأسماء العشرين ونحوهم .

(مجتد الرؤساء) من ألقاب التجار الخوارجيّة .

(مُجَلِّي الفَيَاحِب) من ألقاب أكابر العلماء، والمُجَلِّي بالتشديد الكاشفُ، يقال :

جَلَّا الأمرُ إذا أَوْضَحَهُ وكَشَفَهُ، ومنه جَلَوْتُ السيفَ ونحوه إذا كَشَفْتَهُ من الصدأ؛

وَالْفَيَاحِبُ جمعُ غَيْبٍ وهو الظلمة الشديدة، يقال : فرسٌ أَضْمَ غَيْبٌ إذا أَشْتَدَّ

سَوَادُهُ .

(مَجْدُ الصُّدُورِ) من ألقاب التجار الخوارجية .

(مُجَمِّلُ الْأَمْصَارِ) من ألقاب أكابر أرباب الأقاليم ، والمجمل فاعل الجمال ،
والأَمْصَارُ جمع مصر وهو الإقليم .

(مُجْهِدٌ نَفْسَهُ فِي رِضَا مَوْلَاهُ) من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح [والمراد به]
المُعَمِّلُ نَفْسَهُ لِلْغَايَةِ . يقال : أَجْهَدَ جَهْدَكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَيْ أَلْبَغَ تَأْيِيدَكَ ، والمراد
بِالمَوْلَى هُنَا الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

(مُحْيِي السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء والصلحاء .

(مُحْيِي الْعَدْلِ فِي الْعَالَمِينَ) من الألقاب السلطانية .

(مُدَبِّرُ الْجِيُوشِ) من ألقاب ناظر الجيش .

(مُدَبِّرُ الْمَالِكِ) من ألقاب الوزراء ، وربما قيل «مُدَبِّرُ الْمَوْلَةِ» والمُدَبِّرُ فاعل
التدبير ، وقد تقدم معناه في الكلام على المُدَبِّرِ فِي جَمَلَةِ الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ .

(مُدَبِّرُ أُمُورِ السُّلْطَانَةِ) من ألقاب الوزراء وكُتِبَ السِّرُّ وَضِيْعُهُمْ .

(مُذَكِّرُ الْقُلُوبِ) من ألقاب الخطباء والوعاظ ، والمُذَكِّرُ فاعل التذكير وهو الأخذ
بِالتَّذَكُّرِ ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَتَفَعُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

(مُذِلُّ الْبِدْعَةِ) من ألقاب علماء السنة ، والمُذِلُّ قَبِيضُ الْمُعِزِّ .

(مُذِلُّ حِزْبِ الشَّيْطَانِ) من ألقاب العلماء والصلحاء ، والحِزْبُ الطائفة ،
وحِزْبُ الرَّجُلِ أَصْحَابُهُ .

(مُرَبِّي الْمُرِيدِينَ) من ألقاب الصلحاء .

- (مُرْتَبِ الْجَيُوشِ) من ألقاب ناظر الجيش .
- (مُرْتَضَى الدَّوْلَةِ) من ألقاب الكُتَّاب، والمُرْتَضَى بمعنى المَرْضَى المقبول .
- (مُرْتَضَى المُلُوكِ والسُّلاطين) من ألقاب أرباب السيوف والأقلام جميعا .
- (مُسْتَحْدِمُ أَرْبابِ الْعُذْلِ وَالْمَلَمِ) من ألقاب النائب الكافل ونحوه .
- (مُشِيدُ الْمَالِكِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، وَالْمُشِيدُ فاعِلُ التَّشْيِيدِ وهو رَفَعَ الْبِنَاءَ .
- (مُشِيرُ الدَّوْلَةِ) من ألقاب الوزراء وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ، وَالْمُشِيرُ الَّذِي يُشِيرُ عَلَى بَإِذْنِهِ بِالرَّأْيِ .
- (مُشِيرُ السُّلْطَانَةِ) مثله .
- (مُشِيرُ المُلُوكِ والسُّلاطين) مثله .
- (مُظْهِرُ أَنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ) من ألقاب العلماء، وهو يَضُمُّ الْمِيمَ وَإِسْكَانَ الظَّاءِ عَلَى أَنَّهُ فاعِلٌ مِنَ الظُّهُورِ، وَالْأَنْبَاءُ جَمْعُ نَبَأٍ وَهُوَ الْخَبَرُ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يُظْهِرُ أَخْبَارَ الشَّرِيعَةِ وَيُدَيِّعُهَا، وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ بَفَتْحِ الْمِيمِ عَلَى أَنَّهُ هُوَ ضَمُّ الْمَقْظُورِ وَهُوَ الْبَلَّغُ .
- (مُزِيءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ) من ألقاب النائب الكافل وَمَنْ فِي مَعْنَاهُ .
- (مُزِيءُ السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء، والسُّنَّةُ خِلَافُ الْبِدْعَةِ .
- (مُزِينُ الْحَقِّ وَتَاصِرُهُ) من ألقاب الْحُكَّامِ مِنْ أَرْبابِ السِّيُوفِ وَغَيْرِهِمْ .
- (مُثَقِّي الْمُسْلِمِينَ) من ألقاب العلماء .
- (مُفِيدُ الْبَلَاءِ) من ألقاب أهل الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكُتَّابِ وَغَيْرِهِمْ .

(مُفِيد الطالِبِينَ) من ألقاب العلماء .

(مُفِيد الْمَنَاجِح) من ألقاب الْوُزَرَاءِ ، وَالْمَنَاجِحُ جَمْعُ مَنَاجِحٍ أَخَذْنَا مِنَ التَّجَارِحِ وَهُوَ الْفَقْرُ بِالْخَوَاجِجِ .

(مُفِيدُ أَهْلِ مِصْرَ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ) من ألقاب العلماء .

(مُفِيدُ كُلِّ غَادٍ وَرَاحِجٍ) من ألقابهم أيضا .

(مُقَرَّبُ الْحَضَرِيِّينَ) من ألقاب التَّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ إِذَا كَانَ مُتَرَدِّدًا بَيْنَ مَمْلَكَتَيْنِ .

(مُقَرَّبُ الْمَوْلَى) من ألقاب التَّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ ، وَهُوَ أُمٌّ مِنَ الْأَوَّلِ .

(مَلَجًا الْفُقَرَاءَ وَالْمَسَاكِينَ) من ألقاب النَّائِبِ الْكَافِلِ وَنَائِبِ الشَّامِ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ عَلَيْهِ الْحَالُ آخِرًا .

(مَلَجًا الْمُرِيدِينَ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

(مَلِكُ الْبَحْرَيْنِ) مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ ، وَالْمُرَادُ بِبَحْرِ الرُّومِ وَبَحْرِ الْقَزْمِ : لِأَنَّهُمَا يَتَقَارَبَانِ بَيْنَ مِصْرَ وَالشَّامِ عَلَى الْقُرْبِ مِنَ الْعَرِيشِ .

(مَلِكُ الْبُلْغَاءِ) من ألقاب أهل البلاغة من الْكُتَّابِ وَفَرِيعِهِمْ .

(مُتَمَلِّكُ الْمَالِكِ وَالنُّحُوتِ وَالتَّيْجَانِ) مِنَ الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ أَيْضًا ، وَالْمُرَادُ بِالنُّحُوتِ هُنَا مَخُوتُ الْمَلِكِ ، يَرِيدُ أَنَّهُ مُتَمَلِّكُ الْمُلُوكِ مِنْ تَحْتِ يَدِهِ .

(مُتَمَهِّدُ الدُّوَلِ) مِنْ أَلْسَابِ أَكْبَارِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ كُتُوبِ السُّلْطَنَةِ وَنَحْوِهِمْ ،

وَرَبِّمَا كُتِبَ بِهِ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ أَيْضًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى التَّمْهِيدِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَى الْمُتَمَهِّدِي فِي جُمْلَةِ الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ .

(مُنْبَه الخَوَاطِر) من ألقاب الخطباء والوعاظ ، وألْتَبَسه المَوْقُظُ ، والخَوَاطِر جمع خَاطِرٍ .

(مُتَّجِد الملوك والسلطين) من ألقاب النائب الكافِل، وبه يُكْتَب لإمام الزيدية يَأْمَن . والمُتَّجِد المَعِين أَخَذَا من قولهم أَسْتَجِدْنِي فَلَانٌ فَأَجِدْهُ أَيْ أَسْتَعَانَ بِي فَأَعْتَنهُ .

(مُنْتَهَى العلماء والمُفْتِينَ) من ألقاب اكابر العلماء .

(مُنْتَصِف المظلومين من الظالمين) من الألقاب السلطانية .

(مَوْرِد الجُود) من ألقاب الكرماء .

(مُوَصِّل السالكين) من ألقاب الصوفية والصلحاء .

(مَوْصَّح الطريقة) من ألقاب الصوفيَّة والصلحاء أيضا ، وربما قيل «مَوْصَّح الطَّرِيقِ» وقد تقدّم أن المراد الطريقُ إِلَى الله تعالى .

(مَوْلَى الإِحْسَانِ) من الألقاب السلطانية، والمراد بالمَوْلَى المُنْبِل .

(مُؤَمِّن الأرض المحيطة) من الألقاب السلطانية أيضا، وكأنهم يريدون الأرضَ المحيطةَ لَا تَسَاعُهَا، ويكون المرادُ أَرْضَ المملكة، وإلا فالأَرْضُ مُحِيطَةٌ من حيث استدارةُ الماء عليها لَا مُحِيطَةٌ بِنِيرِهَا .

(مَلَأْدُ الطَّالِبِينَ) من ألقاب العلماء والصلحاء، والمراد المَلْجَأُ .

(مَلَأْدُ السُّبَادِ) من ألقاب الصلحاء . وفيه نظر لأن السُّبَادَ لَا يُلَوِّفُونَ إِلَّا بِاللَّهِ تعالى وَلَا يَلْجَأُونَ إِلَّا إِلَيْهِ .

(مَلَأْدُ السُّكَّابِ) من ألقاب اكابر السُّكَّابِ، ككاتب المَرْبُوحَةِ .

(مُؤَيَّدُ الْحَقِّ) من ألقاب أرباب السيوف وغيرهم ، والمُؤَيَّدُ الْمُقَوَّى أَخْذاً من الأَيْدِ وهو الْقُوَّة .

(مُؤَيَّدُ الْمِلَّةِ) من ألقاب العلماء .

(مُؤَيَّدُ أُمُورِ الدِّينِ) كذلك . وبه يُكْتَبُ لإمام الزيدية باليمن .

حرف النون

(نَاصِحُ الْمُلُوكِ وَالسُّلاطينِ) من ألقاب التُّجَّارِ الْخَوَاجِكَةِ .

(نَاصِرُ السُّنَّةِ) من ألقاب العلماء .

(نَاصِرُ الْفِرَاقَةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كالأتابِ الْكَانِلِ

ونحوه ، وربما كُتِبَ به لبعض الملوك كملك التُّرُكِ ونحوه .

(نَاصِرُ الشَّرِيعَةِ) من ألقاب العلماء ، والشريعة ما شرعه الله تعالى من الدين .

يقال فَرَعَ لَمْ شَرَعًا ، وأصله من الشريعة التي هي مَوْدِ الْمَاءِ .

(نَاصِرُ لُؤَاءِ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) من الألقاب السلطانية .

(نَجْمُ السُّلْطَنَةِ) من ألقاب أولاد الملوك ، والمراد أنه وُلِدَ فِي السُّلْطَنَةِ .

(نَجْمُ الْأَكْبَرِ) من ألقاب ذَوِي الْأَصْلَةِ ، والنجم النسل . يقال تَجَلَّى أَبُوهُ

إِذَا وَلَدَهُ .

(نَسِيبُ الْإِمَامِ) من ألقاب الشرفاء كأميرى مَكَّةَ والمدينة المشرقيين ، والنسب

التقريب . يقال فلان نَسِيبُ فلان أى قَرِيبُهُ ، وذلك أن مَرَجِعَ بَنِي الْعَبَّاسِ

وَالْعَلَوِيِّينَ إِلَى بَنِي هَاشِمٍ .

(نَسِيبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) مثله .

(نَصْرُ الْقَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف كُتُوبُ السُلْطَنَةِ ونحوهم ، وهو عندهم [فَوْقَهُ] نَاصِرُ الْقَزَاةِ .

(نَصِيرُ الْقَزَاةِ وَالْمُجَاهِدِينَ) كذلك ، وهو عندهم دُونَ الْأَوَّلِ وفَوْقَ الثَّانِي ، وفيه كَلَامٌ يَأْتِي ذِكْرُهُ .

(نِظَامُ الدَوْلَةِ) من ألقاب أكابر أرباب السيوف والْكُتُبِ ، وقد تقدّم الكلامُ عَلَى النَّظَامِ فِي الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ .

(نِظَامُ الْمَمَالِكِ) من ألقاب الْوُزَرَاءِ وَكُتُبِ الْمَرْوُوعِينَ .

(نِظَامُ الْمَتَاجِعِ) من ألقابهم أَيْضًا .

(نُورُ الزُّهَادِ) من ألقاب الصُّوفِيَّةِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ .

حرف الهاء

(هَمَامُ الدَوْلَةِ) من ألقاب أرباب السيوف وقد تقدّم فِي الْكَلَامِ عَلَى الْأَلْقَابِ الْمَفْرَدَةِ أَنَّ الْهَمَامَ بِمَعْنَى الشَّجَاعِ .

حرف الواو

(وَارِثُ الْمُلْكِ) من الْأَلْقَابِ السُّلْطَانِيَّةِ .

(وَلِيّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ) من الْأَلْقَابِ الَّتِي يَسْتَرِكُ فِيهَا أَرْبَابُ السِّيُوفِ وَالْأَقْلَامِ : كَالْوُزَرَاءِ وَقُضَاةِ الْقَضَاةِ وَكَاتِبِ السَّرِّ وَمَنْ فِي مَعْنَاهُمْ ، وَالْوَلِيُّ فِي اللُّغَةِ خِلَافُ الْعَدُوِّ .

حرف اللام ألف

(لَا يُسُّ تَوْبِ الْقَحَّارِ) من ألقاب أكابر أرباب الأعلام .

(لَا فِتْ الْقَوَاةُ إِلَى طَرِيقِ الرِّشَادِ) من ألقاب الصلحاء والوفاء، واللائق
الصارف، يقال لَفَّتْ وَجْهَهُ عَنِ إِذَا صَرْفَهُ، وأصل اللَّفَّتْ اللَّيْ، وَالْقَوَاةُ جمع ظاير
وهو الضال، يقال غَوَى يَغْوِي غَيًّا إِذَا ضَلَّ فهو ظاير .

حرف الباء

(بَيِّنُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ) قال في "حرف التعريف" : يَخْتَصُّ بِالْمُؤَادَارِ
وَكاتب السِّرِّ، وقد تَهَمَّ الكلامُ عَلَى مَعْنَى ذَلِكَ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْبَيِّنِيِّ فِي الْأَلْقَابِ
المفردة، وأن المراد بَيِّنُ السُّلْطَانِ الَّتِي يَتَاوَلُّ بِهَا، وَلَا فَيُجِلِّسُ كَاتِبَ السِّرِّ عَنْ يَسَارِ
السُّلْطَانِ وَالْمُؤَادَارُ وَقُفَّ أَمَامَهُ .

(بَيِّنُ الْمَلَكَةِ) مثله .

(بَيِّنُ الْمَوْلَةِ) كذلك .

الضرب الثاني

(من الألقاب المفردة المؤنثة ؛ ولنا فيها سبيان)

السبب الأول

(الجمع)

بأن يجمع شيء من الألقاب المذكرة المفردة أو المركبة، فنختل من التذكير إلى
التأنيث، فإنَّ الجُمُوعَ كُلَّهَا مؤنثةٌ عَلَى مَا هُوَ مَقْرَرٌ فِي ظِلِّ النُّحُو . ويتأتَّى ذلك

في المطلقات، مثل أن يجمع في صدر المطلق بين المقر الكريم والجناب الكريم والجناب العالي والمجلس العالي؛ ثم يتبعها بالاقتاب التي تليق بها مما يأتي ذكره، فيأتي بتلك الألقاب مجموعة بلفظ التانيث مفردة ومرتبعة . مثل أن يكتب إلى المقر والجناب الكريمين، والجنابات العالية، والمجلس العالي الأميري، الكبيرة، العالمية العادلة، المريدية، الزعيمية، العونية، النائية، المتأخرية، المرابطية، الممهدية، المشيدية، الظهيرية، الكافية، الفلانية، إعزاز الإسلام والمسلمين، سادات الأمراء في العالمين، أنصار الفزاة والمجاهدين، زعماء الجيوش، مقدمي الساكر، ممددي الدول، مشيدي الممالك، عمادات الملّة، أعوان الأئمة، ظهيري الملوك والسلطين، سيوف أمير المؤمنين، ونحو ذلك .

وأعلم أن هذه الألقاب كلها من جملة الألقاب المفردة والمركبة المتقدم ذكرها، فيستغنى عن بيان شكلها وتعريف أحوالها هنا اكتفاء بما تهتم، إلا أن من الألقاب المجموعة ما يقوم لفظ الأفراد مقامه بأن يكون اللقب اسم جنس، مثل عضد وجمد ونحو ذلك مما لا يجوز جمعه لأنه يقصد به المجلس . فيجوز للكتاب حينئذ أن يأتي بذلك بلفظ الجمع ولفظ الأفراد الذي معناه الجمع . وقد أشار إلى ذلك القاضي شهاب الدين برن فضل الله في "التعريف" في الكلام على المطلقات . فقال عند ذكره أعضاد الملوك والسلطين : ويجوز فيه أعضاد الملوك وعضد الملوك، إطلاقاً للأفراد على الجمع .

السبب الثاني

(ثانيث اللقب الأصل الذي تنفّوع عليه الألقاب الفروع . وله حالتان)

الحالة الأولى — أن يكون اللقب الأصل لمؤث غير حقيق كالخضرة واليد والباسطة . فتأق الألقاب المفزعة عليها مؤثّة بناء على أن الصفة تتبع الموصوف في تذكيره وتأنينه ، على ما هو مقرّر في علم النحو . أما نعوت الحضرة فمثل أن يقال : « الخضرّة الشرفيّة ، العليّة ، السيّدّة ، العاليّة ، العاليّة ، العادلّة ، الأوحديّة ، المؤيديّة ، المجاهديّة ، المراهطيّة ، المتأخريّة ، المظفريّة ، المنصوريّة ، وما أشبه ذلك » وأما نعوت الباسطة فمثل أن يقال : « الباسطة الشرفيّة ، العاليّة ، الموليّة ، الأميريّة ، الكبيريّة ، العاليّة ، العادلّة ، المؤيديّة ، الحسنيّة ، السيّدّة ، المالكيّة ، الفلانيّة » وفي معناها نعوت اليد . وألقاب هذه الحالة كلّها في معنى ما تقدّم من الألقاب المذكّرة لا تختلف الحال فيها إلا في التذكير والتأنين ، وأنه ليس فيها ألقاب مركّبة ، فيستغنى بما تقدّم عن ذكر معانيها وأحوالها أيضا .

الحالة الثانية — أن يكون اللقب الأصل لمؤث حقيق ، كالدار والستارة والجهة إذا كُنّي بها عن المرأة في الكتابة إليها مثل أن يقال : « الدار الكريمة » و « الستارة الزينة » و « الجهة المصنونة » ونحو ذلك ، فتقبّها الألقاب المفزعة عليها أيضا في التأنين إلا أن لها معاني تخصّها . وهي على ضربين : مفردة ومركّبة كما تقدّم في المذكّرة ، وإن لم تبلغ شأوها في الكثرة . فاما المفردة فكالشريفة ، والكبرى ، والعاليّة ، والمعظّمة ، والمكرّمة ، والمحبّبة ، والمصنونة ، والخاتونيّة ، والخلوند . وربما قيل الوالديّة إذا كانت والدة حقيقة أو في مقامها ، والولديّة إذا كانت بنتا حقيقة أو فائمة مقامها ، والحاجيّة إذا كانت حاجيّة ونحو ذلك

ثم الألقاب المفردة تارة تكون مجردة عن ياء النسب، كالألقاب المتقدم ذكرها؛ وقد تلحقها ياء النسب البالغة في التعظيم فيدخل فيها ياء النسب في المذكر، مثل أن يقال : المعظمية والمكرمية، والمحجية، وما أشبه ذلك . وهذه الألقاب أكثرها منقول عن المذكر، فيستغنى عن ذكر معانيها وأحوالها؛ وفيها ألقاب لم يتقدم ذكر مثلها في المذكر كالمحجية، وهو مأخوذ من الجباب كأنها محجوبة عن أن يراها الناس؛ ومنها المصونة وهو مأخوذ من الصيانة، وهي جعل الشيء في الصون وقاية له عن مثل النظر والمس ونحو ذلك؛ ومنها الخاتون، وهو لفظ تركي معناه السيدة؛ ومنها الخوتد، وهي لفظة عجمية بمعنى السيادة أيضا .

وأما المركبة فمثل جلال النساء، وسيدة الخواتين في العالمين، وشرف الخواتين، وجيلة المحجبات، وجيلة المصونات، وقرينة الملوك والسلاطين، وسلياة الملوك والسلاطين، إذا كانت بنتا لسلطان أو في معناها، وكريمة الملوك والسلاطين إذا كانت أخت سلطان . ومعاني هذه الألقاب ظاهرة معلومة .

الصنف الثاني^(١)

(من الألقاب المفردة على الأصول ألقاب من يكتب إليه

من أهل الكفر، مما أصطلح عليها لمكتباتهم)

وأعلم أنه لم يكن ملك من ملوك الكفر من يكتب له عن الأبواب السلطانية غير النصارى : لأنه لم يكن لفريقهم من أهل الملل بالقرب من هذه المملكة مملكة قائمة ، بل اليهود ليس لهم مملكة قائمة في قطر من الأقطار بعد قلبه الإسلام ، إنما يؤدون الجزية حيث حلوا ، إذ يقول تعالى في حقهم : ﴿ ضَرَبْتُ عَلَيْهِمُ اللَّزَّةَ أَيْنَمَا تُهَاجِرُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنْ اللَّهِ وَحَبْلُ مِنَ النَّاسِ ﴾ .

(١) لدل الصواب "النوع الثاني" وبالجملة قالوا بجمع كثيرا ما يقع فيها السهوا من التامع أو الخلف فتنه .

ثم مَنْ يَقْبُ من أهل الكفر في المكتبات إن كان من متدينتهم كالإب والبَطْرَك، ناسبه من الانقلاب ما فيه معنى التَّنْكَسُّ والتعبد؛ وإن كان من الملوك ناسبه ما فيه معنى الشَّجاعة والرَّياسة والقيام بأمر دينه وتحمُّله أعباء رعيته وما في معنى ذلك . فقد ثبت في الصحيحين أنَّ النبي صلَّى الله عليه وسلم كتب إلى هِرَقْل : " مِنْ عِندِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ " وفي كتب السيرة أنه صلَّى الله عليه وسلم كتب إلى كِسْرَى : " مِنْ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارَسَ " وأنه كتب إلى الْمُقَوْسِ : " مِنْ عِندِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُقَوْسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ " فعبَّر عن كلِّ من الملوك الثلاثة بعظيم قومه لمناسبة ذلك لهم .
وبالجملة فالانقلاب التي تُكْتَب إليهم على ضربين :

الضرب الأول

(الانقلابُ المَذْكُورُ ، وهي تَطْلُفُ)

الفصل الأول

(المفسَّدة)

وأكثر ما تُنتفى على صفات الشَّجاعة وما في معناها . وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا ، مَقْفَأٌ عليها .

حرف الألف

(الأمْدُ) من الانقلاب التي أصطلح عليها بمعنى الشَّجاعة ، وهو في الأصل الحيوان المفترس ، ثم استعمل في الرجل الشجاع مجازاً لعلاقة ما بينهما من الشَّجاعة . . .

(الأصيل) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم أيضا، وقد تقدم في الكلام على الألقاب الإسلامية قولا عن "عرف التعريف" أنه يختص بكل من له ثلاثة آباء في الراسية، وحيث فيكون هنا مختصا بمن له ثلاثة آباء في الملك، على أنهم الآن لا يقفون مع ذلك بل يراعون من له أدنى نسب .

(الأنجالوس) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، وهي لفظة يونانية معناها الملك واحد الملائكة ، وإنما كتبت إليهم بذلك مضاهاة للكتب الواردة عنهم، ولعل الكاتب لم يعلم معنى ذلك، وكذلك غيرها من الألقاب التي في معناها .

حرف الباء

(البالوؤس) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، وهي لفظة يونانية أصلها البالي لوؤس، ومعناها «الكمة القديمة» .

حرف الجيم

(الجليل) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم، ومعنى الجليل في اللغة العظيم، لكن قد استعمل في ألقابهم في المكاتب للملوكهم . فيقال «الملك الجليل» والمراد الجليل بالنسبة إلى ملوك الكفر، وإلا فالكافر لا يوصف بالعظمة . وكان الأحسن أن لا يكتب به إليهم، لاسيما وهو أسم من أسماء تعالى .

حرف الخاء المعجمة

(الخاشع) من الألقاب التي أصطلح عليها لمتدينتهم : كالباپ والبطرك . وقد تقدم في الألقاب الإسلامية أنه يكون من ألقاب الصلحاء والصوفية، وأن معنى الخاشع المتنيل .

(الْخَطِير) من الألقاب التي أُصطلح عليها للوكهم ، وإنْطِطِر في اللغة التَّكْيِير
الجليلُ القدير ، ومنه قولهم : أَمْرٌ لَهُ خَطَرٌ أَيْ مَقْدَارٌ كَبِيرٌ .

حرف الدال المهملة

(الذُّوقِس) بضم الدال وكسر القاف من الألقاب التي أُصطلح عليها للوكهم .
وقد يقال (الذُّوقِس) بالضاد بدل الدال ، وهي لفظة يونانية أصلها دقستين ،
ومعناها المشكور .

حرف الراء المهملة

(الرُّوحَانِيّ) من الألقاب التي أُصطلح عليها للتدوين منهم ، وهو بضم الراء نسبة
إلى الرُّوح التي بها مَنَاطُ الحياة للخلوقين ، ومنه نُسِبَ إلى الملائكة والجن رُوحَانِيّ ،
وبالفتح نسبة إلى الرُّوح بمعنى الرائحة ، والمعنى الأولُ أَقْرَبُ إلى مراد الكُتَّاب .

حرف السين

(السَّيْنِدَع) من الألقاب التي أُصطلح عليها للوكهم . قال الجوهرى : وهو
بضم السين وقال في "كفاية المتحفظ" بفتحها ، ومعناه السيد ، وكأن المراد
سيد قومه وزعيمهم .

حرف الضاد المعجمة

(الضَّرْظُم) من الألقاب التي أُصطلح عليها للوكهم ، وهو من أسماء الأسد ،
لُقِّبَ به ملوكهم لما فيه من معنى الشجاعة .

حرف الغين المعجمة

(الْمَغْضَنُ) بفتح النون والضاد المعجمتين وسكون النون وفتح الفاء من أسماء الأسد، أصطلح الكُتُب على تقييدهم بذلك لما فيه من معنى 'الشجاعة كالأسد' والضُرغام . على أنه قد يُطْلَق في اللغة على 'الرجل الغليظ كما حكاها الجوهرى' . ولا بأس باستعمال الألفاظ التي لها كامل نازله في المكتبات إلى الكُفَّار .

حرف القاف

(الْقُدَيْس) بكسر القاف من الألقاب التي أصطلح عليها لمتديتهم من الباب والبَطْرِيْرَك ونحوهما، وأصله من التقديس وهو التزيه .

حرف الكاف

(الْكُور) بتشديد الراء من الألقاب التي أصطلح عليها للوكهم، والْكُورُ صيغة مبالغة من الكُور خلاف القُور . والمراد أنه يرجع في الحاربة على قرنه المرة بعد المرة ولا ينهزم عنه .

(الكبيلوس) من الألقاب التي أصطلح عليها للوكهم، وهو لفظ رومى معناه

حرف الميم

(الْمُتَهَل) من الألقاب التي أصطلح عليها لمتديتهم، ومعناه المقطع عن الدنيا .
(الْمُتَعَت) بفتح الخاء المعجمة المشددة من الألقاب التي أصطلح عليها للوكهم، والمراد أنه من يجلس مثله على تحت الملك لاستحقاقه له .
(الْمُتَوَج) بفتح الواو المشددة من الألقاب التي أصطلح عليها للوكهم والمراد أنه من يلبس التاج لاستحقاقه له .

(١) كذا في الأصول بالاممال مع إشارة التوقف والكراد الألفاظ التي تحتل الضمير وغيره .

(٢) بيض له في الأصول وأورده في الفوق ولم يفسره .

(المُحْتَمِّم) من الانقلاب التي أصطلح عليها ثُجَّارُ الروم والفرنج ، والمراد بالاحتميم هنا الرئيس الذي له حَتَمٌ وهم خَوَلُه وخَدَمُه . وأصل الحِشْمَة في اللغة النَّضَب ، وسمي خَوَلُ الرجل وَخَنَمه حَتَمًا لأنهم يَنْضَبُون له ؛ وبعضهم يطلق المحتميم على المستحي وعليه عُرِفَ العامة وهو المراد هنا ، وأنكره أبو فتيبة وغيره حتى قال النحاس إنه لا يُعرف أَحْتَمَمَ إلا بمعنى خَضِبَ وإن كان الجوهرى قد حكاه .

(المُعَزَّز) من الانقلاب التي أصطلح عليها للوكةم [وهو أَمَس مفعول من العز] خلاف الذل .

(المجند) من الانقلاب التي أصطلح عليها للوكةم^(١) وهو مُقْتَل من المجد . وقد تَهْتَم الكلام عليه في الانقلاب الإسلامية .

حرف الهاء

(الهُمَام) من الانقلاب التي أصطلح عليها للوكةم ، وقد تَهْتَم في الانقلاب الإسلامية أن معناه الشجاع .

المنط الثاني

(من الانقلاب التي يُكْتَب بها ملوك الكفر الانقلاب المركبة)

وهذه جملة منها مرتبة على حروف المعجم أيضا .

حرف الألف

(آخر ملوك اليونان) من الانقلاب التي أصطلح عليها للوكةم ، وهي تصلح لكل ملك يتنسب إلى اليونان أو قام مقامهم في الملك . واليونان أمةٌ معروفة مشهورة ، وكانت مملكتهم أولا في الجانب الشرق من الخليج القُسطنطيني المعروف الآن ببلاد

(١) الولاية بعضها الكلام كما لا يخفى على المتأمل .

الرُّومُ ثم ملكوا بعدها العِراقَ، والْتُرْك، والهندَ، وبلادَ أرمينيةَ، والشَّامَ، ومصرَ، والإسكندريةَ . ومنهم أكثرُ الحكماء والفلاسفة . وكانت دولُّهم من أعظم الدُّولِ، وأختلِفَ في نسبهم : فنقل ابن مسعود عن البيهقي وغيره من المحققين أنهم من ولدِ أفرقيش بن يُونانَ، بن عَلْجانَ، بن يافثَ، بن نُوحٍ عليه السلام . والمنقول عن التوراة أن يُونانَ هو ابنُ يافثَ لصلبه، وأسمه فيها ياقان بقاءً تخرب في اللفظ من الواو فعزبت يُونانَ . وخلف كثير من المؤرخين ففسبوا يُونانَ إلى طابر بن فالغَ، فجعله أختاً لفتحطان جدَّ العرب العاربةَ، وأنه خرج من اليمن مُغاضِباً لأخيه فتحطانَ فنزل ما بين الأفرنجية والروم وأختلط نسبه بنسبهم . وقيل : بل اليُونان من جملة الرُّوم من ولد صوفر بن العيص، بن إسماعق، بن إبراهيم عليه السلام .

(أسوة الملوك والسلاطين) من الألقاب التي أصطلح عليها الملوكهم، والإسوة بكسر الهمزة وضمها بمعنى القدوة ومنه قولهم : لى فى فلانٍ إسوةٌ يعنى قُدوةٌ، وكأنهم جعلوه إسوةً للملوك الكفريقتدون به . وإلا فلا يجوز إطلاق ذلك على الملوك من حيث هم لنسؤل ملوك الإسلام فيهم .

(العاذل فى ملته) من الألقاب التي أصطلح عليها الملوكهم، وقد تقدم معنى العادل والملة فى الكلام على الألقاب الإسلامية .

(العاذل فى مملكته) من الألقاب التي أصطلح عليها الملوكهم، وقد تقدم معنى العادل، والمملكة فى الأصل موضعُ الملك ثم أطلقت على الرعية مجازاً .

(الرَّيد أرغون) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض ملوكهم ممن يملك البلاد المعروفة بأرغون، وقد ذكر فى "الروض المعمار" بلاد أرغون، وقال : هو اسم بلاد غرميه بن شاتبة، تشتمل على بلاد ومنازل وأعمال، ولم يذكر فى أى حيز هى

ولا في أى قُطر . وقد رأيت هذا القَب في " التعريف " : لقَر الشهابي بن
فَضْل الله في ألقاب صاحب القُسْطَنْطِينِيَّة وفي " التنقيف " لأبن ناظر الجيش ،
في ألقاب الأَدْفُونش صاحب طَلَيْطَلَة من الأَتْلَس ، ويحتاج إلى تحقيق من يملك
هذه الطائفة منهما فيكتب به إليه . والرِّيد في لغتهم بمعنى الملك كما تَهْتَم في الكلام
على ريد أفرس في ألقاب الملوك .

(المُنَصِّف لرعيته) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، والرَّجَّة من يَسُوسُه
الملك ، سُمُوا بذلك تشبيها لهم بالنِّم وله بالراعى .

(أَوَحْدُ المُلُوكِ العِيسَوِيَّة) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، ويصلح
لِلْمَلِكِيَّةِ وَالْعُقُوبِيَّةِ جميعا : لأنه لم يقيد بمنصب من مذاهب النصارى .

(أَوَحْدُ مَلُوكِ العِقُوبِيَّة) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوك الحبشة : لأن
مَلِكُهَا من طائفة العِقُوبِيَّة .

حرف الباء

(بَطَلُ النِّصْرَانِيَّة) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، وهو صالح لكل
واحد منهم ؛ ومعنى البَطَل في اللغة الشجاع ، سُمي بذلك لأنه يُطِل حركة قرنه .

(بَقِيَّةُ أبناءِ الثُّغُوتِ وَالْيَبِجانِ) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، وهي
تصلح لكل منهم أيضا من المَلِكِيَّةِ وَالْيَمَانِيَّةِ جميعا .

(بَقِيَّةُ المُلُوكِ الأَعْرَبِيَّة) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض الملوك من بقايا
طائفة الأَعْرَبِيَّة من البُؤَانِ ، وهم طائفة من البُؤَانِ تنسب إلى أَعْرَبش بن يُونان
المقسَّم ذكره ، وهم البُؤَانُ الأول . وقد ذكره في " التعريف " في ألقاب مَلِكِ
الكَرْج ، ولعله أطلع على أنه من بقايا هذه الطائفة ، وهو مما يحتاج إلى تحرير .

(بَقِيَّةُ سَلَفِ قَيْصَرٍ) من الألقاب التي أصطلح عليها لبعض ملوكهم من أنتبسب إلى القِيَّاصِرَةِ ملوك الروم أو قام مقامهم . وقَيْصَرُ اسمٌ قديم لكل من ملك الروم ، وأصل هذه اللفظة في اللغة الرومية جاشربيم وشين معجمة فُعِرِبَت قَيْصَرُ ، ولها عندهم معنيان : أحدهما الشيء المشقوق عنه ، والثاني الشَّعْر . واختلف في أول من لُقِّب بذلك منهم فقيل : أغانيوش قَيْصَرُ ، أولُ الطبقة الثانية من ملوك الروم : مات أمه وهو حَمَلٌ فَشَقَّ بطنها وأخرج فسَمَّى بذلك لما فيه من الشق عليه ، وقيل يوليوش قَيْصَرُ ، وهو الذي ملك بعد أغانيوش المقدم ذكره ، وقيل أغشطش قَيْصَرُ وهو الذي وُلِدَ المسيح عليه السلام في زمانه ، فقد قيل إنه الذي مات أمه وهو حَمَلٌ فَشَقَّ جوفها وأخرج فسَمَّى بذلك ، وقيل لأنه وُلِدَ وله شَعْرٌ نائمٌ فسَمَّى قَيْصَرُ لوجود الشعر فيه حينئذ .

حرف الجيم

(جَائِعُ الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ) من الألقاب التي تصلح لكل ملك [مملكة] متسعة على ساحل البحر كما صاحب القسطنطينية ونحوه .

حرف الحاء المهملة

(حَافِظُ الْبِلَادِ الْجَنُوبِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملك الحبشة من النصارى . على أنه يصلح لغيره من ملوك السودان أيضا ممن أخذ في الجنوب من المسلمين وغيرهم .

(حَامِلُ رَايَةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، وهي تصلح لكل ملك كبير من ملوك النصارى ، والمراد بالمسيحية الملة المسيحية ، فحذف

الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ، يريدون ملة المسيح وهو عيسى عليه السلام .
وَأَخْتَلَفَ فِي [سبب] تسميته بِالْمَسِيحِ : فقيل لأنه كان مَسُوحَ الْقَدَمَيْنِ بمعنى أنه لا أخصص
له . وقيل لأنه مَسَحَ الْأَرْضَ بِالسَّيَّاحَةِ ، وقيل غير ذلك . أما تسمية النِّجَالِ بِالْمَسِيحِ
فلأنه مَسُوحُ الْعَيْنِ لأنه أعور . وقيل لأنه يَمْسَحُ الْأَرْضَ بالسَّيْرِ فيها .

(حَامِي الْبَحَارِ وَالْخَلْجَانِ) من الألقاب التي تصلح لكل مَنْ مَلَكَتْهُ مِنْهُمْ عَلَى
البحر ، وَالْبَحَارُ جمع بَحْرٍ ، وأصله في اللغة الشَّقُّ ، ومنه سُمِّيَتِ الْبَحِيرَةُ الْمَذْكُورَةُ
في القرآن : وَهِيَ النَّاقَةُ الَّتِي تُشَقُّ أَذْنُهَا فَرُسَلٌ فَلَا تُعَارِضُ ؛ وَالْخَلْجَانُ جمع خَلِيجٍ
وهو الْجَدُولُ الصَّغِيرُ ، والمراد ما يَتَشَعَّبُ مِنَ الْبَحْرِ تَخْلِيجَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَجُودِ
الْبَنَادِقَةِ وَنَحْوِهَا .

(حَامِي مَحَامَةِ بَنِي الْأَصْفَرِ) من الألقاب التي تصلح للملوك الرُّومِ وَالْفَرَجِ بِالْمَحَالِكِ
الْعِظَامِ : كصاحب الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ وَغَيْرِهِ ، والمراد بَنِي الْأَصْفَرِ الرُّومُ فَإِنَّهُمْ مِنْ وَلَدِ
صُوفَرِ بْنِ الْعِيصِ ، بنِ إِسْحَاقَ ، بنِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالْمُؤَرِّخُونَ يَعْبُرُونَ عَنْ
صُوفَرٍ بِالْأَصْفَرِ . وَإِنَّمَا خَصَّهُ بِمَحَامَةِ الْحِمَاةِ تَضَخُّيًا لَهُ فَإِنَّهُ إِذَا جِيءَ الْحِمَاةُ كَانَ بِمَحَامَةِ
غَيْرِهِمْ أَجَدَرُ .

حرف الخلاء المعجمة

(خَالِصَةُ الْأَصْبِقَاءِ) من الألقاب التي أصطلح عليها للملوكهم ، والمراد بِالْخَالِصَةِ
هَذَا مَنْ لَيْسَ فِي صِدَاقَتِهِ شَائِبَةٌ .

(خَلَّاصَةُ مُلُوكِ الشَّرْيَانِ) من الألقاب التي تصلح لكل مَنْ يُنْسَبُ إِلَى بَقَايَا
الشَّرْيَانِيِّينَ مِنَ الْمُلُوكِ . وَالشَّرْيَانُ أَقْدَمُ الْأُمَمِ فِي الْخَلِيقَةِ ، وَكَانُوا يَلْبَسُونَ بَدِينِ
الصَّابِئَةِ ، وَيُنْسَبُونَ إِلَى صَابِيَّ بْنِ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . قَالَ ابْنُ حَرَمٍ : وَدِينُهُمْ

أقدم الأديان على وجه الأرض، ومدارُ مذاهبهم على تعظيم الروحانيات والكواكب، وكانت منازلهم أرض بابل من العراق . قال المسعودي : وهم أول ملوك الأرض بعد الطوفان .

حرف الذال المعجمة

(ذُئِرَ ملوك البحار والخلج) من الألقاب التي تصلح لكل ملك منهم على ساحل البحر، وقد تقدم معنى الذئير والبخار، والخلج هي الخُلجان، وقد تقدم معناها .
(ذُئِرَ الأمة النصرانية) من الألقاب التي تصلح لجميع ملوك النصرانية من الملكانية واليعاقبة، وقد تقدم معنى الذئير والأمة في الكلام على الألقاب الإسلامية .

حرف الراء المهملة

(رَضِيَ الباب باباً رومية) يجوز أن يكون بفتح الراء وكسر الضاد بمعنى مرضى الباب، ويجوز أن يكون بكسر الراء وفتح الضاد بمعنى أنه يُعْمَلُ نفس رضى الباب وهو أبلغ . وهو من الألقاب التي أصطلح عليها الملوكهم، وقد تقدم في الألقاب الأصول معنى البابا، ورومية اسم رومية التي بها الباب مقيم، إضافة إليها لإقامته بها، وقد مر القول عليها في الكلام على المسالك والممالك في المقالة الثانية، وتأتي الإشارة إليها في الكلام على مكتبة الباب في المقالة الرابعة إن شاء الله تعالى .

(رُكُنَ الأمة العيسوية) من الألقاب التي أصطلح عليها لكبار ملوكهم كملك الحبشة ونحوه، ويصلح للكانية واليعاقبة جميعاً .

حرف الشين المعجمة

(شَيْهٌ مَرِيحُنَا الْمَعْمَدَانِ) من الألقاب التي تصلح ل كبار ملوكهم ، ومَرِيحُنَا بفتح الميم ومسكون الراء المهملة وضم الياء المثناة تحت وبداها حاء مهملة ونون . ومعنى مَر السيد ، وَيَحْنَا بفتحهم يحيى ، والمراد شيه السيد يحيى ، والمعمدان بيمين مفتوحين بينهما عين مهملة صفة عندهم يحيى فهم يُرْعَوْنَ أن مريم عليها السلام خرجت بعينى عليه السلام من الشام إلى مصر وعادت به إلى الشام وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، فلقاه يحيى عليه السلام وهو ابن خالته ، فمسه في نحر الأُردن ، وهو عندهم أصل ماء المعمودية الذي لا يصح عندهم تنصير نصرائي إلا به فأطلقوا على يحيى عليه السلام المعمدان لمعنى ذلك ، وكأنه شبهه به من حيث إنه أصل المعمودية بزعمهم .

حرف الصاد المهملة

(صَدِيقُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، والمراد أن فيه صداقةً ووداً للملوك الإسلام وسلاطينهم .

حرف الضاد المعجمة

(ضَائِعُ الْمَالِكِ الرُّومِيَّةِ) من الألقاب التي أصطلح عليها لصاحب القُسطنطينية ، وهو نظير حافظ البلاد الجَنُوبِيَّةِ لَمَلِكِ الْحَبَشَةِ .

حرف الظاء المعجمة

(ظَهِيرُ الْبَابِ بَاباً رُومِيَّةً) من الألقاب التي أصطلح عليها لملوكهم ، وقد تقدم معنى الباب والبابا .

حرف العين المهملة

(عَنِ الْمِلَّةِ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أُصطلح عليها لأكابر ملوكهم .
(عَمَادُ بَنِي الْمَعْمُودِيَّةِ) من الألقاب التي أُصطلح عليها لكبار ملوكهم ، والعِمَادُ
في اللغة الأُيُوتَةُ الرفيعة ، يَذْكُرُ وَيُؤَنِّثُ ، وقد مرَّ بيانُ معنى المعمودية في حرف الشين .

حرف الفاء

(فَارِسُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) يصلح لمن يكون مجاوراً للبر والبحر من الملوك كأصحاب
الجزائر ، وقد يصلح لغيرهم أيضاً .
(فَخَّرَ الْمِلَّةَ الْمَسِيحِيَّةَ) من الألقاب التي أُصطلح عليها لملوكهم ، وتصلح للليكانيين
والبعاثية منهم .

حرف الميم

(مُتَّبِعُ اخْوَارِيَّيْنَ وَالْأَخْبَارِ الرَّائِيَّيْنَ وَالْبَطَارِكَةِ الْقِدِّيسِينَ) من ألقاب غطاء
ملوكهم ، والمراد بالخوااريق أصحاب عِمَى عليه السلام الذين بشتم إلى أقطار
الأرض للبشارة به وللدعاية إلى الله تعالى ، وعنهم أخبر تعالى بقوله :
(قَالَ الْجَوَارِيُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) وهم أَشْبَا جَثَرَنَفْسًا أَسْمَاءُهُمْ يُوتَانِيَّةٌ .
أحدُهم — بطرس ، ويقال له تَتِمُّونَ الصَّفا ، وهو الذي بَشَّرَ الْقُدُّوسَ
وَأَنْطَلِكَةَ وما حولها .

والثاني — أندراوس . وهو الذي بَشَّرَ بِلِلادِ الْجَهَنَّمَةِ وَالسُّودَانِ .

والثالث — يَسْقُوبُ بْنُ زَبْرِي . وهو الذي بَشَّرَ بِمَلِيَّةٍ (١)

(١) يابض في الأصول .

والإباص — يوحنا الإنجيلي . وهو الذي بشر ببلاد أفسس وما معها .
والخامس — فيليس . ولم أقف على موضع بشارته .
والسادس — برثلؤما . وهو الذي بشر في الواحات والبربر .
والسابع — ثوما ويعرف بثوما الرسول . وهو الذي بشر في السند والهند .
والثامن — مثنى . وهو الذي بشر بأرض فلسطين ، وصُور ، وصيدا ،
ومصر ، وقوطاجنة من بلاد المغرب .
والتاسع — يعقوب بن حلفا . وهو من بشر ببلاد الهند أيضا .
والعاشر — سمعان ويقال سمعون الصفا . وهو الذي بشر في شمشاط وحلب
ومتيح وزيطية : وهي القسطنطينية .
والحادى عشر — بولس ويقال له تلاوس ، وهو الذي بشر بدمشق والقدس
أيضا وبلاد الروم والجزائر ورومية .
والثاني عشر — يهوذا الاخرثيوطي : وهو الذي خرج عن طاعة المسيح ودل
عليه اليهود ليقتلوه فآلئى الله تعالى شبه المسيح عليه فأمسكه اليهود وقتلوه وصلبوه
ورفع الله تعالى المسيح إليه ، وليس هذا من المراد بالحواريين هنا : لأنه قد خرج عن
دائرتهم . فلفظ الحواريين مأخوذ من الحور وهو شدة البياض ، ثموا بذلك لصفاتهم
وتفانيهم في اتباع المسيح عن السخّل ، وقيل لأنهم كانوا في الأقل قصارين يذبّون
التياب .

والأخبار جمع خبر — بفتح الحاء وكسرها وهو العالم .
والربانيون جمع رباني وقد تخدم معناه في الألقاب الإسلامية .
والبطاركة جمع بطرك وقد تخدم الكلام عليه في الألقاب الأصول وأن أصله
بطريك ، وأنه يقال فيه فطرك بالفاء بدل الباء ، وكان لهم خمسة كراسى : كرسى برومية ،

وهو الذى قعد فيه الباب، وكرسى الإسكندرية: وهو الذى استقر لبطرك يعقوبية الآن، وكرسى بيزنطية وهى القسطنطينية، وكرسى أنطاكية وكان فيه بطرك النسطورية، وكرسى بالقدس وهو أصغرهما عندهم .

(غنى طرُق الفلاسفة والحكام) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لأن مملكته منبج حكام اليونان وفلاستقهم . والفلاسفة جمع فيلسوف بكسر الفاء وهى لفظ يونانى مرآب من مضاف ومضاف إليه، معناه: نحب الحكمة، فقطف فيل بمعنى عب، وسوف بمعنى الحكمة، وهم يطلقون الفلسفة على من يحيط بالعلوم الرياضية . وهى : الهيئة والهندسة والحساب والمخون وغيرها . والحكام جمع حكيم، وهو من يمين دقائق الصناعات ويقتنها أو من يتعاطى الحكمة، وهى معرفة أفضل الأشياء وأفضل العلوم، وأول ما صارت الحكمة فيهم فى زمن بختنصر، ثم أشتربت فيهم بعد ذلك، ولذلك صبر بالفلاسفة القدماء إشارة إلى أول زمن الحكام .

(تحوّل الثخوت والتيجان) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لمظم مملكته فى القديم والحديث، والحقول المملك، والثخوت جمع تخت وهو كرمى المملك الذى يجلس عليه الملك فى مجلسه المام؛ والتيجان جمع تاج وهو الذى يوضع على رأس الملك إذا جلس على تخته، والمعنى أنه يعطى الملوك الممالك من تحت يده لسعة مملكته وعظميا، وقد كانت القسطنطينية قبل غلبة الفرنج وقوة شوكتهم ملكا عظيا .

(مسيح الأبطال المسيحية) من الألقاب التى أصطلح عليها لأكابرمؤلوهم كصاحب القسطنطينية . أضاف المسيح إلى الأبطال ثم وصفها به جمعا له نين رتبتي الشجاعة والتدين بنيه .

(مُصَافِي الْمَسْلَمِينَ) من الألقاب التي أُصطلح عليها لمُلوكلهم، والمُصَافِي مفاعِل من الصَّفاة، والمراد أنه صافى النية للمسلمين والمسلمون صافوا النية له .

(مُعِزَّ النَّصْرَانِيَّةِ) من الألقاب التي أُصطلح عليها لأكابر ملوكهم، والمراد بالنصرانية ملة النصرانية، حنف الموصوف وأقام الصفة مقامه، والنصرانية في الأصل منسوبة إلى الناصرة وهي القرية التي نزل المسيح وأمه عليهما السلام من بلاد القدس عند عودهما إلى مصر، وقيل مأخوذة من قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِيزُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ .

(معظم البيت المقدس) من الألقاب التي أُصطلح عليها لمُلوكلهم، وربما زيد فيها قليل «معظم البيت المقدس بمقد النية» لموافقة الروى في السجعة التي تقرأها؛ ويصلح لكل ملك من ملوكهم لأن جميعهم يعتقدون تعظيم البيت المقدس، والبيت المقدس معروف، والتقدير التزيه والتطهير .

(معظم كنيسة صهيون) من الألقاب المختصة بملك الحبشة لأنه يقوى، وكنيسة صهيون بالإسكندرية : وهي كنيسة بطررك اليعاقبة الآن، ومعتقدهم أنه لا يصح ولاية ملك منهم الا باتصال من هذا البطررك، على أنه في ابتداء البطرركية في زمن الخواريين لم يكن بكرسى الإسكندرية أحد من الخواريين، إنما كان بها مرقس الإنجيلي تلميذ بطرس الخوارى صاحب كرسى رومية، والنصارى يومئذ على طريقة واحدة قبل ظهور الملكية واليعقوبية، فلما افرق دين النصرانية إلى الملكية واليعاقبة وغيرهم، كانت بطركية الإسكندرية يتداولها الملكية واليعقوبية تارة وتارة بحسب انتقال الملوك والميل إلى كل من المذهبين، ثم استقرت آخرًا في بطرك اليعاقبة إلى زماننا، وتبعه ملوك الحبشة لا تتحلم مذهب اليعاقبة، كتابع الروم والفرنجية الباب

برومية : لانتظام منعب المَلِكَانِيَّة، وسيأتى الكلام على طَرَف من ذلك فى الكلام على مكتبة ملك الحبشة إن شاء الله تعالى .

(مَلِكُ مَلُوكِ السُّرْيَانِ) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية لعظَّمته عندهم ، وقد تقدم ذكر السُّرْيَانِ فيما قبل .

(مُؤَادُ السَّامِينِ) من الألقاب التى أصطلح عليها للملوكهم ، وهو بتشديد الدال أخذنا من المؤدَّة .

(مُؤَيَّدُ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التى أصطلح عليها للملوكهم ، والمُؤَيَّدُ المقوَّى ، والمراد بالمسيحية الملة المسيحية كما تقدم بيَّانه ، وربما قيل «مُؤَيَّدُ الْمَيْسُويَّةِ» : والأمر فهما كذلك .

حرف النون

(نَاصِرُ الْمِلَّةِ الْمَسِيحِيَّةِ) من الألقاب التى أصطلح عليها لأَكْبَرِ ملوكهم ، وقد تقدم معنى هذه الألقاب فى مواضعها .

حرف الواو

(وَارِثُ التَّيْجَانِ) من الألقاب التى أصطلح عليها للملوكهم . وقد تقدم معنى التَّيْجَانِ ، والمراد أنه انتقل إليه الملكُ وراثته من آبائه .

(وَارِثُ آبَائِهِ فى الأُسْرَةِ وَالتَّيْجَانِ) من الألقاب التى أصطلح عليها لمن يكون عريقاً فى الملك ، وهو قريب من اللَّقَبِ الذى قبله .

(وَارِثُ الْقِيَاصَةِ الْعُظْمَى) من الألقاب التى أصطلح عليها لصاحب القسطنطينية التى هى قاعدة الْقِيَاصَةِ ، وقد تقدم أوَّلُ مَنْ سُمِّيَ قيصراً فيما سلف من الألقاب .

الضرب الثاني

(من ألقاب أهل الكفر الألقاب المؤنثة: بأن يكون القلب الأصل مؤنثاً

فتنوع الألقاب الفروع في التأنيث، ولها حالتان)

الحالة الأولى — أن يكون القلب الأصل لمؤنث غير حقيق كالْحَضْرَة مثلا ،
فترد ألقابه مؤنثة ، وفي الغالب إنما يقع التأنيث في القلب الأقوي ثم ينتقل إلى
الألقاب المذكورة ، مثل أن يقال : « الْحَضْرَة الْعَالِيَة أو السامية أو العلية ، حضرة
الملك الجليل » ويؤتى بما يناسبه من الألقاب بعد ذلك ، وربما أتى بالحضرة بلقبين
فاكثر طلبا للتضخيم ، ثم يُعَدَّل إلى الألقاب المذكورة ، مثل «الحضرة العلية المكرمة»
ثم يقال « حضرة الملك الجليل » وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون القلب الأصل لمؤنث حقيق بأن يكون لامرأة كما إذا
كانت ملكة في بعض ممالكهم ، على قاعدة الأعاجم في استناد الملك إلى بنات الملوك ،
فيؤتى بألقابها المفردة والمركبة مؤنثة ، فيكتب مثلا «الملكة الجليلة المكرمة المبجلة
الموقرة الفخمة المعززة فلانة العادلة في مملكتها ، كبرية دين النصرانية ، نصرة الأمة
المسيوية ، حامية الثغور ، صديقة الملوك والسلاطين» وما أشبه ذلك ، ومعاني هذه
الألقاب معلومة مما تقدم .

قلت : قد أتيت من ألقاب أهل الإسلام وألقاب أهل الكفر : المفردة
والمركبة على ما تضمنته «التعريف بالمصطلح الشريف» للفر الشهابي بن فضل الله ،
و«حرف التعريف» في الإخوانيات له ، و«تثقيف التعريف» للقاضي تقي الدين
آبن ناظر الجيوش إلا ما شرد عنه القلم ، مع ما ضمنته إلى ذلك مما وجدته في غيرها من

الديماير المجموعة في السلطانيات والإخوانيات المصرية والشامية جارياً على عُرْفهم بما استعمله أهل الزمان ومن قاربه ؛ والكاتب الماهر إذا فهم أصلها وعرف طرقها، اخترع ماشاء من الألقاب والتعوت ؛ والضابط في وضع الألقاب أن يراعى فيها أحوال المكتوب له ، فيؤتى منها بما يناسب حاله في الوظيفة والرياسة وسائر أوصاف المُنح اللائقة به ؛ فيؤتى لصاحب السيف بالألقاب المقتضية للشجاعة والبسالة : مثل المجاهدى والمُتَغَرِّى والمُرابِطى وما أشبه ذلك . وربما أُضيف له بعض الألقاب المقتضية للعلم والصلاح ، كالعالمى والعاملى ونحو ذلك ، لاشتراك الناس في المُنح يمثل ذلك . ويؤتى للعالم والقاضى ونحوهما بالألقاب المقتضية للعلم كالعالمى والمحققى والمدقق ونحو ذلك . وربما أُضيف إليها الألقاب المقتضية للصلاح لتتدح العلماء به . ويؤتى للصوفية وأهل الصلاح بالألقاب المقتضية للصلاح والتعبّد كالمابدى والزاهدى ونحوهما . ويؤتى لكُتّاب الإنشاء بالألقاب المقتضية للبلاغة كالبلّغ والمُفَوِّى ونحوهما . ويؤتى للنساء بالألقاب المقتضية للصيانة والعفة كالمصونة والحجّبة وما أشبههما . ويؤتى لأهل الكُفْر من الملوك ونحوهم بما لاحتجّ فيه على الكاتب : كالشجاعة وما في معناها ، والتقدّم على ملوك طاقته وأهل ملته وما في معنى ذلك . فإن اجتمع في شخص واحد أوصاف متعدّدة من المُنح جُمِعَتْ له . على أن أكثر ما يستعمله الكُتّاب من الألقاب غير موجودة في ضاحبها ، وإنما هي ألقاب حَفِظُوهَا لِرَبِّ مَعِينَةٍ لَا يَسْعُهُمُ الْإِخْلَالُ بِنِشْءِ مِنْهَا وَإِنْ كَانَتْ كَذِباً عَصَا (إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) . وقد كان في التّقديم قاعدةٌ مستقرّةٌ : وهو أنه لَا يَلْقَبُ أَحَدٌ بِلَقَبٍ وَلَا يُكْنَى بِكُنْيَةٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْخَلِيفَةُ هُوَ الَّذِى يَلْقَبُ بِذَلِكَ أَوْ يَكْنَى .

الجملة السابعة

(في تفاوت الألقاب في المراتب ، وهي قسمان)

القسم الأول

(ما يقع التفاوت فيه بالعبود والمهبط ، وهو نومان)

النوع الأول

(ما يقع التفاوت فيه بحسب القلة والكثرة ، وله حالتان)

الحالة الأولى — أن يكون المكتوب إليه من أتباع المكتوب عنه ، كقواب السلطنة فيما يكتب عن الأبواب السلطانية من مكاتبات وولايات ، فزيادة الألقاب وكثرتها في هذه الحالة طَوُّ وشرف في حق المكتوب إليه ، لأنها من باب المدح والإطراء ، ولا شك أن كثرة المدح من المتبوع للتابع أصل من قلة ، ولذلك تقع الإطالة في ألقاب كبار الثواب والاختصار في صغارهم ، وتأتي في غاية الاختصار في نحو ولاية النواحي ومن في معانهم .

الحالة الثانية — أن يكون المكتوب له أجنبياً عن المكتوب عنه ، كالملك الذين يكتب إليهم المكاتبات عن السلطان ، فقلة الألقاب في حقه أرفع لأن الإكثار من ذلك يرى أنه من باب الملقى المذموم بين الأكابر في المكاتبات فوجب تجنبه كما يجب تجنب المدح وكثرة الساء ، ولذلك يقع الاختصار في الألقاب فيما يكتب لهم عن السلطان إنجلالا لقدرهم عن رتبة رعاياه الذين يكثر من ألقابهم .

النسب الثاني

(ما يقع فيه التفاوت في التلوّ والهبوط بحسب ما يقتضيه جوهر اللفظ

أو ما وقع الاصطلاح عليه . وهو صنفان)

الصنف الأول

(اللقاب المفردة . وهي على أربعة أنماط)

النمط الأول

(الصواع)

وهي التي تلي الألقاب الأصول كآتي تلي المقام والمقر والجناب والمجلس ؛ فيلي المقام لفظ الأثير ولفظ الشريف ولفظ العالی ، فالمقام يقال فيه « المقام الأشراف العالی » و « المقام الشريف العالی » و « المقام العالی » . ويلي المقر لفظ الأشراف ولفظ الشريف ولفظ الكريم ولفظ العالی ، فيقال « المقر الأشراف العالی » و « المقر الشريف العالی » و « المقر الكريم العالی » و « المقر العالی » . ويلي الجناب لفظ الكريم ولفظ العالی ، فيقال « الجناب الكريم العالی » و « الجناب العالی » . ويلي المجلس لفظ العالی والسامی ، فيقال « المجلس العالی » و « المجلس السامی » . والألفاظ التي تتبع وهي الأشراف والشريف والكريم والعالی والسامی بعضها أرفع من بعض على الترتيب . فالأشراف أرفع من الشريف ، لأن أشراف أفضل تفضيل يقتضى الترجيح على غيره كما هو مقرر في علم النحو ؛ والشريف أرفع رتبة من الكريم لما تهتم عن ابن السكيت أن الكريم يكون في الرجل وإن لم يكن له آباء شرفاء ، والأشراف لا يكون إلا لمن له آباء شرفاء . ومقتضى ذلك ترجيح الشريف على الكريم لاقتضائه الفضل في نفس الشخص وفي آبائه ، بخلاف

الكرم ، ولذلك اختير الشرف لأبناء فاطمة رضى الله عنها دون الكرم . والكرم
أرفع رتبة من العالى ، لأن الكرم يحتل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف اللؤم
ويحتل أن يكون من الكرم الذى هو خلاف البخل وكلاهما مقطوع بأنه صفة
مدح ، وإن الأقرب إلى مراد الثعلب للمعنى الأول . والعالى يحتل أن يكون
من على بكسر اللام على بفتحها علاه بفتح العين والمذ إذا شرف ، ويحتل أن
يكون من علا يعلو علوا إذا ارتفع فى المكان ، وليس الملو فى المكان مما يدل على
صفة المدح إلا أن يستمار للأرتفاع فى الشرف فيكون صفة مدح حيثل على
سبيل المجاز وإن كان مراد الثعلب هو المعنى الأول ؛ وما كان مقطوعا فيه بالمدح
من الجانبين أعلى مما يكون مقطوعا فيه بالمدح من جانب دون جانب . وقد
أصطلحوا على أن جعلوا العالى أرفع رتبة من السامى ، وهو مما أنكر على واضعه ،
إذ لافرق بينهما من حيث المعنى ، لأن السمو بمعنى الملو . والذى يظهر أن الواضع
لم يجهل ذلك ولعله إنما جعل العالى أرفع رتبة من السامى وإن كان بعينه لأن
العالى لفظ واضح المعنى يفهمه الخاص والعام ، فيكون المدح به أعم باعتبار من
يفهمه ، بخلاف السامى فإنه لا يفهم معنى الملو منه إلا الخاصة ، فيكون المدح به
أخص لاكتنصار الخاصة على معرفته دون العامة .

النمط الثانى

(ما يقع التفاوت فيه بحسب حقوق ياء النسب ويجزئه منها)

قد تقدم أن الألقاب المفردة منها ما تلحق به ياء النسب ومنها ما يتجرد عنها ،
وأن الذى تلحقه ياء النسب منها ما هو منسوب إلى شئ خارج عن صاحب
اللقب كالتفضائى فإنه منسوب إلى القضاء الذى هو نفس الوظيفة ، فيكون النسب

فيه على بابِه ؛ ومنه ما هو منسوب إلى صاحب اللقب نفسه كالإميرى فإنه نسبة إلى الأمير وهو عين صاحب اللقب فدخلت فيه ياء النسب للمبالغة ، كما في قولهم لشديد الحمرة أحمرى على ما تقدم بيانه .

وبالجملة فقد اصطَلَحُوا على أن يكون ما لحِقَتْ به ياء النسب أرفع رتبة مما تجرد عنها ، سواء كان منسوباً إلى نفس صاحب اللقب أو غيره ، فيجعلون الإميرى أعلى رتبة من الأمير ، والقضائى أرفع رتبة من القاضى ؛ ثم يجعلون المنسوب إلى نفس صاحب اللقب أرفع رتبة من المنسوب إلى شيء خارج عنه ؛ ومن أجل ذلك جعلوا القاضوى أرفع رتبة من القضائى . أما كون ما لحِقَتْ به ياء النسب أرفع رتبة من المجرد عنها فظاهر : لأن المبالغة تقتضى الرفعة ضرورة ؛ وأما كون المنسوب إلى شيء آخر غير المنسوب إليه يقتضى الرفعة وإن لم يكن فيه مبالغة ، فلإلحاق بما فيه المبالغة استطراداً ، فلا يتيسر الحلُّ في النسبتين على الضعيف الفهم فلا يفرق بين ما هو منسوب إلى هذا وبين ما هو منسوب إلى ذلك . على أنهم لم يَقِفُوا مع الحكم في كون ما دخلت عليه ياء النسب أرفع مما لم تدخل عليه فقد استعملوا الأجل ونحوه في الألقاب السلطانية التي هي أعلى الألقاب ، فقالوا «السلطان الأجل العالم العادل» إلى آخر ألقابه المقدَّمة من غير إلحاق ياء النسب بها ؛ ثم استعملوا مثل ذلك في ألقاب السامى بغير ياء لما دونه مما هو أدنى الألقاب رتبة . وكأنهم اكتفوا بمكانة السلطان من الرفعة عن المبالغة في ألقابه بإلحاق ياء النسب ، من حيث إن العرف لا يحتاج إلى تعريف .

(١) أى إلى المبالغة كما يفيد التليل بعد .

النمط الثالث

(ما يقع التفاوت فيه بصيغة مبالغة خبرياً بالنسب)

فيكون أرفع رتبةً لمعنى المبالغة كما في الكفيل فإنه أرفع رتبةً من الكافل ، لأن صيغة فعيل أبلغ في المعنى من صيغة فاعل من حيث إن فعلاً لا يصاغ إلا من فعل بضم العين إذا صار ذلك الفعل له صيغة ، كما يقال كرم فهو كريم وعظم فهو عظيم وسلم فهو حليم ، بخلاف فاعل ، ومن أجل ذلك كان لفظ فقيه أبلغ من لفظ فاقه لأن فاقه يصاغ من فقه بكسر القاف إذا فهم ، ومن فقه بفتحها إذا سبق غيره إلى الفهم . وفقيه إنما يصاغ من فقه بضمها إذا صار الفقه له صيغة كما مر القول عليه في الكلام على الفقيه والفقير في الألقاب الإسلامية المفردة .

النمط الرابع

(ما يقع فيه التفاوت بحسب ما في ذلك اللقب من اقتضاء

التشريف لعلو متعلقه ورفعته)

كالمهدي والمهدي ، فإن المراد مهدي النول ومشيئ الممالك على مامر في الألقاب المركبة ، فإن من يتبى في الرتبة إلى تهديد النول وتهديد الممالك فلا نزاع في أنه من علو الرتبة بالمكان الأرفع ، وكذلك ما يتجرى هذا المجرى كالمديري بالنسبة إلى الوزراء ومن في معناهم ، والمحقق بالنسبة إلى العلماء ، والأصيل بالنسبة إلى العريق في كرم الأصل ونحو ذلك .

الصف الثاني

(الألقاب المركبة، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يترتب بعضه على بعض لقباً بعد لقب، وله اعتباران)

الاعتبار الأول

(أن يشترك في رعاية الترتيب أرباب السيوف والأقلام وغيرهم، وهو على ثلاثة أنماط)

النمط الأول

(ما يضاف إلى الإسلام، وله ثلاثة أحوال)

الحال الأول — أن يكون ذلك في ألقاب أرباب السيوف . وقد أصطلح المقرئ الشهابي بن فضل الله على أن جعل أعلاها ركن الإسلام والمسلمين فذكر ذلك في المكتبة إلى النائب الكافل، ومكانته يومئذ بالجناب الكريم؛ ثم أبدل الكُتاب ذلك بعده بغير الإسلام والمسلمين، وجعلوه مع المكتبة إليه بالمقر الكريم على ما استقر عليه الحال آخراً في المكتبة إلى النائب الكافل ونائب الشام، وجعلوا دون ذلك عن الإسلام والمسلمين فأوردوه مع الجناب الكريم والجناب العالي على ما استقر عليه مصطلحهم في السلطانيات . وجعل في "عرف التعريف" في الإخوانيات عن الإسلام والمسلمين أعلى الألقاب فأورده في ألقاب المقر الشريف، ثم طرده فيما بعد ذلك من المقر الكريم والمقر العالي ولم يمتد إلى ما بعد؛

ثم جعل دُونَهُ مجد الإسلام والمسلمين ، فأورده مع المجلس السالى مُطلقاً مع الدماء وصَدَرَتْ ؛ ثم جعل دُونَ ذلك مجد الإسلام قَطُّ من غير عطف المسلمين عليه ، فأورده في المجلس السامى بالياء والسامى بغير ياء ، ولم يَمُدَّهُ إلى مجلس الأمير بل أحاضه بمجد الأمراء على ما سيأتى ذكره ، وتابعه على ذلك في التتقيف .

الحال الثانى — أن يكون ذلك في ألقاب الوزراء من أبواب الألقاب ومن في معانهم ككتاب السر ، وناظر الجيش ، وناظر الخالص من دُونهم من الكُتُب . وقد ذكر المَقَرُّ الشَّهَابِيُّ بنُ فضل الله في بعض دساتيره السامية أن أعلها لهم ركن الإسلام والمسلمين ، وجعل في "عريف التعريف" أعلها للوزراء صلاح الإسلام والمسلمين ، وإن في معنى الوزراء عز الإسلام والمسلمين ، ووجلال الإسلام والمسلمين وأورد ذلك مع المَقَرُّ الشريف وما بعده : من المَقَرُّ الكريم ، والمَقَرُّ العالى ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، وجعل دُونَ ذلك مجد الإسلام مجرداً عن عطف المسلمين عليه ، وأورده مع المجلس العالى ، والمجلس السامى .

أما تخصيص صلاح الإسلام والمسلمين بالوزراء، وعز الإسلام والمسلمين ووجلال الإسلام والمسلمين بمن في معانهم فلأن الصلاح فيه معنى السداد والقصد، والعز والجلال فهما معنى العظمة والهيبة ؛ ولا شك أن وظيفة الوزارة التى متأكها تدبير المُلْك بالصلاح أجدر ؛ على أنه اذا حصل الصلاح تبعته العظمة والهيبة ضرورة . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام ، فلا مَرِين أحدهما أن الجلال بهمنى العظمة والمجد بمعنى الشرف والعظمة أبلغ من الشرف لما في العظمة من نقاذ الكلمة . والثانى أن الإضافة في جلال الإسلام والمسلمين في المعنى إلى شيئين وفي مجد الإسلام إلى أحدهما .

الحال الثالث — أن يكون في ألقاب القضاة والعلماء ، وقد جعل في "عُرف التعريف" أعلها حجة الإسلام أوضياء الإسلام، فأوردهما مع الجَناب الشريف الذي هو عنده أعلى الرُتب لهذه الطائفة ، وجعل دُون ذلك جهاء الإسلام فأورده مع الجَناب الكريم ، وجعل دُونه مجد الإسلام فأورده مع المجلس العالي والسامي بالياء وبغير ياء .

أما كون حجة الإسلام وضياء الإسلام أعلى رتبة من مجد الإسلام فلأن الحجة في اللغة بمعنى البُرهان وهو الدليل القاطع ، وبه تستقر قواعد الإسلام ومبانيه؛ والضياء في أصل اللغة خلاف الظلمة؛ ثم استعير للهداية وما في معناها، ولا شك أن الوصف بهذين الأمرين أبلغ من الوصف بالمجد الذي هو بمعنى الشرف .

الحال الرابع — أن يكون في ألقاب الصلحاء، وقد جعل في "عُرف التعريف" أعلها صَلَاح الإسلام وأورده مع الحفزة، ومع الجَناب الشريف، والجَناب الكريم، وجعل دُونه جَلال الإسلام وأورده مع الجَناب العالي، ودونه ضياء الإسلام وأورده مع المجلس العالي، وجعل دونه جلال الإسلام فأورده مع المجلس السامي بالياء فسادُونه .

أما كون صَلَاح الإسلام والمسلمين أعلى من جَلال الإسلام والمسلمين فقد تقدم بيأته . وأما كون جلال الإسلام والمسلمين أعلى من ضياء الإسلام والمسلمين فلأن الجَلال معناه العظمة وهي أعلى من الضياء على ما فيه من التصف .

النمط الثاني

(من الألقاب المرتبة ما يُضاف إلى الأمراء والوزراء ونحوهم ،
من أرباب المراتب السنية ، وهو على الأحوال الأربعة
المتقدمة الذكر فيما يُضاف إلى الإسلام)

الحال الأول — أن يكون في ألقاب أرباب السيوف . قد جعل
في "عرف التعريف" أعلاها سيد الأمراء في العالمين ، وأورده مع المقتر الشريف ،
والمقر الكريم ، والمقر العالي . وجعل دونه سيد الأمراء المقتامين ، وأورده
مع الجنتاب الشريف ، والجنتاب الكريم ، والجنتاب العالي . ودونه شرف الأمراء
المقتامين ، وأورده مع المجلس السالى والدعاء . ودونه شرف الأمراء في الأنام ،
وأورده مع السامى بالياء . ودونه زين الأمراء المجاهدين ، وأورده مع السامى
بغير ياء . ودونه مجد الأمراء ، وأورده مع مجلس الأمير .

والذى في "التتيف" بعد سيد الأمراء في العالمين سيد أمراء العالمين ، وأورده مع
الجنتاب العالي ، ودونه شرف الأمراء في العالمين ، وأورده مع المجلس العالي والدعاء .
ودونه شرف الأمراء المقتامين ، وأورده مع صدرت العالي . ودونه شرف الأمراء
قطر ، وأورده مع السامى بالياء . ودونه نحر الأمراء ، وأورده مع السامى بغير ياء .
ودونه مجد الأمراء ، وأورده مع مجلس الأمير . ولا يفتى ما بينهما من الاختلاف .
ولا مشاحة في الاصطلاح بعد فهم المعنى ، ولا نزاع في أن الترتيب الذى
في التتيف أحسن . وإذا تأملت ذلك وعرضته على ما تهتم من التوجيه في النمط
الأول ظهر لك حقيقة ذلك .

الحال الثاني — أن يكون في ألقاب الوزراء ومن في معانهم . فقد ذكر
في "عرف التعريف" أن أعلاها للوزراء سيد الوزراء في العالمين ، ولن في معانهم

من كاتب السر ونحوه سيّد الكبراء في العالمين ، وأورد ذلك مع المَقَرّ الشريف ، والمَقَرّ الكريم ، والمَقَرّ العالي ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالي ، وجعل دونه لمن دون هؤلاء من الكُتّاب نحر الأئام ، وأورده في المجلس العالي والدعاء مع ما بعده .

الحال الثالث — أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء .

وقد جعل في "عرف التعريف" : أعلّاه شرف الأئام . وأورده مع الجناب الشريف الذي جعله أعلى المكتّبات لم ، ومع الجناب الكريم والجناب العالي وجعل دونه نحر الأئام ، فأورده مع المجلس العالي بالدعاء . ودونه بهاء الأئام ، وأورده مع صدرت والعالي ، ومع السامى بالياء والسامى بغير ياء .

الحال الرابع — أن يكون من ألقاب الصلحاء وقد جعل في "عرف التعريف" أعلّاه خالصة الأئام ، وأورده مع الحضرة الشريفة التي جعلها أكبر رتبهم ، ومع الجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالي ، وجعل دونه شرف الأئام وأورده مع المجلس العالي . ودونه زين الأئام ، وأورده مع السامى بالياء وبغير ياء .

النمط الثالث

(من الألقاب المركّبة ما يُضاف إلى الملوك والسلاطين ،

وهو على الأحوال الأربعة المتقدمة الذكر) .

الحال الأول — أن يكون من ألقاب أرباب السيوف . وقد ذكر في "عرف التعريف" أن أعلّاه ظهير الملوك والسلاطين ، وأورده مع المَقَرّ الشريف والمَقَرّ الكريم ، والمَقَرّ العالي ، والجناب الشريف ، والجناب الكريم ، والجناب العالي ؛

وجعل دُونَهُ عَضُدَ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، وَأُورِدَهُ مَعَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ وَالْمَجْلِسِ السَّامِيِّ بِالْيَاءِ . وَدُونَهُ عُمْدَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، وَجَعَلَهُ مَعَ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ . وَالَّذِي فِي "التَّحْقِيفِ" إِرَادَ ظَهِيرِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ مَعَ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ وَمَابَعْدَهُ إِلَى آخِرِ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ ، وَجَعَلَ عَضُدَ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ مَعَ السَّامِيِّ بِالْيَاءِ ، وَعُمْدَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ مَعَ السَّامِيِّ بِزَيْرِ يَاءٍ ، وَعُدَّةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ مَعَ مَجْلِسِ الْأَمِيرِ .

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ فِي "التَّحْقِيفِ" زَادَ رُبْعَيْنِ فِي ظَهِيرِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، فَجَعَلَهُ فِي الْمَجْلِسِ السَّامِيِّ مَعَ النَّعَاءِ وَمَعَ صَدْرَتِ ، عَلَى أَنَّ التَّحْقِيقَ أَنَّ عَضُدَ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ أَعْلَى فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ ظَهِيرِ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، لِأَنَّ الْعَضُدَ عَضُو مِنْ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ : وَهُوَ مَا بَيْنَ الْمِرْفَقِ وَالْكَتِفِ ، وَالظَّاهِرُ خَارِجُ عَنْهُ ، وَمَا كَانَ مِنْ تَمَسُّ الْإِنْسَانِ كَيْفَ يُجْعَلُ مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهُ أَرْفَعَ مِنْهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ ؟ .

الْحَالُ الثَّانِي — أَنَّ يَكُونُ مِنَ أَلْقَابِ الْوُزَرَاءِ وَمَنْ فِي مَعَنَاهُمْ . وَقَدْ جُعِلَ فِي "عُرْفِ التَّعْرِيفِ" أَعْلَاهَا ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ أَيْضًا ، وَأُورِدَهُ مَعَ الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ ، وَالْمَقَرِّ الْكَرِيمِ ، وَالْمَقَرِّ الْعَالِيِّ ، وَالْجَنَابِ الشَّرِيفِ ، وَالْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، وَالْجَنَابِ الْعَالِيِّ ، وَجَعَلَ دُونَهُ صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، وَأُورِدَهُ مَعَ الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ فَمَا دُونَهُ .

الْحَالُ الثَّلَاثُ — أَنَّ يَكُونُ مِنَ أَلْقَابِ الْقُضَاةِ وَالْمُسَاءِ . وَقَدْ جُعِلَ فِي "عُرْفِ التَّعْرِيفِ" أَعْلَاهَا الْقُضَاةُ حَكَمُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، وَلِنَبِيهِمْ مِنَ الْمُسَاءِ خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، وَهُوَ عِنْدَهُ الْجَنَابُ الشَّرِيفُ فَمَا فَوْقَهُ . وَدُونَهُ بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، وَأُورِدَهُ مَعَ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ ، وَالْجَنَابِ الْعَالِيِّ ، وَالْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ ، مَعَ النَّعَاءِ . وَجَعَلَ دُونَهُ صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، وَأُورِدَهُ فِي صَدْرَتِ وَالْعَالِيِّ فَمَا دُونُ ذَلِكَ .

الحال الرابع — أن يكون في القاب الصلحاء . ولم يزد في "عُرف التعريف" على أنه يُكتَب لهم بركة الملوك والسلاطين ، ويحتلذ فيقتصر عليها لغيرهم ممن يستحق ذلك بحسب ما يقتضيه حال المكتوب بسببه .

النمط الرابع

(من الألقاب المرتبة ما يضاف لأمر المؤمنين ، وهو على الأحوال

الأربعة المتقسم^(١) ذكرها)

الحال الأول — أن يكون من ألقاب أرباب السيوف ، وأعلاما قسيم أمير المؤمنين ، وهو من الألقاب الخاصة بالسلطان كما هتلم ذكره في موضعه . ودونه خليل أمير المؤمنين ، وهو من ألقاب أولاد الملوك وألقاب بعض الملوك الأجانب المكتوب إليهم عن الأبواب السلطانية . ودونه عضد أمير المؤمنين ، وهو أعلى ما يُكتَب لتوابع السلطنة عن الأبواب السلطانية ، وجعله في "عُرف التعريف" مع المَقَر الشريف خاصة . ودونه حُسام أمير المؤمنين ، وأورده مع المَقَر الكريم والمَقَر العالی ، ودونه حُسام أمير المؤمنين ، وجعله في "عُرف التعريف" مع الجناب الشريف والجناب الكريم والجناب العالی ، ولم يُورد بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين بل اقتصر على ما يضاف إلى الملوك والسلاطين . وأما في التنقيف فجعله مع المَقَر الكريم والمَقَر العالی . ودونه حُسام أمير المؤمنين ، وأورده مع المجلس العالی والدُعاء ، ولم يُورد فيما بعد ذلك لقباً بالإضافة إلى أمير المؤمنين .

والحاصل أنه في "عُرف التعريف" زاد رتبة فيما يضاف إلى أمير المؤمنين ، وهي حُسام أمير المؤمنين .

(١) كذا في الاصول ولم يذكر الحال الرابع وهو ألقاب الصلحاء فاعمل .

الحال الثانى — أن يكون من القاب الوُزراء ومن في معانهم . ولم يزد في "عُرف التعريف" على ولى أمير المؤمنين، وأورده مع المَقَر الشريف، والمَقَر الكريم، والمَقَر العالى والجناب الشريف ؛ ويحسن أن يهىء مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين، ومع الجناب العالى صني أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين، ولا يُضاف إلى أمير المؤمنين مع المجلس العالى فادونه شيء من الألقاب اكتفاء بما يُضاف إلى الملوك والسلطين كما هُتَم في أرباب السيوف .

الحال الثالث — أن يكون من ألقاب القضاة والعلماء . فقد جعل في "عُرف التعريف" أعلاها ولى أمير المؤمنين، وجعله مع الجناب الشريف لما فوقه، ويحسن أن يهىء مع الجناب الكريم خالصة أمير المؤمنين، ومع الجناب العالى صني أمير المؤمنين أو صفوة أمير المؤمنين، كما هُتَم في الوُزراء ومن في معانهم ومن دُونهم من الكُتّاب .

الاعتبار الثانى

(في الألقاب المركبة أن يختص الترتيب في الألقاب بنوع من المكتوب لهم، وهو أربعة أنماط)

النمط الأول

(ما يختص بأرباب السيوف، وله حالان)

الحال الأول — أن تقع الإضافة فيه إلى الفُزاة والمجاهدين . وقد جعل المَقَر الشهابى بن فضل الله في " التعريف " ناصِر الفُزاة والمجاهدين أعلاها ، فأورده في المكتبة إلى نائب الشام، والمُكتبة إليه يومئذ دُون المكتبة إلى النائب الكافل ؛

وهو خلاف مقتضى تركيب لفة العرب لما تقدم من أن صيغة فَعِيل أعلى من صيغة فاعل ، ولذلك جعلوا الكَفِيل أعلى من الكافل على ما تقدم بيانه . ويحتمل فيكون نصير الفُزاة والمجاهدين أعلى من ناصِر الفُزاة والمجاهدين على خلاف ما ذكره .

أما في "عُرف التعريف" فإنه أصرّص عن ذكر الانقلاب المضافة إلى الفُزاة والمجاهدين مع المَقَر الشريف الذى هو أعلى الانقلاب لأرباب السيوف من الثواب ومن في معانهم ، وأتى بعده مع المَقَر الكريم بنصير الفُزاة والمجاهدين ، ثم أتى بعده مع الجَنَاط الشريف إلى آخر المجلس العالى بنصرة الفُزاة والمجاهدين ، فجعل نصير الفُزاة أبلغ من نصرة الفُزاة : لما فى نصير من لفظ التذكير وفى نصرة من لفظ التأنيث ، والتذكير أعلى رتبة من التأنيث ؛ ثم أتى مع السامى بالياء بذكر الفُزاة والمجاهدين ، ثم مع السامى بنيرياء بزين الأمراء المجاهدين على وصف الأمراء بالمجاهدين دون عطف المجاهدين على الأمراء ؛ ثم مع مجلس الأمير بزين المجاهدين .

وجعل في "التتيف" أعلاها ناصِر الفُزاة والمجاهدين تبعاً "للتعريف" وأورده مع المَقَر الكريم ؛ ودونه نصرة الفُزاة والمجاهدين ، وأورده مع الجَنَاط الكريم وما بعده إلى آخر المجلس العالى ، ثم أتى مع السامى بالياء بأوحد المجاهدين ، ومع السامى بنيرياء ومجلس الأمير بزين المجاهدين ، والحال في ذلك قريب .

الحال الثانى — أن يكون القلب مضافاً إلى الجيوش . وقد جعل في "التعريف" أعلاها أكأك الجيوش ، وأورده في ألقاب النائب الكافل ؛ وجعل دونه زعيم الجيوش وأورده في ألقاب نائب الشام ، وهو يومئذ دون النائب الكافل ؛ ثم جعل دونه زعيم جيوش الموحدين ، وأورده في ألقاب نائب حلب . وعلى نحو من ذلك جرى في "عُرف التعريف" بفصل أعلاها زعيم الجيوش وأورده مع المَقَر الشريف ،

والمقرّ الكريم والمقرّ العالى ؛ ودوّنه زعيم جيوش الموحدين ، وأورده مع الجتاب الشريف والجتّاب الكريم والجتّاب العالى ؛ ولم يُورِدْ شيئاً في هذا المعنى فيما بعد ذلك ، وعلى نحو ذلك جرى في التثيف .

النمط الثاني

(ما يختص بالوزراء ومن في معانهم : من كآب السر ونحوه
فمن دُونهم من الكُتّاب)

وقد ذكر في "عريف التعريف" أن أحلاها للوزراء سيّد الوزراء في العالمين ، ولن في معانهم سيّد الكُبراء في العالمين ، وأورد ذلك مع المقرّ الشريف والمقرّ الكريم والمقرّ العالى والجتّاب الشريف والجتّاب الكريم والجتّاب العالى ؛ وجعل دُونه لمن دُونهم من الكُتّاب شرف الرؤساء ، وأورده مع المجلس العالى ؛ ولا شك أنه يبيح به أوحّد الكُتّاب أو شرف الكُتّاب مع المجلس السامى بالياء ، ثم بحال الكُتّاب للسامى بغير الياء لها دُونه .

النمط الثالث

(ما يختص بالقضاة والعلماء)

وقد جعل في "عريف التعريف" أحلاها سيّد العلماء والحكّام ، ولغيرهم أوحّد العلماء الأعلام ، وجعله للجتّاب الشريف ما فوقه ، ثم للجتّاب الكريم ، والجتّاب العالى ؛ وجعل دُونه تابع العلماء والحكّام ، أو شرف العلماء والحكّام ، وأورده مع المجلس العالى ؛ ودوّنه بحال العلماء أوحّد الفضلاء ، وأورده مع السامى بالياء ؛ ودوّنه بحال الأعيان مع السامى بغير ياء لها دُونه .

المقطع الرابع

(ما يختص بالصلحاء)

وقد جعل في "عرف التعريف" أعلاها لم شيخ شيوخ العارفين، وأورده مع الحضرة الطاهرة، وجعل ثون ذلك أوحده المحققين، فأورده مع الجنايب الكريمة؛ ودونه أوحده الناسكين، فأورده مع الجنايب العالی .

قلت : وليس وضع هذه الالتفات على الترتيب في العلو والهبوط راجعاً إلى مجرد التمهيد من غير نقص علو أو هبوط يدل عليه جوهر اللفظ ، بل لا بد أن يكون لتقدم كل لقب منها على الآخر ورفعته عليه في الرتبة سبب يقتضيه اللفظ وتوجيه دلالة الظاهرة أو الخفية . وما وقع فيها مما يخالف ذلك فلعدم تأمل الواضح لذلك ، أو وقوعه من بعض المتدعين الظاهرين أن القلم في ذلك مطلق العنان ، يتصرف في وضعه كيف شاء من غير نظر إلى ما يوجب تقديماً ولا تأخيراً . ومما يؤصح ذلك ويبيّنه أنك إذا اعتبرت الألقاب المضافة إلى الإسلام المتقدمة الذكر في أبواب السيوف مثلاً ، رأيت أعلاها ركن الإسلام والمسلمين ، على ما هو مذکور في "التعريف" وضره من سائر دساتير المقر الشهابي بن فضل الله ، وأعلاها على ما ذكره في "التتيف" "ميز الإسلام والمسلمين ، ودون ذلك في الرتبة عز الإسلام والمسلمين ، ودونه مجد الإسلام والمسلمين ، ودونه مجد الاسلام فقط من غير عطف ، على ما تقدم ذكره .

أما كون ركن الإسلام والمسلمين أعلى من عز الإسلام والمسلمين ، فلا ركن الشيء في اللغة جانيبه الأقوى ، وقد قال الأصوليون : إن الركن ما كان داخل السابية ، وحيث لا يكون ركن الشيء بعضاً منه بخلاف العز فإنه معنى من المعاني خارج عنه ، وما كان بعضاً للشيء كان أخفى به مما هو خارج عنه .

وأما وجه إبداءهم ركن الإسلام والمسلمين بجزء الإسلام والمسلمين فلائن
في الركن معنى العِزِّ والقُوَّة ، وقد فسر قوله تعالى حِكَايَةً عن لُوطٍ عليه السلام :
﴿ أَوَلَيْسَ لِي رُكْنِي شَدِيدٌ ﴾ بالعِزِّ والمُنْعَةِ ، فُجِّلَ المِيزَ لهذا الاعتبار في الألقاب قائما
مَقَامَ الركن .

وأما كَوْنُ عِزِّ الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام والمسلمين ، فلائن العِزُّ
أجدى في النفع من المجد ، فقد تقدم أن ابن السكيت قال : إن المجد لا يكون
إلا بشرف الآباء ، ولا نزاع في أن العِزَّ في تصارف الملوك أكثر جدوى وأوفر نفعاً
في تحصيل المقاصد . وقد ذكر أبو جعفر النحاس في "صناعة الكتاب" أن الكتاب
في الزمن القديم كانوا يميلون للشاء بالعِزِّ عقب الدناء بطلو البقاء ، فإنه يكون بالعِزُّ
مَصُونَةً عَالِيَا آمِنًا غَنِيًّا .

وأما كَوْنُ مجد الإسلام والمسلمين أعلى من مجد الإسلام ، فلائن الشيء كلما تعدى
فعله إلى غيره كان أرفع رتبة ، ومجد الإسلام والمسلمين يتعدى إلى شئين : وهما
الإسلام والمسلمين ، ومجد الإسلام لا يتعدى إلا إلى شيء واحد : وهو الإسلام .
فذلك إذا اشتهرت الألقاب المضافة إلى أمير المؤمنين ، رأيت أعلاها في أرباب
السيوف قسيم أمير المؤمنين ، ودونَه خَلِيل أمير المؤمنين ، ودونَه عضد أمير المؤمنين
ودونَه سيف أمير المؤمنين ، ودونَه حُسام أمير المؤمنين .

أما كَوْنُ قسيم أمير المؤمنين أعلى من خَلِيل أمير المؤمنين ، فلائن القسم بمعنى
المُقَامِ ، والمراد أنه قائم أمير المؤمنين المُلْك وسامه في الأمر فصارا فيه مشتركين ،
وخليل أمير المؤمنين مأخوذ من الخلَّة بضم الخاء وهي الصداقة ، وقرئ بين من قُاسِم

(١) كنا في الأصول والظاهر وكذلك إذا احسرت الخ خلفا ملأ أنك إذا احسرت الخ المقسم
في الصفحة قبل .

الخليفة فيصير عديله في الأمر، ويين من يكون خليله وصاحبه . على أنه قد تقدم أن الملوكة قد أربت بأفئسها عن هذا القرب لاستبدادهم بالملك واستيلائهم عليه .

وأما كون خليل أمير المؤمنين أعلى من عضد أمير المؤمنين ، فلأن العضد ليس المراد منه العضو الحقيقي الذي هو بين الكتف والرقق ، وإنما استعير للناصر وكأنه يتصره بنفسه كما ينصره عضده ، ومثل هذا الوصف لا يكون إلا للأتباع ، بخلاف الخليل والصديق فإنه لا تكاد رتبته عند الشخص تحط عن رتبة نفسه .

وأما كون عضد أمير المؤمنين أعلى من سيف أمير المؤمنين ، فلأن العضد وإن قصده به الناصر فإنه مقول عن العضو للناصر كما تهتم وعضو الإنسان عنده في المزة وقوة النصر فوق سيفه في ذلك .

وأما كون سيف أمير المؤمنين أعلى من حسام أمير المؤمنين . - وإن كان الحسام متضمنا لوصف القطع الذي هو المقصود الأعظم من السيف من حيث إنه مأخوذ من الحسم : وهو القطع - فلأن السيف مأخوذ من ساف إذا هلك كما صرح به الشيخ "جبال الدين بن هشام" في شرح قصيدة كعب بن زهير ، ولا شك أن معنى الإهلاك البغ من معنى القطع : لأن القطع قد يقع في بعض البدن مما لا يتضمن الإهلاك ، وهذا مما يجب التنبه له فإنه ربما توهم أن الحسام البغ من السيف لتضمن وصف القطع كما تهتم .

وبالجملة فلا سبيل إلى استيعاب جميع ما يرد من هذا الباب بالتوجيه : لأن ذلك يؤدي إلى الإسهاب والمثل . والقول الجامع في ذلك أنه ينظر إلى الألفاظ الواقعة في الألقاب وما يختص به من أصناف المدح ، وما تنهى إليه رتبته فيها من أعلى

(١) لله ربات بأفئسها أي ترضت أو زمت بأفئسها أي شمت .

الدرجات أو أوسطها أو أدناها فيرتبها على هذا الترتيب ، ويوجهها بما يظهر له من التوجيه على نحو ما تقدم . كما إذا اعتبرت رتبة الجلال والجمال فإنك تجد الجلال أعلى رتبة : لأن معنى الجلال العظمة ، ومعنى الجمال الحسن ، ولا نزاع في أن العظمة أبلغ وأعلى موقعاً من الحسن . وكما إذا اعتبرت الضياء والبهاء ، فإن الضياء يكون أبلغ لأن الضياء معناه النور الذاتي وهو متمكن الضع عام القسيمة ، والبهاء معناه الحسن وهو قاصر على صاحبه . وفيما ذكر إرشاداً إلى ما لم يذكر .

القسم الثاني

(مما تتفاوت فيه مراتب الألقاب ما يقع التفاوت فيه بالتقديم

والتاخير ، وهو نوط)

النوع الأول

(الألقاب المفردة ، وهي على ستة أنماط)

النمط الأول

(الألقاب التي تلي الألقاب الأصول)

وهي التي تلي المقام والمقر والجناب والمجلس : كالأشرف والشريف والكريم والعالي والسامي : فالأشرف على المقام والمقر ، فيقال : المقام الأشرف ، والمقر الأشرف ، والشريف على المقام والمقر والجناب ، فيقال : المقام الشريف ، والمقر الشريف ، والجناب الشريف . والكريم على المقر والجناب ، فيقال : المقر الكريم ، والجناب الكريم . والعالي على المقام والمقر والجناب والمجلس ، فيقال : المقام العالي ، والمقر

العالى ، والجناب العالى ، والمجلس العالى . والسامى على المجلس خاصة ، يقال :
المجلس السامى . والعالى على الأشرف والشريف والكريم ، يقال : الأشرف العالى ،
والشريف العالى ، والكريم العالى .

النمط الثانى

(مالى العالى أو السامى من الألقاب)

وهو اللقب الذى يميز نوع المكتوب له ، كالأميرى لآرباب السيوف ،
والصاحبى للوزراء من آرباب الأعلام ، والقضائى والقاضى لآرباب الأعلام ،
والشيعى للصوفية وأهل الصلاح ، والصندرى للشجار ومن فى معانهم . مثل أن
يقال : المآقر الكريم العالى [الأميرى] والجناب العالى الصاحبى ، أو الجناب العالى
القاضى ، أو المجلس العالى ، أو المجلس السامى الشيعى ، أو المجلس السامى
الصندرى ، وما أشبه ذلك . والمعنى فى وضع هذه الألقاب فى هذا الموضع أن يكل
أول لقب يذكر بعد اللقب الأصل وتابعه على الوظيفة كما تدل برامة الاستهلال
على صورة الحال فى المكتبة أو الولاية أو غيرها ، وربما كان المل مما يقتضى
التطبيق بالمولوى فبقدم لقب المولوى على لقب الوظيفة . مثل أن يقال : المآقر
الشريف العالى المولوى الأميرى ، فإن كان اللقب الأصل مضافاً لمجلس الأمير
أو مجلس القاضى أو مجلس الشيخ أو مجلس الصدر ، قام المضاف إليه مقام لقب
الوظيفة ، فيقوم الأمير من مجلس الأمير مقام الأميرى ، والقاضى من مجلس القاضى

مقام القضاة، والشيخ من مجلس الشيخ مقام الشيخ، والصدر من مجلس الصدر مقام الصدر. ثم لا يثبت بعد ذلك في هذه الحالة إلا بالأجل، ويؤتى بعده بما يناسبه من الألقاب.

النمط الثالث

(ما يلي لقب الوظيفة)

وهو الكبير أو الكبير، فيؤتى به تلو اللقب الدال على الوظيفة مثل أن يقال : المعز العالي الأمير الكبير، أو الجناح العالي القاضي الكبير، أو المجلس السامي الكبير إذا كان باليه، أو الكبير إذا كان بغير الياء.

النمط الرابع

(ما يقع قبل لقب التعريف الذي هو القلاني أو فلان الدين)

وهو اللقب الدال على الوظيفة دلالة خاصة، كالكاظمي والكفيل للثواب، والوزير للوزراء، والحاكمي للقضاة. فإن كان المكتوب له نائب سلطنة كتب له قبل القلاني الكاظمي أو الكفيل بحسب ما يقتضيه الحال، وإن كان حاكماً كتب الحاكمي. قال في "التعريف": وإن كان وزيراً كتب في آخر ألقابه الوزير. والذي ذكره في "عُرف التعريف" أن الوزير يلى لقب الوظيفة، فإذا كان الوزير من أرباب السيوف كتب الأمير الوزير؛ وإن كان من أرباب الأقلام كتب الصاحب الوزير. وما ذكره في "التعريف" متجه فيها إذا كان الوزير صاحب قلم، فإن التعريف في الوظيفة يسرف أولاً من قوله الصاحب.

وما ذكره في "التعريف" ظاهرٌ فيما إذا كان الوزير من أرباب السيوف، فإنه يتعين بهدِيمُ الوزير فيذكر بعد الأمير ليدل من الابتداء على الوظيفة، إذ مطلق الإمرة لا يدل على وزارة ولا علمها، فلو أُخبر إلى آخر الألقاب لما عُرِف أنها ألقاب وزير إلى حين ذكر هذا اللقب، وإنما رُتِب هذا الترتيب ليدل باللقب الذي هو أول الألقاب بعد العالي أو السامي على حال صاحب تلك الألقاب هل هو من أرباب السيوف أو الألقلام أو غير ذلك، وباللقب الذي هو آخر الألقاب المفردة على وظيفته الخاصة به .

النمط الخامس

(ما يقع فصلاً بين الألقاب المفردة والمرجبة)

وهو لقب التعريف كالقُلَانِيَّ وَفُلَانُ الدين ، فقد جعلوه فاصلاً بينهما .

النمط السادس

(ما ليس له موضعٌ مخصوص من الألقاب المفردة) .

وهو ما بين اللقب الذي يقع به التمييز بين الأمير ونحوه وبين اللقب الذي قبل لقب التعريف كالعالمى والعالى ونحوهما، فالقلم في ذلك مطلق العنان بالتقديم والتأخير على ما يقتضيه الحال بحسب ما يراه الكاتب .

النوع الثاني

(مما تفاوتت فيه مراتب الألقاب بالتقديم والتأخير الألقاب المركبة
المعبر عنها بالعمود ، وهي على ثلاثة أنماط)

النمط الأول

(ما على لَقَب التعريف الذي هو القَلَانِي أو فلان الدين)

وهو ما يضاف إلى الإسلام مثل رُكْن الإسلام والمسلمين وعِزُّ الإسلام
والمسلمين وما أشبه ذلك ، فقد أصطلحوا على أن يكون ذلك أَوَّل الألقاب
المركبة ، وتوجيه ظاهر لأن المضاف يشرف بشرف المضاف إليه ، ولا أشرف
عند أهل الإسلام من الإسلام فوجب تقديم ما يضاف إليه على غيره .

النمط الثاني

(ما يقع في آخر الألقاب المركبة)

ويختلف الحال فيه باختلاف حال المكتوب له ، فإن كان ممن يُكْتَب له المجلس
السامي بشير ياء فما دُونَهُ جُعِلَ آخرُ الألقاب فيه ما يضاف إلى الملوك والسلاطين ،
مثل أن يقال : صَفْوَةُ الملوك والسلاطين ، أو اختيارُ الملوك والسلاطين وما أشبه
ذلك . وإن كان ممن يُكْتَب له السامي بإياه فما فوقه جُعِلَ آخرُ الألقاب فيه
ما يضاف إلى أمير المؤمنين ؛ مثل عَضُد أمير المؤمنين ، وولي أمير المؤمنين ، وخالصة
أمير المؤمنين ، وما أشبه ذلك على ما تقتضيه رتبة المكتوب له . والمعنى فيه أن
حُسْنَ الاختتام بالإضافة إلى الملوك والسلاطين الذين هم ثاني رتبة الخلافة .

النمط الثالث

(مايين أول الألقاب المركبة وبين آخرها)

فقد أصطلحوا على أن يكون المقدم منها مما يقتضى تقديم المكتوب له على أبناء جنسه . مثل : سيد الأمراء في العالمين ، وسيد العلماء والحكام في العالمين ، وما أشبه ذلك ؛ ثم في حق كل أحد من أرباب الأقلام والسيوف بحسب ما يقتضيه حاله على نحو ما تقدم في الكلام على ما تفاوتت رتبته بالعلو والهبوط .

الجملة الثامنة

(في بيان محل اللقب المضاف إلى الملك و لقب التعريف الخاص به
الواقع على القلب الملون ، مثل الملكي الناصري الزنكي
وما أشبه ذلك ؛ وله ثلاثة أحوال)

الحالة الأولى — أن يكون ذلك في ألقاب السلطان نفسه ، كما يقع في التقاليد والمناسبات ونحوهما . لموضعه بعد رُسم بالأمر الشريف ، أو تخرج الأمر الشريف ، مثل أن يكتب رُسم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري الزنكي ، أو فلذلك رُسم بالأمر الشريف الفلاني الفلاني ، أو تخرج الأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الفلاني الفلاني ، وما أشبه ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون القلب المضاف إلى الملك في ألقاب المكتوب له ، كما لو كتب في تقليد أو نحوه . ومحلّه بعد ذكر اسم المكتوب له بعد الألقاب ، مثل أن يقال بعد انتهاء الألقاب : فلان الظاهري أو الناصري ونحو ذلك ، ولا يقال له الملكي حيث يهذ .

الحالة الثالثة — أن يكون في ألقاب المكتوب عنه كما يُكْتَب في أوّل المكتابات
الملكِيّ الغلاتي، وقد أصطلحوا على أن يُكْتَب ذلك تحت جرة البسملة على ما سيأتي
بيانه إن شاء الله تعالى .

الجملة التاسعة

(في ترتيب جملة الألقاب الفروع على الألقاب الأصول
على قدر طبقاتها، وهي قسمان)

القسم الأول

(الألقاب الإسلامية)

واعلم أن ترتيب الألقاب تارة يكون في السلطانيات ، وتارة يكون
في الإخوانيات وما يُكْتَب عن الثواب . وقد كانوا في الأيام الناصرية
« محمد بن قلاوون » يستعملون في الإخوانيات وما يُكْتَب عن الثواب التبعوت
المرتبجة كما في السلطانيات، لا يفرق بينهما إلا ما في الإخوانيات وما في معناها من
الألقاب التي لا تصلح للسلطانيات، كالمولوي والسيدّي والمختومي ونحوها .
أما الآن فقد وقع الاختصار فيها على المفردات دون المرتبجات، وصارت المرتبجات
مختصة بالسلطانيات .

ثم الألقاب الإسلامية الفروع المرتبة على الألقاب الأصول على سبعة
أضرب :

الضرب الأول

(الألقاب المتعلقة بالخلافة وما يلحق بها، ومبناها على الاختصار؛
وهي ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ألقاب الخلفاء ، وهي صنفان)

الصنف الأول — أن تكون لنفس الخليفة . فكان يقال فيها في الزمن القديم
« عبدُ الله فلانٌ أميرُ المؤمنين » [فإن كان اسمُ الخليفة عبدَ الله كالأُمون كُرِّر الاسمُ
مرتين : مرةً للإسم والعلم ومرةً للقبِ بالخلافة ، فيقال : « عبدُ الله عبدُ الله
أمير المؤمنين »] ثم زيد فيها الكنية بعد ذلك ، فقيل « عبدُ الله فلانٌ أبو فلان
أمير المؤمنين » ثم زيدَ لفظُ الإمام فقيل « عبد الله فلانٌ أبو فلان [الإمام]
الفلاني — بلقب الخلافة مثل المتوكل على الله ونحوه — أمير المؤمنين » ثم زيدَ ووليُّه
بعد عبد الله ، فقيل : « عبدُ الله ووليُّه فلانٌ أبو فلانٍ الإمام الفلاني أمير المؤمنين »
وهو ما استقر عليه الحال آنحرا .

الصنف الثاني — أن تكون الألقاب للديوان في مكتبة أو غيرها . والذي
أصلُها عليه أن يقال « الديوانُ العزيزُ المولويُّ السيديُّ النبويُّ الإماميُّ
الفلاني » بلقب الخلافة .

النوع الثانى

(ألقابُ وُلاةِ العهد بالخلافة) .

وهى « الجانبُ الشريفُ ، المُولَوِيُّ ، السَّيِّدِيُّ ، النَّبَوِيُّ ، الفُلَانِيَّ » بلقبه المنسوب إلى الخلافة . وربما قيل فيه الجَنَابُ بدل الجانب ، وبقية الألقاب على ما تقدم .

النوع الثالث

(ألقابُ إمام الزيدية باليمن)

وهى « الجَنَابُ الكريمُ ، العالى ، السَّيِّدِيُّ ، الإماميُّ ، الشَّريفِيُّ ، النَّسَبِيُّ ، الْحَسَبِيُّ ، الفُلَانِيَّ » بلقب التعريف « سَلِيلُ الأطهار ، جَلالُ الإسلام ، سَيْفُ الإمام ، بقيةُ البيت النبويِّ ، نَفَرُ الحَسَبِ العلويِّ ، مُؤَيِّدُ أمورِ الدين ، خليفةُ الأئمة ، رأسُ العَلِيَاء ، صالِحُ الأولياء ، حَلَمُ الهداة ، زَعِيمُ المؤمنين ، دُخْرُ المسلمين ، مُنْجِدُ الملوك والساطين » .

الضرب الثانى

(الألقابُ المُلوكِيَّةُ ، وهى نومان)

النوع الأول

(الألقابُ التى أصطلح عليها للسلطان بالديار المصرية على ما الحالُ مستقر

عليه ، وقد ذكر فيها فى التعريف مذهبين)

المنهَبُ الأوَّلُ — أن يقال « السُّلطانُ السيِّدُ الأَجَلُ الملكُ الفُلَانِيَّ العالمُ العادلُ المجاهدُ المرباطُ المتأخرُ المؤيَّدُ المظفرُ المنصورُ الشاهنشاهُ فلانُ الدنيا

والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، يحيى العدل في العالمين، وارث الملك، ملك العرب والعجم والترك، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، إسكندر الزمان، مملك أصحاب المنابر والأسرة والتيجان، وأهب الأقاليم والأمصار، ميسد الطغاة والبغاة والكفار، حامى الحرمين الشريفين والقبليتين، جامع كلمة الإيمان، ناشئ لواء العدل والإحسان، سيد ملوك الزمان، أبو فلان فلان، ابن السلطان الشهيد الملك الفلاني، والد الملوك والسلاطين، أبي فلان فلان .

أما في "التتيف" فإنه ذكر ذلك بزيادة وتغيير، وتهديم وتأخير. فقال :
« السلطان الأعظم، المالك الملك الأعرف السيد الأجل العالم العادل المؤيد المجاهد الم رابط المتأخر المظفر الشاهنشاه ناصر الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، يحيى العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك، فالحم الأقطار، مانح الملك والأمصار، إسكندر الزمان، مولى الإحسان، جامع كلمة الإيمان، مملك أصحاب المنابر والتخوت والتيجان، ملك البحرين، مسلک سبل القبليتين، خادم الحرمين الشريفين، ظل الله في أرضه، القائم بسنته وفرضه، سلطان البسيطة، مؤمن الأرض المحيطة، سيد الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين، أبو فلان فلان بن فلان . » وذكر أن الغالب أن مُحَنَّف الشاهنشاه، لأن معناها ملك الأملاك، وقد تقدم النهي عن التسمي بذلك . ثم قال : والواجب أن يكون بدل ولي أمير المؤمنين، قسم أمير المؤمنين .

المنحَب الثاني — أن يُكْتَبَ المقام الشريف أو الكريم أو العالی مجرداً عنهما، ويُقْتَصَرُ على المفردة دون المركبة . مثل أن يُكْتَبَ « المقام الشريف العالی ،

المُولَوِيّ، السلطانيّ، المَلِكِيّ، الفُلَانِيّ، أبو فلانٍ فلان. قال في "التعريف":
والى هذا ذهب المتأخرون من النُكَّاب؛ ثم قال: وأنا على الأولِ أعمل.

النوع الثاني

(اللقاب التي يُكْتَب بها عن السلطان لغيره من الملوك،
وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(ألقابُ ولاءٍ للمهد بالسلطنة)

«وهي المقام العالي، العالي، العالي، المَلِكِيّ، الفُلَانِيّ، الفُلَانِيّ... بلقب
الملك واللقب المتعارف». قال في "التعريف": فإن كان أخاً للسلطان زيد فيه
الأخويّ، أو ولداً زيد فيه الولديّ.

الصنف الثاني

(ألقابُ الملوك المستقلين بصغار البلدان)

كما كان صاحبُ حماة في الدولة الناصرية «محمد بن قلاوون» وكان يُكْتَب له:
«المَقَامُ الشريف العالي السلطاني المَلِكِيّ الفُلَانِيّ، بلقب المَلِك». وبما كُتِب
له قبل لقب الملك «الأصيل» لمرآته في الملك.

الصفحة الثالث

(ألقاب المكتوب إليهم من الملوك عن الأبواب السلطانية، وهي نطان)

النمط الأول

(ما يُصدّر بالألقاب المذكّرة. وهي على أربع طبقات)

الطبقة الأولى — ما يُصدّر بالمقام. وأعلاها «المقام الأشرف» كألقاب صاحب الهند، وهي: «المقام الأشرف العالي المولوي السلطاني الأعظمي الشاهنشاهي العاليي العادل المجاهدي المشاغري المظفري المؤيدي المنصوري إسكندر الزمان، سلطان الأوان، منبج الكرم والإحسان، المعني آل ساسان، وبقايأ فراسياب وخاقان، ملك البسيطة، سلطان الإسلام، غياث الأنام، أوجده الملوك والسلاطين».

ودونه «المقام الشريف» كألقاب الشيخ حسن الكبير صاحب بغداد كان، وهي: «المقام الشريف العالي الكبير السلطاني العاليي العادل المجاهدي المؤيدي المرابط المنصوري الملكي القلاني القلاني. بقبه الملك والتعارف».

ودونه «المقام العالي» كألقاب القان بيلاد أربك فيها ذكره في «التتيف» وهي: «المقام العالي السلطاني الكبير الملكي الأكرمي القلاني. بقبه التعريف. فلان الدنيا والدين مؤيد الغزاة والمجاهدين قاتل الكفرة والمشركين، ولي أمير المؤمنين». وألقاب صاحب المغرب فيها ذكره في «التتيف» وهي: «المقام العالي السلطاني السيد الأجل العالم العادل المجاهد المرابط المشاغر المؤيد المظفر المنصور على أعداء الله أمير المسلمين، قائد الموحدين، مجتهد الغزاة والمجاهدين، مجتهد الجنود، عاقد البتود، مالى صبور الباري والبحار،

مُزْمِنِعِ أَسْرَةِ الْكُفَّارِ ، مَوْيِدَ السَّنَةِ ، مِعْزِ الْمَلِكِ ، شَرْفِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْكَرِيمِ ، وَالنَّسَبِ الْعَصِيمِ ، رَيْبِ الْمُلْكِ الْقَدِيمِ ، أَبُو فُلَانٍ فُلَانٌ .

الطبقة الثانية — مَا يُصَدَّرُ بِالْمَقَرِّ ، وَأَعْلَاهَا فِيهَا رَأَيْتُ «الْمَقَرَّ الْكَرِيمَ» كَأَقْلَابِ صَاحِبِ هَمْرَاءَ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي «التَّعْرِيفِ» وَهِيَ : «الْمَقَرُّ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي الْعَالِي الْعَادِلِي الْمَجَاهِدِي الْمُؤَيَّدِي الْمُرَاطِي الْمَتَاغَرِي الْأَوْحَدِي الْفُلَانِي ، شَرْفِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، خَلِيلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» . وَكَأَقْلَابِ صَاحِبِ كَرِيمِيَانِ [مِنْ بِلَادِ الرُّومِ] فِيمَا ذَكَرَهُ فِي «التَّحْقِيفِ» وَهِيَ : «الْمَقَرُّ الْكَرِيمُ الْعَالِي الْمَلِكِي الْأَجَلِّي الْعَالِي [الْعَادِلِي] الْمَجَاهِدِي الْمُؤَيَّدِي الْمُرَاطِي الْمَتَاغَرِي الْمَظْفَرِي الْمَنْصُورِي الْفُلَانِي ، عِزِّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، نَفَرِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، نَصِيرِ الْفُرَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعِيمِ الْجِيُوشِ مَقْدَمِ الْعَاكِرِ ظَهِيرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

وَدُونَهُ «الْمَقَرُّ الْعَالِي» كَأَقْلَابِ صَاحِبِ مَالِي مِنْ بِلَادِ التُّكُرُودِ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي «التَّعْرِيفِ» وَهِيَ : «الْمَقَرُّ الْعَالِي السَّلْطَانِي الْجَلِيلُ الْكَبِيرُ الْعَالَمُ الْعَادِلُ الْمَجَاهِدُ الْمُؤَيَّدُ الْأَوْحَدُ ، عِزُّ الْإِسْلَامِ ، شَرْفُ الْمُلُوكِ الْأَنْامِ ، نَاصِرُ الْفُرَاةِ وَالْمَجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ جِيُوشِ الْمَوْحِدِينَ ، جَمَالِ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، سَيْفُ الْخِلَافَةِ ، ظَهِيرُ الْإِمَامَةِ ، عَضُدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ» .

الطبقة الثالثة — مَا يُصَدَّرُ بِالْحَنَابِ ، وَأَعْلَاهَا «الْحَنَابُ الْكَرِيمُ» كَأَقْلَابِ مَلِكِ التُّكُرُودِ فِيمَا ذَكَرَهُ فِي «التَّحْقِيفِ» أَنَّهُ اسْتَفْتَى عَلَيْهِ الْحَالِ ، وَهِيَ : «الْحَنَابُ الْكَرِيمُ ، الْعَالِي الْمَلِكُ الْجَلِيلُ الْعَالَمُ الْعَادِلُ الْمَجَاهِدُ الْمُؤَيَّدُ الْمُتَنَاغِرُ الْمُرَاطِي الْعَادِلُ الْخَالِشُ النَّاسِكُ الْأَوْعَدُ فُلَانٌ ، ذُنُرُ الْإِسْلَامِ» . وَكَأَقْلَابِ مَلِكِي الْبَرْقَوِ وَالكَانَمِ فِيمَا ذَكَرَهُ

في "التعريف" وهي : «الجناب الكريم العالى الملك الحلي الكبير العالم العادل
الغازى المجاهد الهمام الأوحّد المظفر المنصور عمن الإسلام» . ثم بقية الألقاب
من نسبة ألقاب ملك التكرور .

الطبقة الرابعة — ألقاب المجلس . وأعلها « المجلس العالى » كالألقاب صاحب
حصن كيفا فيما ذكره في "التعريف" وهو : «المجلس العالى الملى الفلانى الأجل»
العالمى العالى المجاهد المؤيدى المرائى المتأخرى الأوحدى الأصلى
الفلانى — بلقب التعريف — عمن الإسلام والمسلمين ، بقية الملوك والسلطين ،
نصير الفزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، شرف الدول ، ذخر الممالك ، خليل
أمير المؤمنين أو عضد أمير المؤمنين على مخالفة فيه فيما أورده في "التعريف" في
في المكتبة إليه .

ودونه المجلس السامى بالياء — كالألقاب صاحب أرزن ، وهي «المجلس السامى الملى
الفلانى — بلقب الملك — الأصلى الكبرى العالمى المجاهد المؤيدى المرائى
الأوحدى الفلانى — بلقب التعريف — عمن الإسلام ، شرف الملوك فى الأنام ،
بقية السلطين ، نصرة الفزاة والمجاهدين ، ولي أمير المؤمنين » .

ودونه المجلس بغيريا فى ألقابه كالألقاب صاحب دقشلة إذا كان مسلما ،
فما ذكره في "التعريف" وهي : «المجلس الكبير الغازى المجاهد المؤيد الأوحّد
العضد ، مجد الإسلام ، زين الأنام ، نصر المجاهدين ، عمدة الملوك والسلطين»
ولم يذكر فيه السامى ولا لقباً مضافاً إلى الملك ، وهو الملى إلا أنهم أورده
في مدّة الملوك .

قلت وأكثر هذه الألقاب يؤتى فيها بالألقاب المختصة بالملك : إما في المفردة كالملكى القلانى ، وإما في المركبة مثل « بقية الملوك والسلاطين » ونحو ذلك ، لتدل على أن المكتوب له ملك فيمتاز عن غيره . وربما أتى فيها بالألقاب الإمارية دون الملوكة لوقوع اصطلاح أهل تلك المملكة على ذلك . كما يكتب في ألقاب صاحب تونس « أمير المؤمنين » لأتماته الخلافة ، وفي ألقاب صاحب فاس « أمير المسلمين » أنبساطا ليوسف بن تاشفين صاحبها في القديم ، إذ كان أول من تلقب بذلك خضوعاً عن أن يتلقب بأمر المؤمنين ، لأختصاصه بالخلافة كما سيأتى الكلام عليه في المكتبة إليه إن شاء الله تعالى .

الخط الثانى

(ما يصدر بالألقاب المؤنثة ، وهى الحضرة)

ويختلف الحال فيها باختلاف الممالك . فالألقاب التى بمملكة إيران على ما كان عليه الحال فى أيام السلطان أبى سعيد وما قبله « الحضرة ، الشرفة ، العلية ، السلطانية ، الأعظمية ، الشاهنشاهية ، الأوحدية ، القانية ، القلانية » . قال فى « التعريف » ولا يخطط فيها الملكية لوانها ليسهم وإن كان صاحب « التتخيف » قد أثبت فيها الملكية أيضاً على ما سيأتى فى الكلام على المكتبة إليه فى موضعه إن شاء الله تعالى . وألقاب صاحب تونس فيما ذكره فى « التتخيف » « الحضرة ، العلية ، السنية ، السرية ، المظفرية ، الميمونة ، المنصورة ، المنصورة ، حضرة الأمير العالم » إلى آخر الألقاب المذكورة .

الضربُ الثالثُ

(من الألقاب الإسلامية الألقابُ العامَّةُ لسائر الطوائف مما يُكتَبُ به
عن الأبواب [السلطانية]^(١) ، وهي ثمانية أنواع)

النوع الأول

(ألقابُ أربابِ السيوف من أهل المملكة وضيعة : من الأمراء والعُربان
والأكراد والتُرُكمان . وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المَقَرِّ ، وفيها ثلاثُ مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المَقَرِّ الشريف . وهو مختصٌّ في عُرف الزمان
بما يُكتَبُ عن قُوابِ السلطنة .

وصورتها على ما أورده في "عُرف التعريف" : « المَقَرِّ الشريف ، العالى ،
المَوْلَوِي ، الأميرِي ، الكَيَرِي ، العالِي ، العادِلِي ، المَهْدِي ، المشيْدِي ، الرِجْمِي ،
المَقْدَمِي ، القَوِي ، النِيَّاتِي ، المَرِاطِي ، المُتَاغِيرِي ، الظُّهَيْرِي ، المَالِكِي ، المَخْدُومِي ،
الفلاني ، عِزُّ الإسلام والمسلمين ، سيّد الأمراء في العالمين ، زعيمُ الجيوش ، مُقدِّمُ
العساكر ، حَوْزُ الأمة ، غِيَاثُ المِلَّةِ ، مَهْدُ النُّوَلِ ، مشيّدُ المسالك ، ظَهِيرُ الملوك
والسلاطين ، عَقْبُدُ أمير المؤمنين » .

المرتبة الثانية — رَرتبة المَقَرِّ الكريم . وهي مستعملة في السُلْطانيات وما يُكتَبُ
عن الثَّواب .

(١) الزيادة من النص: ص ٣٧٢ .

فأما في السُّلْطَانِيَّاتِ فصورتها على ما أورده في "التتيف" في الألقاب المستقرة للنائب الكافيل و نائب الشام : « المَقَرُّ الكريم ، العالى ، الأميرى ، الكيبرى ، العالى ، العادلى ، المؤيدى ، الرضى ، القوتى ، الفياضى ، المتغبرى ، الموابطى ، المهدى ، المشيدى ، الظهيرى ، العادى ، الناصى ، الأتابكى ، الكفلى ، الفلانى ، معز الإسلام والمسلمين ، سيدُ أمراء العالمين ، ناصرُ الفزاة والمجاهدين ، زعيمُ جيوش الموحدين ، مهَّدُ الدول ، مشيدُ الممالك ، عمادُ الملة ، عونُ الأمة ، ظهير الملوك والسلطين ، عضدُ أمير المؤمنين » .



وأما فيما يكتب عن الثَّوَابِ فقد ذكر في " التعريف " أنَّ ألقابها من نسبة ما تقدم في ألقاب المقتر الشريف .

وصورتها على ما أورده شهاب الدين الفاروق في دُستوره عن نائب الشام : « المَقَرُّ الكريم ، العالى ، المَوَلَوَى ، الأميرى ، الكيبرى ، العالى ، العادلى ، المؤيدى ، المهدى ، القوتى ، المقدمى ، الذخرى ، الفياضى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيدُ الأمراء فى العالمين ، زعيمُ جيوش الموحدين ، مقدمُ العساكر المجاهدين ، دُخْرُ الدولة بهاء الملة ، مهَّدُ المملكة ، ظهير الملوك والسلطين ، عضدُ أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده الصَّلاح الصفدى في دُستوره عن نائب الشام أيضا : « المَقَرُّ الكريم ، العالى ، المَوَلَوَى ، الأميرى ، الكيبرى ، العالى ، العادلى ، المؤيدى ، المجاهدى ، الذخرى ، الصُّدى ، النصيرى ، المقدمى ، القوتى ، الفياضى ، الفلانى ، رُكنُ الإسلام والمسلمين ، سيدُ الأمراء فى العالمين ، نصره الفزاة والمجاهدين ، غياث الملة ، كهف الأمة ، دُخْرُ الملوك والسلطين » .

ثم قال : وإن كان المكتوبُ إليه نائبَ سلطنة زيد في ألقابه « المَهْدِيّ » ،
المُشِيدِيّ ، الزَّيْعِيّ ، المَدْبَرِيّ ، الكافِيّ ، الفلانيّ » .

وصورتها على ما أورده فيه : « المَقَرّ الكريم ، العالي ، المَوَلَوِيّ ، الأَمِيرِيّ ،
الكَبِيرِيّ ، العَالِيّ ، العَالِيّ ، النَوَوِيّ ، النَبَاتِيّ ، الذَّخَرِيّ ، الزَّيْعِيّ ، الفلانيّ » ؛
عِزُّ الإسلام والمسلمين ، سَيِّدُ الأُمراء في العالمين ، بَاحِلُ الدولة ، ذُنُرُ المِلَّة ، زَيْنُ
المَمْلَكَةِ ، حَيِّ السُّلْطَنَةِ ، سَفِيرُ الأُمَّة ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ ، عَضُدُ أُميرِ المُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض النسخ من نائب حَبَب : « المَقَرّ الكريم ، العالي ،
المَوَلَوِيّ ، الأَمِيرِيّ ، الكَبِيرِيّ ، العَالِيّ ، العَالِيّ ، المُوَيْدِيّ ، الذَّخَرِيّ ، المُشِيدِيّ ،
الزَّيْعِيّ ، الظَّهِيرِيّ ، الفلانيّ » ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين ، سَيِّدُ الأُمراء في العالمين ،
نَاصِرُ الفِرَاقَةِ والمجاهدين ، زَيْمُ الجيُوش ، مَقْدَمُ العساكر ، حَوْنُ الأُمَّة ، ظَهِيرُ المُلُوكِ
والسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المَقَرّ العالي . وقد ذكر في « عرف التعريف » أن
ألقابها من نسبة ما تقدم في المَقَرّ الشريف . وذكر الصَّلاح الصَّفَدِيّ في دُستوره
عن نائب الشام في ألقابه ما هُتِّمَ له في ألقاب المَقَرّ الكريم ثم قال : إلا أنه لا يقال
فيه الذَّخَرِيّ » .

وصورتها على ما رأيتُه في توقيع قَبيب الأشراف بِحَلَبَ عن النائب بها : « المَقَرّ
العالي ، الأَمِيرِيّ ، الكَبِيرِيّ ، النَّبِيّ ، الشَّرِيفِيّ ، الحَسَبِيّ ، النَّسَبِيّ ، العَرِيفِيّ ،
الأَصِيلِيّ ، الفَاضِلِيّ ، العَالِيّ ، المُجَنَّبِيّ ، القُدَوِيّ ، النَّاسِكِيّ ، الزَّاهِدِيّ ، العَالِيّ ،
الفلانيّ » ؛ عِزُّ الإسلام والمسلمين ، جَلالُ العلماء والعاملين ، بَاحِلُ الفُضلاء البارعين ،
مُجَبِّةُ الأُمراء الخاكسين ، زَيْنُ العِزَّةِ الطَّاهِرَةِ ، شَرَفُ الأُمَرَةِ الزَّاهِرَةِ ، مُجَبِّةُ العِصَابَةِ

الهاشمية، قُدوة الطائفة العلوية، نَجْبة الفرقة الناجية الحسينية، شرف أولى المراتب،
تقب أولى المناقب، ملاذ الطلاب الراغبين، بركة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة الجَنَاب الشريف . وليست مستعملة في السلطانيات،
وهي مستعملة فيما يُكْتَب عن الثَّواب .

وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" : « الجَنَاب الشريف العالى،
المَوْلَوِيّ، المجاهدِيّ، المؤيّدِيّ، الممهّدِيّ، الذّخِرِيّ، الأُوْحَدِيّ، العَوْنِيّ،
القَاهِرِيّ، القلانيّ، حُرّ الإسلام والمسلمين، سيّد الأمراء المقدّمين، نُصرة الغزاة
والمجاهدين، عمادُ الملّة، عونُ الأُمّة، ذُخرُ الملّة، ظهير الملوك والسلاطين، سيفُ
أُمير المؤمنين» .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَاب الكريم . وهي مستعملة في السلطانيات
وما يُكْتَب عن الثَّواب .

فأما في السلطانيات فصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب التائب
الكافل في الزّمن المتقدّم : « الجَنَاب الكريم العالى، الأميرِيّ، الأجلِّيّ، الكَثيرِيّ،
العالمِيّ، العادلِيّ، المؤيّدِيّ، الممهّدِيّ، المشيّدِيّ، الرّعيّ، الذّخِرِيّ، المقدّمِيّ،
العَوْنِيّ، النّياتِيّ، المراسِلِيّ، المُشَاخِرِيّ، المُظَفَّرِيّ، المنصوريّ، الأتابكيّ، رُحْمَنُ
الإسلام والمسلمين، سيّد الأمراء في العالمين، أتابك الجيوش، مقدّم المساكين،
زعيم الجنود، طاقِدُ البُنود، ذُخرُ الموحّدين، ناصرُ الغزاة والمجاهدين، غِيَاثُ الأُمّة،

عون الملة ، مشيد الدول ، كافل الممالك ، ظهير الملوك والساطين ، عَضُد أمير المؤمنين .

. وصورتها على ما أورده في "التحيف" في ألقاب النائب الكافل أيضا على ما كان الحال عليه أولا : «الكتاب الكريم العالى ، الأميرى ، الكيرى ، العالى ، العادى ، المؤيدى ، الرضى ، العوفى ، الغياثى ، المتأخرى ، المرابطى ، المهدي ، المشيدى ، الظهيرى ، الكافى ، الفلانى ؛ مؤيد الإسلام والمسلمين ، سيد أمراء العالمين ، ناصر الفزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم العساكر ، محمد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، عون الأمة ، كافل السلطنة ، ظهير الملوك والساطين ، عَضُد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التحريف" في ألقاب نائب الشام على ما كان الحال عليه أولا : «الكتاب الكريم العالى ، الأميرى ، الأجل ، الكيرى ، العالى ، العادى ، المؤيدى ، المهدي ، المشيدى ، العوفى ، الغياثى ، الذخرى ، الرضى ، المقدمى ، الظهيرى ، الكافى ، الفلانى ؛ عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، نصر الفزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، عون الأمة ، غياث الملة ، محمد الدول ، مشيد الممالك ، ظهير الملوك والساطين ، عَضُد أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التحيف" فى المكتبة لنائب الشام على ما كان عليه الحال أيضا : «الكتاب الكريم العالى ، الأميرى ، الكيرى ، العالى ، العادى ، المؤيدى ، الرضى ، العوفى ، الغياثى ، المتأخرى ، المرابطى ، المهدي ، المشيدى ، الظهيرى ، الكافى ، الفلانى ؛ عز الاسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، نصر الفزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم العساكر ،

[محمد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، حوّن الأمة ، ظهر الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين] .

وصورتها على ما أورده في "التحيف" في المكتبة إلى أحد الأمراء الأتوس بمملكة إيران في دولة السلطان أبي سعيد : «الجناب الكريم العالي ، الأمير ، الكبير ، العالي ، العادل ، المؤيد ، الزعيم ، النوني ، النياي ، المتأخرى ، المرابط ، الممهدى ، المشيدى ، النوني ، الفلاني ، حوّن الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، ناصر الفزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، محمد النول ، عماد الملة ، حوّن الأمة ، كافي الدولة الثانية ، كافل المملكة الشرقية ، أمير القوامين ، أمير الأتوس ، ظهر الملوك والسلاطين ، عضد أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده في "التحيف" في ألقاب ابن المظفر اليزدي : «الجناب الكريم العالي ، الأمير ، الكبير ، العالي ، العادل ، المؤيد ، النوني ، الزعيم ، الممهدى ، المشيدى ، الظهيري ، النياي ، المتأخرى ، المرابط ، النوني ، الفلاني ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء في العالمين ، ناصر الفزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، مقدم الصاكر ، محمد الدول ، مشيد الممالك ، عماد الملة ، حوّن الأمة ، حاكم أمور ولاية الزمان ، موثق قوانين العدل والإحسان ، اعتضاد صناديد الأركان ، مستنير ملوك العجم ، مستخدم أرباب الطبل والعلم ، ظهر الملوك والسلاطين ، سيف أمير المؤمنين » .



وأما فيما يكتب عن الثواب وما كان يكتب به في الإخوانيات في الزمن المتقدم ، فقد ذكر في "حرف التعريف" أن ألقابه من نسبة ما هتتم في ألقاب الجناب الشريف .

وصورتها على ما أورده التفاضى شهاب الدين الفارقى فى مُستوره عن نائب الشام :
« الجَنَابُ الكَرِيمُ العَالِي ، المَوْلَى ، الأَمِيرِى ، الكَبِيرِى ، العَالِمِى ، العَادِلِى ،
العَصْدِى ، النَصِيرِى ، المُوَيَّدِى ، المَقْدِمِى ، الذَّخِرِى ، الفَلَاحِى ، حُجَّةُ الإِسْلَامِ والمُساوِينِ ،
شَرَفُ الأَمْرَاءِ فى العَالِمِينَ ، نُصْرَةُ الفُزَاةِ والمُجَاهِدِينَ ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسُّلاطِينَ » .

وصورتها على ما أورده الصَّلاح الصَّفْدِى فى مُستوره عن نائب الشام : « الجَنَابُ
الكَرِيمُ العَالِى ، المَوْلَى ، الأَمِيرِى ، العَالِمِى ، العَادِلِى ، العَوْنِى ، الفَيْاضِى ،
الظَّاهِرِى ، المَقْدِمِى ، الفَلَاحِى ، حُجَّةُ الإِسْلَامِ والمُساوِينِ ، شَرَفُ الأَمْرَاءِ فى العَالِمِينَ ،
نَاصِرُ الفُزَاةِ والمُجَاهِدِينَ ، ظَهِيرُ المُلُوكِ والسُّلاطِينَ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العَالِى ، وهى مستعملة فى السلطانيات وما يكتب
عن التَّوَابِ وما كان فى الإِخْوَانِيَّاتِ قَدِيمًا .

فأما فى السلطانيات فلها رتبتان :

الرتبة الأولى — مع الدِّعَاءِ بِمُضَافَةِ النِّعَةِ .

وصورتها على ما أورده فى " التعريف " فى ألقاب نائب حلب على ما كان الحال
عليه أولًا : « الجَنَابُ العَالِى ، الأَمِيرِى ، الأَجَلِّى ، الكَبِيرِى ، العَالِمِى ، العَادِلِى ،
المُهَيَّدِى ، المَشِيدِى ، العَوْنِى ، الذَّخِرِى ، الرَّيْصِى ، المَقْدِمِى ، الظَّاهِرِى ، المُرَابِطِى ،
المُتَافِرِى ، الفَلَاحِى ، حُجَّةُ الإِسْلَامِ والمُساوِينِ ، سَيِّدُ الأَمْرَاءِ فى العَالِمِينَ ، نَصِيرُ الفُزَاةِ
والمُجَاهِدِينَ ، زَعِيمُ جِيُوشِ المُوَحَّدِينَ ، عِمَادُ الأُمَّةِ ، دُخْرُ الدَّوْلَةِ ، ظَهِيرُ المُلُوكِ
والسُّلاطِينَ ، سَيْفُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما أورده فى " التَّنْظِيفِ " فى ألقاب نائب طَرَابُلُسَ وَمَنْ فى رُتْبَتِهِ :
« الجَنَابُ العَالِى ، الأَمِيرِى ، الكَبِيرِى ، العَالِمِى ، العَادِلِى ، المُوَيَّدِى ، العَوْنِى ،

الرَّحِيمِ، المَهْدِي، المَشِيدِي، الظَّهيري، الكافِي، الفَلَانِي، عِرُّ الإسلام
والمسلمين، سيدُ أمراء العالمين، نُصرةُ الفُزاة والمجاهدين، زعيمُ جيوش الموحَّدين
مقدمُ المساكِر، مَهْدُ النُّول، مَشِيدُ الممالك، عمادُ المِلَّة، حوُّ الأُمّة، ظهيرُ الملوك
والسلاطين، سيفُ أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب قطلوبغا إيناق أحد أمراء الأتوس
بلاد أذربك : «الجناب العالي، الأميري، الكبيري، العاليي، العادل، المؤيدي،
العوني، الرّحيمي، المَهْدِي، المَشِيدِي، الظَّهيري، التَّوَنِي، الفَلَانِي، عِرُّ الإسلام
والمسلمين، سيدُ الأمراء في العالمين، نُصرةُ الفُزاة والمجاهدين، زعيمُ الجيوش، مقدمُ
المساکِر، كَهْفُ المِلَّة، دُخْرُ النُّولة، ظهيرُ الملوك والسلاطين، سيفُ أمير المؤمنين» .

الزينة الثانية — مع الدعاء بدوام النعمة .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب مقدمُ السكر بفزة ومن في رتبته :
«الجناب العالي، الأميري، الكبيري، العاليي، العادل، المؤيدي، الأوسدي،
التَّصِيرِي، العوني، الهَمَامِي، المَقْدَمِي، الظَّهيري، الفَلَانِي، عِرُّ الإسلام والمسلمين،
سيدُ الأمراء في العالمين، نُصرةُ الفُزاة والمجاهدين، مقدمُ المساکِر، كَهْفُ المِلَّة،
دُخْرُ النُّولة، عمادُ المملكة، ظهيرُ الملوك والسلاطين، حُسامُ أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب حمای : أحد الحكام ببلاد أذربك كان :
«الجناب العالي، الأميري، الكبيري، العاليي، المجاهدي، المؤيدي، الذُّخري،
التَّصِيرِي، الهَمَامِي، المَقْدَمِي، التَّوَنِي، الفَلَانِي، عِرُّ الإسلام والمسلمين،
سيدُ الأمراء في العالمين، نُصرةُ الفُزاة والمجاهدين، مقدمُ المساکِر، دُخْرُ النُّولة،
عَضْدُ الملوك والسلاطين، حُسامُ أمير المؤمنين» .



وأما ما يكتب عن التّوابع وما كان يكتب في الإخوانيات قديماً، فقد ذكر في "عرف التّعرف" أن ألقابه من نسبة ما تكتب في ألقاب الجُتّاب الشّريف .

وصورتها على ما أورده الصّلاح الصّفيّ في دُستوره عن نائب الشّام في الرتبة الأولى منها : « الجُتّابُ العالی ، الأمیری ، الأجلّی ، الکبیری ، المؤیدّی ، المجاهدی ، العوّنی ، المقدّمی ، الاسفَهسلاری ، الظّهیری ، الفلانی ، مجد الإسلام والمسلمین ، شرفُ الأُمراء المُقدّمین ، نُصرةُ الفُرّاة والمجاهدین ، عَقْدُ الملوك والسلاطین » .

وصورتها على ما أورده في "التّدکرة الأُمّیّة" عن نائب الشّام أيضاً في الرتبة الثانية من هذه المرتبة : « الجُتّابُ العالی ، الأمیری ، الکبیری ، العُصديّ ، الذّخريّ ، التّصیری ، المؤیدّی ، المقدّمی ، الظّهیری ، الفلانی ، مجد الإسلام والمسلمین ، شرفُ الأُمراء فی العالمین ، نُصرةُ الفُرّاة والمجاهدین ، ظهیرُ الملوك والسلاطین » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(مرتبة المجلس العالی)

وهي مستعملة في السلطانيات وما يكتب عن التّوابع وما كان يكتب في الإخوانيات قديماً .

فأما في السلطانيات فلها رتبتان :

الرتبة الأولى — مع الدعاء للجلس .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب نائب الكرك : « المجلس العالي ، الأمير ، الكبير ، العالي ، المجاهد ، المؤيد ، المقدّم ، الأوحدي ، النصيري ، الهمامي ، الظهيري ، الفلاني ، عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء في العالمين ، نصرة الفزاة والمجاهدين ، مقدم العساكر ، كهف الملّة ، دُثر الدولة ، ظهير الملوك والسلطين ، حُسام أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" أيضا في ألقاب وزير القان بيلاد أذرب : « المجلس العالي الأمير ، الكبير ، الثوري ، الأوحدي ، الاكلى ، المتصرف ، النوني ، الوزيري ، الفلاني ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء والوزراء في العالمين ، بحال المتصرفين ، أوحداً الأولياء المقرّين ، دُثر الدولة ، مشير الملوك والسلطين » .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" أيضا في ألقاب حافظ أني على باشا : « المجلس العالي ، الأمير ، الكبير ، العالي ، المجاهد ، المؤيد ، الأوحدي ، النصيري ، النوني ، الهمامي ، المقدّم ، الظهيري ، النوني ، الفلاني ، عز الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء في العالمين ، نصرة الفزاة والمجاهدين ، زعيم الجيوش ، مقدم العساكر ، كهف الملّة ، عماد الأمة ، ظهير الملوك والسلطين ، حُسام أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب أمير مكة المشرفة : « المجلس العالي ، الأمير ، الكبير ، الشريفي ، الحسيني ، النسيبي ، العالي ، المجاهد ،

المُقدَّمى ، الأوحدي ، النصيري ، العوفي ، الهمامي ، الظهيري ، الأصيلي ،
العربقي ، الشهابي ، حُرَّ الإسلام والمسلمين ، شَرَفُ الأُمراء الأشراف في العالمين ،
نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، كَهْفُ المِلَّةِ ، عَوْنُ الأُمَّةِ ، نَخْرُ السِّلالة الزاهرة ، زَيْنُ العِرةِ
الطاهرة ، بَهَاءُ العِصابةِ المَلَوِيَّةِ ، جَمالُ الطامخةِ الماشمية ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ،
نَسِيبُ أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب أمير آل فضل من عرب
الشام : « المجلس العالي ، الأميري ، الكبير ، العالِي ، المجاهدي ، المؤيدي ،
الأوحدي ، النصيري ، العوفي ، الهمامي ، المقدَّمى ، الظهيري ، الأصيلي ، الفلاني ،
حُرَّ الإسلام والمسلمين ، شَرَفُ الأُمراء العُرَّبان في العالمين ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ،
مَقْدَمُ السَّاكِر ، كَهْفُ المِلَّةِ ، دُنُرُ الدولة ، عمادُ العرب ، ظهيرُ الملوك والسلاطين ،
حُسامُ أمير المؤمنين » .

الرتبة الثانية — المجلس العالي مع صدرت .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب نائب الرُحبة ومن في رُتبته :
« المجلس العالي ، الأميري ، الكبير ، المَصْدِي ، الذنري ، النصيري ، الأوحدي ،
المؤيدي ، العوفي ، الهمامي ، المُقدَّمى ، الظهيري ، الفلاني ، مجدُ الإسلام والمسلمين ،
شَرَفُ الأُمراء المقدَّمين ، نُصرةُ الغزاة والمجاهدين ، مَقْدَمُ السَّاكِر ، دُنُرُ الدولة ،
كَهْفُ المِلَّةِ ، ظهيرُ الملوك والسلاطين » .



وأما فيما يكتب عن الثَّواب وما كان يُكْتَب في الإخوانيات أولاً ، فصورتها على
ما أورده في "عُرف التعريف" : « المجلس العالي ، الأميري ، الاسفَهسَلاري ،

الأجلّي، الكيرى، المجاهدى، المؤيدى، النصيرى، الظهيرى، القلائى؛
مجد الإسلام والمسلمين، زينُ الأمراء المقدمين، نصرة الفزاة والمجاهدين،
عَضُدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده الصلاح الصفدى فى دُستوره عن نائب الشام «المجلس
العالى، الأميرى، الأجلّي، الكيرى، المؤيدى، المجاهدى، الاسفهلاردى،
العزفى، الظهيرى، القلائى، مجد الإسلام والمسلمين، شرفُ الأمراء المقدمين
نُصرة الفزاة والمجاهدين، عَضُدُ الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده فى «التذكرة الآدمية» عن نائب الشام : «المجلس العالى،
الأميرى، الكيرى، المضدى، النصيرى، المؤيدى، المجاهدى، الذخرى؛
مجد الإسلام والمسلمين، شرفُ الأمراء المقدمين، دُخر الفزاة والمجاهدين،
عَضُدُ الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثانية

(مرتبة المجلس السامى بالياء)

وهو مستعمل فى السلطانيات وغيرها .

فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما ذكره المقرئ الثهابى بن فضل الله فى بعض
دساتيره فى توقيع قَيب الأشراف : «المجلس السامى، الأميرى، الكيرى،
العالمى، المجاهدى، المؤيدى، الشرفى، الحسينى، النسيبى، الذخرى،
النصيرى، الأوحدي، الأصيلى»؛ عز الإسلام، زينُ الإمام، نسيب الإمام،
شرفُ الأمراء، قَيبُ الثَّغَباء، جمالُ العِترَةِ الطاهره، جلالُ الأئمة الزاهره، دُخر
الفزاة والمجاهدين، ظهيرُ الملوك والسلاطين، ولّى أمير المؤمنين» .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب الكُشاف بالوجهين القبل والبحري بالديار المصرية : « المجلس السامي ، الأميري ، الكبير ، الذنري ، النصيري ، الأوحدي ، المؤيدي ، الفلاني ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، أوحده المجاهدين ، عضد الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيته في بعض المراسم لأمير آل مرا من عرب الشام : « المجلس السامي ، الأميري ، الكبير ، المجاهدي ، المؤيدي ، العضدي ، الذنري ، النصيري ، الأوحدي ، الأصلي ، العريق ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الأمراء ، زين القبائل ، نقر العشائر ، ملاذ العرب ، عضد الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب وزير الشيخ أويس ببغداد : « المجلس السامي ، الأجل ، الكبير ، الأوحدي ، المقدمي ، المتصفي ، الفلاني ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، أوحده الأعيان ، صفة الملوك والسلاطين » .

وصورتها في ألقاب أمراء العرب : « المجلس السامي ، الأميري ، الكبير ، الذنري ، المؤيدي ، الفلاني ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زين القبائل ، نقر العشائر ، عماد الملوك والسلاطين » .



وأما فيما يكتب عن الثواب ونحوهم ، فصورتها على ما أورده في "عُرف التعريف" : « المجلس السامي ، الأميري ، الأجل ، الكبير ، المؤيدي ، العضدي ، النصيري ،

الأوحدى، الهمايى، الفلايى؛ مجد الإسلام، زين الأمراء فى الانام، ذكر الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده شهاب الدين الفارقى فى دُستوره عن نائب الشام :
« المجلس السامى، الأميرى، الأجلّ، الكبيرى، المصّدى، النصيرى، المؤيدى،
الفلايى؛ مجد الإسلام، جمال الأمراء، نصر الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك
والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده الصّلاح الصّفى فى دُستوره عن نائب الشام أيضا :
« المجلس السامى، الأميرى، الأجلّ، الكبيرى، المؤيدى، المجاهدى، الصّفى،
النصيرى، الهمايى، الفلايى؛ مجد الإسلام، شرف الأمراء، نصر الغزاة،
عمدة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة

(مرتبة المجلس السامى بغير ياء)

وهى مستعملة فى السلطانيات وضعها .

فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى "التحيف" فى ألقاب الولاة
الطليخان بالوجهين القليل والبحرى : المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير،
النازى، المجاهد، المؤيد، الأوحد، المرتضى، فلان الدين، مجد الإسلام،
بهاء الانام، نحر الأمراء، زين المجاهدين، عمدة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيت فى بعض نسخ التّواقيع : ترتيب الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي : « المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الحبيب، النصيب،

الطاهر، الكامل، العالم، العامل، الفاضل، الزاهد، الورع، الزكي، التقى؛
فلان الدين، جلال الإسلام، شرف السادة الأشراف، نحر العترة الطاهرة،
زين السلالة الزاهرة، تقيب قباء الشرفاء، مجد العصبة العلوية، جمال العصبة الفاطمية؛
صدر الأئمة العلماء، مجتبي الدولة، بهاء الملّة، خالصة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على مافى ألقاب النائب باليتبع : « المجلس السامى، الأمير، الأجل،
المجاهد، المؤيد، الشرف، الحبيب، النسيب، مجد الإسلام، بهاء الأنام،
زين العترة، نحر الأئمة، جمال الذرية، نحر الشجرة الزكية، حمدة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب أكابر عربان آل فضل من
عرب الشام : « المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الغازى، المجاهد، المؤيد،
الأوحد، الأصيل، فلان الدين، مجد الإسلام، بهاء الأنام، فخر القبائل،
زين العشائر، حماد الملوك والسلاطين» .



وأما فيما يكتب عن النواب ومن في معنهم، فصورتها على ما أورده
في "عريف التعريف" : « المجلس السامى، الأمير، الأجل، الكبير، الغازى،
المجاهد، المؤيد، فلان الدين، مجد الإسلام، زين الأمراء، نحر الأنام، دثر الفزاة
والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الآمدية" عن نائب الشام : « المجلس السامى،
الأمير، الأجل، الكبير، المؤيد، المجاهد، العضد، النصير، فلان الدين، مجد الأمراء،
شرف أنقواص، زين الفزاة، حدة الملوك والسلاطين» .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس الأمير)

وهي مستعملة في السلطانيات وفيها على مرتبة واحدة .

فأما في السلطانيات، فنصورتها على ما أورده في "التقيف" في ألقاب الولاة
المشرقات بالوجهين القبلي والبحري : « مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازي ،
المجاهد ، المؤيد ، الأوحده ، المرتضى ، فلان الدين ، مجد الأمراء ، زين المجاهدين ،
عمدة الملوك والسلاطين » .



وأما فيما يكتب عن الثواب ومن في معانهم ، فنصورتها على ما أورده
في "عرف التعريف" : « مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازي ، المجاهد ،
المرتضى ، فلان الدين ، فخر الأمراء ، زين المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين » .
وصورتها على ما أورده الفاروق في دستوره عن نائب الشام : « مجلس الأمير ،
الأجل ، الكبير ، الأخص ، الأكل ، الغازي ، المجاهد ، المرتضى ، المختار ، فلان
الدين ، مجد الأمراء ، زين الفزاة ، عمدة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما أورده في "التذكرة الأمدية" : « مجلس الأمير ، الأجل ، الكبير ،
المؤيد ، المجاهد ، الآخر ، الأخص ، الأكل ، المجتبي ، المختار ، فلان الدين ،
مجد الأمراء ، زين الفزاة ، عمدة الملوك والسلاطين » .

الدرجة الخامسة

(درجة الأمير مجزدا عن مضاف إليه)

وأكثر ما يأتي ذلك في الولايات أو فيمن يُكْتَبُ بسببه كتابٌ وما أشبه ذلك .
 وصورتها في السلطانيات : « الأمير الأجل » وربما زيد على ذلك فقيل :
 « الكبير الغازی » .

وصورتها في غير السلطانيات على ما أورده في « التذكرة الأيمنية » : « الأمير ،
 الأجل ، الأخص ، الأجل » .

النوع الثاني

(من الألقاب الإسلامية الألقاب الديوانية . وهي أيضا على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المَقَر)

ولست مستعملة في السلطانيات جملةً لأنه لا يُكْتَبُ لأحدٍ من هذا النوع
 عن السلطان بِالْمَقَر ، وهي مستعملة فيما يكتب عن الثوابِ وَمِنْ في معانهم ،
 ولها ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مَرْتَبَةُ الْمَقَر الشريف . وصورتها على ما أورده
 في « حرف التعريف » في ألقاب الوُزَرَاء من أرباب الأهلَام ، : « الْمَقَر الشريف ،
 العالي ، المَوْلَوِي ، الصّاحِي ، الْوَزِيرِي ، الْمُتَقَدِّس ، الْعَالِي ، الْمُهْدِي ، الْمُشِيدِي ،

العَوْنِي، النَبَاتِي، المَالِكِي، المَخْذُومِي، الفَلَانِي، صَلَاحُ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ،
سَيِّدُ الوُزَرَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، رَئِيسُ الْأَصْحَابِ، قِيَامُ الْأُمَّةِ، نِظَامُ الْمِلَّةِ، مَدَبَرُ الدَّوْلَةِ،
ذُنُرُ الْمَمَالِكِ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما أورده في "عُرفُ التعريف" أيضا في ألقاب غير الوُزَرَاءِ
من الكُتَّابِ : «الْمَقَرُّ الشَّرِيفُ، الْعَالِي، الْمَوْلَوِيُّ، الْقَضَائِي، السَّيِّدِيُّ،
الْعَالِمِي، الْعَادِلِي، الْمُتَهَدِّي، الْمُشِيدِي، الْعَوْنِي، النَبَاتِي، المَالِكِي، المَخْذُومِي،
الْفَلَانِي، صَلَاحُ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، رَئِيسُ الْأَصْحَابِ،
قِيَامُ الْأُمَّةِ، نِظَامُ الْمِلَّةِ، زَيْنُ الدَّوْلَةِ، ذُنُرُ الْمَمَالِكِ، ظَهِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ،
وَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ » .

وصورتها على ما رأيت في بعض النسخ عن نائب الشام في ألقاب بعض كُتَّابِ
السُّرَرِ الْعُلَمَاءِ : «الْمَقَرُّ الشَّرِيفُ، الْعَالِي، الْمَوْلَوِيُّ، الْقَاضِي، الْكَبِيرِيُّ، الْعَالِمِيُّ،
الْعَالِمِي، الْعَلَامِيُّ، الْأَكْبَلِيُّ، الْأَفْضَلِيُّ، الْمُفِيدِيُّ، الْفَرِيدِيُّ، الْقُدْرِيُّ، الْحَقِيقِيُّ،
الْمُسْلِكِيُّ، الْأَصْلِيُّ، الْعَرِيقِيُّ، الْمَدْبَرِيُّ، الْمُشِيرِيُّ، الْيَمِينِيُّ، السَّفِيرِيُّ، الْمَالِكِيُّ،
الْمَخْذُومِيُّ، الشَّيْخِيُّ، الْعَلَامِيُّ، ضِيَاءُ الإِسْلَام والمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الْعُلَمَاءِ وَالرُّؤَسَاءِ
وَالْمَشَائِخِ فِي الْعَالَمِينَ، رَئِيسُ الْأَصْحَابِ، نَظَرُ الْكُتَّابِ، حَسَنَةُ الْإِيمَانِ، بَقِيَّةُ السَّلَفِ
الْكَرَامِ، صَدْرُ مَضَرِّ وَالشَّامِ، لِسَانُ السُّلْطَانَةِ، سَفِيرُ الْمَمْلَكَةِ، شَيْخُ شُعْبِ الْعَارِفِينَ،
جَامِعُ طُرُقِ الْوَاصِفِينَ، صَدْرُ الْمُتَرَسِّمِينَ، مَشِيرُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، وَلِيٌّ أَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ » .

المرتبة الثانية — مَرْتَبَةُ الْمَقَرِّ الْكَرِيمِ . قال في "عُرفُ التعريف" : «والألقابُ
فيها من نِسْبَةِ مَا هَتَمَ فِي أَلْقَابِ الْمَقَرِّ الشَّرِيفِ » .

وصورتها على ما أورده الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ في دُستوره عن نائب الشام :
«المَقَرُّ الكريم، العالى، المَوْلَوِيُّ، القَضَائِي، العَالِي، القَوَائِمِي، النَّظَامِي، المُدَبِّرِي،
المُشِيرِي، المَلَاذِي، الفَلَانِي؛ جَلَالُ الإسلام والمسلمين، سَيِّدُ الأكابر في العالمين،
حَوْثُ الأُمَّة، دُنْحُ المِلَّة، مَدْبِرُ الدُّول، جَمَالُ المَالِك، حَسَنَةُ الوجود، خَالِصَةُ
الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثالثة — مَرْتَبَةُ المَقَرِّ العالى . وقد جعلها في "عرف التعريف" من
نسبة ما تهتم من ألقاب المقر الشريف أيضا .

وصورتها على ما رأيته في بعض النسخ من نائب الشام فيما كُتِبَ به للقاضي
شرف الدين عبد الوهاب بن أبي الطيب كاتب المر بالشام : « المَقَرُّ العالى ،
المَوْلَوِيُّ ، القَضَائِي ، الكبيرى ، العَالِي ، الفاضلى ، الكاملى ، البارئى ، الأوحدي ،
المجدي ، القَوَائِمِي ، النَّظَامِي ، المُفَوِّهِ ، الرَّبِيعِي ، الأُمَيْرِي ، الإِثْمِيلِي ، الإِسْبِيلِي ،
الْعَرِيقِي ، الفَلَانِي ؛ حِرُّ الإسلام والمسلمين ، شَرَفُ الرؤساء في العالمين ، أَوْسَدُ
الفضلاء الماجدين ، حُجَّةُ المُتَشَائِئين ، صدرُ الرؤساء ، رأسُ الصدور ، حِينَ الأعيان ،
خَالِصَةُ الملوك والسلاطين » :

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مَرْتَبَةُ الجَنَابِ الشريف . وهي مستعملة ^(١) في غير السلطان دون
السلطانيات . قال في "عرف التعريف" : وهي من نسبة الألقاب المتقدمة
في المَقَرِّ الشريف .

(١) عبارة الفوج ١ ص ١٨٠ «وهي مخصصة بما يجب من التواضع دون السلطانيات» وهي أوضح .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَابِ الكَرِيم . وجعلها في "عرف التعريف" من نسبة ما تَقَمُّم في المقر الشريف .

وصورتها على ما أورده الصَّلَاحُ الصَّفَدِيُّ في دُستوره عن نائب الشام: «الجَنَابِ الكَرِيمُ العَالِي، المَوْلَوِي، القَضَائِي، العَالِي، الأُوْحَدِي، الرَّيْسِي، الأَجَلِّي، الأَيْمَرِي، البَارِعِي، المَاجِدِي، الفَلَانِي، عَبدُ الإِسْلَامِ والمُسلمين، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ، جَمَالُ الأَكْبَارِ، نَجْمُ الأَمِيانِ، أَوْحَدُ الكُتَّابِ، خَالِصَةُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ» .

وصورتها على ما رأيتُ في بعض النُسخ من نائب الشام في توقيع بِاسْمِ شِهَابِ الدِّينِ أِبْنِ أَبِي الطَّيِّبِ بِكِتَابَةِ النُّسْتِ بِالشَّامِ : « الجَنَابِ الكَرِيم ، العَالِي ، المَوْلَوِي ، القَضَائِي ، الكَبِيرِي ، العَالِي ، العَامِلِي ، البَارِعِي ، الكَامِلِي ، المَاجِدِي ، القَوَائِمِي ، النَّظَامِي ، الرَّيْسِي ، الأَصِيلِي ، العَرِيقِي ، الأُوْحَدِي ، الفَلَانِي ، جَلَالُ الإِسْلَامِ والمُسلمين ، أَوْحَدُ الرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ ، تَاجُ الفَضْلَاءِ المُتَنَشِّئِينَ ، جِهْدُ الحُنَاقِ المُتَصَرِّفِينَ ، سُلَالَةُ الأَحْقِيَاءِ العَارِفِينَ ، خَالِصَةُ المُلُوكِ والسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العَالِي، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما أورده في "التتخيف" في ألقاب الوزارة بالديار المصرية : « الجَنَابُ العَالِي ، الصَّابِحِي ، الكَبِيرِي ، العَالِي ، العَادِلِي ، الأُوْحَدِي ، الأَجَلِّي ، القَوَائِمِي ، النَّظَامِي ، الأَيْمَرِي ، البَلِيغِي ، المُتَشَدِّدِي ، المُسَدِّدِي ، المُتَصَرِّفِي ، المُهَيِّدِي ، العَوْنِي ، المَدْبَرِي ، المُشِيرِي ، الوَزِيرِي ، الفَلَانِي ، صَلاحُ الإِسْلَامِ والمُسلمين ، سَيِّدُ الوُزَرَاءِ فِي العَالَمِينَ ، رَئِيسُ الكُتُبَاءِ ، كَبِيرُ الرُّؤَسَاءِ ، أَوْحَدُ الأَخْطَابِ ، مَلَأْدُ الكُتَّابِ ، قِيَامُ النُّوَلِ ، نِظَامُ المُلُوكِ ، مُفِيدُ

الْمَنَاجِح، مَعْتَمِدُ الْمَصَالِح، مَرْتَّبُ الْجُيُوشِ، عِمَادُ الْمَلَّةِ، حَوْثُ الْأُمَّةِ، مُشِيرُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ، وَلِيُّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .



وأما في غير السلطانيات، فنصورتها على ما رأيتها في بعض الدساتير من نائب الشام في ألقاب كاتب دَسْت بالشام : « الجَنَابُ الْعَالِي، الْقَضَائِي، الْكَبِيرِي، الْعَالِي، الْفَاضِل، الْأَكْلِي، الْبَارِعِي، الْأَوْحَدِي، الْقَوَائِي، النَّظَائِي، الْمُفَوَّهِي، الرَّئِيسِي، الْمَاجِدِي، الْفَلَائِي، مَجْدُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، أَوْحَدُ الْفَضْلَاءِ الْمَاجِدِينَ، قُدْوَةُ الْبُلَاءِ، جَمَالُ الْكُتَّابِ، زَيْنُ الْمُتَشَقِّينَ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس ، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالي، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فنصورتها على ما أورده في "التتخيف" في ألقاب كاتب السرّ بالأبواب السلطانية : « الْمَجْلِسُ الْعَالِي، الْقَضَائِي، الْكَبِيرِي، الْعَالِي، الْعَالِي، الْعَالِي، الْعَالِي، الْأَفْضَلِي، الْأَكْلِي، الْبَلِيغِي، الْمُسْتَدِي، الْمُتَقَدِّسِي، الْمَشِيدِي، الْعَوْنِي، الْمُشِيرِي، الْيَمِينِي، السَّفِيرِي، الْأَصْلِي، الْعَرِيقِي، الْفَلَائِي، صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، سَيِّدُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، قُدْوَةُ الْعَالَمَاءِ الْعَالَمِينَ، جَمَالُ الْبُلَاءِ،

أوحد الفضلاء ، جلال الأصحاب ، كهف الكُتاب ، بين المملكة ، لسان السلطنة ،
سفير الأمة ، سليل الأكابر ، مشير الملوك والسلاطين ، ولّى أمير المؤمنين .

وصورتها على ما أورده في "التخفيف" في ألقاب ناظر الخواص الشريفة :
« المجلس العالى ، القاضى ، الكبيرى ، العالى ، الفاضل ، الأوحدي ، الأكلى ،
الرئيسى ، البليغى ، البارعى ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأميرى ، المتقضى ،
المستدى ، المتصرفى ، الفلانى ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد الرؤساء فى العالمين ،
قوام المصالح ، نظام المنافع ، جلال الأكابر ، قدوة الكُتاب ، رئيس الأصحاب ،
عماد الملة ، صفة الدولة ، خالصة الملوك والسلاطين ، ولّى أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده فى ألقاب وزير دمشق إذا صُرح له بالوزارة : « المجلس
العالى ، الصاحبى ، الوزيرى ، الأصلى ، الكبيرى ، العالى ، العادى ، المؤيدى ،
الأوحدي ، القوامى ، النظامى ، الماجدى ، الأميرى ، المشيرى ، الفلانى ،
صالح الإسلام والمسلمين ، سيد الوزراء فى العالمين ، رئيس الشجراء ، كبير الرؤساء ،
بقية الأصحاب ، ملاذ الكُتاب ، عماد الملة ، خالصة الدولة ، مشير الملوك والسلاطين ،
خالصة أمير المؤمنين » .

وصورتها على ما أورده فى ألقابه إذا لم يُصرَّح له بالوزارة ، بل كان ناظر النظام
بالمملكة الشامية : « المجلس العالى ، القضاى ، الكبيرى ، العالى ، العاملى ،
الأوحدي ، الرئيسى ، الأميرى ، القوامى ، النظامى ، المتقضى ، المتصرفى ، الفلانى ،
جهد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، أوحد الفضلاء ، جلال الشجراء ،
حجة الكُتاب ، صفة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين » .



• وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما أورده في "التذكرة الأممية" في بعض التواقيع من ترتيب المقرّ الشهابي بن فضل الله بكتابة النّسب بالشام : « المجلس العالي ، القضائي ، الأجلّ ، الكيرى ، الرئيسى ، العالى ، العالمى ، البارعى ، الأورحدى ، الماجدى ، الأيمرى ، الأئبل ، الأفضلى ، الأصلى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، شرف الرؤساء ، أوحّد الكبراء ، صدر الأعيان ، جمال الكُتاب ، جلال الحُساب ، صفوة الدولة ، خالصة الملوك والسلطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء ، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات فلم يذكر صورتها في "التتيف" .

وصورتها على ما رأيت في بعض النساخ : « المجلس السامى ، القضائي ، الأجلّ ، الكيرى ، العالى ، الفاضل ، الكافى ، الرئيسى ، الأورحدى ، الأصلى ، الأيمرى ، البلىنى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، شرف الرؤساء ، نحر الأنام ، زين البقاء ، جمال الفضلاء ، أوحّد الكُتاب ، نحر الحُساب ، صفوة الملوك والسلطين » .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيت في "التذكرة الأممية" في توقيع بكتابة الدرج عن نائب الشام : « المجلس السامى ، القضائي ، الأجلّ ، الكيرى ، العالى ، الفاضل ، الكامل ، البلىنى ، الأصلى ، الرئيسى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، شرف الرؤساء ، أوحّد الكُتاب ، جمال البقاء ، مرتضى الملوك والسلطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بخيراء ، وهى مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فلم يذكر لها صورة في "التحيف" أيضا .
 وصورتها على ما رأيته في "التذكرة الآمدية" في توقيع شريف بكتابة الدرج :
 المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الصدر، الرئيس، الأوحّد، البارّع،
 الكامل، الأصيل، الفاضل، فلان الدين، جمال الإسلام، بهاء الأئام،
 شرف الأكابر، زين الرؤساء، أوحّد الفضلاء، زين الكُتّاب، صفوة الملوك
 والصلّطين .



وأما في غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيته في "التذكرة الآمدية" في توقيع
 كريم عن نائب الشام بكتابة الدرج بالشام، ترتيب مؤلف "التذكرة" المذكورة :
 « المجلس السامي، القاضي، الأجل، الكبير، الفاضل، البارّع، الكامل، الأوحّد،
 الرئيس، الأثير، فلان الدين، مجد الإسلام، شرف الصُّور، أوحّد الفضلاء،
 زين الكُتّاب، جمال الحُساب، صفوة الملوك والصلّطين » .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فلم يُورد لها في "التحيف" أيضا صورة .
 وصورتها على ما يقتضيه حُرُف الدِّوان : « مجلس القاضي، الأجل، الكبير،
 الفاضل، الأوحّد، الأثير، الرئيس، البلّغ، العريق، الأصيل، فلان الدين،
 مجد الإسلام، بهاء الأئام، شرف الرؤساء » .



وأما في غير السلطانيات، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الخامسة

(^(١) درجة القاضي، وهي مستعملة في السلطانيات [وفيها])

وصورتها فيما : « القاضي الأجل » وربما زيد في تعظيمه فقيل « الكبير الصدر الرئيس » ونحو ذلك .

النوع الثالث

(من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الوظائف الدينية،

وهي على خمس درجات أيضا)

الدرجة الأولى

(درجة المَقَر)

وهي غنصة بغير السلطانيات، لأنه لا يكتب لأحد من أهل هذا النوع عن السلطان بالمَقَر أيضا، بل قال في «عرف التعريف» : إنه لا يكتب به لأحد من هذا النوع في غير السلطانيات أيضا ولكن رأيت مستعملا فيما يكتب عن التواب بالمسالك . وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة المَقَر الشريف .

وصورتها على ما رأيت في بعض النسخ في توقيع عن نائب الشام للقاضي جمال الدين إبراهيم بن العديم ببعض الأقطار والتداريس بالشام : «المَقَر الشريف، العالي، المولوي، القاضي، الكبير، العالي، العادل، الأصيلي، العريفي، القوامي، النظامي، الإمامي، الملاي، القدوي، المفيد، الشيعي، الصاحبي،

الحاكمي، المحسني، الفلاني، جمال الإسلام والمسلمين، سيد الفضلاء العالمين،
قُدوة العلماء في العالمين، لسان المتكلمين، برهان المناظرين، صدر المدرسين،
جلال الطالبين، بقية السلف الكرام الدارجين، بركة الملوك والسلاطين، خالصة
أمير المؤمنين» .

المرتبة الثانية — مرتبة المَقَرِّ الكريم .

وصورتها على ما رأيت في بعض النسخ عن نائب الشام في توقيع ببعض الوظائف
الدنيئة يمشق : « المَقَرُّ الكريمُ العالى، المولوى، الفضائى، الصباحى، الإمامى،
العالمى، العالمى، العلامى، المفيدى، القريدى، البليغى، الأوحدي، المحقق،
القوامى، النظامى، العريقى، الحاكمى، المحسنى، الفلاني، جمال الإسلام
والمسلمين، جلال العلماء العالمين، أوجد المتكلمين، أكمل البلغاء في العالمين، قُدوة
المحققين، بركة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المَقَرِّ العالى .

وصورتها على ما رأيت في بعض النسخ عن نائب حلب بتدريس بها : « المَقَرُّ
العالى، المولوى، الشيخى، الكبيرى، الإمامى، العالمى، العلامى، المفيدى،
القُدوى، القريدى، المحقق، القوامى، النظامى، الحاكمى، الفلاني، علاء الإسلام
والمسلمين، أوجد الفضلاء العارفين، رُحمة الطالبين، نُجبة المحققين، جمال العلماء
في العالمين، خالصة الملوك والسلاطين » .

الدرجة الثانية

(درجة الجَنَاب)

وقد جعلها في "عرف التعريف" أعلى ما يُكْتَب لهذا النوع ، وهي على ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى — مرتبة الجَنَاب الشريف . وهي مختصة بغير السلطانيات .
وصورتها على ما أورده في "عرف التعريف" « الجَنَابُ الشريفُ العالی ، المولوی ، القضاة ، السیدی ، الإمامی ، العالمی ، العاملی ، العلّامی ، الكاملی ، الأصیل ، الأوحدي ، المفیدی ، القُدوی ، الفریدی ، الجُعی ، المجتهدی ، القلانی ، حُجّة الإسلام (أَوْضِیاء الإسلام) شرف الأنام ، أثرُ الإمام ، صدرُ الشام ، سیدُ العلماء والحکام ، أو أَوْحَدُ العلماء الأعلام ، بقیةُ السلف الکرام ، شیخُ المذاهب ، مُجَلِّ الغیاهب ، قُدوةُ الفرق ، رئیسُ الأصحاب ، مفتیُ السُنّة ، مؤیدُ الملّة ، شمسُ الشریعة ، سیفُ النّظر ، مفیدُ الطالبین ، لسانُ المتکلمین ، ولیُّ أمير المؤمنين » .
فإن كان حاکما قبل القلانی « الحاکمی » وقبل ولیِّ أمير المؤمنين « حاکم الملوك والسلطین » .

المرتبة الثانية — مرتبة الجَنَاب الکرم . وهي مختصة بغير السلطانيات أيضا .
وصورتها على ما رأيته في بعض النّسائیر الشامیة في توقيع القاضي جمال الدین ابن أبي جرادة الحنفی ببعض الوظائف الدینیة : « الجَنَابُ الکرم العالی ، المولوی ، القضاة ، الکبیری ، الصّاحبی ، الإمامی ، العالمی ، الفاضلی ، الكاملی ، الأریخی ، اللّیثی ، الأصیل ، العریقی ، القوّامی ، النظامی ، القلانی ، جمالُ الإسلام والمسلمین ، أَوْحَدُ الفضلاء فی العالمین ، أَكْمَلُ نُجَبَاءِ الْإِثْنَاءِ الْعَالِمِین ، خالصةُ الملوك والسلطین » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الجَنَابِ العالى . وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما استقر عليه الحال فى ألقاب قاضى القضاة
الشافعى بالديار المصرية : « الجَنَابِ العالى، القاضى، الشىخى، الكبيرى،
العالمى، العالمى، الأفضلى، الأكلى، الأوحدى، البلىنى، الفريدى، المفيدى،
التجيدى، القُدوى، الحُجى، المحققى، الورعى، الخاشعى، النابىكى، الإمامى،
العَلَمى، الأصلى، العريقى، الحاكمى، الفلانى، جمالُ الإسلام والمسلمين،
شرفُ العلماء العاملين، أُوحدُ الفضلاء المُفيدين، قُدوةُ البلغاء، حُجةُ الأمة، عمدةُ
المحققين، نَفَرُ المدرسين، مفتى المسلمين، جلالُ الحُكَّام، بركةُ الدولة صَدرُ مصر
والشام، مِيزُ السنة، مؤيدُ الملة، شمسُ الشريعة، رئيسُ الأصحاب، لسانُ المتكلمين،
حَكَمُ الملوك والسلاطين، وَلِىُّ أمير المؤمنين » .



وأما فى غير السلطانيات، فصورتها على ما رأيت فى بعض العساكر فى توقيع عن
نائب الشام ببعض الوظائف الدينية لبعض العلماء : « الجَنَابِ العالى، الشىخى،
الكبرى، العالمى، الفاضلى، الكاملى، الأوحدى، الماجدى، القوامى، النظامى،
الفلانى، ضياءُ الإسلام والمسلمين، أُوحدُ الفضلاء العارفين، جلالُ الأئمة
فى العالمين، خالصةُ الملوك والسلاطين » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "التتقيف" فى ألقاب القضاة
الثلاثة بالديار المصرية غير الشافعى : « المجلس العالى ، القاضى ، الكبيرى » ،
العالمى ، العالم ، الأفضلى ، الأجلى ، الأوحدي ، البليغى ، الفريدى ، المفيدى ،
النجيدى ، القدوى ، الجبى ، المحققى ، الإمامى ، الأصلى ، العريقى ، الحاكى ،
الفلايى ، جمال الإسلام والمسلمين ، سيد العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء المفيدين ،
قدوة البلغاء ، حجة الأمة ، عمدة المحدثين ، نفع المدرسين ، مقي المسلمين ، جلال
الحكام ، حكم الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "عريف التعريف" : « المجلس
العالى ، القضاى ، الأجلى ، الإمامى ، الصبرى ، الرئيسى ، الفقيهى ، العالمى ،
العلمى ، الكاملى ، الفاضلى ، الأوحدي ، الفلايى ، مجد الإسلام ، نفع الأنام ،
تاج العلماء والحكام (أو شرف العلماء والحكام) جمال الأئمة ، أوجد الأئمة ، صدر
المدرسين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بإياه ، وهى مستعملة فى السلطانيات
وغیرها .

فأما فى السلطانيات ، فلم يذكر لها فى "التتقيف" صورة .

وصورتها على ما رأيته في بعض التواريخ : « المجلس السامى ، القضاى ،
الكبرى ، العالمى ، الفاضل ، الأوحدى ، الرئيسى ، المفيدى ، البينى ، القدوى ،
الآخبرى ؛ مجد الإسلام والمسلمين ، جمال العلماء العالمين ، أوجد القضاة ، صدر
المدرسين ، عمدة المفتين ، خالصة الملوك والسلاطين » .

وصورتها على ما رأيته في بعض تواريخ بعض الخطباء « المجلس السامى ، القضاى ،
الشيخى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ، العابدى ، الزاهدى ، الخاشعى ، الناسكى ،
الخطيبى ، القلانى ؛ ضياء الإسلام والمسلمين ، أوجد الخطباء في العالمين ، جمال الأئمة
القضاة البارعين ، لسان البيان ، ترجمان الزمان ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده في "حرف التعريف" :
« المجلس السامى ، القضاى ، الأجل ، الإمامى ، الصدى ، الفقيهى ، العالمى ،
الكامل ، الفاضل ، القلانى ؛ مجد الإسلام ، بهاء الأئمة ، جمال العلماء ، أوجد
القضاة ، شرف النبلاء ، صفوة الملوك والسلاطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بنيراء ، وهى مستعملة في السلطانيات
وغيرها .

فأما في السلطانيات فلم يذكر ما صورة في "التتيف" .

وصورتها على ما رأيته في بعض التواريخ : « المجلس السامى ، القاضى ، الأجل ،
الكبرى ، الصدى ، الرئيس ، العالم ، الفاضل ، الكامل ؛ فلان الدين ، مجد الصلوة ،
زين الأعيان ، مرقى الملوك والسلاطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في "عرف التعريف" :
« المجلس السامي ، القاضي ، الأجل ، الكبير ، العالم ، الفاضل ، الكامل ، الأوحِد ،
الأخير ، البارِع ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، نضر الصدور ،
جمال الأعيان ، مرتضى الدولة ، صفوة الملوك والصلوات » .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات فلم يذكر لها صورة في "التعريف" .

وصورتها على ما رأيته في بعض التواقيع : « مجلس القاضي ، الأجل ، الكبير ،
العالم ، الفاضل ، الأوحِد ، الكامل ، الصدر ، الرئيس ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ،
زين الأعيان ، نضر الصدور ، مرتضى الملوك والصلوات » .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

الدرجة الخامسة

(درجة القاضي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فهما : « القاضي ، الأجل » وربما زيد في التعظيم نحو « الكبير الصدر
الرئيس » ونحو ذلك .

النوع الرابع

(من الألقاب الإسلامية ألقاب مشايخ الصوفية وأهل الصلاح ،

وهي على خمس درجات)

الدرجة الأولى

(درجة المقرّ، وليس لها استمالة في السلطانيات ؛ وفي غير السلطانيات

لها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المقرّ الشريف .

وصورتها : « المقرّ الشريف ، العالى ، التولى ، الشىخ ، السيدى ، الإمامى ،
العالى ، العالمى ، الكافى ، الفاضل ، الورع ، الزاهد ، العابد ، الناسك ،
السالك ، انشايشى ، المسلكى ، المحقق ، المدقق ، الفلاح ، صلاح الإسلام
والمسلمين ، جمال الأصفياء العالمين ، خالصة الأئام ، صفوة الأعياء ، قطب العباد ،
الملا ، على الحقيقة ، والمالك لأزمة الطريقه ، بقية السلف ، قنوة الخلف ،
مفيد الطالبين ، أوجد المحققين ، ركن الملوك والسلاطين ، ولي أمير المؤمنين » .

وقد تهم أن الأحسن في اللقب المضاف إلى السلاطين هنا « بركة الملوك
والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المقرّ الكريم ، وألقابها من نسبة الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — مرتبة المقرّ العالى ، وألقابها نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(دَرَجَةُ الْجَنَابِ ، وفيها ثلاثُ مراتبٍ)

المرتبة الأولى — مرتبةُ الجَنَابِ الشريف . وهي مَخْتَصَّةٌ بغير السلطانيات .

وصورتها : « الجَنَابُ الشريفُ ، العَالِي ، المَوْلَوِي ، الشَّيْخِي ، الإِمَامِي ، العَالِي ،
العَامِلِي ، الكَافِي ، الفاضِلِي ، الزَّاهِدِي ، العَابِدِي ، الخَاشِعِي ، التَّاسِكِي ، الوَرَعِي ،
جَلالُ الإسلامِ ، سَيِّدُ الإِمَامِ ، قُطْبُ الزُّهَادِ ، عِلْمُ الْعِبَادِ ، أَوحدُ التَّامِكِينَ ،
قُرَّةُ السَّالِكِينَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثانية — مرتبةُ الجَنَابِ الكَرِيم . وهي مَخْتَصَّةٌ بغير السلطانيات أيضا .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التَّوَاقِيعِ عن نَائِبِ الشَّامِ : « الجَنَابُ الكَرِيمُ ،
العَالِي ، الشَّيْخِي ، العَالِي ، العَامِلِي ، العَلَّامِي ، الْأَوْحَدِي ، الْقُدُّوسِي ، العَابِدِي ،
التَّاسِكِي ، الخَاشِعِي ، الْمُسَلِّكِي ، الْمُرَبِّي ، الرَّبَّانِي ، الْأَصْبَلِي ، الْفَلَاحِي ، مُجَدِّدُ الْإِسْلَامِ ،
حَسَنَةُ الْأَيَّامِ ، قُدُّوسُ الزُّهَادِ ، مَلَأَ الْعِبَادَ ، جَمَالَ الْوَرَعِينَ ، مَرْبِيُّ الْمُرِيدِينَ ،
أَوحدُ الْمُسَلِّكِينَ ، خَلَفَ الْأَوْلِيَاءَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

المرتبة الثالثة — مرتبةُ الجَنَابِ العَالِي . وهي مَخْتَصَّةٌ بغير السلطانيات .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التَّوَاقِيعِ عن نَائِبِ الشَّامِ : « الجَنَابُ العَالِي ،
الشَّيْخِي ، العَالِي ، العَامِلِي ، الْأَوْحَدِي ، العَابِدِي ، التَّاسِكِي ، الوَرَعِي ، الزَّاهِدِي ،
الخَاشِعِي ، الْمُسَلِّكِي ، الْأَصْبَلِي ، الْفَلَاحِي ، مُجَدِّدُ الْإِسْلَامِ ، بَهَاءُ الْأَنْامِ ، قُدُّوسُ الْعِبَادِ ،
جَمَالَ الزُّهَادِ ، أَوحدُ الْمُسَلِّكِينَ ، بَرَكَةُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ » .

الدرجة الثالثة

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما أورده فى "التحيف" فى ألقاب شيخ
الشيخ بمناقاه سرياقوس : « المجلس العالى ، الشيخى ، الكبرى ، العالى ،
العالمى ، السالكى ، الأوحدي ، الزاهدي ، العائدي ، الخاشعي ، الناسكي ،
المفيدى ، القنوي ، الإمامي ، النظامي ، الملاذي ، جلال الإسلام والمسلمين ،
شرف الصلحاء والمؤمنين ، شيخ شيوخ الإسلام ، أوسع العلماء فى الأنام ،
قنوة السالكين ، بركة الملوك والسلاطين » .



وأما فى غير السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "عريف التعريف" : « المجلس
العالى ، الشيخى ، الأجل ، الإمامي ، العالى ، العالمى ، الزاهدي ، العائدي ،
الورعي ، الخاشعي ، الناسكي ، القنوي ، الفلاني ، خيرة الإسلام ، شرف الأنام ،
زين العباد ، نور الزهاد ، ذخرة الطالبين ، كثر الثمن ، ملجأ المريدين ، بركة الملوك
والسلاطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء، وهى مستعملة فى السلطانيات وغيرها .
أما فى السلطانيات ، فصورتها على ما أورده فى "التحيف" فى ألقاب الشيخ
شمس الدين الطوطى من كان يكتب إليه قديماً : « المجلس السامى ، الشيخى ،
الأجل ، العالى ، العالمى ، الكاملى ، الفاضلى ، الزاهدي ، الورعي ، العائدي ،
الخاشعي ، الناسكي ، القنوي ، الأوحدي ، الفلاني ، مجدد الإسلام ، ضياء الأنام ،

بقية السلف الكرام ، نحر الصلحاء ، أوحدهُ الكبراء ، زين الزهاد ، عمادُ العبّاد ،
قُدوةُ المتوَّعين ، ذُخرُ النُّوك ، ركنُ الملوك والصلّطين .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع الشريفة : « المجلس السامى ، الشيخى ،
الكبرى ، الأوحدي ، الأجلّى ، العابدى ، الخاشعى ، الناسكى ، جمالُ الإسلام ،
زينُ الأنام ، صَفوةُ الصلحاء ، نحرُ العبّاد ، بركةُ الملوك والصلّطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره المَقَرَّ الشَّهابى بِتُ فضل الله
في بعض التواقيع عن نائب الشام : « المجلسُ السامى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ،
الخاشعى ، الورع ، الناسكى ، السالكى ، العارفى ، القُدوى ، البليغى ، الأصلى ،
الشيخى ، القلائى ، مجدُ الإسلام ، شرفُ العلماء ، قُدوةُ الفضلاء ، نحرُ الصلحاء ،
جمالُ النّسّاك ، قُدوةُ السّلاك ، أوحدهُ العارفين ، بركةُ الملوك والصلّطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبةُ المجلس السامى بغيرياء ، وهى مستعملة في السلطانيات
وغيرها .

فأما في السلطانيات فلم يُورد لها صورةٌ في « التّحيف » .

وصورتها على ما رأيتُه في بعض التواقيع الشريفة : « المجلس السامى ، الشيخ ،
الصالح ، الزاهد ، العابد ، الورع ، الخاشع ، النامك ، السالك ، فلان الدين ،
مجدُ الصلحاء ، زينُ المشايخ ، قُدوةُ السالكين ، بركةُ الملوك والصلّطين » .



وأما في غير السلطانيات ، فصورتها على نحو من ذلك .

الدرجة الرابعة

(درجة مجلس الشيخ)

وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

ولم يورد لها صورة في "التتيف" . وصورتها على ما في بعض النسخات : ومجلس الشيخ، الصباح، الزاهد، العابد، التائب، السالك، فلان الدين، مجد الصلحاء، زين المشايخ، بركة الملوك والسلاطين .

الدرجة الخامسة

(درجة الشيخ)

وهي «الشيخ، الصالح، الورع، الزاهد» ونحو ذلك .

النوع الخامس

(ألقاب التجار الخوارجية، والمستعمل فيه أربع درجات)

الدرجة الأولى

(درجة الجنتاب)

ولم أرفها غير مرتبة الجنتاب العالي فيما عند السلطانيات .

وصورتها على ما رأيت في بعض النسخات الشامية فيما كتب به لبعض الخوارجية : «الجنتاب العالي، الصدري، الكيروي، المحترمي، الموثقي، الأوسدي، الأكلبي، الرئيسي، العارفي، المقربي، الخوارجي، الفلاني، مجد الإسلام والمسلمين .

شرف الأكابر في العالمين، أوجد الأئمة المقرّين، صدر الرؤساء، رأس الصدور، حين الأعيان، كبير الخواجكة، قمة الدولة، مؤمن الملوك والساطين. . فإن آمنق أن يكتب لاحد من الخواجكة بأصل من الجناح العالى، كُتب له من نظير هذه الألقاب وأصل منها .

الدرجة الثانية

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالى، وهى مختصة بنير السلطانيات .

وصورتها على ما رأيت فى بعض النساخ الشامية : « المجلس العالى ، الصدى ، الرئيس ، الكبير ، المحرقى ، المؤمن ، الأوحى ، الأجل ، المقرى ، الخواجكى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، شرف الأكابر ، أوجد الأئمة ، صدر الرؤساء ، زين الأعيان ، قمة الدولة ، مؤمن الملوك والساطين » .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامى بالياء، وهى مستعملة فى السلطانيات

وغيرها .

فأما فى السلطانيات، فصورتها على ما ذكره فى «التعريف» فى ألقاب خواجا صاف بن مسافر، ونظام الدين الإسماعلى : «المجلس السامى ، الصدى ، الكبير ، الكامل ، الماحدى ، الأوحى ، المقرى ، المنتهى ، الأمين ، الأمير ، الخواجكى ، الفلانى ، مجد الإسلام ، زين الأئمة ، شرف الرؤساء ، أوجد الكبراء ، تابع الأئمة ، نحر الأعيان ، مقرب الحضرة ، مؤمن الدول ، صفوة الملوك والساطين » .



وأما في غير السلطانيات، فنصورتها على نحو من ذلك .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامي بغيراء، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات، فنصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب بعض الخوارجية: «المجلس السامي، الصدر، الأجل، الكبير، الكامل، الماجد، الأوحى، المقرب، المتعصب، الأمين، الأمير، الخوارج، فلان الدين، مجد الرؤساء، زين الأكاير، مجد الصدور، جمال الأعيان، مقرب الدولة، صفوة الملوك والسلاطين» .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

الدرجة الثالثة

(درجة مجلس الصدر، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات، فنصورتها على ما ذكره في "التتيف": «مجلس الصدر، الأجل، الكبير، المحترم، المقرب، الأوحى، فلان الدين» .



وأما في غير السلطانيات، فلا تخرج عن ذلك .

الدرجة الرابعة

(درجة الصنور، وهي مستعملة في السلطانيات وضيها)

فأما في السلطانيات فصورها على ما أشار إليه في "التتيف" : « الصنور،
الأجل، الكبير، المحترم، المقرب، الأوحى، فلان الدين » .



وأما في غير السلطانيات، فلا تبعد من ذلك .

النوع السادس

(من الألقاب الإسلامية ألقاب أرباب الصناعات الرئيسية ،
كرئاسة الطب ، ورئاسة الكمالين ، ورئاسة الجراحية ،
وبغير ذلك ، والمستعمل فيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة المجلس، وفيها ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة المجلس العالي ، وهي مستعملة في السلطانيات وضيها .
فأما في السلطانيات ، فكألقاب رئيس الأطباء ، وهي « المجلس العالي » [الفضائي^(١) ،
العالمى ، الفاضلى ، الكاملى ، الأوحى ، الفلافى ، جمال الإسلام والمسلمين ،
سيد الرؤساء فى العالمين ، أوحى الفضلاء المقربين ، خاصة الملوك والسلطين^(١)] .

(١) يرض لهذه العبارة فى الأصول ، فقلناها من ضوء الصبح للوف .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو من ذلك .

المرتبة الثانية — مرتبة المجلس السامي ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامي ، الصدرى ، الأجل ، الكبيرى ، الرئيسى ، الفلافى » .



وأما في غير السلطانيات فعلى نحو منته .

المرتبة الثالثة — مرتبة المجلس السامى بغيراء ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها .

فأما في السلطانيات ، فصورتها : « المجلس السامى ، الصدرى ، الأجل ، الكبيرى ، الرئيسى ، المحترم » .



وأما في غير السلطانيات ، فعلى نحو ذلك .

الدرجة الثانية

(درجة الصدر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيهما : « الصدر الأجل » فإن زيد في تعظيمه ، قيل : « الكبير المحترم » .

النوع السابع

(من الألقاب الإسلامية ألقاب الحاشية السلطانية ، كمهتارية البيوت ،
ومهندس البائر، ورئيس الخواقة ونحوهم ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة مجلس الصدر، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

فأما في السلطانيات ، فصورتها على ما ذكره في " التنقيف " في ألقاب المهندسين
والرئيس : « مجلس الصدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ، فلان الدين » .
وفي ألقاب مهتارية البيوت : من مهتار الشراب خاناه ، والعطشت خاناه ، والفراش
خاناه ، وإخوان سآلار ونحوهم : « مجلس الصدر ، الأجل ، الكبير ، المحترم ، المؤمن ،
الحاج فلان » .



وأما في غير السلطانيات ، فكذلك أو أزيد .

الدرجة الثانية

(درجة الصدر ، وهي مستعملة في السلطانيات وغيرها)

وصورتها فيهما : « الصدر الأجل » فإن زيد في رطابته قيل بعد ذلك :
« الكبير المحترم » .

النسب ثمان

(من الألقاب الإسلامية ألقاب النساء ، وفيه درجتان)

الدرجة الأولى

(درجة الجهة ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى — مرتبة الجهة الشرفة ، وصورتها على ما ذكره في "التحيف"
في القاص إلى بنت الملك الناصر محمد بن قلاوون عن واليتها : «الجهة الشرفة»
العالية المحجة ، المصونة ، الولية ، الضميمة ، عصمة الدين ، جلال النساء ، شرف
الخواتين ، سيلة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التحيف" أيضا في المكتبة إلى أم آتوك :
زوجة السلطان الملك الناصر عنه : «الجهة الشرفة ، العالية ، المعظمة ، المحجة ،
المصونة ، الكبرى ، خوند خاتون ، جلال النساء في العالمين ، قرينة الملوك
والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في المكتبة إلى أخت السلطان الملك الناصر حسن عنه :
«الجهة الشرفة ، العالية ، المكرمة ، المحجة ، المصونة ، الكبرى ، الخاتون ،
جلال النساء في العالمين ، جميلة المحجبات ، جليسة المصونات ، كريمة الملوك
والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في ألقاب الست حَلَق : «الجهة الشريفة، العالية،
الكبرى، المحجبة، المصونة، الحاجة، والدية، جلال النساء في العالمين، بركة
الدولة، والدة الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأته في بعض النساخ في ألقاب والدة الأشراف شعبان
أبن حسين : «الجهة الشريفة، العالية، الكبرى، المعظمة، المحجبة، المصونة،
الخاتون، جلال النساء في العالمين، سيدة الخواتين، جميلة المحجبات، جليلة
المصونات، والدة الملوك والسلاطين» .

المرتبة الثانية — مرتبة الجهة الكريمة .

وصورتها على ما أورده في «التحيف» في ألقاب دلشاه : زوج الشيخ حسن الكبير،
بغداد : الجهة الكريمة، المحجبة، المصونة، المصيبة، الخاتونية، المعظمة، سيدة
الخواتين، زينة النساء في العالمين، جميلة المحجبات، جليلة المصونات، قرينة نون
الملوك والسلاطين .

الدرجة الثانية

(درجة البار. وهي على نحو المرتبتين المتقدمتين في الألقاب السابقة)

الدرجة الثالثة

(درجة الستارة وهي لا تكاد تخرج عما تقدم من المرتبتين المتقدمتين)

القسم الثاني

(من الألقاب المرتبة ألقاب أهل الكُفْر، وهي على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(ألقاب متديتهم، وهي نوط)

النوع الأول

(ألقاب بطارقة النصراني)

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب الباب بُرومية: «الباب، الجليل، القديس، الروحاني، الخاشع، العامل، بآ رومية، عظيم الملة المسيحية، قُدوة الطوائف المسيوية، مملك ملوك النصرانية، حافظ البحار والخلجان، ملاذ البطارقة والأساقفة والقُسوس والرهبان، تالي الإنجيل، معرف طائفته الصهريم والتحلل، صديق الملوك والسلاطين».

وصورتها على ما ذكره في "التتيف" في ألقاب البطريرك بالديار المصرية: «البطريرك الجليل، القديس، الخاشع، قُدوة النصرانية». ثم قال: ومن نسبة ذلك وصورتها على ما رأيت في بعض التواقيع له: «الحضرة السامية، الشيخ، الرئيس، المجل، المكرم، الكاف، المعز، المفخر، القديس، شمس الرئاسة، عماد بن المعمودية، كثر الطائفة الصليبية، آخيار الملوك والسلاطين».

وصورتها على ما رأيت في بعض النماذج الشامية عن نائب الشام للبطريرك بها: «البطريرك، المحترم، المجل، العارف، الحبر، فلان، العالم بأمور دينه، المعلم لأهل ملته، دُخر الملة المسيحية، كثر الطائفة المسيوية، المشكور بقله عند الملوك والسلاطين».

النوع الثاني

(ألقاب رؤساء اليهود)

وصورتها على ما رأيت في بعض التواقيع لرئيس اليهود بالشام من إنشاء القاضي
عبي الدين بن الزكي في سنة ست وعشرين وستمائة : «الرئيس، الأوحُد، الأعز،
الأخض، الكبير، شرفُ الطائفة الإسرائيلية فلان» .

الضرب الثاني

(ألقاب ملوكهم وتختص بالنصارى ، وهو نعتان)

النمط الأول

(الألقاب المذكّرة، وهي على ثلاثة أنواع)

النوع الأول

(ما يَصْدُرُ بالآلف واللام ، وهي على خمس مراتب)

المرتبة الأولى — مرتبة الحضرة العالية .

وصورتها على ما أورده في " التعريف " في ألقاب ملك الحبشة : « الحضرة
العالية، حضرة الملك الجليل ، المُعَام ، الضَرَام ، الأسد ، الفَصَنَقَر ، الخطير ،
الباسل ، السَّمِيدَع ، العالم في ملته ، العادل في مملكته ، المُتَصِف لِجِئَتِهِ ، المُتَّبِع لما
يحب في أقضيته ، حرّ الأمة النصرانية ، فَاَصْرُ المِلَّةِ المِسيحية ، رُكْنُ الأُمَّة العيسوية ،
عماد بني المعمودية ، حافظ البلاد الجنوبية ، مُتَّبِع الحواريين ، والأخبار الشريانيين ،

والبطاركة القديسين، معظم كنيسة صهيون، أوحده ملوك البقوبية، صديق الملوك والساطين» .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" أيضا في ألقاب صاحب القسطنطينية :
« الحضرة العلية ، المكرمة ، حضرة الملك الجليل ، الخطير ، الممام ، الأسد ،
الغضنفر ، الباسل ، الضرم ، المعروق ، الأصيل ، المجد ، الأيل ، البلاوس ،
الريدارغون ، ضابط الممالك الرومية ، جامع البلاد الساحلية ، وارث القيصرية القديمة ،
مُحيي طرق الفلاسفة والحكماء ، العالم بأمو دينه ، العادل في ممالكه ، مُعز النصرانية ،
مؤيد المسيحية ، أوحده ملوك الميسورية ، مُحوّل الثغور والبيجان ، حامى البحار
والخلجان ، ملك ملوك الشريان ، عماد بني المعمودية ، رضى الباب بابا رومية ، بقعة
الأصدقاء ، صديق المسلمين ، أسوة الملوك والساطين فلان » .

المرتبة الثانية — مرتبة الحضرة العلية .

وصورتها على ما أورده في "التعريف" في ألقاب ملك الكرج : «الحضرة العلية ،
حضرة الملك الجليل ، الممام ، الباسل ، الضرم ، السميدع ، الكرار ، الغضنفر ،
المتصح ، المتوج ، العالم في ملته ، العادل في رعيته ، بقعة الملوك الاغريقية ، سلطان
الكرج ، ذخر ملوك البحار والخلج ، حامى جمى القراصنة ، وارث آباءه في الأسرة
والبيجان ، سباج بلاد الروم وإيران ، سليل اليونان ، خلاصة ملوك الشريان ،
بقعة أبناء الثغور والبيجان ، مُعز النصرانية ، مؤيد الميسورية ، مسيح الأبطال المسيحية ،
معظم البيت المقدس بقعة النية ، عماد بني المعمودية ، ظهور الباب بابا رومية ،
مؤاد المسلمين ، خلاصة الأصدقاء المقرين ، صديق الملوك والساطين » .

المرتبة الثالثة — مرتبة الحضرة السامية .

وصورتها على ما أورده في " التعريف " في ألقاب الأدفونش صاحب طليطلة وإشيلية من الأندلس : « الحضرة السامية ، الملك الجليل ، الهمام ، الأسد ، الباسل ، الضرم ، الفضتر ، بقية سلف قيصر ، حامي حماة بنى الأصفر ، المنع السلوك ، وارث لنزيق وذراعي الملوك ، فارس البر والبحر ، ملك طليطلة ومايلها من البلاد الأندلسية ، بطل النصرانية ، عماد بنى المعمودية ، حامل راية المسيحية ، وارث التيجان ، شبه مريمنا المعمدان ، محب المساكين ، صديق الملوك والسلاطين » .

المرتبة الرابعة — مرتبة الحضرة المكرمة .

وصورتها على ما رأيته في بعض النسخ الشامية في ألقاب صاحب قبرس : « الحضرة المكرمة ، حضرة الملك الجليل ، البطل ، الهمام ، السميدع ، الضرم ، الفضتر ، القمقام ، مؤيد الملة المسيحية ، عماد بنى المعمودية ، ذنر الملة النصرانية ، حامي الجزائر القبرسية ، مؤاد المسلمين ، صديق الملوك والسلاطين ، الملك فلان » .

المرتبة الخامسة — مرتبة الحضرة الموقرة .

وصورتها على ما ذكره في " التعريف " في ألقاب الأدفونش المتقدم ذكره : « الحضرة الموقرة ، الملك الجليل ، المكرم ، المجمل ، الخطير ، البطل ، الباسل ، الهمام ، الضرم ، الريدأرغون ، نصر النصرانية ، نصر الأمة العيسوية ، ذنر الملة المسيحية ، حامي الثغور ، مملك السواحل والبحور ، عماد بنى المعمودية ، ظهر بإله رومية ، ملاذ الفرسان ، جمال الثغور والتيجان ، صديق الملوك والسلاطين » .

النوع الثاني

(ما يُصدّر بحضرة مع الإضافة)

وصورتها على ما ذكره في "التخفيف" في ألقاب صاحب القسطنطينية :
«حضرةُ الملك، الجليل، المكرّم، المبجل، الأسد، الخطير، البطل، الباسل، الهام،
الضّرغام، فلان؛ العالم في ملته، العادل في أهل مملكته، حِرّ الأمة المسيحية، كثر
الطاغمة الصليبية، جمال بن المعمودية، صفصام الملوك اليونانية، حُسام المملكة
المساوئية، صاحب أمصار الروس والعلّان، مُعزّ احتقاد الكرّج والسرّبان، وارث
الأميرة والتيجان، الحاكم على الثغور والبحور والخلجان، الشوقس الانجالوس
الكيلوس البالالوغس، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التخفيف" في ألقاب ملك الكرّج : «حضرةُ الملك
الجليل، المكرّم، الخطير، الباسل، التّمقام، القديس، الروحانيّ، فلان؛ حِرّ الأمة
المسيحية، كثر الطاغمة الصليبية، تُفرد دين النصرانية، ملك الجبال والكرّج والجرجان،
صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض الدساير في ألقاب ملك الكرّج أيضا : «حضرة
الملك الجليل، العالم في ملته، العادل في مملكته، المتوّج من الله فلان؛ سيد ملوك
النصرانية، أكبر زعماء الملة المسيحية، ضابط الممالك الكرّجية، ... (١) ... خليل
الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التعريف" في ألقاب مُتّكّ ميس قبل فتحها :
«حضرة الملك الجليل، البطل، الباسل، الهام، السّميدع الضّرغام، النصفنغر

(١) يباشر بالاصول بقدره .

فلان؛ فخر الملة المسيحية، دُخِرَ الأُمة النصرانية، عماد بن المعمودية، صديقُ الملوك والساطين» .

وصورتها على ما ذكره في "التتيف" في ألقاب مملّك سيس المذكور أيضا :
 «حضرَةُ الملك الجليل، المكرم، المبجل، المعزّز، الهام، الباسل، فلان؛ عزّ دين النصرانية، كبير الطائفة الصليبية، عماد بن المعمودية، صديق الملوك والساطين» .
 وصورتها على ما ذكره في "التتيف" أيضا في ألقاب صاحب البندقيّة :
 «حضرَةُ الدوك الجليل، المكرم، الخطير، الباسل، الموقر، المفعم، فلان؛ نخر الملة المسيحية، جمال الطائفة الصليبية، دوك البندقيّة والمناسية، فلان؛ زين بن المعمودية، صديق الملوك والساطين» .

وصورتها على ما أورده في "التتيف" في ألقاب ملك السرب والبغار : «حضرَةُ الملك الجليل، المكرم، المبجل، المُمام، الضّرغام، الباسل، الثوقس، الأتجائوس، الكينبوس، فلان؛ عماد النصرانية، مالك السرب والبغار، نخر الأُمة العيسويّة، دُخِرَ الملة المسيحية، فارس البحور، حامى الحصون والثغور» .

وصورتها على ما أورده في ألقاب ملك موغراد : «حضرَةُ الملك الجليل، المكرم، البطل، الهام، الأسد، الضّرغام، فلان؛ مجد النصرانية، نخر العيسويّة، عماد بن المعموديّة، جمال الطائفتين الرومية والقرنيجيّة، ملك موغراد، وارثُ الساج، معزّ الباب» .

وصورتها على ما أورده في ألقاب لدوك البندقيّة خير ما تهمّم : «حضرَةُ المحتشم، الجليل، المبجل، الموقر، المكرم، المتّحم، الباسل، الضّرغام، فلان؛ عزّ الملة المسيحية، جمال الطائفة العيسويّة، دُخِرَ الملة الصليبية، صديق الملوك والساطين» .

النوع الثالث

(ما يُصَدَّر بِالْمَلِكِ وما في معناه)

وصورته على ما ذكره في "التحيف" في القباب مَلِك الحَبَشَةِ : «الملك الجليل،
المكرم، الخطير، الأسد، الضرم، الباسل، فلان؛ العالم في ملته، العادل في مملكته،
حطى ملك أعرا، أكبر ملوك الحبشان، تجاشى عصره، مسند الملة المسيحية،
عضد دين النصرانية، عماد بنى المعمودية، صديق الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما ذكر في "التحيف" في القباب دُوك البندقية خير ما هتم : «الملك
الجليل، المكرم، المبجل، الموقر، البطل، المهام، الضرم، الفضل، الخطير،
مجد الملة النصرانية، نحر العيسوية، عماد بنى المعمودية، معز يابا رومية، صديق
الملوك والسلاطين فلان» .

الخط الثاني

(من ألقاب ملوك الكُفَر [الألقاب الموشة])

وصورتها على ما أورده في "التحيف" في ألقاب صاحبة بابل : «الملكة الجليلة،
المكرمة، المبجلة، الموقرة، المنخمة، المعززة، فلاتة، العالمة في ملتها، العادلة
في مملكته، كبيرة دين النصرانية، نصيرة الملة العيسوية، حامية النور، صديقة
الملوك والسلاطين» .

الضرب الثالث

(ألقابُ قواب ملولهم وكَنَصَتَهم وَمَنْ في معنى ذلك . وهو على نوعين)

النوع الأول

(ألقاب النُواب)

وصورتها على ما ذكره في «التتيف» في ألقاب النائب بالأبواب : «النائب الجليل ، المبيجل ، الموقر ، القديس ، الرُوحاني» والتعوت من نسبة ألقاب متملك ميمس .

وصورتها على ما ذكره في «التتيف» في ألقاب صاحب دُفلة : «النائب الجليل ، المبيجل ، الموقر ، الأسد ، الباسل ، فلان ؛ مجد الملة المسيحية ، كبير الطائفة الصليبية ، غرُس الملوك والسلاطين» .

النوع الثاني

(ألقاب الكُصيلة)

وصورتها على ما ذكره في «التتيف» في ألقاب الكُنُصُل بانكفا كألقاب متملك ميمس المنقولة عن التتيف فيما تقدم .

وصورتها على ما أشار إليه في «التتيف» في ألقاب المُطْران نائب الباب بالامسة :^(١)
وهي قُبُرس نحو ما هتَم في ألقاب البَطْرُك بالديار المصرية . قال : ويزاد عليه «المُطْران فلان» ويقال في نُومته «ناصح الملوك والسلاطين» .

وصورتها على ما رأيته في بعض النُسخ الشامية في ألقاب إبراهيم كرى : أحد كُتاب الفرنج عن نائب دمشق : « المُتَحَنَّم ، الكَثير ، الخَوَل ، الأسد ، الهُمَام ، الغَضَبُور ،

(١) كذا في الأصول بدون قط .

مَوَادِّ الْمَسْلُومِينَ، مَتَّبِعِ الْحَوَارِيِّينَ، جَمَالُ الْعِيسَوِيَّةِ، أَوْحَدُ بَنِي الْمَعْمُودِيَّةِ، صَاحِبُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ» .

قلت : قد تبيّن بما تقدّم من الألقاب والشُّعُوت الإسلامية وألقاب أهل الكُفْرِ وتُعوّتهم أنها ليست واقفةً عند حدٍّ، بل هي راجعةٌ إلى اصطلاح الكُتُب واختبارهم في زيادة الألقاب وتقصّها، والإيتيان بَلَقِبِ دون لَقِبِ، مع رعاية المناسبة لكلِّ مقام وما يحتمّله من الألقاب، إلا أن تلك (أصولاً يرجع إليها) وقوانين يُوقَف عندها، إذا اضمحل الكُتُب ومثُل على نهجها وتَسَجَّ على مِنوالها، أصاب سَوَاء الثُّغرة من الصَّناعة، وطَبَّقَ الْمُفَصِّلَ بِالْمُفَصِّلِ فِي الْإِتْيَانِ بِالْمَقْصِدِ، وَمَثَلُ أَهْلِهَا وَفَرَطُ فِي مِرَاطِنَا ضَلَّ سِوَاء السَّبِيلِ، وَخَرَجَ عَنِ جَادَةِ الصَّوَابِ : (وَمَنْ يُضِلِّلِ اللَّهَ فَالَهُ مِنْ هَانٍ) .

الأصل الأوّل — أن يَقِفَ على ما رَبَّه الْبَلَاءُ مِنْ أَرْبابِ الصَّنِعةِ مِنَ الْأَلْقَابِ وَالشُّعُوتِ لِكُلِّ صِنْفٍ مِنْ ذَوِي الْأَلْقَابِ وَالشُّعُوتِ : لِأَهْلِ الْأَسْلَامِ وَأَهْلِ الْكُفْرِ . وَيُخْرِجُ ذَلِكَ مِنْهُ تَجَرُّي الْحِفْظِ وَالْإِسْتِحْضَارِ، لِيَسْهَلَ عَلَيْهِ إِيرَادُهُ فِي مَوْضِعِهِ، وَلَا يَنْشِدَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهَا عِنْدَ الْإِحْتِيَاجِ إِلَيْهِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ ذَلِكَ جَمَلَةٌ مُسْتَكْتَرَةٌ يُتَبَدَّى بِتَجْمَعِهَا، وَيَسْتَضَاءُ فِي ظُلْمَةِ اللَّبْسِ بِضَوْئِهَا .

الأصل الثاني — أن يَعْرِفَ مَا هُوَ مِنَ الْأَلْقَابِ وَالشُّعُوتِ حَقِيقَتُهُ لِصَاحِبِ اللَّقَبِ الَّذِي يَسْتَعْمَلُهُ فِيهِ : كَالْعَالِمِيِّ لِأَهْلِ الْعِلْمِ، وَالْعَابِدِيِّ لِأَهْلِ الصَّلَاحِ، وَالْعَادِلِيِّ لِلْعُلَمَاءِ مِنْ أَرْبابِ السُّيُوفِ وَغَيْرِهِمْ، وَمَا هُوَ مِنْهَا بِجَازِيٍّ : كَالْعَالِمِيِّ لِأَرْبابِ السُّيُوفِ وَالْكُتُبِ . حَيْثُ لَا أَتَصَافُ لِصَاحِبِ اللَّقَبِ بِالْعِلْمِ، وَالْأَصِيلِيِّ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ أَبَاءٌ فِي الرِّبَايَةِ وَلَا عَرَأْفَةٌ فِي النَّسَبِ، وَنَحْوُ ذَلِكَ مِمَّا يَجْرِي هَذَا الْخَيْرُ .

الأصل الثالث — أن يَعْرِفَ الْأَلْقَابَ الْخَاصَّةَ بِبَعْضِ دُونَ بَعْضٍ، كَالشَّرِيفِيِّ، وَالْحَسَنِيِّ، وَالنَّسَبِيِّ، لِلْأَشْرَافِ أَوْلَادِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَالْكَافِيِّ لِتَابِ

السلطنة أو وزير كبير، والنوحي لأمير التوأمين بالشرق، والمدبري للوزير ونحوه من ناظر الخاص ومن في معناه، والمشيدي لمن يؤخذ رأيه من أكبر أبواب السيوف والأقلام، والسيفري للحاجب والنوادر وكاتب السر، واليميني للنوادر وكاتب السر، والعريقي لدى العرافة في النسب، والأصلي لمن له ثلاثة أبناء في الرئاسة.

وكذلك النعوت كواليد الملوك والسلاطين لمن يكون له أولاد من الملوك، ووَلَدَ الملوك والسلاطين لأولاد الملوك، وعَضُدَ الملوك والسلاطين للأمرء ونحوهم، وكافل الممالك للنائب الكافل، وسفير الدولة ولسان المملكة للنوادر وكاتب السر، ويمين الملوك والسلاطين لها أيضا، ووالدة الملوك والسلاطين لمن يكون من أولادها ملك، وكرمة الملوك والسلاطين لمن يكون من إخوتها سلطان، وقرينة الملوك والسلاطين لمن تكون زوجة ملك، وصديقي الملوك والسلاطين، أو مواد الملوك والسلاطين لملوك الكُفَر، وقَرِينِ الملوك والسلاطين لتوابعهم، ونحو ذلك مما يجرى هذا القبري : فيُوضع كل لقب أو نعوت منها في موضعه ولا يُجاوزه إلى غيره . وأنت إذا تأملت ما سلف من ترتيب الألقاب والنعوت على الأصول المتقدمة، ظهر لك منها ما تستعين به على ترتيبها وإيقاعها مواقعها .

الأصل الرابع — أن يعرف الألقاب والنعوت الرتبة المقدار، فيُلحقها بما يناسبها من الألقاب الأصول، كالحاق العاليي والعادلي ومهد النول ومُشيد الممالك وما شاكل ذلك بالمعز والجناب الكريم ونحو ذلك . ويعرف الألقاب النازلة، فيُخرج منها ما يجرد عن الباء ويضعه بالسامى بغير الياء لما دونه كالعضد والنُروما أشبه ذلك.

الأصل الخامس — أن يعرف مراتب الألقاب في التقديم والتأخير، مثل أن يعلم أن الشريف والكريم يليان المعز والجناب، والعالي يليهما، ثم العالي يلي المعز

والجناب والمجلس ، والسامي على المجلس حيث لا يليه العالي . وأن التمتع المضاف إلى أمير المؤمنين مثل عَصْد أمير المؤمنين ، وسيف أمير المؤمنين ، وحسام أمير المؤمنين ، يكون آخر الثبوت . وأن المضاف إلى الملوك والسلاطين مثل عَصْد الملوك والسلاطين ، وظهير الملوك والسلاطين ، يكون قبله المضاف إلى أمير المؤمنين إن كان في رتبة يثبت فيها ما يضاف إلى أمير المؤمنين ، وإلا يكون المضاف إلى الملوك والسلاطين هو آخر الألقاب . وأن يعلم أن لقب التتريف : وهو القلاني أو قلان الدين يكون واسطة بين الألقاب والتمتوت ، فاصلاً بينهما . وأن لقب الوظيفة كالكاظمي والحاكمي وما أشبههما يكون قبل لقب التتريف غالباً على ما تقدم بيانه ، فيضع هذه الألقاب في مواضعها ولا يخرجها عنها ، بخلاف ما يجوز فيه التقديم والتأخير من الألقاب والتمتوت .

الجملة العاشرة

(في ذكر ألقاب جمع على أشياء متفرقة قد جرت في عُرْف الكُتُب . وهي على ضربين)

الضرب الأول

(فيما يجري من ذلك مجرى التفاضل ، ويختلف باختلاف الأحوال والوقائع ، ويتنوع إلى أنواع)

النوع الأول

(ما يوصف بالنصر ، كالجيوش والساكر والقلاع والبريد ونحو ذلك)

فيقال في الجيوش والساكر : «الجيوش المنصورة» ، والساكر المنصورة» ويقال في القلاع المنصورة «قلعة دمشق المنصورة وقلعة حلب المنصورة» ونحو ذلك ،

وكذلك يقال « القلاع المنصورة » على الجمع تَقْاؤُلاً بمحصول النقص لها ؛ ويقال في البريد : « البريد المنصور » على ما أصطلح عليه مُجَلِّبُ الزمان . على أن في وصف البريد بالمنصور نظرا : لأنه إنما وُضِعَ ليُوَصِّلَ الأخبارَ ونحو ذلك ، وكان الأحسن أن يوصف بالسعيد ونحو اللهم إلا أن يُراد أنه ربما وصل به خبرُ النصر على العدو ، وهو من أهم المهمات ، وكأنه وُصِفَ بأشرف متعلقاته .

النوع الثاني

(ما يوصف بالحِراسَة ، كالمُدن والثغور)

فيقال في المدن « مِصرُ المحروسة » و « القاهرةُ المحروسة » و « دِمَشقُ المحروسة » و « حَلَبُ المحروسة » ونحو ذلك . ويقال في الثغور « الثغرُ المحروس » و « ثغرُ الإسكندرية المحروس » و « ثغرُ رشيدَ المحروس » و « ثغرُ دمياطَ المحروس » و « ثغرُ أسوانَ المحروس » ونحو ذلك تَقْاؤُلاً بوقوع الحِراسَة لها . على أنه لو وُصِفَتِ القلاعُ أيضا بالحِراسَة قيل « القلعةُ المحروسة » و « القلاعُ المحروسة » ونحو ذلك لكن له وجهٌ ظاهر . وبكل حال فكل ما كان محلَّ خوفٍ مما يبنى حِراسَتَهُ والاحتفاظُ به ، حَسُنَ وصفه بالحِراسَة . وقد رأيت مَنْ يذكُر ضابطا لتلك في البلاد : وهو أن كل مدينة مُسَوَّدة يُقال فيها محروسة وإلا فلا ، وهو جيد ، والظاهر ما قلنا ذكره .

النوع الثالث

(ما يُوصَفُ بالعبارة ، كاللداوين)

وهي المواضع التي يجلس فيها الكُتَّاب على ما يهتم بياؤه في مقدمة الكتاب وغير ذلك . فيقال : « اللداوان المعمور » و « اللداوين المعمورة » تفاؤلا بأنها لا تزال معمورة بالكتّاب ، أو بدوام عز صاحبها وبقاء دولته .

النوع الرابع

(ما يُوصَفُ بالسعادة ، كاللداوين أيضا)

فيقال : « اللداوان السعيد » و « اللداوين السعيدة » تفاؤلا بدوام سعادتها بدوام سعادة صاحبها .

النوع الخامس

(ما يُوصَفُ بالقبول)

كالضحايا المقبولة تفاؤلا بأن الله تعالى يتقبلها ، وهو في الحقيقة بمعنى الدطاء ، كأنه يقال تقبلها الله تعالى .

النوع السادس

(ما يُوصَفُ بالبر ، كالصدقة والأحباس)

فيقال في الأحباس : « الأحباس البرورة » وفي الصدقة « الصدقة البرورة » تفاؤلا بأنها تكون جارية مجرى البر الذي يلحق به الثواب . وكتّاب الجحش ويحومهم يستعملون ذلك في وصف الرزقة أيضا : وهي القطعة من الأرض تُرصد لمصالح المسجد أو الرباط أو الشخص المعين . فيقولون : « الرزقة البرورة » لجرانها مجرى الصدقة .

النوع السابع

(ما يوصف بالخذلان، كالعنق ونحوه)

فيقال : « العنقُ المخذول » على الإجمال و « فلانُ المخذول » بالتصريح باسمه
« وأهل الكفر المخذولون » ونحو ذلك تفأؤلا بأن الله تعالى يوقع بالعنق الخذلان
ويرثيه به .

الضرب الثاني

(ما يعبرى من ذلك مجرى التشريف، ويختلف أيضا

باختلاف الأحوال، ويتنوع أنواعا)

النوع الأول

(ما يوصف بالعز، كالكتاب بمعنى القرم)

فيقال فيه : « الكتاب العزيز » ومن ثم يقولون في قارئ القرآن : « من حمله
كتاب الله العزيز » وربما وُصف بذلك الديوان أيضا، كما يقال في ديوان الخلعة :
« الديوانُ العزيزُ » على ما تقدم ذكره في الكلام على الألقاب .

النوع الثاني

(ما يوصف بالشريف، كالمصحف والعلم)

فيقال في المصحف : « المصحف الشريف » وفي العلم « العلم الشريف » ولذلك
يقولون « فلان من طلبه العلم الشريف » ونحو ذلك، وكذا في الأماكن الرفيعة،

مكة والمدينة النبوية والقدس . فيقال : « مكة المشرفة » و « المدينة الشريفة »
و « القدس الشريف » والحرم الشريف تارة لحرم مكة وتارة لحرم المدينة . فإذا
جما قيل : « الحرمين الشريفان » وربما أطلق في عرف الكُتّاب الحرمان على
القدس الشريف ومقام الخليل عليه السلام ، وهو مراد المقرّ الشهابي بن فضل الله
في كتابه « التعريف » في قسم الوصايا بناظر الحرمين الشريفين دون حرم مكة والمدينة
المشرفتين . وقد اصطلاح كُتّاب الزمان على أن وصّفوا أكثر ما يُضلف إلى السلطان
بالشريف ، فيقولون فيما يصدر عن السلطان من عهد وتقليد وتوقيع ومرسوم ومثال
وتذكرة : « عهد شريف » و « تقليد شريف » و « توقيع شريف » و « مرسوم شريف »
و « مثال شريف » و « تذكرة شريفة » ونحو ذلك .

النسوع الثالث

(ما يُوصف بالكریم ، كالقرمان)

فيقال : « القرمان الكريم » والأصل فيه قوله تعالى : (إِنَّهُ لَقَرْمَانٌ كَرِيمٌ)
وقد اصطلاح كُتّاب الزمان على أن جعلوه دون الشريف في الوصف ، فوصّفوا به
ما يصدر عن دون السلطان من أكابر الدولة من النواب والامراء والوزراء :
من توقيع ومرسوم ومثال وتذكرة ونحو ذلك . فيقولون : « توقيع كريم »
و « مرسوم كريم » و « مثال كريم » و « تذكرة كريمة » . وقد توصف به المكاتب
أيضا فيقال : « إن مكاتبه الكريمة وردت » ونحو ذلك ، وقد ورد في التنزيل :
(إِنِّي أَنفِئُ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ) على أنه قد هدم أنه كان ينبغي أن يكون أرفع رتبة
من الشريف لورود التنزيل بوصف القرمان به .

النوع الرابع

(ما يُوصَفُ بِالْعُلُوِّ ، وهو في معنى الكَرَمِ في اصطلاحهم)

فيقال : « تَوْقِيعُ عَالِيٍّ » و « مَرَسُومُ عَالِيٍّ » ونحو ذلك ، وقد يُوصَفُ به الرَّأْيُ .
فيقال : « الرَّأْيُ الْعَالِيُّ » وقد يُوصَفُ به أَمْرُ السُّلْطَانِ أيضاً من ذِي الرَّتَبَةِ الرَّفِيعَةِ ،
مثل كِتَابَةِ الْوَزِيرِ عَلَى الْمَرَّاسِمِ الشَّرِيفَةِ ونحوها « أَمْتَلُ الْأَمْرِ الْعَالِيُّ » .

النوع الخامس

(ما يُوصَفُ بِالسَّعَادَةِ)

كـ « الرَّأْيُ السَّعِيدُ » و « الْأَرَاءُ السَّعِيدَةُ » وربما وُصِفَ بِذَلِكَ الدِّيْوَانُ فَقِيلَ
« الدِّيْوَانُ السَّعِيدُ » ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُوصَفُ بِالْبَرَكَاتِ ، كَالْكَتَبِ)

فيقال : « كَتَبٌ مُبَارَكٌ » وقد يُوصَفُ به الْمُتَرَلُّ فيقال : « مُتَرَلٌّ مُبَارَكٌ »
وقد يوصَفُ به الْأَمْرُ لِمَنْ دُونَ الْعَالِيِّ ، فيقال : « يَتَقَدَّمُ أَمْرُهُ الْمُبَارَكُ » وكذلك
الْمَكْتُبَةُ ، فيقال : « إِنَّ مَكَاتِبَتَهُ الْمُبَارَكَةَ وَرَدَّتْ » ونحو ذلك .

الباب الثاني

من المقالة الثالثة

(في مقادير قطع الورق ، وما يناسب كل مقدار منها من الأقسام ،

ومقادير الياض في أول الترتج وحاشيته ، وبعد ما بين السطور

في الكتابات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في مقادير قطع الورق ، وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في مقادير قطع الورق في الزمن القديم)

قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب "القول والنواعة" أن الخلفاء لم تزل تستعمل القراطيس امتيازاً لها على غيرها من عهد معاوية بن أبي سفيان . وذلك أنه يكتب الخلفاء في قراطيس من ثلثي طومار ، وإلى الأمراء من نصف طومار ، وإلى العُلماء والكتّاب من ثلث ، وإلى التجار وأشباههم من ربع ، وإلى الحساب والمسّاح من سدس . فهذه مقادير قطع الورق في القديم : وهي الثُلاثان والنصف والثُلث والرُّبع والسُدس ، ومنها استُخرجت المقادير الآتية ذكرها . ثم المراد بالطومار الورقة الكاملة ، وهي المعبر عنها في زمتنا بالقرعة ؛ والظاهر أنه أراد القطع البنددي لأنه الذي يحتمل هذه المقادير ، بخلاف الشامي ، لاسيما ويبدأ إذ ذاك داراً للخلافة ، فلا يحسن أن يقدر بنير ورقها مع اشتغالها على كمال الحاسب . وقد تهتم في الكلام على آلات الكتابة في المقالة الأولى بيان الخلاف في أول من صنع الورق .

الطرف الثاني

(في بيان مقادير قطع الورق المستعمل في زماننا، وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في مقادير الورق المستعمل بديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية

بالديار المصرية، وهي تسعة مقادير)

المقدار الأول — قطع البندائي الكامل . وعرض درجه عرض البندائي بـ كاله : وهو ذراع واحد بذراع القماش المصري؛ وطول كل وصل من الذراع المذكور ذراع ونصف بالذراع المذكور . وفيه كان تكتب عهود الخلفاء وبيئاتهم . وفيه تكتب الآن عهود أكابر الملوك ، والمكاتبات إلى الطبقة العليا من الملوك ، كأكابر القانات من ملوك الشرق .

المقدار الثاني — قطع البندائي الناقص . وعرض درجه دون عرض البندائي الكامل بأربعة أصابع مطبقة . وفيه تكتب للطبقة الثانية من الملوك ، وربما تكتب فيه [للطبقة العليا] لإعواز البندائي الكامل .

المقدار الثالث — قطع الثلثين من الورق المصري . والمراد به ثلثا الطومار من كامل المنصوري ، وعرض درجه ثلثا ذراع بذراع القماش المصري أيضا . وفيه تكتب مناشير الأمراء المقتسمين ، وتقاليد الثواب الكبار والوزراء وأكابر القضاة ومن في معانهم . ولم تخرج المادة بكتابة مكاتبة عن الأبواب السلطانية فيه .

المقدار الرابع - قطع النصف . والمراد به قطع النصف من الطومار المنصوري؛ وعرضُ درجته نصف ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتبُ مناشيرُ الامراءِ الطلبةاء ، ومراسيمُ الطبقة الثانية من الثواب، والمكتباتُ إلى الطبقة الثانية من الملوك .

المقدار الخامس - قطع الثلث . والمراد به ثلث القطع المنصوري؛ وعرضُ درجته ثلث ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتبُ مناشيرُ امراءِ العشرات، ومراسيمُ صفراء الثواب، والمكتباتُ إلى الطبقة الرابعة من الملوك .

المقدار السادس - القطع المعروف بالمنصوري . وعرضه تقديرُ رُبع ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتبُ مناشيرُ الممالك السلطانية ومقدمي الحلقة، ومناشيرُ عشرات الترتيبان ببعض الممالك الشامية، وبعضُ التواقيع وما في معنى ذلك .

المقدار السابع - القطع الصغير ، ويقال فيه قطع العادة . وعرضُ درجته تقديرُ سدس ذراع بالذراع المذكور . وفيه تُكتبُ عامةُ المكتبات لأهل المملكة وحكامها، وبعضُ التواقيع والمراسيم الصفراء، والمكتباتُ إلى حكام البلاد بالممالك، وما يجري هذا الجري . وقد كان هذا القطع والذي قبله في أول الدولة التركية طول كل وصل منه شبران وأربعة أصابع مطبوعة فما حوّل ذلك .

المقدار الثامن - قطع الشامي الكامل . وعرضُ درجته عرضُ الطومار الشامي في طوله؛ وهو قليلُ الاستعمال بالديوان، إلا أنه ربما كُتب فيه بعضُ المكتبات، كما كتب فيه عن الأشرف شعبان بن حسين لوالديه حين سافرت إلى الحجاز الشريف .

المقدار التاسع — القطع الصغير . وهو في عرض ثلاثة أصابع مطبوعة من
الورق المعروف بورق الطير، وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية . وفيه
يُكتب ملطقات الكتب وبطاق الخيام .

الجملة الثانية

(في مقادير الورق المستعملة بتأوين الإنشاء بالمالك الشامية :
دِشَقْ ، وحَلَبْ ، وطَوَابِلَسْ ، وِسْمَاة ، وِصَفْدَا ، والكِرْك .
في المكتبات والولايات الصادرة عن التواب بالمالك ،
وهي لا تخرج عن أربعة مقادير)

المقدار الأول — قطع الشامي الكامل : وهو الذي يكون عرضه عرض
الطومار الشامي الكامل في طوله على ما تقدم فيه . وفيه يُكتب عن التواب لأعلى
الطبقات من أرباب التواقيع والمراسيم ليس إلا .

المقدار الثاني — قطع نصف الحموي . وعرض درجه عرض نصف الطومار
الحموي ، وطوله بطول الطومار . وفيه يُكتب للطبقة الثانية من أرباب التواقيع
والمراسيم الصادرة عن التواب .

المقدار الثالث — قطع العادة من الشامي . وعرض درجه سدس ذراع
بنزاع القماش المصري في طول الطومار أو دونه . وفيه يُكتب للطبقة الثالثة
من أرباب التواقيع والمراسيم الصادرة عن التواب وطامة المكتبات الصادرة

عن الثواب إلى السلطان فن دونه من اهل المملكة وغيرهم ، إلا أن نائب الشام
ونائب الكرك قد جرت عادتُهُما بصُّور المكاتبَ عنهما في الورق الأحمر دونَ
غيرهما من الثواب .

المقدار الرابع — قطع ورق الطير المقدم ذكره في آخر المقادير المستعملة بالأبواب
السلطانية بالديار المصرية . وفيه تُكتب الملقَّطاتُ والبطائقُ على ما تقدم .

قلت : هذه مقادير قطع الورق بالديار المصرية والبلاد الشامية . أما غير مملكة
الديار المصرية من الممالك ، فالحال فيها يختلف في مقادير الورق المستعمل بدواؤها .
فأما بلاد المشرق فعلى نحو المقادير المتقدمة . وأما بلاد المغرب والسودان وبلاد
الترنج ، فعادة كتابتهم في طومار واحد ، يزيد طوله على حُرْضة قليلا ، ما بين صغير
وكبير بحسب ما يقتضيه حال المكتوب .

الجملة الثالثة

(في مقادير قطع الورق الذي تجرى فيه مكاتباتُ أعيان الدولة)

من الأمراء والوزراء وغيرهم بالديار المصرية

(والبلاد الشامية)

وهو قطع العادة من البَلَدِي بالديار المصرية ، وعن الشامي بالبلاد الشامية .

الفصل الثانى

من الباب الثانى من المقالة الثالثة

(فى بيان ما يناسبُ كلِّ مقدار من مقادير قطع الورق المتقدمة الذِّكر
من الأقلام ، ومقادير الياض الواقع فى أعلى الدَّرَج وحاشيته ،
وبعد ما بين السُّطور فى الكتابة . وفيه طَرَفَان)

الطرف الأول

(فيما يناسبُ كلِّ مقدار منها من قطع الورق من الأقلام)

قد ذكر المقرَّ الشَّهابيُّ بنُ فضل الله فى كتابه " التعريف " فى آخر القسم الثانى
ما يناسبُ كلِّ مقدار من مقادير الورق المستعملة بديوان الإنشاء بالديار المصرية .
من أقلام الخطِّ المنسوب فقال : إنَّ لقطع البُغدادى قلمٌ مختصر الطُّومار ، ولقطع
الثَّنين قلمٌ الثلث الثقيل ، ولقطع النُّصف قلمٌ الثلث الخفيف ، ولقطع الثُّلُث قلمٌ
التوقيعات ، ولقطع العادة قلمٌ الرَّقاع . ومن ذلك يُعلم ما يناسب كلَّ قطع من مقادير
القطع المستعملة بديوان الإنشاء بالممالك الشامية . فيناسبُ الشامى الكامل قلمٌ
التوقيعات : لأنه فى مقدار قطع الثُّلُث البِلدى أو قريب منه ؛ ويناسبُ نصف
الحوى والعادة من الشامى قلمٌ الرَّقاع ، لأنهما فى معنى القطع المنصورى والعادة
بالديار المصرية . أما قلمُ الجَنَاح لكتابة بطائق الحمام به . وأما ما كان يكتب به الخلفاء

(١) عبارة الضوء المؤلف ج ١ ص ٤١٥ ، ٤١٦ "ويناسب قطع الحوى والعادة من الشامى قلم الرقاع

لأنهما فى معنى العادة ، ويناسب ورق الطير الذى يكتب فيه البطائق والمطقات قلم الفبار وذلك بسبب بعض
الكتاب قلم الجناح الخ" وهى واضحة .

أسماعهم في الزين القديم وبه يكتب الملوك أسماءهم الآن ، فقلم الطومار : وهو القلم
الخليل الذي لا قلم فوقه . وقد هُتَم الكلام على هذه الأقلام في بيان ما يحتاج إليه
الكاتب في أواخر المقالة الأولى .

الطرف الثاني

(في مقادير البياض الواقع في أول الدرج ، وحاشيته

وبعد ما بين السطور في الكتابة)

أما مقدار البياض قبل البسملة ، فيختلف في السلطانيات باختلاف قطع الورق ،
فكلما عظم قطع الورق ، كان البياض فيه أكثر : فقطع البندادي يُترك فيه ستة أوصال
بياضا ، وتكتب البسملة في أول الساج ؛ وقطع الثلثين يُترك فيه خمسة أوصال ؛
وقطع النصف يُترك فيه أربعة أوصال ؛ وقطع الثلث يُترك فيه ثلاثة أوصال ؛ وقطع
المنصوري والعادية تارة يُترك فيه ثلاثة أوصال ، وتارة يُترك فيه وصلان ، بحسب
ما تقتضيه الحال . وقطع الشامي الكامل في معنى قطع الثلث ؛ وقطع نصف الحموي
والعادية من الشامي في معنى القطع المنصوري والعادية في البليدي . وربما اجتهد
الكاتب في زيادة بعض الأوصال وتقصانها بحسب ما تقتضيه الحال . وفي المكتبات
الهادية عن سائر أبواب الدولة مصرًا وشامًا يُترك في جميعها قبل البسملة وصل
واحد فقط . وفي كتابة الأدنى إلى الأعلى يُترك بعض وصل .



وأما حاشية الكتاب ، فبحسب اجتهد الكاتب فيه في السعة والضيق . وقد رأيت
بعض الكتب المعبرين يفترون حاشية الكتاب بالرُّع من عرض الدرج ، وهو اعتبار
حسن لا يكاد يخرج عن القانون .



وأما بعد ما بين السطور ، فيختلف باختلاف حال المكتوب واختلاف قطع الورق : ففى السلطانيات كلها على اختلاف قطع الورق فيها تكتب البسملة فى أول الفصل بعد ما يترك من أوصال البياض فى أعلى الدّرج بحسب ما تقتضيه الحال ، ثم يكتب تحت البسملة سطر ملاصق لها بحسب ما تقتضيه وضع القلم المكتوب به فى القرب والبعد ، بحسب الدقة والغلظ ؛ ثم يكتب السطر الثانى فى آخر الوصل الذى كتبت البسملة فى أوله ، بحيث يبقى من الوصل ثلاثة أصابع مطبوعة أو نحوها فى القطع الكبير ، وقدر إصبعين فى القطع الصغير ، وما بينهما بحسبه .

وقد قدر صاحب «مواد البيان» البياض الباقي بين السطر الأول والثانى أيضا . وهذا إنما يقارب فى القطع الكبير . وقد ذكر ابن شيت فى «معالم الكتابة» . - وكانت فى آخر الدولة الأيوبية فيما أظن - أن مقدار ما بين كل سطرين يكون ثلاثة أصابع أو أربعة أصابع ، والذى جرت به عادة الكتّاب فى زماننا أنه يكون فى قطع العادة والمنصورية فى كل وصل من أوصال الزمان ثلاثة أسطر ، وفيما عداه سطران . وربما وقع التفاوت فى القطع الصغير بحسب الحال حتى يكون فى التواقيع التى على ظهور القمص ونحوها بين كل سطرين بعد بيت العلامة قدر إصبعين ، وربما توالت الأسطر كما فى اللطافات ونحوها .

أما ما يكتب عن الثواب من الولايات والمكاتبات من سائر أعيان الدولة ، فدون السلطانيات فى مقدار خلق موضع العلامة ، وهو ما بين قدر خمس أصابع مطبوعة ونحوها ، وقدر [بعد] البطور فيما بعد بيت العلامة من قدر إصبعين إلى مادونهما .

(١) ميارة الضوء : قلا عن مواد البيان " بين السطر الأول والثانى بقدر شبر "

(٢) لعله من أوصاله أى المادة المنصورية . انظر الفوائد ص ٤١٧ .

الباب الثالث

من المقالة الثالثة

(في بيان المستندات، وكاتبه المخصصات، وكيفية التعيين . وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في بيان المستندات : وهي التوقيع على القصص وما يجري مجراه،

وما يحتاج فيه إلى كتابة المستندات ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(السُلْطَانِيَّات ، وهي صفات)

الصف الأول

(ما يصدر عن متولى ديوان الإنشاء : كولايات التَّوَاب والقضاء وغيرهما

من أرباب الوظائف، والتواقيع التي تُكْتَب في المسامحات

والإطلاقات، ومكاتبات البريد الخاصة بالأشغال السلطانية،

وأوراق الطريق وما يجري مجرى ذلك)

وجميعها معلومة بنظر صاحب ديوان الإنشاء . فإكان منها جليل الخطر

كولايات التَّوَاب والقضاء وأكابر أرباب الوظائف والمكاتبات المتعلقة بمهمات

السلطنة ، فلا بد من مخاطبة صاحب ديوان الإنشاء فيها واعتد ما يبرز به أمره .

وما كان منها حقيراً بالنسبة إلى مخاطبة السلطان فيه استقل فيه بما يقتضيه رأيه .

ثم من ذلك ما يُكْتَب به صاحب الديوان رقاعاً لطيفة بخطه وعينها على الكاتب

الذي يكتبها وتقع إليه لخطه عنده شاهداً له ، كالولايات والمسامحات والإطلاقات

والمكاتب المتعلّقة بأمور المملكة ونحو ذلك . ومن ذلك ما يميّز به أمر صاحب الديوان مشافهة فيكتبه من غير شاهد عنده ، وذلك في الأمور التي لا تدرك فيها على الكاتب ، كغفلة الثواب وبعض المكاتب ، إذ لا تُهمّة تلحق كاتب الإنشاء في مثل ولاية نائب كبير أو قاض حفيظ : لأن مثل ذلك لا يخفى على السلطان ، فأشبهه خطاب صاحب الديوان فيها الكاتب خطاب السلطان صاحب الديوان حيث لا شاهد عليه إلا الله تعالى ، بخلاف الأمور التي يلحق كاتبها الدرك ، فإنه لا يبدى في كتابتها من تخليد شاهد . وكان الواجب أن لا يكتب حفيظ ولا جليل إلا بشاهد من صاحب الديوان ، فإن الأمور تراكمت وتكثر ، والإنسان معرض للمسيان ، وربما عرض إنكار بسبب ما يكتبه الكاتب ونسيه صاحب الديوان فيكون الكاتب قد عرض نفسه لأمر عظيم . ولا يقاس الكاتب على صاحب الديوان في عدم أخذه شاهداً بخط السلطان ، فإن صاحب الديوان هو المتصرف حقيقة ، والسلطان وكلّ جميع أمور المملكة إليه ، فلا يتم في شيء منها ، بخلاف الكاتب .

وقد ذكر أبو الفضل الصوري في «تذكرة» أن المكتوب من الديوان إن كان مكتبة فالواجب أن يكون عنوانها بخط متولى الديوان ، وإن كان منشوراً فالواجب أن يكون التاريخ بخطه ليدل على أنه وقف على المكتوب وأمضى حكمه ورضيه ، ويكون ذلك قد قام مقام كتابة اسمه فيه . ثم قال : وقد كان الرسم بالعراق - وفيه الخُطب الأفاضل - أن يكتب الخُطب ما يكتبون ثم يقولون في آخره : « وكتب فلان بن فلان » باسم متولى ديوان الرسائل . وما ذكره عن أهل العراق قد ذكر نحوه أبو جعفر النعمان في «صناعة الخُطب» إلا أنه قد جعل بدل اسم متولى الديوان اسم الوزير [فقال] ويكتب في آخر الكتاب « وكتب فلان بن فلان » باسم الوزير وأسم أبيه . وقد رأيت نسخة من سجلات الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية

مستشهداً فيها باسم الوزير على التهج المذكور . على أنه كان الواجب أن يكون
الاستشهداد في آخر كل كتيب باسم كاتبه الذي يكتبه ليُعلم من كتبه ، فإن الخطوط
كثيرة التشابه ، لاسيما وقد كثُر كُتاب الإنشاء في زماننا ونخرجوا عن الحد ، حتى إنه
لم يعرف بعضهم بعضاً فضلاً عن أن يعرف خطه . وقد كان كُتاب النبي صلى الله
عليه وسلم إذا سجلوا عنه سجلاً أو نحوه كتب الكاتب في آخره «وكتب فلان
ابن فلان» . وهذه الرقعة التي كتبها النبي صلى الله عليه وسلم لقيم الباري بإقطاع
قُرئ من قُرئ الشام موجودة بأيدي التميميين إلى الآن مستشهداً فيها بخط أمير المؤمنين
على بن أبي طالب كرم الله وجهه . وإنما عدلوا عن اسم الكاتب نفسه إلى اسم
متولى الديوان أو الوزير استصغاراً للكاتب أن يستشهد للكاتب باسمه فيما يكتب به
عن الخليفة . قال أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» : « وقد قالوا إن أول
من كتب في آخر الكتاب «وكتب فلان بن فلان» أبي بن كعب رضي الله عنه .

الصنف الثاني

(ما يصدُر عن غير صاحب ديوان الإنشاء : كالأمر التي يكتب بها من
الدواوين السلطانية غير ديوان الإنشاء وتُمنس الكتب من
ديوان الإنشاء على مقتضاها ، كالمكتبات الخاصة بتلفات
شيء من الدواوين المذكورة ، وبعض التوقيعات
التي أصلها من ديوان الوزارة)
ويُحصَر ذلك في أربعة دواوين :

الديوان الأول - ديوان الوزارة : وهو أعظمها خطراً ، وأجلها قدراً .

وقد جرت العادة أنه إذا دعت الضرورة إلى كتابة كتاب من ديوان الإنشاء يتعلق بديوان الوزارة أن يكتب به قائمة من ديوان الوزارة في ورقة ديوانية بما مثاله : « رُسم بالأمر الشريف : شرفه الله تعالى وعظمه - أن يكتب مثال شريف إلى فلان الفلاني بكنا وكذا » . وكيفية وضع هذه القائمة أن يكون السطر الأول في رأس الورقة من الوجه الأول منها ، وآخره « شرفه الله تعالى وعظمه » ويترك بين السطر الثاني قدر أصبعين معترضين بياضا ، وباقي السطور مسترسلة متقاربة بقلم الرقاع ، ويكتب الوزير في البياض الذي بين السطر الأول والثاني بقلم الثلث مائثاله : « يكتب » . ويوجه بالقائمة إلى ديوان الإنشاء محبة مدير من ديوان الوزارة أوضعه ، فيكتب على حاشيتها يكتب بذلك ، ويُعينها على بعض كتاب الإنشاء فيكتب مثلا بما فيها ، ويخلد القائمة عنده شاهدا له ، وربما خللت بديوان الإنشاء في جملة ما يخلد في الأضابير شاهدا لديوان الإنشاء ، والأول هو الأليق .

وإن كان الذي يكتب من ديوان الوزارة توقفاً بإطلاق أو نحوه مما أصله من ديوان الوزارة ، كتب الوزير على حاشية قصة صاحبه ما مثاله « يكتب بذلك ، أو يوقع بذلك » وتبعت إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب ديوان الإنشاء بالتعيين . ثم إن كان التوقيع ملصقا بقصة فذاك ، وإلا خلد الكاتب القصة شاهدا عنده على ذلك ، وربما كتب بالإطلاقات من ديوان الوزارة مُرسات بخط مُستوفي الصحبة .

الديوان الثاني - ديوان الخالص :

وهو في كتابة الأمثلة الشريفة على ما مر من كتابة القائمة ليخرج المثال على نظيرها ، على ما تقدم في ديوان الوزارة . فتكتب القائمة على الحكم المتكلم من غير فرق ،

ويكتب ناظر الخالص عليها نظير كتابة الوزير السابقة، ويوجه بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها بالعين كما تهم، ويخلف الكاتب القائمة عنده شاهداً له، أو يخلف بديوان الإنشاء على ما تهم في ديوان الوزارة. ولا يكتب من ديوان الخالص توقيح بإطلاقات ونحوها بل يكتب بها مراسيم مربية في ورق شامي بخط مباشرى ديوان الخالص.

الديوان الثالث - ديوان الإستدارية :

وحكمه في ذلك حكم ديوان الخالص من غير فرق، ويكتب الإستدائر عليها كما يكتب الوزير وناظر الخالص، ويبحث بها إلى ديوان الإنشاء، فيجوز الحكم فيها على ما تهم في الديوانين المذكورين.

الديوان الرابع - ديوان الخيش :

والذى يرد إلى ديوان الإنشاء منه ابتداءً هي المربعات التى يكتب بالإقطاعات لصريح المناشير على نظيرها.

وصورتها أن يكتب في نصف فرجة مكسورة في القَطْع البلدى بعد الهسملة الشريفة مائثاله «المرسوم بالأمر العالى، المولى، السلطان، الملكى، الفلانى، الفلانى، أعلاه الله تعالى وشرفه، وأتخذ وصرفه؛ أو أحلام الله تعالى وأسماء، وشرفه وأعضاه، أن يقطع بأمر فلان الفلانى - أحد الأمراء المقدمين، أو الطلبخانات، أو العشرات، أو الخمسات - بالمكان الفلانى؛ أو أحد الممالك السلطانية، أو مقدمى الخلفة، أو أجناد الخلفة، بالمكان الفلانى المرسوم استقرأه في أمراء العشرات، أو الطلبخانات، أو المقدمين، أو نحو ذلك - أرسم له به الآن من الإقطاع». فإن كان أميراً قبل بعد ذلك : «خلاصته ولن يستخدمه من الأجناد الجياد القديمة الشريفة، والبرك التام، والمدة الكاملة، بمقتضى المنال الشريف، أو انقطع

العالي الكافى؛ أو بمقتضى الإشهاد المشمول بالخط الشرف، أو بالخط الكافى على نظير ما حتم « أو » بمقتضى المربعة المكتوبة من الملكة الفلانية المشمولة بالخط الشرف » إن كان أصله مربعة من بعض المالك وما أشبه ذلك . فإن كان أميرا ذُكرت منه على ما سياتى فى الكلام على المناشير فى المقالة الخامسة . ثم يقال : « حسب الأمر الشرف » ويكمل التاريخ « والحمد لله ، والصلاة على النبي صل الله عليه وسلم » ويُبحث بها إلى ديوان الإنشاء فيكتب عليها صاحب الديوان باليمين على بعض كُتاب الإنشاء ، فيكتبها ويخُذ المربعة شاهدا عنده .

الضرب الثانى

(ما يتعلق بالكُتب فى المظالم ، والنظر فيه من وجهين)

الوجه الأول

(فيما يتعلق بالقِصص)

وهى تُرفع إلى ولاة الأمور بمحاكاة صورة الحال المتعلق بتلك الحاجة ، وتُسميت قصصا على سبيل المجاز ، من حيث إن القصة أعم للحكى فى الورقة لالتصاف الورقة . وربما سُميت فى الزمن القديم رقعا لصغر حجمها ، أخذنا من الرقعة فى الثوب .

ثم الذى يجب فى هذه القِصص الإيجاز والاختصار مع تبليغ النّرض المطلوب والقرب من فهم المخاطب ، فإنها متى كانت مخارجة عن الحد فى الطول ، أدت إلى الإهمجار والسّامة المتفرّين للرؤساء . وربما كان فى ذلك حرمان الطالب ودفعه عن حاجته : إما للإعراض عنها استقالا ، وإما لعدم فهم المقصود منها لعلوها واختلاط بعض مقاصدها ببعض . وأما كونها مبلّغة للنّرض المطلوب وفهم المخاطب ،

فلانها إذا كانت بصدد الاختصار الخفيف والتعقيد، تبأ عنها فهم الرئيس وبجها ميمعه :
فأما أن يعرض عنها فيموت على صاحبها المطلوب، وإما أن يسأل غيره عن معناها
فيكون سببا لتثقله عن عز الرياسة إلى ذلك السؤال، وكلاهما غير مستحسن .

وقد جرت العادة في مثل ذلك أن يثنى من أول الورقة قليلا ، ويعمل لها هامش
بحسب عرضها ، ويبدأ فيها بالبسملة ثم يكتب تحت أول البسملة : « المملوك
فلان يقبل الأرض ، ويثنى كذا وكذا » إلى آخر إنشائه : ثم يقال : « وسؤاله كذا
وكذا » فإن كان السؤال للسلطان قال : « وسؤاله من الصدقات الشرفية كذا وكذا »
وإن كان السؤال لغير السلطان قال : « وسؤاله من الصدقات العيمة كذا وكذا » .
ثم إن كان المسؤل كتابا : فإن كان عن السلطان قال : « وسؤاله مثال شريف بكذا
وكذا ، وإن كان عن غير السلطان قال : « مثال كريم بكذا وكذا » ثم يقول إن شاء
الله تعالى ، ويحمد الله تعالى ويصل على النبي صلى الله عليه وسلم ويحسب . وربما
كتب « المملوك فلان » بمحاوية القصة ، خارجا عن ثمت البسملة . وربما أبدل
لفظ المملوك بلفظ الفقير إلى الله تعالى . ويقال حينئذ بدل « يقبل الأرض »
« يتنهل إلى الله تعالى بالأدعية الصالحة » أو « يواصل بالأدعية الصالحة »
وبحو ذلك .

وقد جرت العادة في كتابة القصص أن صاحبها إن كان أميرا ونحوه كتب تحت
البسملة « الملوك الفلاني » بلقب سلطانه ، غلّا بياضا من جانبيه . على أنه قد
تصدى لكتابة القصص من لا يفرق بين حسناتها وقبحها ، ولا ينظر في دلالتها ،
ولا يراعى مدلولها . وذلك كسنة الزمان في أكثر أحواله .

قلت : وقد جرت عادة أكثر الناس في القصص أنه إذا فرغ الكاتب من كتابة القصة يقطع قليلا من زاويتها اليمنى من الجهة السفلى مستندين في ذلك إلى كراهة الترييع .

(١)

ومن غريب ما يحكى في ذلك أن بعض الوزراء قال يوما يخلص وأنا وليت الوزارة راجع ربيع الأول سنة أربع وأربعين وأربعمائة - فقال له بعض جلسائه : إن تعاملت أنت به فقد تطيرنا نحن به . ولا شك أن مستندهم في ذلك التشاؤم بالترييع في القرآن التجوى ، ولا يقول عليه . وقد ورد أنت حوض النبي صلى الله عليه وسلم في القيامة زواياه على الترييع ، ولولا أن الترييع أحسن الأشكال لما وضع عليه حوض النبي صلى الله عليه وسلم .

الوجه الثاني

(فيما يتعلق بالنظر في المظالم ، وما يكتب على القصص ، وما يلتصق منها من المساءلات وغيرها)

وهو أمر مهم ، به يقع انصاف المظلوم من الظالم ، وخلاص الحق من الباطل ، ونصرة الضعيف على القوي ، وإقامة قوانين العدل في المملكة . وقد تبه أبو الفضل الصوري في "تذكرته" على جملة هذا القدر وخطره ، ثم قال : ومن المعلوم أن أكثر المتظلمين يصلون من أطراف المملكة ونواحيها ، وفيهم الحرّم والمقطعات

والإتيام والصعاليك ، وكل من يهد منهم معتقداً أنه يصير إلى من ينصره ويكشف
 ظلماته ويهديه على خصمه . فيجب أن يتلقى كل منهم بالترحاب والطف ،
 ويُنَبِّه لهم من يحفظ رِقَاعَهُمْ ويتَجَزَّز التوقيع فيها من غير آتماس رَشْوَةٍ ولا فائدة
 منهم ، وأن تكون التوقيعات لهم شافية في معانيها ، مسوعة لكشف ظلماتهم ،
 مؤذنة بإنجاح طلباتهم .

قال أبو هلال العسكري : في كتابه " الأوائل " : كان المهديُّ يَجلس للظالم
 ويُدخل القِصصُ إليه ، فأرتضى بعض أصحابه بتقديم بعضها ، فاتخذ يتأله مُبَاكُ
 حديد على الطريق تُطرح فيه القِصصُ ، وكان يدخله وحده فيأخذ ما يقع بيده من
 القِصصِ أولاً فأولاً فينظر فيه لئلا يُقدِّم بعضها على بعض .

قال : وقدم عليه رجل فعظَّم فأنصفه فاستخفَّه الفرح حتى غشي عليه ، فلما أفاق
 قال : ما حِسبت أرى أميُّش حتى أرى هذا العدلَ فلما رأيتَه داخلني من السرور
 ما زال معه غفلي - فقال له المهديُّ : كان الواجبُ أن تُنصِّفَكَ في بلدك ، وكان
 قد صَرَفَ في نفقة طريقه عشرين ديناراً فأمر له بخمسين ديناراً ويحلَّ منه .

قال أبو الفضل الصوري : ومهما كان من الرِّقاع يحتاجُ إلى العَرْض على السلطان ،
 صرضه عليه ، وأحسن السَّفارة والتَّلطف فيه ، ووقع بما يؤمر به ، فقد تحدث
 في هذه الرِّقاع الأمور المهمة التي تنفع بها الدولة ، وتستضر بتأخير النظر فيها ،
 ويفهم من طرقت هذه الرِّقاع من جور بعض الولاة والمستغفمين ما توجب السياسةُ
 صَرْفهم عما ولَّوه منها . ومهما كان منها مما يشكُّ السلطان في صحته ، تدب من يثق به
 للكشف مع رافقه ، فإن صحَّ قوله أنصف من خصمه ، وإن بان تحمله قويل بما

يَرُدُّعُ أمثاله عن الكُتُبِ والتمرد؛ ويعلم الوُلاةُ والمشارِقُونَ وسائرُ المستخْدَمِينَ أن السلطانَ متفرِّغٌ للنظر في قِصَصِ الناسِ وشكَاوِهِمْ ، وقد نصبَ لذلك من يتفرَّغُ له ويُطالعه بالمُهْمِ منه فيُكفِّ أيديهم عن الظلم ، ويحدِّثُونَ سُوءَ عاقبة فعلهم ، ويقولُ المتظالمُونَ قولاً واحداً ، وتحسِّنُ شُمعةُ الدولة بذلك فيكونُ لها به الجمالُ الكبير .

قلت : والذي يُرْفَعُ من القِصَصِ في معنى ذلك في زماننا على ستة أنواع .

النوع الأول

منها

(ما يرفع إلى السلطان في آحاد الأيام)

وقد جرت العادةُ فيه أن يُقرأ على السلطان : فإمضاء منه كُتِبَ على ظهر القِصةِ ما مثاله «يَكُتَبُ» ثم يحمل إلى كاتبِ السرِّ فيُعيِّنُها على بعضِ كُتَّابِ الإنشاء ، فيكُتِبُ بمقتضاها ويُخلِّدُها عنده شاهداً له .

النوع الثاني

(ما يرفع لصاحب ديوان الإنشاء)

وقد جرت العادةُ في ذلك أن رافع القِصةِ والحِجَابِ إلى الأمثلةِ الشريفةِ السلطانية في مُهمَّاته وبتعلقاته إن كان من الأعيانِ والمعتبرين كأحد من الأمراء أو المهالكِ السلطانية وأكابرِ أربابِ الأعلام ، يَبَثُّ بقصته لِدِيوانِ الإنشاء ، فيقفُ عليها صاحبُ ديوانِ الإنشاء ويتأملُها وينظر ما تضمنته ، فإن كان مما يُحتاج فيه إلى مخاطبةِ السلطان ومُؤامراته ، أخذها ليقراها عليه عند حُضُورِهِ بين يديه ، ويمتثل

ما يأمر به فيها، فيكتب بمقتضاه، سواء طابق سؤال السائل أم لا، ويمنها على كاتب من كُتّاب الإنشاء، فيكتب بمقتضاها ويخلّد القصة شاهداً عنده. وهذه المثلثات ورقها من ديوان الإنشاء من المرتب السلطاني. وإن كان رافع القصة من غير المعتبرين كأحد الناس، دفع القصة إلى مدير من مدراء ديوان الإنشاء فيجعل عليها علامة له، ويجمع كل مدير مائة من القصص، وترفع إلى صاحب ديوان الإنشاء، إما كان منها غير سائق للكتابة عليه قطعه أو رده؛ وما كان منها سائفاً كتب عليه وعينه. وربما استشكل بعضها فأخبره ليقراء على السلطان وينظر ما يأمر به فيه فيتممه. وإذا عيّن على كاتب من كُتّاب الإنشاء كتب بمقتضاها وخلّد القصة عنده شاهداً.

النوع الثالث

(ما يُرفع من القصص بدار العدل عند جلوس السلطان للحكم في المواعظ)

وقد جرت العادة في ذلك أنه إذا ترتّب مجلس السلطان على ما تقدم في ترتيب المملكة أن القصص تُتْرَق على كاتب السرّ ومن حضر من كُتّاب الدّست، فيقرأ كاتب السرّ منها ما عيّنه له قراءته، ثم يقرأ الذي يليه من كُتّاب الدّست، ثم الذي يليه إلى آخرهم، ويشير السلطان برأسه أو يده بإمضاء ما شاء منها؛ فيكتب كاتب السرّ أو كاتب الدّست على تلك القصة بما فيه خلاص قلبه، ثم يُحْمَلُ إلى ديوان الإنشاء فيعينها على من يشاء من كُتّاب الإنشاء فيكتبها، ويخلّد تلك القصص عنده شاهداً.

النوع الرابع

(ما يُرْفَعُ منها للنائب الكافل ، إذا كان قَمَ نَائِبٌ)

وقد جرت العادة أن النائب يكونُ عنده كاتبٌ من كُتَّاب النَّسْتِ يجلس بين يديه لقراءة القِصَصِ عليه ، وتُعَيِّدُ ما يُكْتُبُ عنه . فإذا رُفِعَت القِصَّةُ إلى النائب الكافل قرأها عليه كاتبُ النَّسْتِ وأمثل أمره فيها ، وأصلح في القِصَّة ما يجب إصلاحه ، وضرب على ما يجب الضرب عليه ، وزاد بين سطوره ما تقتضيه الزيادة ، ثم تدفع القِصَّةُ إلى النائب الكافل ، فيكُتَبُ على حاشيتها في الوسيط أخذًا من جهة أسفلها إلى جهة أعلاها بقلم مختصر العُلوَمار ماثله «يُكْتُبُ» ثم تحل بعد ذلك إلى كاتب السرفيعينها على بعض كُتَّاب الإنشاء فيكتبها .

النوع الخامس

(ما يُرْفَعُ من القِصَصِ إلى الأتابك ، إذا كان في الدولة)

أتابك عسكر : وهو الأمير الكبير

وغالب ما يكون ذلك إذا كان السلطان طفلًا أو نحو ذلك . وقد جرت العادة أن يكون عند الأتابك كاتبٌ من كُتَّاب النَّسْتِ أيضًا ، فإذا رُفِعَت القِصَّةُ إلى الأتابك : فإن كان الأمر فيها واضحًا تخلص حقًا أو نحوه ، كتب كاتبُ النَّسْتِ على حاشيتها ما تقتضيه الحال في ذلك من غير قراءتها على الأتابك . وإن كان الأمر فيها غير واضح كما إذا كان الأمير راجعًا إلى مُنَازَعَةِ خصمين ونحو ذلك ، قرأها على الأتابك وأمثل أمره فيها ، وكتب عليها ما يرد به بمنزلة جوابه . وفي كلتا الحالتين جرت العادة في دولتنا : [أنه يعمد] إلى أشهر حريف في أسم الأتابك فيرثله في آخر ما يكتبه أو يجمع به بكتابة يُكْتُبُ عن برقوق قبل السلطنة (ق) وعن الحقش (ش) وعن نوروز (ن) ونحو ذلك .

النوع السادس

(ما يُرَفِّعُ مِنْهَا لِلنُّوَادَارِ تُتَلَقَّى عَنْهُ الرِّسَالَةُ عَنِ السُّلْطَانِ)

وَأَعْلَمُ أَنَّ السَّادَةَ كَانَتْ جَارِيَةً فِي الزَّمَنِ الْمُنْتَقِمِ أَنَّ السُّلْطَانَ إِذَا أَمَرَ بِكَاتِبَةٍ نَحْنُ عَلَى لِسَانِ أَحَدٍ مِنَ النُّوَادَارِيَّةِ ، حَمَلَ بَرِيدِيٍّ مِنَ الْبَرِيدِيَّةِ الرِّسَالَةَ لِنَاكَ عَنْ ذَلِكَ النُّوَادَارِ إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ فَيَسْمَعُ كَلَامَ الْبَرِيدِيِّ وَيَكْتُبُ عَلَى الْقِصَّةِ إِنْ كَانَتْ أَوْ وَرَقَةً مَفْرُودَةً مِثْلَهُ : « حَضَرَتْ رِسَالَةٌ عَلَى لِسَانِ فُلَانِ الْبَرِيدِيِّ بِكَذَا وَكَذَا » وَيَعْنِيهِ عَلَى مَنْ يَكْتُبُهُ مِنْ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ . وَلَمْ يَزَلِ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْوَلَاةِ النَّاصِرِيَّةِ وَعُمْدِ بْنِ قِلَاطُونَ ، فَأَمَرْدَ الْمَقَرُّ الشَّهَابِيُّ بْنُ فَضْلِ اللَّهِ صَاحِبُ دِيْوَانِ الْإِنْشَاءِ كُتَّابًا مِنْ كُتَّابِ الْإِنْشَاءِ لِتَعْلِيْقِ الرِّسَالَةِ ، فَبَعَارَ يَكْتُبُ مَا كَانَ كَاتِبُ السَّرِّ يَكْتُبُهُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى الْقِصَصِ أَوْ الْوَرَقَةِ الْمَفْرُودَةِ ثُمَّ تُرَفِّعُ إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ فَيَكْتُبُ عَلَيْهَا بِالْأَمْرِ بِكَاتِبَتَيْهَا وَيَعْنِيهَا عَلَى مَنْ يَكْتُبُ بِمَقْضَاهَا ، وَتُحْلَلُ الْقِصَّةُ أَوْ الْوَرَقَةُ الَّتِي مَلَّقَتْ فِيهَا الرِّسَالَةُ عِنْدَهُ شَاهِدًا لَهُ . وَاسْتَمَرَّ ذَلِكَ إِلَى مُبَاشَرَةِ الْقَاضِي فَخْرِ الدِّينِ بْنِ شَاسٍ أَحَدِ كُتَّابِ الدَّيْسِ عِنْدَ النُّوَادَارِ ، وَالنُّوَادَارُ يَوْمَئِذٍ الْأَمِيرُ يُونُسُ التُّورُوزِيُّ ، فَانْدَفَ لَهُ كَاتِبُ السَّرِّ فِي تَعْلِيْقِ الرِّسَالَةِ عَنِ الْإِمِيرِ يُونُسِ النُّوَادَارِ عَلَى ظُهُورِ الْقِصَصِ وَفِيهَا فَعَلُ . وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى حَوَاشِي الْقِصَصِ فِي وَسْطِ الْقِصَّةِ أَمَّا مِنْ جِهَةِ الْيَمِينِ إِلَى جِهَةِ الْيَسَارِ بِمِثْلَةِ إِلَى الْأَعْلَى قَلَمٌ دَقِيقٌ مُتَلَاصِقٌ الْأَسْطَرُ مِثْلَهُ : « دُرُوسُ رِسَالَةِ الْخَنَابِ الْعَالِي الْأَمِيرِيِّ الْكَبِيرِيِّ الشَّرَفِيِّ يُونُسِ النُّوَادَارِ الظَّاهِرِيِّ » - ضَاحِفَ اللَّهِ تَبَالَى نِعْمَتُهُ - أَنْ يُكْتُبَ مِثْلُ شَرِيفٍ يَكْبَلُ أَوْ تَوْقِيعٍ شَرِيفٍ بِكَذَا وَبِمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَفَوْزُخَهُ بِيَوْمِ الْكَاتِبَةِ ، ثُمَّ تَحْمَلُ إِلَى كَاتِبِ السَّرِّ فَيَكْتُبُ عَلَيْهَا بِالْأَمْرِ بِالْكَاتِبَةِ ، وَيَعْنِيهَا .

على كاتب من كُتاب الإنشاء، فيكتب بمقتضاها ويخلها شاهداً عنده . وجرى الأمر على ذلك بعده إلى آخر وقت .

قلت : وقد كان في الدولة الفاطمية كاتب مفرد لتعليق الرسالة عن الخليفة، يسمى صاحب القلم الدقيق، يلقى ما يبرز به أوامر الخليفة في الرقاق وسوائى القصاص، وتحتل إلى ديوان الوزارة، فيعتلها الوزير، ويبرز أمره إلى ديوان الإنشاء باعتبارها وكالة ما فيها، على ما تقدم ذكره في ترتيب الخلافة الفاطمية بالديار المصرية في المقالة الثانية .

الفصل الثاني

(في التعين وكيفية كتابة صاحب ديوان الإنشاء على الرقاق والقصاص، وتعيينها على كُتاب الإنشاء)

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال الكاتب المعين عليه وحال الرقعة المعينة . فاما اختلافه باختلاف حال من يعين عليه . فإنه إن كان المعين عليه كاتباً من كُتاب الدُست، كتب له كاتب السر في التعين : « المولى ، القاضي ، فلان الدين ، أمره الله تعالى » وربما وقع قدره على ذلك فيكتب له : « المولى ، الأخ ، القاضي ، فلان الدين ، أمره الله تعالى » . وإن كان من كُتاب الدرج : فإن كان كبيراً كتب له : « المولى فلان الدين » . وإن كان صغيراً ، كتب له : « الولد فلان الدين » وربما وقع التمييز لبعض كُتاب الدُست أو كُتاب الدرج للتقدم بالفضل فكتب له : « المولى ، الشيخ فلان الدين » أو « الشيخ فلان الدين » تارة مع اللهاء وتارة دونه .

واما اختلافه باختلاف حال المكتوب الذى يمين، فإنه إن كان قصة بظاهرها
خط السلطان «يُكتب» فوضع كتابة التمين تحت خط السلطان بظاهر القصة،
ولا كتابة له عليها غير ذلك .

وإن كان رقعة جميعها بخط كاتب السر، فإنه يكتب فيها «يكتب بكذا وكذا»
ثم يكتب التمين بأول ذيلها .

وإن كانت قصة رفعت إلى كاتب السر، فإنه يكتب على حاشيتها في أعلاها
أخذاً من جهة أسفل القصة إلى أعلاها ما مثاله : «يُكتب بذلك» أو «يكتب
بكذا وكذا» ثم يُكتب التمين بحاشيتها أسفل ذلك في عرض الحاشية مُمِلًا للكتابة
إلى جهة الأعلى قليلا .

وإن كان قصة عليها خط النائب الكافل، فإنه يكتب عليها بالتعيين ليس إلا،
وموضع التمين فيها بحاشية القصة أسفل خط النائب .

وإن كان قصة قد كتب بهامشها مرسوم الأتابك أو عُلق بحاشيتها رسالة
النوادار، كُتب في جهة أعلى القصة : «يكتب بذلك» وعلى القرب منه التمين .
وإنما يُكتب هنا في جهة أعلى القصة وفيها عليه خط النائب الكافل في جهة أسفلها
لأن التعليق الذى على الهامش فيما عُلق عن مرسوم الأتابك أو رسالة النوادار بخط
كاتب الدُست الذى في خدمته ، بخلاف ما عليه خط النائب بنفسه .

وإن كان الذى يقع فيه التمين قاعة من ديوان الوزارة ، أو ديوان الخصاص
أو ديوان الإستتار، كتب بهامش القاعة من أعلاها مقابل كتابة المتحدث على ذلك
الديوان ما مثاله : «يُكتب بذلك» ثم يكتب التمين تحته على القرب منه .

وإن كان الذي يقع فيه الصمين مرعبة إقطاع من ديوان الجيش، كُتِبَ باليمين في آخرها مقابل التاريخ من الجهة اليمنى، ولا كتابة له عليها غير ذلك.

قلت : وقد جرت عادة كُتَاب السِرِّ في زماننا أنه يُكُتَب على القصص ونحوها، "يُكُتَبُ بِذَلِكَ" أو "يُكُتَبُ بِكَذَا وَكَذَا" على ما تقدم بيانه بنير لام في أوّله. وكذلك الوزير وناظر الخصاص والإستدار يكتبون بنير لام في الأول. أما القضاة في الإذن بكتابة المحاضر ونحو ذلك فإنهم يكتبون "لِيُكُتَبَ" بآيات اللام في أوّله، وهذه اللام تسمى لام الأمر وقد صرح الإمام أبو جعفر النعمان في "صناعة الكُتَاب" أنه لا يجوز حذفها. وعلى ذلك ورد لفظ القرمان الكريم كما في قوله تعالى: ((ثُمَّ لِيَقْضُوا تَتِمَّةَهُمْ وَلِيُوَفُّوا نُدْوَرَهُمْ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ)) وقوله: ((ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُلْعَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيْبُ)) ونحو ذلك. وحكى جمال الدين ابن هشام في المعنى [جواز حذفها في الشعر كقوله :

فَلَا تَسْتَطِلُّ مِنِّي بَقَايَ وَمُدَّتِي * وَلَكِنْ يَكُنْ تَحْيِيرُكَ تَصِيبُ !
وقوله :

يُحْدِثُ قَدْ قَسَاكَ كُلُّ قَيْسٍ * إِذَا مَا خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبَالًا (١)

الطَّرَفُ الثَّانِي (٢)

(في كتابة الملخصات والإجابة عنها من العواوين السلطانية)

قد تقدم في الكلام على ما ينظر فيه صاحب الديوان أنه لما كان صاحب ديوان الإنشاء يضيّق زمنه عن استيعاب حال الكُتُب الواردة من المملكة لو فورها وأنشأ

(١) يرض في الأصول لهذه الجملة، وقد قلناها من المعنى (ج ١ ص ٢٢٢) والشاعر يطالب ابنه لا تمنى موته.

(٢) لم يتقدم له تقسيم بالأطراف في هذا الباب ولم يذكر الأول حتى يكون هذا ثانيا له نعم قال في عنوان الباب أنه يتكلم فيه على كتابة الملخصات فهو ما وعد به ويحل من لا يسهو.

الدولة وكثرة المكاتبين ، ناسب أن يتخذ كاتباً يتصفح الكتب الواردة ويتأملها ،
 ويلخص مقاصدها ؛ قال أبو الفضل الصوري في "تذكرته" : والرسم في ذلك
 أن الكاتب الذي يُعْجِمُه صاحب الديوان يتسلم الكتب الواردة ويُخرج معانيها
 على ظهورها ، ملخصاً الألفاظ الكثيرة في اللفظ القليل ، فيرسلُ بنية من المعنى
 ولا يحذف له ، مُستقلاً فضول القول وحشوه ، كالدهاء والتصدير والألفاظ المترددة .
 قال : ويُخرج أيضاً ما يخص بديوان الخراج ، من الأمور التي تردُّ ضمن الكتب
 في معنى الخراج في أوراق يُعين فيها الكتب التي وصلت فيها وتاريخها والجهة التي
 وردت منها ، ويُنصها على هيئتها ، ويوجهها إلى ديوان الخراج ، فيجاب عنها منه ،
 ويستدعى من متولى ديوان الخراج الجواب عنها ؛ ثم يُعرض جميع ذلك على الملك ،
 ويستخرج أمره بإمضاء المكتبة به أو بغيره . فإن كان بخط غالي للعربي :
 كالرومي والقزويني والأرميني وغيرها ، أضر من يعرف ذلك الخط ممن يُوثق به
 لترجمه في ظُهره ، فإن كان ذلك المترجم يُحسن الخط العربي ، كتب بخطه في ظهر
 الكتاب ما مثله « يقول فلان : إني حضرتُ إلى ديوان الإنشاء وتسللتُ الرقعة
 أو الكتاب الذي هذا الخط بظاهره ، وسُئِلْتُ عن تفسيره فذكرتُ أنه كذا وكذا »
 ويسرده إلى آخره « وبذلك أشهدتُ على نفسي » ويشهد عليه شاهدان : « هذا الذي
 ذكره بلا زيادة ولا نقص » .

وإن كان الكتاب مشحوناً بالكلام بلغةً وظهره ، قله بخطه بالقلم الذي
 هو مكتوب به ، وترجمه على ظاهره بخطه بالعربي . وإن لم يحسن الكتابة بالعربي ،
 كتب عنه الكاتبُ بغير من الشاهدين . وأشهد عليه ليأب أو يُحْجِمَ فيما يقول ،
 أو يغيره أو يُنقصه لأن أكثر من يترجم على مذهب صاحب الخط ، قريباً كتم
 عنه أوداجي فيه . فإذا حُوفَ بالإشهاد عليه وحشِيَ أنْ يغيره قد يقرؤه على غير الوجه

الذى أشهد به على نفسه ربما أدّى الأمانة فيه . فلذا لم تحصى المكتبة بظاهرها ،
سُلمت إلى متولى الديوان ليقابل ظاهرها بباطنها : فإن وجده أصل فيها بنى ،
أضافه بخطه وأنكر عليه إمسأله ليتنبه في المستقبل . فإن لم يكن فيها خلل عرضه
على الملك وأحمد أمره فيه ، وكتب تحت كل فصل منها ما يجب أن يكون جوابا
عنه على أحسن الوجوه وأفضلها ؛ ثم يسألها إلى من يكتب الجواب عنها من يعرف
أضطلاعها بذلك ؛ ثم يقابل الجواب بالتخرج وما وقع به تحت : فإن وجد فيها خلا
سده ، أو مغللا ذكره ، أو سموا أصله . وإن رآها قد كتبت على أفضل الوجوه
وأسدّها ، لم يموت فيها معنى ولم يزد إلا لفظا يمتق به كتابه ويؤكد به قوله ، عرضها^(١)
على الملك حينئذ ليعلم ؛ ثم استدعى من يتولى الإصاقي فالصقها بحضرته ؛ وجعل
على كل منها بطاقة يُشير فيها إلى مضمونها : فلا يُسأل عن ذلك بعد الإصاقيها
فلا يعلم ما هو ؛ ثم يسألها إلى من يتولى تنفيذها إلى حيث أهدت له ؛ وتسلم النسخ
المخصصة إلى من يؤهله لحفظها وترتيبها .

قلت : قد تبين بما هتتم من كلام أبي الفضل الصوري [ما كان عليه الحال
في زمنه] والذي عليه حال الديوان في زماننا فيما يتعلق بذلك أن الكتب الواردة
إلى الأبواب السلطانية من أهل المملكة وغيرها من سائر الممالك يتلقاها أكبر
البيروقراطية : وهو مقيم ألف على ما هتتم ذكره في الكلام على ترتيب الديار المصرية ؛
ويحضر القاصد المحضر للكتاب من برىدى أوفيره ، ثم يناوله للسلطان فيفرض خاتمه ،
وكتب السر جالس بين يديه ، فيدفعه السلطان إليه ، فيقرأه عليه ويستصحبه معه
إلى الديوان : فإن كان الكتاب عربيا دفعه كاتب السر إلى نائبه أو من يخصه
بذلك ليخلص معناه : فيتم النظر فيه ، ويستوفى فصوله ، ويخلص مقاصدها ،

(١) في الأصول تم عرضها ولكن زيادة تم في الكلام تنقصه والظاهر أنها زيادة من قلم النسخ تأمل .

ويكتب لكل ديوان من الدواوين التي يرفع إليها متعلق ذلك الكتاب ملخصاً بالفصول المتصلة به في ورقة مفردة، ليجابوب عليها متولى ذلك الديوان بما رُسم له من الجواب عنها .

وأعلم أن الذي تُكتب له الملخصات في زماننا من الدواوين السلطانية خمسة دواوين . وهي : ديوان الإنشاء ، وديوان الوزارة ، وديوان الجيش ، وديوان الخاص ، وديوان الإستنارية : وهو الديوان المفرد .

والطريق إلى كتابة الملخصات أن يحذف ما في صدر الكتاب من الحشو على ما تهتم في كلام أبي الفضل الصوري ، ثم يعمد إلى مقاصد الكتاب فيستوفي فصوله ويتصورها بذهنه ، ثم ينظر في متعلقات تلك الفصول ، ويكتب لكل ديوان من الدواوين المتقدمة ملخصاً بما يتعلق به من الفصول في فصل واحد أو أكثر ، بحسب ما تقتضيه قلة الكلام وكثرته .

وكيفية كتابته أن يترك من رأس الوصل قدر ثلاثة أصابع بياضاً ، ثم قدر أصبعين بياضاً عن يمينه ، وقدر أصبعين بياضاً عن يساره ، ويكتب في صدره ما مثاله : « ذكر فلان في مكاتبه الواردة على يد فلان المؤرخة بكنا وكنا » يمد لفظ « ذكر » بين جانبي الوصل ، ويكتب باقي الكلام تحتها من أول الوصل إلى آخره في العرض من غير خُلق بياض « أنه أتفق من الأمر ما هو كذا وكنا » أو « أنه سأل في كذا وكنا » . ثم يخلّي بياضاً قدر أربعة أصابع مثلاً ويكتب في وسط الدرج بخط بياض من الجانبين ، « وذكر » على نحو ما تهتم ، ثم يكتب باقي الكلام من أول الوصل إلى آخره ، ويضع ذلك بكل فصل في الكتاب يتعلق بذلك الديوان المختص بذلك المختص ، ويكتب في آخر كل فصل « وقد عرض على المسمع الشريفة » ومهما برزت به المراسم الشريفة كان العمل بمقتضاها ونحو ذلك .

ثم إن كان الملخص لديوان الإنشاء، كُتِبَ بأعلى الوصل من ظاهره من الجانب الأيسر منه مأمثله «ديوان الإنشاء». وإن كان لديوان الجليش كتب هناك مأمثاله «ديوان الجليش». وكذا ديوان الخاص وسائر الدواوين المتقدمة الذكر. فإذا كانت الملخصات، وقف عليها كاتب السر: فما كان منها متعلقا بديوان الإنشاء عرضه على السلطان واستمطر جوابه عنه، فيكتب مقابله في الملخص «يُكْتَبَ بذلك» أو «يكتب بكذا وكذا» أو «رُسم بذلك» أو «رُسم بكذا وكذا». وما كان منها متعلقا بديوان الوزارة بعث به إلى الوزير؛ وما كان منها متعلقا بديوان الجليش بعث به إلى ناظر الجليش؛ وما كان منها متعلقا بديوان الخاص بعث به إلى ناظر الخاص: ليقرا كل منهم ملخصه على السلطان وينظر ما يأمر به فيه، فما كان كُتِبَ به بجانب الفصل الذي كُتِبَ به في الملخص «أُصِىَ ذلك» أو «لم يعض» أو «رسم بكذا وكذا» ونحو ذلك: وسائر الدواوين على هذا النمط.

وإن كان الكتاب غير عربي: فإن كان بالتركية المُغَلَّية ونحوها كالكتب الواردة عن بعض القانات من ملوك الشرق، فإنه يتولى ترجمتها من يؤتى به من أخصاء الدولة: من الأمراء أو الخاصكية ونحوهم، ممن يعرف ذلك اللسان؛ ثم يقرأ ترجمته على السلطان، ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به. وإن كان بالرومية أو الفرنجية ونحوهما من اللغات المختلفة، تُرجم على نحو ما تقدم، وتكتب ملخصه وتُقرأ على السلطان وأئمنس جوابه؛ وكتب كاتب السر على الملخص بما رُسم فيه.

الباب الرابع

من المقالة الثالثة

(في القَوَائِمِ والخَوَاتِمِ واللَّوَارِيقِ ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في القَوَائِمِ ، وفيه ستة أطراف)

الطرف الأول

(في السِّمْلَةِ ، وفيه ثلاث جُمَل)

الجملة الأولى

(في أصل الاقتراح بها)

كَانَتْ قُرَيْشٌ قَبْلَ الْبَيْعَةِ تَكْتُبُ فِي أَقْلٍ كُنْهًا « يَا سَمِيكَ اللَّهُمَّ » وَالسَّبَبُ فِي كِتَابَتِهِمْ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي « مَرْوُجِ النَّهْبِ » عَنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِأَيَّامِ النَّاسِ وَأَخْبَارِهِ مِنْ سَلَفٍ : كَابْنِ دَأْبٍ ، وَالْمَيْمَنُ بْنُ حِدَى ، وَابْنُ مُحْتَفٍ لُوطُ بْنُ يَحْيَى ، وَعَمِيدُ بْنُ السَّائِبِ الْكَلْبِيُّ : أَنَّ أُمَيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلْتِ التَّحَفِيَّ خَرَجَ إِلَى الشَّامِ فِي فَقْرٍ مِنْ تَهَيِّفٍ وَقُرَيْشٍ فِي صَيْرٍ لَهُمْ ، فَلَمَّا قَفَلُوا رَاجِعِينَ [زَلُّوا مَتَرًا] وَاجْتَمَعُوا لِعَشَائِهِمْ ، [إِذْ] أَقْبَلَتْ حَيَّةٌ صَغِيرَةٌ حَتَّى دَنَتْ مِنْهُمْ فَخَصَبَا بَعْضُهُمْ بِحَجَرٍ فِي وَجْهِهَا فَرَجَعَتْ ، فَشَدُّوا سَفَرَتَهُمْ ، ثُمَّ قَامُوا فَشَدُّوا عَلَى أَيْمَانِهِمْ وَأَرْجُلَيْهِمْ ، فَلَمَّا بَرَزُوا مِنَ الْمَتَرِ ، أَشْرَفَتْ

(١) في الأصول وغيرهم ، وهو تصحيف والتصحيح من المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ٢٣٠ .

(٢) الزيادة من مروج الذهب ج ١ ص ٢٣ ليعض الكلام .

(١) عليهم عجوزٌ من كَثِيبٍ رملٍ متَوَكِّئَةٌ على عَصَا، قَالَتْ : مَا مَعَكُمْ أَنْ تَقْطِعُوا رَحِيَّةَ
الْيَتِيمَةِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي بَاتَتْ لِعَامَمِكُمْ عَلِيَّةً؟ قَالُوا : وَمَا أَنْتِ؟ قَالَتْ أُمُّ الْعَوَامِ، أَرْسَلْتُ
مَنْدُ أَعْوَامٍ، أَمَا وَرَبَّ الْعِبَادِ، تُتَفَرَّقُونَ فِي الْبِلَادِ ! ثُمَّ ضَرَبَتْ بِعَصَاهَا الْأَرْضَ
وَأَثَارَتْ بِهَا الرَّمْلَ، وَقَالَتْ : أَطِيلُ لِيَابَهُمْ، وَفَرَّقِي رِكَابَهُمْ ! فَوَيْتَ الْإِبِلُ كَأَنَّ عَلَى
فِرْوَةٍ كُلِّ مِنْهَا شَيْطَانًا، مَا يَمْلِكُونَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى أَتَقَرَّقَ فِي الْوَادِي، بِجَمْعِهَا
مِنْ آخِرِ النَّهَارِ إِلَى قُدُوءِ، فَلَمَّا أَتَاخُوا الرَّوْحَلَ طَلَعَتْ عَلَيْهِمُ الْعَجُوزُ وَفَعَلَتْ
كَمَا فَعَلَتْ أَوَّلًا وَعَادَتْ لِمَقَامِهَا الْأَوَّلِ، وَفَرَجَتِ الْإِبِلُ كَمَا خَرَجَتْ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ،
بِجَمْعِهَا مِنْ غَدٍ . فَلَمَّا أَتَاخَوْهَا لِيَرْحَلُوهَا، فَعَلَتْ الْعَجُوزُ مِثْلَ فِعْلِهَا فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ
وَالثَّانِي فَفَرَّتِ الْإِبِلُ، وَأَمْسَوْا فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ وَيَكْسُوا مِنْ ظُهُورِهِمْ، فَقَالُوا لِأُمِّيَّةَ
ابْنِ أَبِي الصَّلْتِ : أَيْنَ مَا كُنْتَ تُخْبِرُنَا بِهِ عَنْ نَفْسِكَ وَعَلَيْكَ؟ [قَالَ : أَنْهَبُوا أَتَمَّ
فِي طَلَبِ الْإِبِلِ وَدَعُونِي] (٢) . فَتَوَجَّهَ إِلَى الْكَثِيبِ الَّذِي كَانَتْ تَأْتِي مِنْهُ الْعَجُوزُ حَتَّى هَبَطَ
مِنْ نَيْبَتِهِ الْأُتْرَى، ثُمَّ صَعِدَ كَثِيبًا آخَرَ حَتَّى هَبَطَ مِنْهُ، ثُمَّ رُفِعَتْ لَهُ كَنِيْسَةٌ فِيهَا قَنَادِيلُ
وَرَجُلٌ مَعْرِيضٌ مَضْطَجِعٌ عَلَى بَابِهَا، وَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ أَيْضُ الرَّأْسِ وَالْخِيَةِ،
قَالَ أُمِّيَّةَ : فَلَمَّا وَقَفْتُ قَالَ لِي : [إِنَّكَ لَمَتَّبِعٌ، قُلْتُ أَجَلٌ، قَالَ فَمَنْ أَيْنَ يَأْتِيكَ
صَاحِبُكَ؟ قُلْتُ : مِنْ أُذُنِي الْبُسرَى، قَالَ : فَبِأَيِّ الثِّيَابِ يَأْمُرُكَ؟ قُلْتُ : بِالسَّوَادِ .
قَالَ : هَذَا خَطِيبُ الْحَرِّ، كِدْتَ وَاقِعُهُ أَنْ تَكُونَهُ وَلَمْ تَفْعَلْ . إِنْ صَاحَبَ الثَّبُوءَ
يَأْتِيَهُ صَاحِبُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَكُونَ الْيَتِيمُ، فَبِأَمْرِهِ يَلْبَسُ الْبَيَاضَ، فَمَا [حَاجَتُكَ؟] (٣) فَخَدَشَتْهُ
حَدِيثَ الْعَجُوزِ . قَالَ : هِيَ أَمْرَأَةٌ يَهُودِيَّةٌ هَلَكَ زَوْجُهَا مِنْذُ أَعْوَامٍ، وَإِنَّمَا لَنْ تَزَالَ

(١) في المسعودي ج ١ ص ٣٣ "رحمة الجارية اليتمة" وفي الاغانى "رحمة" بالجيم .

(٢) الزيادة من الاغانى .

(٣) الزيادة من المسعودي ج ١ ص ٣٤، وهو على هذا النحو في الاغانى .

تفعل بكم ذلك حتى تهلككم إن استطاعت - قال أمية : قلت لما الحيلة ؟ - قال :
اجتمعوا ظهركم فإذا جاءكم وفعلت ما كانت تفعل ، تقولوا سبعا من فوق وسبعا من
أسفل " باسمك اللهم " فلما لم تضرهم . فرجع أمية إلى أصحابه فأخبرهم بما قيل له
وجاءتهم العجوز ففعلت كما كانت تفعل فقالوا سبعا من فوق وسبعا من أسفل باسمك
اللهم فلم تضرهم . فلما رأت الإبل لا تتحرك ، قالت : قد علمكم صاحبكم ،
ليُبيِّنَ الله أعلامه وليُسَوِّدَ أسفله . وساروا فلما أدركهم الصبح ، نظروا إلى أمية
قد برَّص في عُرَّتِه ورقيته وصدره وأسودَّ أسفله . فلما قَدِمُوا مكة ذكروا هذا
الحديث ، فكتبت قريش في أول كتُبها " باسمك اللهم " فكان أول ما كتب أهل
مكة وجاء الإسلام والأمر على ذلك .

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : ولم تزل الكتب تُفتح باسمك اللهم حتى نزل قوله
تعالى : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فاستفتح بها رسول الله
صلَّى الله عليه وسلم وصارت سنة بعده . وروى محمد بن سعد في طبقاته ،
أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلم كان يكتب كما تكتب قريش " باسمك اللهم " حتى
نزل عليه ﴿ وَقَالَ أَزْكُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَمْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾ . فكتب باسم الله ،
حتى نزل ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ ﴾ . فكتب « بسم الله الرحمن » حتى نزل
﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » .
وذكر في " مواد البيان " نحوه .

وعن سُفْيَانَ الثوري أنه كان يكره للرجل أن يكتب شيئا حتى يكتب
« بسم الله الرحمن الرحيم » . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان يكره أن يكتب

كتاباً أو غيره حتى يبدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم» . وعن سعيد بن جبيرة أنه كان يقول : لا يصلح كتاب إلا أن يكون أوله « بسم الله الرحمن الرحيم » .

وهذه الأحاديث والآثار كلها ظاهرة في استحباب الابتداء بالبسملة فيما يكتب به من أصناف المكاتبات والولايات وغيرها ؛ وعلى ذلك مصطلح كتاب الإنشاء في القديم والحديث ، إلا أنهم قد اصطَلَحُوا على حذفها من أوائل التوقيعات والمراسيم الصغار ، كالتي على ظهور القمص ونحوها ؛ وكأنهم أخذوا ذلك من مفهوم ما رواه أبو داود وابن ماجه في سنتهما وأبو حنيفة الأسفراييني في مُسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يَبْدَأُ فِيهِ بِبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهُوَ أَقْطَعُ» يعني ناقص البركة ، وما يكتب في التوقيعات والمراسيم الصغار ليس من الأمور المهمة فناسب ترك البسملة في أولها . لكن قد ذكر محمد بن عمر المدائني في كتاب «القلم والدواة» أن أهل العلم تركوا حذف البسملة من التوقيعات والسرائح وذمموه . وقد كان القاضي علاء الدين الكركي كاتب السر في الدولة الظاهرية «برقوق» في أول سلطته الثانية أمر بأن يكتب في أولها بسملة بقلم دقيق ، ثم بطل ذلك بعد موته وبقي الأمر على ما كان عليه أولاً . ثم قد اختلف في كتابتها أمام الشعر : فذهب سعيد بن المسيب والزهرري إلى منع ذلك ، وذهب سعيد بن جبيرة وإبراهيم النخعي إلى جوازها . وروى مثله عن ابن عباس رضي الله عنه : قال أبو جعفر النعمان في «صناعة الكتاب» : «ورأيت على بن سليمان يميل إليه . قال محمد بن عمر المدائني : ولا بأس إن يكن بين الشعر وبينها كلام ، مثل أشدني فلان الفلاني وشبه ذلك ، فأما أن يصله بها فلا يحوز .

(١) في الأصول أن يكون ولكن بإياه المعنى رغبة الكلام تأمل .

الجملة الثانية

(في الحث على تحسينها في الكتابة وما يجب من ترتيبها في الوضع)

أما الحث على تحسينها في الكتابة، فينبغي للكتاب أن يُبَالِغَ في تحسينها في الكتابة ما استطاع تعظيماً لله تعالى . فقد رُوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ كَتَبَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حَسَنَةً أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ » . وعن واصل بن مولى أبي عيينة قال : سمعتُ حماداً يقول : كانوا يُحِبُّونَ أَنْ يُحَسِّنَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ .



وأما ما يجب من ترتيبها ، فأقول ما يجب من ذلك إطالة الباء لتُنْكَرَ على الألف المحذوفة منها لكثرة الاستعمال ، ثم إثبات السين بأستانها الثلاث ، غير مُرْسَلٍ لها إرسالاً كما فعله بعضُ الكُتَّابِ قد كَرِهَ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وزيد بن ثابت والحسن وأبْنُ سيرين ، حتى يروى أن عمر رضي الله عنه ضَرَبَ كَاتِباً على حَذْفِ السين منها - قيل له : فِيمَ ضَرَبَكَ عمرُ ؟ - فقال : في سين ، بغيري مثلاً . ويروى أن خلافاً لعمر بن عبد العزيز كتب إليه من مصر كتاباً ولم يجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سينا ، فكتب إليه عمر يأمره بالقُتُومِ عليه ، فلما قدم قال : أجعل لبسم الله الرحمن الرحيم سينا وأنصرف إلى مصر . وكذلك لا يُمَدُّ الباء قبل السين ثم يكتب السين بعد المدة ، كما فعله بعضُ كُتَّابِ المغاربة فقد روى محمد ابنُ عمر المتناخي من حديث شُعَيْبِ بْنِ [أبي] الْأَشْمَثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « إِذَا كَتَبَ أَحَدُكُمْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَلَا يُمَدُّهَا قَبْلَ السَّيْنِ » . معنى الباء « وعن ليث عن مجاهد يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه . ويروى مثله عن ابن عمر ، وابن سيرين . وعن عبد العزيز بن عبد الله وعبد الله بن دينار وغيرهما :

أن العلماء كانوا يكرهون ذلك ويتهون عنه أشدّ التهوي حتى روي عن الضحاك
ابن مزاحم أنه قال : وجدت أنّي لو رأيت الأيدي تُقطع فيه . نعم يستحبّ المدّين
السين والميم كما هو عادة كُتّاب المصريين وأهل المشرق . وكذلك استحسنوا مدّ الحاء
من الرحمن قبل الميم وقالوا : إنه من حسن البيان ، حتى يروى أن عمر بن عبد العزيز
كتب إلى عمّاله إذا كتب أحدكم بسم الله الرحمن الرحيم فليمدّ الرحمن . وهذا مما
يتعاطاه كُتّاب المغرب دون كُتّاب مصر وأهل المشرق . أما غير ذلك من وجوه
التحسين فيأتي الكلام عليه في الكلام على الخط إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(في بيان موضعها من المکتوب ، ويتعلّق به أمران)

الأمر الأول

(تَبَيَّنَها في الكتابة)

فيجب تبيينها في أول الكلام المقصود : من مكانية أو ولاية أو منشور إقطاع
أو غير ذلك ، تبرّكاً بالابتداء بها وتيمناً بذكرها ، عملاً بالأخبار والآثار المتقدمة في الجملة
الأولى . على أنه قد اختلف في معنى قوله تعالى حكاية عن يقيس حين أتى إليها
كتاب سليمان عليه السلام : (إِنِّي أَتَى إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَلَا تَتْلُوهُ عَلَى وَأَتَوْنِي مُسْلِمِينَ) : فذهب بعض المفسرين إلى أن قوله
(إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ) من كلام يقيس ، وإنها حكيت الكتاب بقولها : وإنه بسم الله

(١) قد مضى الكلام على الخط في أوائل الجزء الثالث من هذا الكتاب وبين هناك أمتناع البسطة وكيفية
كتابتها أو نفع بيان قتل ما هنا مبرر عما فات .

الرحمن الرحيم إلى آخر الآية ، فيكون ابتداء الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم ، ويكون ذلك احتجاباً على وجوب تقديمها . وذهب آخرون إلى أن قوله (**إِنَّهُ** من سليمان) بداية كتاب سليمان ، فيكون سليمان عليه السلام قد بدأ في كتابه باسمه . فإن قيل كيف ساغ على ذلك تقديم اسمه على اسم الله تعالى في الذكر مع أن الأنبياء عليهم السلام أشد الناس أدباً مع الله تعالى ؟ فالجواب ما قيل : إنه كان عادة ملوك الكفر أنه إذا ورد عليهم كتاب بما يكرهون ربما مزقوا أعلاه أو هملوا فيه ، بفعل سليمان عليه السلام اسمه **هَيْمَةَ** لاسم الله تعالى فذكره أولاً . ومن هنا اصطلاح الكتاب في الكتب الباصرة عن ملوك الإسلام إلى ملوك الكفر بكاتبه القاب الملك المكتوب عنه في وصل فوق البسملة ، تاسياً بسليمان عليه السلام .

أما ما يكتب في طرقة الولايات من العهود والتقايد وغيرها ، فإنه في الحقيقة جزء من المكتوب ، فلا يوصف بأنه شيء مقدم على البسملة . وأما الطغرة التي كانت توضع في مناشير الإقطاعات في وصل بين وصل الطغرة والبسملة فيها القاب السلطان على ما سيأتي في الكلام على كتابة المناشير في موضعه إن شاء الله تعالى ، فإنها كتابة أجنبية مكتوبة بخط غير الكاتب فلم تنسب في الحقيقة إلى التقديم . على أن ذلك قد بطل في زماننا . وهاتان المستطانتان المتطقتان بالطغرة المكتوبة في المناشير ومكاتبات أهل الكفر مما سأل عنه الشيخ جمال الدين بن نباتة في رسالته التي كتبها إلى مكاتب ديوان الإنشاء بالشام ، في مباشرة الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، حين بلغه أن بعضهم وقع فيه .

الأمر الثاني

(إفرادها في الكتابة)

قال محمد بن عمر المدائني في كتاب «الْقَسَمَ والدَّوَاءَ» : ينبغي للكاظم أن يَفْرُدَ
البسملة في سطر وحدها، تَجِيلاً لَأَسْمِ اللَّهِ تَعَالَى وإِعْظَاماً وَتَوْقِيراً لَهُ ؛ ثُمَّ ساق بِسَنَدِهِ
إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «نَهَى أَنْ يُكْتَبَ
فِي سَطْرِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَخَرُهَا» . وَعَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ جَرَى كُتَابُ الْإِنشَاءِ
فِي مَكَاتِبِهِمْ وَسَاتَرَمَا يَصُدِّرُ عَنْهُمْ . أَمَّا النَّسَاجُ وَكُتَابُ الْوُثَائِقِ فَرُبَّمَا كُتِبُوا بِعِدْهَا
فِي سَطْرِهَا «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أَوْ «الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» وَبِمَوْذَوْنِ .
وكَذَلِكَ يُكْتَبُ الْقَضَاةُ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» فِي عِلَامَاتِ الثُّبُوتِ فِي الْمَكَاتِبِ الشَّرْعِيَّةِ .

الطرف الثاني

(فِي الْحَمْدِ لِلَّهِ)

لَمَّا كَانَ الْحَمْدُ مَطْلُوباً فِي أَوَائِلِ الْأُمُورِ طَلِبَ لِتَيَمُّنٍ وَالتَّبَرُّكِ ، عَمَلًا بِمَا رَوَاهُ
الرَّائِزُونَ لِحَدِيثِ الْبَسْمَلَةِ الْمُتَقَدِّمِ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ لَا يُبْدَأُ فِيهِ بِحَمْدِ اللَّهِ فَهُوَ أَجْذَمُ» أَصْطَلَحَ الْكُتَّابُ
عَلَى الْإِبْتِدَاءِ بِهِ فِي الْكَثِيرِ مِمَّا يُكْتَبُونَهُ مِنَ الْمَكَاتِبَاتِ وَالْوَلَايَاتِ وَخَيْرُهَا مَا لَهُ
شَأْنٌ وَبَالٌ : كَمَكَاتِبَاتِ أَكْثَرِ الْمُلُوكِ مِنْ قَانَاتِ الشَّرْقِ ، وَكُلِّ مَا تَضُمَّنُ نِعْمَةً مِنْ
الْمَكَاتِبَاتِ وَبِمَوْذَوْنِ ، وَكَالْيَعْمَاتِ وَالْمُحَرِّقَاتِ وَالْقَالِدِ عَلَى رَأْيٍ مِنْ يَرَى أَفْتَاتِحَهَا
بِالْخَطِّ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَأْتِي ذِكْرُهُ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . بَلْ رُبَّمَا كَرَّرُوا
الْحَمْدَ الْمَزَاتِ الْمُتَعَدِّدَةَ إِلَى السَّنْعِ فِي الْخَطْبَةِ الْوَاحِدَةِ ، عَلَى مَا سَبَقَ ذِكْرُهُ فِي مَوْضِعِهِ

إن شاء الله تعالى . وأتوا بالحمد لله بعد البسملة تأنيباً بكلمة الله تعالى ، من حيث إن البسملة آية من الفاتحة كما هو مذهب الشافعي رضي الله عنه ، أو فاتحة لها - وإن لم تكن منها - كما هو مذهب غيره . أما سائر المكتبات والولايات المفتحة بغير الحمد ، فإنما حذف منها الحمد استصغاراً لشأنها ، إذ كان الابتداء بالحمد إنما يكون في أمر له بالكلية كما دل عليه الحديث المتقدم ، وسيأتي الكلام على كل شيء من ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى . قال في «الصناعتين» : وإنما أُنشِج الكلام بالحمد لأن النفوس تتشوق للثناء على الله تعالى ، والاكتناح بما تشوق النفوس إليه مطلوب . ودرجاً إلى التكلب بالحمد بعد البعيدة : « فكتبوا » أما بعد حمد الله ، أو « أما بعد فالحمد لله » فاما الصيغة الأولى فالحمد مقدم فيها معنى وإن لم يذكر لفظاً لأن قوله أما بعد حمد الله يقتضى تهميد حمد الله ، وأما الصيغة الثانية فإنها تقتضى تهميد شيء على الحمد ، ولا شك أن المقدم هنا هو البسملة على ما سياتي في الكلام على أما بعد فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم قد يستعمل الحمد بصيغة الفعل كقولهم في المكتبات : فإني أحمدُ إليك الله . وقد اختلف في أى الصيغتين أبلغ : صيغة الحمد لله ، أو صيغة أحمد الله : فذهب المحققون إلى أن صيغة الحمد لله أبلغ : لما فيها من معنى الاستغراق والثبوت والاستمرار على ما هو معتز في علم المعاني . وذهب زاهيون إلى أن صيغة أحمد الله أبلغ : لأن القائل الحمد لله حاكٍ لكون الحمد لله ، بخلاف القائل أحمد الله فإنه حامدٌ بنفسه ، ولذلك يُروى بالتحديد ثانياً في التكلب بصيغة الفعل .

وله في الاستعمال ثلاث صيغ :

الصيغة الأولى : — « يَحْمَدُه أمير المؤمنين » فيما إذا كان ذلك صادراً عن الخليفة في مكتبة أو غيرها .

الصيغة الثانية — « يَحْمَدُه » إما بنون الجمع الحقيقية كما إذا كان ذلك صادراً عن ^(١) بل أن يؤتى بذلك في بيعة خليفة أو نحوها ، أو بنون الجمع للتعظيم كما إذا كان ذلك صادراً عن السلطان نحو ما يقع في خطب التقاليد والتواقيع في زماننا .

الصيغة الثالثة : — « أحمده » بلفظ الأفراد ، كما إذا كان ذلك صادراً عن واحد قطع حيث لا تعظم له .

الطرف الثالث

(في التشهد في الخطب)

قد جرت عادة المتأخرين بالإتيان بالتشهد بعد التحميد في الخطب ويكون تأييداً لصيغة التحميد : فإن كان قد قيل يَحْمَدُه أمير المؤمنين ، قيل بعده : وَتَشْهَدُ ؛ وإن كان قد قيل يَحْمَدُه ، قيل بعده : وَتَشْهَدُ ؛ وإن كان بعد أما بعد حمد الله ، قيل والشهادة له بالجزء عطفاً على حمد . على أن الخطب الموجودة في مكاتبات المتقدمين لا تشهد فيها . ويستند المتأخرين في ذلك ما رواه أبو داود والترمذي وصححه البيهقي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشْهَدُ فَهِيَ كَالْيَدِ الْخَبْءِ » .

(١) يياض في الأصول ولعله "من معددين" .

الطرف الرابع

(في الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله

وصحبه في أوائل الكتب)

لا نزاع في أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلوبة في الجملة ، وناهيك في ذلك قوله تعالى في محكم التنزيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ والأحاديث الواردة في الحث على ذلك أكثر من أن تحصر ، فناسب أن تكون في أوائل الكتب ، تيمنا وتبركا . وقد بقاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ أن المعنى ما ذكرك إلا وذكرتنى . فإذا أتى بالحمد في أول كتاب ، فاسب أن يؤتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أوله ، إيتانا بذكره بعد ذكر الله تعالى . وقد روى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الصَّلَاةُ جَارِيَةً لَهُ مَا دَامَ أَشْيَى فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ " . قال الشيخ عماد الدين في تفسيره : إلا أنه ضعيف ، ضعفه المحدثون . قال محمد بن عمر المدائني في " كتاب القلم والدواة " : وقد رأينا بعض الكتاب لا يرى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب ، فبأعوا بأعظم الوزر مع ما فاتهم من الثواب .

وأما السلام عليه صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة ، فقد قال الشيخ هجر الدين النويري في كتابه " الأذكار " : فإذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فليجمع بين الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما فلا يقال صلى الله عليه فقط ، ولا عليه

السلام فقط . قال الشيخ عماد الدين بن كثير : وهذا متبرع من قوله تعالى :
 ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ الآية .

وأما الصلاة على الآل والصحب بعد الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقد
 قل الشيخ عماد الدين بن كثير في تفسيره الإجماع على جواز الصلاة على غير الأنبياء
 عليهم السلام بطريق التبعية ، مثل أن يقال : اللهم صل على سيدنا محمد وصل آل
 وصحبه وأزواجه وذريته ونحو ذلك . ثم قال : وعلى هذا يخرج ما يكتبونه من قولهم :
 وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه فلا نزاع فيه ، وإنما الخلاف في جواز إفراد
 غير الأنبياء عليهم السلام بالصلاة : فأجازه قوم محضين بنحو قوله تعالى :
 ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى» . ومنعه
 آخرون احتجاجاً بأن الصلاة صارت شعاراً للأنبياء عليهم السلام فلا يلحق بهم
 غيرهم ، فلا يقال : أبو بكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإن كان المعنى صحباً ، كما لا يقال :
 محمد عز وجل ، وإن كان عزيراً جليلاً .

ثم الصحيح من مذهب الشافعي رضي الله عنه أن ذلك لا يجوز في غير التبعية ،
 وحكي النووي في «الأذكار» فيه قولاً بأنه كراهة تحریم ، وقولاً بأنه كراهة تنزيه ،
 وقولاً بأنه خلاف الأولى ، ورجح كونه كراهة تنزيه ، لأنه شعار أهل البدع .

وأما السلام على غير الأنبياء ، فحكي النووي عن أبي محمد الجويني منعه في الغائب
 من حق وميث وأنه لا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال : على عليه السلام ، بخلاف
 الحاضر فإنه يُخطب به .

إذا علمت ذلك فالصلاة وتوابعها في أوائل الكتب قد تكون بهذا التحديد في الخطبة
 كما في الولايات [والمكالمات] المقصودة بالخطب من الصلوات والتهنيدات والتواضع

والتواقيع والمراسيم وغيرها، وكما في الكتب المفتحة بالخطب . وقد تكون في صدور
المكتبات المفتحة بغير الخطب ، كما كان يكتب في القديم في صدور المكتبات
« وأسأله أن يصل على عبد عبده ورسوله » وهو مما أجده الرشد في المكتبات .
قال في « ذخيرة الكتاب » : وكان ذلك من أجل مناقبه . وكان الخلفاء الفاطميون
بمصر يقولون عن لسان الخليفة : ويسأله أن يصل على جده عبد ، ويخصون الصلاة
بعده بأمر المؤمنين على رضى الله عنه على طريقة الشيعة .

الطرف الخامس

(في السلام في أول الكتب)

إنما جعل السلام في ابتداء الكتب وصدورها . لأنه تحية الإسلام المطلوبة
لتأليف القلوب ، فكما أنه يفتح به الكلام طلباً للتأليف كذلك تفتح به المكتبات
وتصبر طلباً للتأليف ، إذ يقول صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُتَبِّحُكُمْ بَيْنِي وَإِنَّا فَتَحْتُمُوهُ
بِحَابَّتَيْكُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » . قال في « الصناعتين » : ويقول في أول كتابك :
« سلام عليك » وفي آخره « والسلام عليك » والمعنى فيه أن الأول نكرة إذ
لم يتقدم له ذكر والثاني معرفة يشار به إلى السلام الأول على حد قوله تعالى :
(كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ) فاتى في الأول بتذكير الرسول
وفي الثاني بتعريفه . وكذلك قال تعالى في سورة مريم في قصة يحيى عليه السلام :
(وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا) لعدم تقدم ذكر السلام ؛
ثم قال بعد ذلك في قصة عيسى عليه السلام : (وَالسَّلَامُ عَلَىٰ يَوْمِ وَلَدَتْ وَيَوْمَ أُمُوتُ
وَيَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا) وإلى ذلك يشير أحمد بن يوسف بقوله : اكتب في أول كتابك

سَلامُ عَلَيْكَ وَأَجَلُهُ نَحِيَّةٌ ، وَفِي آخِرِهِ « وَالسَّلامُ عَلَيْكَ » وَأَجَعَلَهَا وَدَاعًا ، وَذَلِكَ أَنَّ سَلامَ التَّحِيَّةِ يَكُونُ أَبْتِدَاءً فَيَكُونُ نَكْرَةً ، وَسَلامُ الْوَدَاعِ يَكُونُ آتِهَاءً فَيَكُونُ مَعْرِفَةً لِرُجُوعِهِ إِلَى الْأَوَّلِ . وَقَدْ كَرِهَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَنْ يُقَالَ فِي الْإِبْتِدَاءِ : عَلَيْكَ السَّلامُ ، أَحْتِجَاجًا بِمَا رَوَى عَنْ أَبِي مُكَيْمٍ الْأَسَدِيِّ أَنَّهُ قَالَ « أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْشَدْتُهُ :

يَقُولُ أَبُو مُكَيْمٍ صَادِقًا : * عَلَيْكَ السَّلامُ أبا الْقَاسِمِ !

فَقَالَ : يَا أبا مُكَيْمٍ عَلَيْكَ السَّلامُ نَحِيَّةً الْمَوْتِ » . وَجَعَلَ ابْنُ حَاجِبٍ النِّعَمَانُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَ عَبْدِ بْنِ الْعَلَيْبِ :

عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ حَاجِمٍ * وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَرْحَمَهَا

قَالَ ابْنُ حَاجِبٍ النِّعَمَانُ : وَيَكْتَبُ السَّلامُ بِاسْقَاطِ الْأَلْفِ فِي صَدْرِ الْكُتَابِ وَيُجْزَأُ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ : وَقَوْلُهُمْ فِي أَوَّلِ الْكُتَابِ سَلامُ عَلَيْكَ ، بِالرَّفْعِ وَيَحْذَرُ فِيهِ النَّصَبُ وَالِاخْتِيَارُ الرُّفْعُ وَإِنْ كَانَ النُّهَاءُ قَدْ قَالُوا : إِنَّ مَا كَانَ مُشْتَقًّا مِنْ فِعْلِ فَالِاخْتِيَارُ فِيهِ النَّصَبُ نَحْوُ قَوْلِكَ مَسِيًّا لَكَ : لِأَنَّ مَعْنَى السَّلامِ فِي الرُّفْعِ أَعْمٌ ، لِإِذْ لَيْسَ يَرِيدُ أَفْعَلَ فَعَلًا ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى نَحِيَّةً عَلَيْكَ بِنَصَبِ نَحِيَّةٍ . وَقِيلَ : سَلامُ عَلَيْكَ بِمَعْنَى سَلامُ لَكَ . وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى إِتِّبَاعِ السَّلامِ الرَّحْمَةِ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْخَوَاتِمِ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطَّرَفُ السَّادِسُ

(في أما بعد)

اعلم أن « أما بعد » تُستعمل في صُورِ المَكاتِبِ والوَلَايَاتِ وربما أَسْتَعْمِلَتْ في أَوَّلِهَا . وهى مرَّجَّةٌ من لفظين أحدهما أما والثانى بعد . فأما « أما » خُرفَ شرط و« بعد » خُرفَ زمان إذا أُفِرِدَ نِيَّ عَلَى الضَّمِّ ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ ﴾ وَأَجَازَ الْفَزَاءَ أَمَّا بَعْدُ بِالنَّصْبِ وَالتَّنْوِينِ ، وَأَمَّا بَعْدُ بِالرَّفْعِ وَالتَّنْوِينِ . وَأَجَازَ هِشَامٌ أَمَّا بَعْدُ بِفَتْحِ الدَّالِ وَمِنْهُ النَّعَاسُ وَقَالَ : إِنَّهُ خَيْرٌ مَعْرُوفٌ .

ثم أَمَّا فَتَحَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لَتَوْكِيدِ الْخَبَرِ ، وَالْفَاءُ لَازِمَةٌ لَهَا : لِتَصِلَ مَا بَعْدَهَا بِالْحَرْفِ الْمَلَّاحِقِ لِمَا قَبْلُهَا ، فَتَقُولُ أَمَّا بَعْدُ أَطَالَ اللَّهُ بِقَامِكَ ! فَإِنِى قَدْ نَظَرْتُ فِي الْأَمْرِ الَّذِى ذَكَرْتَهُ . وَيَحْجُوزُ أَمَّا بَعْدُ فَأَطَالَ اللَّهُ بِقَامِكَ إِنِى نَظَرْتُ فِي ذَلِكَ ، فَتَنْتَبِهُ الْفَاءُ فِي أَطَالَ وَإِنْ كَانَ مَعْتَرِضًا لِقُرْبِهِ مِنْ أَمَّا ، وَيَحْجُوزُ أَمَّا بَعْدُ فَأَطَالَ اللَّهُ بِقَامِكَ فَإِنِى نَظَرْتُ ، وَيَحْجُوزُ أَمَّا بَعْدُ ثُمَّ أَطَالَ اللَّهُ بِقَامِكَ فَإِنِى نَظَرْتُ حِكَايَ ذَلِكَ كُلِّهِ النَّعَاسُ ، ثُمَّ قَالَ : وَأَجُودُهَا الْأَوَّلُ وَهُوَ اخْتِيَارُ التَّحْوِيلِ . قَالَ : وَأَجُودُ مِنْهُ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِى نَظَرْتُ أَطَالَ اللَّهُ بِقَامِكَ . فَإِنْ أَضِيفَتْ بَعْدُ إِلَى مَا بَعْدَهَا فَتُحْتَفَظُ قَوْلُ أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ وَيُحْوَرُّ ذَلِكَ . قَالَ فِي « ذَخِيرَةِ الْكِتَابِ » وَإِذَا كَانَتْ بَعْدَ الْإِسْمَةِ فَتُحْمَلُ أَمَّا بَعْدُ قَوْلُنَا « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » فَقَدْ كَانَ كَذَا وَكَذَا .

وقد اخْتَلَفَ فِي أَوَّلِ مَنْ قَالَ أَمَّا بَعْدُ : فَقِيلَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَبِهِ فُتِّرَ فَصْلُ الْخُطَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَأَنبِئْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلِ الْخُطَابِ ﴾ عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ ، وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا كُتُبُ بَنِي لُؤَى جَدُّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقِيلَ أَوَّلُ مَنْ قَالَهَا قُسُ بْنُ سَاعِدَةَ الْإِيَادِي . قَالَ سَيَبَوِيه : وَمَعْنَاهَا مَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ .

الفصل الثاني

(في الخواتيم واللواحق ، وفيه سبعة أطراف)

الطرف الأول

(في الاستثناء بالمشيئة : بأن يكتب إن شاء الله تعالى ، وفيه بملتان)

المسئلة الأولى

(في الحث على كتابة إن شاء الله تعالى)

اعلم أنه يستحب للكتاب عند انتهاء ما يكتبه : من مكتبة أو ولاية أو غيرها أن يكتب " إن شاء الله تعالى " تبركا ورضية في نجاح مقصد الكتاب ، فقد ورد الحث على التعليق بمشيئة الله تعالى والتلّب إليه ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ لِّئِنْ فَعِلَ ذَلِكَ فَعَدَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ . وذمّ غوما [على ترك الاستثناء] فقال : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ فَنُطِيقُ عَلَيْهِمْ حَافِئًا مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴾ إلى آخر القصة . قال أصحاب السير : كان باليمن رجل له جنة يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقي ، وكان يترك للساكين ما أخطأ المنجل من الزرع أو القطاف من العنب والتغل وما بقي على اليساط الذي يسقط تحت النخلة ، فلما مات تخبّ بئوه على المساكين بما كان يتركه ليوهم وحلفوا على قطعها في النّفس كيلا يتركهم الفقراء ، فاصابتها نازة في الليل فاحترق وأصبحت كالصّريم . قال المفسرون : والمراد بقوله : ﴿ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴾ أنهم لم يقولوا إن شاء الله تعالى . قال الزّعزعي :

ومثي استثناء وإن كان بمعنى الشرط لأنه يؤدي مؤدى الاستثناء من حيث إن معنى قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا أن يشاء الله واحد .


وأعلم أن الاستثناء لا يدخل على ما مضى فلا يقال ما فعلت ذلك إن شاء الله ، وإنما يدخل على مستقبل فتقول لا أفعل ذلك إن شاء الله ، على حد قوله تعالى : **(لَقَدْ صَلَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّوْبَا بِالْحَقِّ لَنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ)** . وكذلك كل ما فيه معنى الاستقبال ، كما قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : **(وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِينَ)** ونحو ذلك .

أما ما ورد من ذلك بلفظ المضى مثل قول أتمائل لزوجته أنت طالق إن شاء الله فإنه وإن لم يكن مستقبلا لفظا ، فإنه مستقبل معنى ، إذ معناه الإنشاء وإلا لما وقع به الطلاق . إذا علمت ذلك ، فلفظ "إن شاء الله تعالى" في آخر المكتبة أو الولاية ونحوهما يكون مطلقا بآخر المكتوب مما يناسب ذلك ، كتحققها بالتأييد من قوله والله تعالى يؤيده بهن وكرمه إن شاء الله تعالى ، ونحو ذلك .

الجملة الثانية

(في محل كتابتها وصورة وضعها في الدرج)

لا نزاع في أنها أول خاتمة تكتب من خواتم المكتوب ، فعلها من الدرج أسفل المكتوب ، في وسط الوصل ، مكتوفة بياض عن يمينها وشمالها ، وبينها وبين السطر الأخير من المكتوب كما بين سطرين أو ثلثه .

وقد جئت عادة الكُتُب في كتابتها بأنها إن كانت بقلم الرصاص كما في القلم الضيق كتبت بحلقه مسلسلة على هذه الصورة  أو ما قاربها ، وإن كتبت بقلم

جليل كالتلخيص والمحو، كُتِبَتْ واضحة مبينة، والغالب فيها أن تكون على هذه
الضورة انشال السدال قال جمال الدين بن شيت في "معالم الكتابة": ولا يُضَيَّف
الكتاب إليها شيئاً في سطرها، بل تكون مفردة في سطر واحد.

الطَّرَفُ الثَّانِي

(في التاريخ، وفيه ثمان جمل)

الجملة الأولى

(في معناه)

وقد اختلف في أصل لفظه: فذهب قوم إلى أنه عربي، وأن معناه نهاية
الشيء وآخره، يقال فلان تاريخ قومه إذا انتهى إليه شرفهم، وطيه يدل كلام
صاحب "مواد البيان" وابن حاجب النعمان في "خزينة الكتاب" ونقل الشيخ
علاء الدين بن الشاطر في "زيجه" عن بعض أهل اللغة أن معناه التأخير فيكون
مقلوباً منه. وذهب آخرون إلى أنه فارسي، وأن أصله «ماه زور» فزوب مورخ،
ثم جعل اسمه التاريخ، وإليه يرجع كلام السلطان عماد الدين صاحب حاشية رحمه الله
في تاريخه، ويقال منه أرخت وورخت بالهمزة والواو لثلاث، ولذلك قالوا
في مصدرة تاريخ وتاريخ، كما يقال تأكيد وتوكيد. قال في "خزينة الكتاب":
أرخت لغة قيس، وورخت لغة تميم. قال أبو هلال العسكري في كتاب "الأوائل":
ولا محذور أرخت تستعمل اليوم، وكانت الكتاب كانوا قد رفضوا هذه اللغة
في زمانه، وإلا فهي لغة مستعملة إلى الآن، إلا أنها لما غلبت في أئسنة العوام

اُتِّبَتْ . قال الشيخ « أمير الدين أبو حيان » في شرح التمهيل : والتاريخ هو مدد
للبيات والأيام بالنظر إلى ما مضى من السنة أو الشهر وإلى ما تبقى منهما ، قال
في « مواد البيان » : وهو عقق تحجر ، دالٌّ على قرب عهد الكتاب وبُعده .

الجملة الثانية

(في وجه الاحتياج إليه)

قال محمد بن عمر المدايني في كتاب « القلم والدواة » : أجمعت العلماء والحكام
والأدباء والكُتَّاب والحُساب على كتابة التاريخ في جميع المكتبات . قال صاحب
« نهاية الأرب » : ولا غنية عنه ، لأن التاريخ يُستدلُّ به على بُعد مسافة الكتاب
وقربها ، وتحقيق الأخبار على ما هي عليه . وقد قال بعض أئمة الحديث : لما استعملوا
الكذب استعملنا لهم التاريخ . وقد اصططح الكُتَّاب على أنهم يؤرِّخون المكتبات
والولايات ونحوها مما يصدر عن الملوك والثواب والأمراء والوزراء وقضاة
القضاة ومن ضاهاهم ، بخلاف المكتبات الصادرة عن أفراد الناس ، فإنه لم تجر
العادة فيها بكتابة تاريخ .

الجملة الثالثة

(في بيان أصول التواريخ)

قال القضاة في « عيون المعارف في تاريخ الخلاف » : كانت الأمم السالفة
تؤرِّخ بالحوادث العظام ويملك الملوك : فكان التاريخ يهبط آدم عليه السلام ،
ثم بمبمش نوح ، ثم بالطوفان ، ثم بنار إبراهيم عليه السلام ؛

ثم تفرق بنو إبراهيم : فاترخ بنو إصحاق بنار إبراهيم إلى يوسف ؛ ومن يوسف إلى مبعث موسى عليه السلام ؛ ومن موسى إلى ملك سليمان عليه السلام . ثم بما كان من الكوائن . ومنهم من أترخ وفاة يعقوب عليه السلام ، ثم يخرج موسى من مصر بنى إسرائيل ، ثم بحراب بيت المقدس .

وأما بنو إسماعيل ، فاترخوا ببناء الكعبة ، ولم يزالوا يؤرخون بذلك حتى تخرقت بنو معد ، وكان كلما خرج قوم من تهامة أترخوا بحروبهم . ثم أترخوا بيوم الفجار ، ثم بهام الفيل .

وكان بنو معد بن عدنان يؤرخون بغلبة جرهم المالحق وإحراجهم إياهم من الحرم . ثم أترخوا بأيام الحروب : كحرب بني النضير ، وحرب البسوس ، وحرب داحس . وكانت خبر وكهلاء يؤرخون بملوكهم التبابعة ، وبنار ضراير : وهي نار ظهرت ببعض ثراب اليمن ، وبسبيل العرم ؛ ثم أترخوا بظهور الخليفة على اليمن .

وأما اليونان والروم ، فكانوا يؤرخون بملك بختنصر ، ثم أترخوا بملك دقلطيانوس القبطي .

وأما الفرس فكانوا يؤرخون بآدم عليه السلام ، ثم أترخوا بقتل دارة وظهور الإسكندر عليه ، ثم بملك زديجرد . والذي ذكره السلطان عماد الدين صاحب حاشية في تاريخه في دائرة اتصلا الدول في القديسة بالهجرة عشرون تاريخاً ، ذكر ما بينها وبين الهجرة من السنين ، إلا أنه لم يراع الترتيب في بعضها ، وأهمل منها ما ينبغي زديجرد لوقوعه بعد الهجرة .

وبالجملة فاتوارخ على قسمين :

القسم الأول

(ما قبل الهجرة ، وقد أوردت منه تسعة عشر تاريخاً)

الأول — من هبوط آدم عليه السلام . وقد اختلف فيما بينه وبين الهجرة اختلافًا فاحشاً : فمقتضى ما في التوراة اليونانية على اختيار المؤرخين أن بينهما ستة آلاف سنة ومائتين وست عشرة سنة ، وعلى اختيار المنجمين أن بينهما خمسة آلاف وسبعمائة وتسما^(١) وميتين سنة .

ومقتضى ما في التوراة الساميرية على اختيار المؤرخين خمسة آلاف ومائة وسبع وثلاثون سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك .

ومقتضى ما في التوراة العبرانية ، على اختيار المؤرخين أن بينهما أربعة آلاف وسبعمائة وأحدى وأربعين سنة ، وعلى اختيار المنجمين ينقص مائتين وتسما وأربعين سنة .

الثاني — من الطوفان . وبينه وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسما^(٢) وأربع وتسعون سنة على اختيار المؤرخين ، وعلى اختيار المنجمين ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وعشرون سنة وثمانمائة وستة أيام .

الثالث — من تبليل الأرض . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ثلاثة آلاف وثمانمائة وأربع وستون سنة^(٣) ، وعلى اختيار المنجمين ينقص عن ذلك مائتين وتسما وأربعين سنة .

(١) في تاريخ أبي الفداء المطبوع وتسما .

(٢) في تاريخ أبي الفداء المطبوع وأربع سنين .

الرابع — من مولد إبراهيم عليه السلام . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثلاثمائة وثلاثون سنة ، وعلى اختيار المجتهدين ينقص عن ذلك مائتين وتسعين سنة .

الخامس — من بناء إبراهيم الكعبة . وبينه وبين الهجرة ألفان وسبعمائة وثلاثون سنة .^(١)

السادس — من وفاة موسى عليه السلام . وبينه وبين الهجرة على اختيار المؤرخين ألفان وثلاثمائة ومائة وأربعون سنة .

السابع — من عمارة سليمان عليه السلام بيت المقدس . وبينه وبين الهجرة ألف وثلاثمائة وستون سنة .^(٢)

الثامن — من ابتداء ملك مجتصر . وبينه وبين الهجرة ألف وثلاثمائة وتسع وستون سنة . قال صاحب حماة : بلا خلاف .

التاسع — من تخريب مجتصر بيت المقدس . وبينه وبين الهجرة ألف وثلاثمائة وسبعون سنة .

العاشر — من ملك فيليس أبي الإسكندر . وبينه وبين الهجرة تسعمائة وخمسين وأربعون سنة ومائة وسبعة عشر يوماً .

الحادي عشر — من غلبة الإسكندر على ملك فارس وقتل دارا ملك الفرس .^(٣) وبينه وبين الهجرة تسعمائة وأثنان وثلاثون سنة ومائتان وتسعون يوماً .

(١) في المختصر وتسعون .

(٢) في المختصر وقريب سنين والظاهر أنه تصحيف .

(٣) في المختصر وأربع وثلاثون .

الثاني عشر — من مولد المسيح عليه السلام . وبينه وبين الهجرة ^{سنة} واثنتين . وثلاثون سنة .

الثالث عشر — من ملك أردبالونص ^(١) . وبينه وبين الهجرة ثمانمائة وتسع وستون سنة .

الرابع عشر — من ملك أردشير أول ملوك الأكاسرة من الفرس . وبينه وبين الهجرة أربع مائة وأثنان وعشرون سنة .

الخامس عشر — من تحراب بيت المقدس المرة الثانية . وبينه وبين الهجرة ^(٢) ثمانمائة وست وأربعون سنة .

السادس عشر — من ملك دقلطيانوس : آخر حيدة الأقسام من ملوك الروم على القبط . وبينه وبين الهجرة ثمانمائة وسبع وثلاثون سنة وأحد وعشرون يوما .

السابع عشر — من ظبية أغشطش ملك الروم على قلوطرا ملكة اليونان ومصر . وبينه وبين الهجرة مائتان ونحسون سنة ومائتان وستة وأربعون يوما . ^(٣)

الثامن عشر — من عام الفيل ، وهو العام الذي ولد فيه النبي صلى الله عليه وسلم . وبينه وبين الهجرة ثلاث ونحسون سنة وشهران وثمانية أيام .

(١) في المختصر أردبالان وبالجملة في المختصر المطبوع لابن القداء ج ١ ص ١٢٥ غائقة على أصولنا المخطوطة فيه .

(٢) في مختصر أبي القداء ج ١ ص ١٢٥ بحماية ومائة ونحسون وكان لخص أربعين سنة من رفع المسيح .

(٣) في المختصر ثمان مائتان ونحسون سنة ونحوه بالمراب لأن ظبية أغشطش على قلوطرا على مولد المسيح إحدى وعشرين سنة .

التاسع عشر - من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم . وبينه وبين الهجرة ثلاث عشرة سنة وشهران وثمانية أيام .

القسم الثاني

(ما بعد الهجرة)

وفيه تاريخ واحد ، وهو من هلاك يزيد بن معاوية ملك القس . وكان بعد الهجرة بعشرين سنة وثمانية وسبعين يوما .

الجملة الرابعة

(في أصل وضع التاريخ الإسلامي وبناءه على الهجرة دون غيرها)

وقد اختلف في أصل ذلك : فحكى أبو جعفر النعمان في " صناعة الكتاب " عن محمد بن جرير : أنه روى بسنده إلى ابن شهاب أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة - وقدمها في شهر ربيع الأول - أمر بالتاريخ . وعلى هذا فيكون ابتداء التاريخ في عام الهجرة . قال النعمان : والمعروف عند العلماء أن ابتداء التاريخ بالمهجرة كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

فمما اختلف فيه السبب الموجب لذلك : فذكر النعمان أن السبب فيه أن حامل عمر بن الخطاب رضي الله عنه باليمن قدم عليه فقال : أما تؤرخون كتبكم ؟ فالتفتوا بالتاريخ . ووافقه على ذلك صاحب " مواد البيان " . وذكر أبو هلال العسكري في كتابه " الأوائل " أن السبب فيه أن أبا موسى الأشعري كتب إلى عمر بن الخطاب

(١) في الأصل ثلاث وعشرون سنة وشهران وثمانية أيام وهو محريف والتخمين من غرض ابن الأثير .

رضى الله عنه : إنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كُتِبَ لاندري على أيها نعمل قد قرأنا [كتابا منها] ^(١) محله شعبان ، فـ لاندري في أى الشعبانين الماضى أو الآتى ، فأحدث عمر التاريخ . وتبعه على ذلك ابن حاسب النعمان في " ذخيرة الكُتَاب " . وذكر صاحب حمة في تاريخه : أنه رُفِعَ إلى عمر رضى الله عنه صكُّ محله شعبان فقال : أى شعبان ، لاندري الذى نحن فيه أم الذى هو آتٍ ، ثم جمع وجوه الصعابة وقال : إن الأموال قد كثرت ، وما قَسَمناه منها غير مؤقت فكيف التوصل إلى ما يضبط به ذلك ؟ - فقالوا : يجب أن نعرف ذلك من أمور الفرس ، فاستحضر المؤرمرزان وسأله - فقال : إن لنا حساباً نُسَمِّيه (مائة زور) ومعناه حساب الشهور والأيام فعمل عمر التاريخ .

الجملة الخامسة

(في بيان صورة أبتلائهم وضع التاريخ من الهجرة)

قال في " ذخيرة الكُتَاب " : لما أراد عمر التاريخ ، جمع الناس للمشورة ، فقال بعضهم : نؤرخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم - وقال بعضهم : بل بوفاته - وقال بعضهم : بل بهجرته من مكة إلى المدينة : لأنها أول ظهور الإسلام وقوته . فصوبه عمر وأجمع رأيهم عليه ؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد وُلِدَ في عام الفيل المقدم ذكره في التواريخ القديمة . قال في " ذخيرة الكُتَاب " : وكان وقوع ذلك في اليوم الثاني عشر من شُباط سنة ثمانمائة واثنين وثمانين لذي القريتين . ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة من ولادته ، وأقام بمكة بعد النبوة عشرين سنة ^(٢) ؛

(١) يباشر بالاصول والتصحيح من الضوء للولف .

(٢) ينظر ذلك مع ما تقدم من أن بين المبعث والهجرة ثلاث عشرة سنة .

ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول بعد عشر من النبوة، وقدم المدينة لاكتفى عشرة ليلة منه .

ثم بعد اتفاقهم على التاريخ من الهجرة اختلفوا في الشهر الذي تقع البدأة به : فأشار بعضهم بالبداة برمضان لشرفه وعظمه - فقال عمر بن الخطاب : لأنه منصرف الناس من حجهم ، فرجموا الفقهري ثمانية وستين يوماً ، وهي القدر الذي مضى من أول الحزم [إلى ذلك الوقت] واستقر تاريخ الإسلام من الهجرة .

قال القاضي في "عيون المعارف" : وكان ذلك في سنة تسع عشرة أو ثمانين عشرة من الهجرة .

قلت : واستقرت تواريخ الأمم على أربعة تواريخ ، ابتداء بعضها من قبلهم على ابتداء بعض .

أولها - غلبة الإسكندر على الفرس . وعليه تاريخ السريان والروم إلى زماننا .
والثاني - ملك دقلطيانوس ملك الروم على القبط . وعليه تاريخ القبط إلى زماننا .

والثالث - الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وعليها مدار التاريخ الإسلامي .

والرابع - هلاك زنديج آخر ملوك الفرس . وبه تؤرخ الفرس إلى زماننا ، وقد تقدم بيان بعد ما بين تاريخ كل من غلبة الإسكندر وملك دقلطيانوس وبين الهجرة في القبلة ، وبعد ما بين تاريخ زنديج وبين الهجرة في البعدي في الكلام

(١) ينظر ذلك مع ما تقدم من أن بين المبعث والهجرة ثلاث عشرة سنة .

(٢) الزيادة من الفرس .

على أصول التواريخ، مع ما سبق في المقالة الأولى في بيان ما يحتاج إليه الكاتب من ذكر مقدار سنة كل منها وعددها من الأيام، وسيأتي الكلام على استخراج بعضها من بعض فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة السادسة

(في كيفية تهيد التاريخ في الكتابة بزمن معين، وهو ضرران)

الضرب الأول

(التاريخ العربي)

ومدّاره الليالي دون الأيام : لأن سني العرب قمرية، والقمر أول ما يظهر للأبصار هلالاً في الليل، فتكون الليالي بهذا الاعتبار سابعة للأيام، إذ اليوم عندهم عبارة عن النهار، وهو إما من طلوع الفجر على ما ورد به الشرع في الصوم ونحوه، وإما من طلوع الشمس على رأى المنجمين . قال أبو إسحاق الزجاجي في كتابه " الجمل " : وإنما حيل على الليالي دون الأيام لأن أول الشهر ليلة، فلو حيل على الأيام سقطت منه ليلة . قال الشيخ أمير الدين أبو حيان في " شرح التسهيل " : وأستغنى بالليالي عن الأيام للعلم أن مع كل ليلة يوماً، فإذا مضى عدد من الليالي مضى مثله من الأيام، فيجوز أن يستغنى بذكر أحدهما عن الآخر . وقد ذكر جمال الدين عبد الرحيم ابن شيبث في كتابه " معالم الكتابة " : أن كتب السلطان والأعيان تروّخ بالليالي، والكتب من الأدنى إلى الأعلى تروّخ بالأيام . ولم أعلم من أين أخذ ذلك ولا ما استكنه فيه .

لذا طم ذلك فكتابة التاريخ ثلاثة اعتبارات :

الاعتبار الأول

(أن يؤرخ ببعض ليالي الشهر، وله ست حالات)

الحالة الأولى

(أن تقع الكتابة في الليلة الأولى من الشهر، أو في اليوم الأول منه)

فإن كانت الكتابة في الليلة الأولى منه فقد ذكر أبو جعفر النعمان في "صناعة الكتاب" أنه يكتب "كتب غرة شهر كذا، أو [أول] ليلة من كذا، أو مستهل شهر كذا، أو مهل شهر كذا". وحكى الشيخ أمير الدين أبو حيان مثل ذلك عن بعضهم، وزاد أنه يكتب أيضا "كتب أول شهر كذا".

قال النعمان : ولا يجوز حينئذ ليلة خلّت ولا مضت لأنهم في الليلة بعد . قال في "ذخيرة الكتاب" : وربما كتب بعض الكتاب ليلة الاستهلال «ليلة [تخلو]» .

وإن كانت الكتابة في اليوم الأول وهو النهار الذي يلي الليلة الأولى من الشهر، كتب «ليلة خلّت أو مضت من شهر كذا» . قال النعمان : ويجوز كتب «لغزة الشهر أو لأول يوم من الشهر» ومنع أن يقال حينئذ : أول ليلة من شهر كذا، أو مستهل شهر كذا ، أو مهل شهر كذا ، مؤجها لذلك بأن الاستهلال إنما يقع في الليل . وتبعه على ذلك ابن حبيب النعمان في "ذخيرة الكتاب" وصاحب "مواد البيان" . وبه جزم الشيخ جمال الدين بن هشام في ورقاته في الوراقة . وكلام ابن مالك في التمهيل يؤيد جواز ذلك فإنه قد قال : فيقال أول الشهر، كتب لأول

(١) الزيادة من الضرر .

(٢) يياض بالاصول، والتصحيح عن الضرر، فلو لم ي

ليلة منه، أو لقرته أو مهلة أو مستهلة . وأول الشهر أعم من اليوم واليلة بل هو إلى الليلة أقرب، لأن الليلة سابقة بالأولية .

قال الشيخ أمير الدين : ومفتتح الشهر أول يوم منه . ومقتضى كلامه أنه يورخ بالمفتتح في اليوم الأول من الشهر دون الليلة وفيه نظر، بل الظاهر جواز استعماله فيهما، بل الليلة بالمفتتح أولى لسبقها اليوم كما تقدم، اللهم إلا أن يراد فيه مواقة المفتتح ليوم في التذكير دون الليلة لتأنيدها . قال في «مواد البيان» : والعرب تسمى أول ليلة من الشهر الصغرى ، ولكن لا تستعمله الجكّاب في التواريخ .

الحالة الثانية

(أن تقع الكتابة فيما بعد مضيّ اليوم الأول من الشهر إلى آخر العشر)

إن كان قد مضى منه ليلتان ، كتبت « لليتين خلتا من شهر كذا ، أو اليتين مَضَيّا منه » قال في « ذخيرة الكتاب » : ولا يُكتب ليوم خلا ولا ليومين خلوا : لأن ذكر الليالي في باب التاريخ أغلب، كما هو قول ليلة السبت وليلة الأحد، فتضيف الليلة إلى اليوم لأنها أسبق، ولا تضيف اليوم إلى الليلة .

وحكى الشيخ أمير الدين أبو حيان أنه إذا مضى من الشهر يومٌ كتبت « ليوم مضى » وإذا مضى يومان « كتبت ليومين مَضَيّا » . والتحقيق في ذلك أنه يختلف الحال فيه باختلاف الكتابة في الليل والنهار : فإن كتبت في الليلة الثانية، ناسب أن يكتب « ليوم خلا من شهر كذا » لأنه إن كتبت لليتين خلتا فهو في الليلة الثانية بعد، وإن كتبت لليلة خلت لم يظهر الفرق بينه وبين الكتابة في اليوم الأول من الشهر . وإن كتبت في اليوم الثاني من الشهر، ناسب أن يكتب لليتين خلتا أو مَضَيّا . وإن كان

قد مضى من الشهر ثلاث ليال، كَتَبَ ثلاثِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ من شهر كذا، أو لثلاثِ ليالِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ . ويحوز فيه ثلاثِ خَلَتْ أو ثلاثِ ليالِ خَلَتْ على قِلة . وكذا في الباقي إلى العشر فتقول : لعشرِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ، أو لعشرِ ليالِ خَلَوْنَ أو مَضَيْنَ، أو لعشرِ، أو لعشرِ ليالِ خَلَتْ أو مَضَتْ على اللغة القليلة .

الحالة الثالثة

(أن تقع الكتابة فيما بعد العشر إلى النصف)

فيكتب لإحدى عشرة خَلَتْ أو مَضَتْ من شهر كذا . أو لإحدى عشرة ليلة خَلَتْ أو مَضَتْ، ويحوز فيه لإحدى عشرة خَلَوْنَ أو لإحدى عشرة ليلة خَلَوْنَ على قلة . وكذا في الباقي إلى النصف من الشهر . قال الشيخ أمير الدين أبو حيان : فإن صرح بالميز وكان مذكراً، أُعيد الغمير عليه فيقال : لاحت عشر يوماً خلاً أو مضى ونحو ذلك .

الحالة الرابعة

(أن تقع الكتابة في الخامس عشر من الشهر)

فيكتب « كَتِبَ لِخَمْسِ شهر كذا » . قال النحاس : وأجازوا خمس عشرة ليلة خَلَتْ أو مَضَتْ . وكلام ابن مالك في « التسهيل » يُشير إلى جواز خمس عشرة ليلة خَلَتْ أو مَضَتْ [أو بقيت^(١)] على رأي من يُحوز التاريخ بالباقي . ولو حُدِّف ذكر الليلة فقال : خمس عشرة خَلَتْ أو مَضَتْ أو بقيت صح . قال في « التسهيل » والتاريخ بالنصف أجنود .

(١) الزيادة لازمة ليصح الكلام .

الحالة الخامسة

(أن جمع الكتابة فيما بعد النصف من الشهر إلى الليلة الأخيرة منه)

وفيه لاهل الصناعة منهجان :

المنهْبُ الأوَّل — أن يُرَّخَّ بالماضي من الشهر كما في قَبْلَ النصف ، فيقال : لِسِتَّ عشرة خَلَتْ أو مَضَتْ ، أو لِسَتْ عشرة لَيْلَةً خَلَتْ أو مَضَتْ . وكذا إلى العشرين فيقال : لِعِشرِينَ خَلَتْ أو مَضَتْ ، أو لِعِشرِينَ لَيْلَةً خَلَتْ أو مَضَتْ ، وكذا في البواقي إلى آخر التاسع والعشرين ، فيكون التاريخ في جميع الشهر من أوَّله إلى آخره بالماضي دُونَ الباقي فِرَارًا من المجهول إلى المَحَقَّق ، وهو مذهبُ الفقهاء لأنه لا يُعرَفُ هل الشهر تامٌّ أو ناقِصٌ . قال النحاس : ورأيتُ على بَنِي سُلَيْمان يَخْتارُه . قال في " ذخيرة الثَّغْلَب " : وهو أثْبَتٌ وَجْهَةٌ أقوى . ثم لا شك أنَّ من يرى التاريخ باليوم يجوز لِسِتَّةَ عَشْرَ يَوْمًا خَلَا أو مَضَى من شهر كذا ، وكذا فيما بعده .

المنهْبُ الثاني — أن يُرَّخَّ بما بَقِيَ من الشهر . ولِلوَرَّخِينَ فيه طَرِيقان :

الطَرِيقُ الأوَّل — أن يَحْزِمَ بالتاريخ بالباقي فيكتب لأربع عشرة لَيْلَةً بَقِيَتْ من شهر كذا ، ثم لثلاث عشرة لَيْلَةً بَقِيَتْ ، وهكذا إلى الليلة الأخيرة من الشهر ، فيكتب لليلة بَقِيَتْ ، وهو مذهبُ الثَّغْلَب . قال النحاس : ورأيتُ بعض العلماء وأهل النظر يصوِّبونه ، لأنهم إنما يَكْتُبُونَ ذلك على أن الشهر تامٌّ ، وقد عُرف معناه وأن كاتبه وقارنه إنما يُريدُ إذا كان الشهر تامًّا فلا يحتاج إلى التَّقْلُظِ به . قال محمد بن عمر المدائني : وأَحْسَبُوا لذلك بأن مُعَاوِيَةَ بنَ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ الله عنه : حين كَتَبَ عن النبي صَلَّى الله عليه وسلم لأبْنِ الحَضْرَمِيِّ كَتَبَ في آخر الثَّغْلَب :

«وكتب معاوية بن أبي سفيان ثلاث ليل بقين من ذى القعدة بعد فتح مكة سنة ثمان» ثم قرأ عثمان بن عفان رضى الله عنه والناس حوله . قال النحاس : وقد وقع مثل ذلك فى كلام النبوة . فقد ورد فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى ليلة القدر : «أَتَمِسُّوْهَا فى العَشْرِ الْأَوَّلِ سَابِعَةِ تَنَقُّى أَوْ ثَلَاثَةِ تَنَقُّى» . وهذا الحديث الذى استشهد به النحاس ثابت فى الصحيح فلا نزاع فى العمل به .

الطريق الثانى — أن يعلّق التاريخ بالباقي على شرط . فيكتب لأربع عشرة إن بقيت ، أو لأربع عشرة ليلة إن بقيت ، وعلى ذلك فى الباقي ، فإِذَا من إطلاق التاريخ بما لا يعلم تمامه أو قصه وتعليقه على حكم التمام ؛ وكأنه يقول : لأربع عشرة ليلة بقيت من الشهر إن كان تمامًا . ومن يرى التاريخ بالأيام يجوز لأربعة عشر يوما تنقّى من شهر كذا ، وكذا فى الجميع .

الحالة السادسة

(أن تقع الكتابة فى الليلة الأخيرة من الشهر أو فى اليوم الأخير منه)

فإن كان فى الليلة الأخيرة منه كُتِبَ «لآخر ليلة من شهر كذا ، أو فى سَلْع شهر كذا ، أو فى أَسْلَاحه» . وإن كان فى اليوم الآخر منه كُتِبَ «لآخر يوم من شهر كذا ، أو فى سَلْعِهِ أو أَسْلَاحِهِ أيضا» . ولم يخطئوا هنا فى جواز التاريخ باليوم . قال ابن حبيب النعمان : وذلك أن الشهر يعتدّ بإبتداء الليالي وينقضى بانقضاء النهار . وذكر صاحب «موادّ البيان» أن الذى كان كُتِبَ مصرى يستعملونه بالديار المصرية أن يُحْمَل شهر ثلاثين يوما وشهر تسعة وعشرين ، وهذا جنوح منهم إلى الأخبار العجوى ، ولا محوّل على ذلك فى الشريعة .

قلت : وَكُلَّابَ زَمَانًا قَدْ أَهْمَلُوا النَّظَرَ فِي ذَلِكَ بُحْلَةً وَصَوَّلُوا عَلَى التَّارِيخِ بِالْأَيَّامِ ،
وَأَقْبَنِينَ عِنْدَ سَدِّ الْيَوْمِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْمَدَدُ مِنَ الشَّهْرِ عِنْدَ الْكَتَابَةِ فَيَكْتُبُونَ فِي الْيَوْمِ
الْأَوَّلِ : كُتِبَ فِي مَسْتَهْلٍ شَهْرُ كَذَا ، ثُمَّ فِي ثَانِي شَهْرُ كَذَا أَوْ ثَالِثُهُ إِلَى الْعَشْرِ ؛
ثُمَّ فِي حَادِي عَشْرِهِ وَثَانِي عَشْرِهِ إِلَى الْعَشْرِينَ ، ثُمَّ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرٍ كَذَا ،
أَوْ الْحَادِي وَالْعَشْرِينَ ، وَالثَّانِي وَالْعَشْرِينَ إِلَى التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ . وَفِي الْيَوْمِ الْآخِرِ
مِنَ الشَّهْرِ يَكْتُبُونَ فِي سَلَخٍ شَهْرُ كَذَا لَا يَمُرُّونَ غَيْرَ ذَلِكَ .

ثُمَّ مِمَّا يُسْتَحْسَنُ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُ إِذَا وَقَعَتِ الْكَتَابَةُ فِي يَوْمٍ مَشْهُورٍ - كَأَيَّامِ
الْمَوَاسِمِ - أُرِخَ بِهِ ، مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ عِدَدِ مَا مَضَى مِنَ الشَّهْرِ أَوْ بَقِيَ مِنْهُ . فَيَكْتُبُ
فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ مِنْ شَوَّالٍ « كُتِبَ فِي يَوْمٍ حَيْدِ الْفَطْرِ » وَفِي تَاسِعِ ذِي الْحِجَّةِ
« كُتِبَ فِي يَوْمٍ حَرَفَةٍ » وَفِي حَاشِرَةٍ « كُتِبَ فِي يَوْمٍ حَيْدِ النَّحْرِ » أَوْ فِي يَوْمِ
عِيدِ الْأَمْشَى « وَفِي حَادِي عَشْرِهِ « كُتِبَ فِي يَوْمِ الْقَتَرِ » - بَفَتْحِ الْقَافِ ، سَمِيَ بِذَلِكَ
لَأَنَّ النَّاسَ يَسْتَقِرُّونَ فِيهِ مَيَّيْنِ ، وَفِي ثَانِي عَشْرِهِ « كُتِبَ فِي يَوْمِ النَّقْرِ الْأَوَّلِ » لِأَنَّ
الْجَمِيعَ يَنْقَرُونَ فِيهِ مِنْ مَيَّيْنِ ، وَفِي ثَالِثِ عَشْرِهِ « كُتِبَ فِي يَوْمِ النَّقْرِ الثَّانِي » .

الاعتبار الثاني

(أَنْ يُرِخَ بِحِمْلَةٍ مِنْ أَيَّامِ الشَّهْرِ)

فَإِنْ أُرِخَ بِشَهْرِ مِنَ الشَّهْرِ ، بَنَاهُ عَلَى التَّائِيثِ : فَيَكْتُبُ « كُتِبَ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ » ،
أَوْ فِي الْعَشْرِ الْأَوَّلِ - بَضَمِ الْهَمْزَةِ وَفَتْحِ الْوَائِ بِجَمْعِ أَقْلَةٍ ^(١) . أَوْ كَتَبَ فِي الْعَشْرِ الْوُسْطَى
أَوْ فِي الْعَشْرِ الْوُسْطَى - بَضَمِ الْوَائِ وَفَتْحِ السَّيْنِ بِجَمْعِ وَسْطَى ، أَوْ كَتَبَ فِي الْعَشْرِ الْآخِرِ

(١) لعل الصواب "جمع أدل" .

أوفي العشر الآخر - بضم الهمزة وفتح الخاء جمع آتية . قال الشيخ أمير الدين أبو حيان : ولا يُكتب العشر الأول ولا الأوسط ولا الآخر . وقال بعض النحويين يُكتب «وكتب في العشر الآتية أو الأوائير» ولا يُكتب الأتية ولا الآخر : لتلاطس بالآخر بمعنى الثاني أو الآخر بمعنى التواني . وقد تهم في الكلام على أيام الشهر أن العرب تسمى ليالي الشهر كل ثلاث منها باسم ، وقد تهم ذكر أسمائها هناك . فإذا وقعت الكتابة في ثلاث منها ، كالتفر : وهي الثلاث الأولى من الشهر ، والدآدى : وهي الثلاث الأخيرة منه ، كان للكتاب أن يُرَّخ بها كما يُرَّخ بعشر من الأعيان الثلاث ، بل الثلاث أقرب لمعرفة التاريخ من العشر . وقد أشار إلى ذلك الشيخ أمير الدين في «شرح التمهيد» فقال : وإن أرَّخ بالثلاث الأخيرة من الشهر كتب القآدى . وإذا كان في السنة أيام مشهورة ، أرَّخ بها كالأيام المعلومات : وهي العشر الأول من ذى الحجة ، والأيام المعلومات : وهي أيام التشريق على ما تهم ذكره في موضعه ، كان للكتاب أن يُرَّخ بها .

الاعتبار الثالث

(أن يُرَّخ بأجزاء اليوم أو الليلة)

وأكثر ما يحتاج الكتاب إلى ذلك في تاريخ بطاقي الحما ، وقد سبق في الكلام على الأيام أن كل واحد من الليل والنهار اثنتا عشرة ساعة زمانية ، تطول بطلو أحدهما وتقصر بقصره ، ولكل ساعة منها اسم يُعطى ، كالشروق : وهو أول ساعات النهار ، والغروب : وهو آخر ساعاته ، والشفق : وهو أول ساعات الليل ، والصباح وهو آخر ساعاته . فينبغي للكتاب إذا كتب بطاقة من بطاقي الحما أن يكتب

(١) عبارة القسوس ١٠١ : «ولانراخ فإنه يجوز التاريخ بالأيام المشهورة في السنة كالأيام المعلومات الخ»
وهي أرَّخ .

الساعة التي كُتِبَتْ فيها من ساعات النهار ، أما ساعات الليل فلا يأتى فيها ذلك ، لأن الحمام لا يُسْرَحُ في الليل ، اللهم إلا أن تَسْعَوْا الضرورة إلى التارخ بساعة من ساعات الليل في بعض المكتبات فيؤرخ بها .

قلت : وهذا الترتيب قد تركه كُتِّبَ زماننا ، وصاروا يُرَخُّونَ بالساعات المشهورة عندهم ، كالأولى من النهار ، أو الثانية ، أو وقت الظهر ، أو وقت العصر ، ويحو ذلك .

الضرب الثاني

(التارخ الجَمْعِيّ)

ومَبْدَأُهُ الأيام دُونَ الليالي ، لأن سَتَّهَمَ مع اختلافها في الشهور ومَبْدَأُهَا ومَقَاطِعُهَا شمسية ، والبشمس محل ظهورها النهار دُونَ الليل ، فلذلك أَرَخُوا بالأيام . قال أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» : قال أحمد بن يحيى البلاذري : حضرت مجلس المتوكل ، وإبراهيم بن العباس يقرأ الكتاب الذي أنشأه في تأخير التوروز ، والمتوكل يتجعب من حسن عبارته ولطف معانيه والجماعة تشهد له بذلك ، فدخلتني نقاسة ، فقلت : يا أمير المؤمنين في هذا الكتاب خطأ ! فأعادوا النظر ، وقالوا : ما زناه فما هو ؟ - قلت : أرخ السنة الفارسية بالليالي ، والشم يؤرخ بالأيام ، واليوم عندهم أربع وعشرون ساعة تستعمل على الليل والنهار ، وهو جزء من ثلاثين جزءا من الشهر ؛ والعرب يؤرخ بالليالي ، لأن سِينِيْمَ وشهورهم قمرية ، وأبتداء الهلال بالليل - قال : فشهدوا بصحة ماقلته ، وأعترف به إبراهيم . وقال : ليس هذا من مِلِّي .

قلت : وأكثر ما يحتاج إلى ذلك في تحويل السنين وقفل التبروز عند دوران السنين ، كما في كتاب إبراهيم بن العباس المتقدم ذكره ، وكذلك في كتابة الهدن فسيأتى أنه يجمع فيها بين التاريخ العربى والسجى جميعاً ، ويجب فيه تقديم العربى على السجى ، مثل أن يكتب « كُتِبَ لَعَشِيرُ خَلَوْنَ من المحرم سنة ثمانمائة ، موافقاً للعاشر من ثوب من شهور القبط » أو العاشر من تشرين الأول من شهور العريان ، أو العاشر من ينير من شهور الروم ، أو العاشر من أفرودين ماه ، من شهور الفرس ونحو ذلك .

الجملة السابعة

(فى تقييد التاريخ بالسنة)

قد علمت أن قائمة التاريخ إنما تحقق بذكر السنة بعد اليوم والشهر ، وإلا فلا يعلم من أى السنين . فإذا كتب يوم كذا من شهر كذا كتب بعد ذلك ، سنة كذا ، سواء كان التاريخ عربياً أو سجمياً ، أو مركباً منهما ، مثل أن يكتب سنة كذا من الهجرة الموافقة لكنا من ميسى الروم أو ميسى الفرس .

ثم للكاتب فى كتابة تاريخ السنة مصطلحان .

المصطلح الأول — أن يكتب « سنة كذا » فيحتاج إلى حذف الماء من المدد ، على قاعدة حذفها من عدد المؤنث ، مثل أن يكتب سنة ست وثمانمائة ونحو ذلك ، وعلى هذا اصطلاح كتاب الديار المصرية وبلاد المغرب .

المصطلح الثانى — أن يكتب « عام كذا » فيحتاج إلى إثبات الماء فى المدد على قاعدة إثباتها فى عدد المذكر ، مثل أن يكتب « عام ست وثمانمائة » وعلى نحو ذلك

يَجْرَى كُتَابُ الْغَرْبِ ظَالِمًا ، لَمَّا يُقَالُ : إِنْ الْعَامُ يُخْتَصُّ بِالْخِصْبِ وَالسَّنَةُ تُخْتَصُّ بِالْحَمْلِ عَلَى مَا تَقْدَمُ ذِكْرُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى السَّنِينَ فَيَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْكَاتِبُ فِي الْمَقَالَةِ الْأُولَى .

الجملة الثامنة

(في معرفة بعض التواريخ من بعض)

قد ذكر في " موادَّ البيان " أن من جملة أدب الكاتب العلم بتاريخ سني العالم وأسعجراج بعضها من بعض في كل وقت من أوقات اليوم الذي هو فيه من كل شهر وسنة من سني الأمم . وقد تقدم أيضا أن المستعمل من التواريخ في زماننا بين الأمم أربعة تواريخ ، بعضها أقدم من بعض .

أولها — تاريخ ظبة الإسكندر . وهو التاريخ الذي يُؤرخ به السريان والروم والفرنجية ومن في معناتهم إلى الآن ، وهو بعد الطوفان فيا حرره الشيخ علاء الدين ابن الشاطر في " زيجه " بثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانين سنة وثلاثمائة وعشرين يوما .

الثاني — التاريخ من ملك دقلطيانوس . وهو الذي يؤرخ به القبط إلى الآن ، وربما صبروا عنه بتاريخ الشهداء ، إشارة إلى تسميتهم الذين قتلهم دقلطيانوس من القبط شهداء ، وهو بعد ظبة الإسكندر بمئمة وأربع وتسعين سنة وثلاثمائة واثنين وثلاثين يوما .

الثالث — التاريخ من الهجرة ، وطيه تاريخ الإسلام . وهي بعد ملك دقلطيانوس بثلاثمائة وست وثلاثين سنة وثلاثمائة وأحد وعشرين يوما .

الرابع — التاريخ من هلاك يزدجرد آخر ملوك الفرس . وقد تقدم أنه بعد الهجرة بعشرين سنة وثمانية وسبعين يوما .

فاما التاريخ السرياني والرومي وهو الذي مبدؤه من غلبة الإسكندر فقد تقدم أن شهور السريانيين اثنا عشر شهرا ، وهي : تشرين الأول — تشرين الثاني — كانون الأول — كانون الثاني — شباط — آذار — نيسان — أيار — حزيران — تموز — آب — أيلول . منها سبعة أشهر لكل شهر منها أحد وثلاثون يوما ، وهي : تشرين الأول ، وكانون الأول ، وكانون الثاني ، وأذار ، وأيار ، وتموز ، وآب ، وأربعة أشهر كل شهر منها ثلاثون يوما ، وهي : تشرين الثاني ، ونيسان ، وحزيران ، وأيلول . ومنها واحد ثمانية وعشرون يوما : وهو شباط ، فتكون أيام سبته ثمانية وخمسة وستين يوما ، ويضاف إليها ربيع يوم مراعاة السنة الشمسية ، فتصير ثمانية وخمسة وستين يوما وربع يوم ينقص جزءا يسيرا . ومن أجل ذلك يعدون ثلاث سنين بساطك^(١) يكون شباط فيها تسعة وعشرين يوما : لإضافة ربيع اليوم في السنين الأربع إليه ، وتكون السنة فيها ثمانية وستة وستين يوما .

وقد تقدم أيضا أن شهور السنة الرومية تضاهي شهور السنة السريانية في عدد الأيام ، بل هي هي ، إلا أن الروم يسمون أشهرهم بأسماء غير أسماء شهور السريان ، ويكون أول شهورهم موافقا لكانون الثاني ، وهو الشهر الرابع من شهور السريان ، ويكون آخر شهورهم موافقا لكانون الأول .

(١) كما في الأصول ويظهر أن فيه سقطا من النسخ والأصل "يعدون ثلاث سنين بساطك" وسنة كيسة يكون الخ كما أخذ من نظيره في التاريخ القبطي تأمل .

وأسماء شهورهم : يناير، فبراير، مارس، أبريل، مايو، يونيو، يوليو، أغسطس،
سبتمبر، أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر . ولا فرق في شيء منها سوى اختلاف الأسماء
وأبتداء رأس السنة، وحيث أن يكون الكل فيها في التاريخ واحدا .



وأما التاريخ القبطي : وهو الذي مبدؤه من ملك دقلطيانوس ، فقد تقدم أن
شهور السنة القبطية اثنا عشر شهرا . وهي : توت، بابه، حتور، كيهك، طوبه،
أمشير، برمهات، برمودة، بشنس، بشونه، أبيب، مسرى . وكل شهر منها ثلاثون
يوما من غير اختلاف ، ثم بعد مسرى خمسة أيام يسمونها أيام النسيء ، فتكون أيام
سنتهم ثلثمائة وخمسة وستين يوما ، وتزيد بعد ذلك ربيع يوم في كل سنة كما في التاريخ
الرومي ، وقد اصططلحوا على أن يعدلوا منها ثلاث سنين بساطع ، كل سنة منها ثلثمائة
وخمسة وستون يوما لا زيادة فيها ، والرابعة كبسة تكون أيام النسيء فيها ستة أيام
وزيادة ربيع يوم ، وتصير أيام تلك السنة ثلثمائة وستة وستين يوما ، على نحو ما تقدم
في الشرياني والرومي .



وأما التاريخ العربي : وهو الذي مبدؤه الهجرة ، فقد تقدم في الكلام على الشهور
في المقالة الأولى أن شهور سنة العرب اثنا عشر شهرا . وهي : المحرم، صفر،
ربيع الأول، ربيع الآخر، جمادى الأولى، جمادى الآخرة، رجب، شعبان،
رمضان، شوال، ذو القعدة، ذو الحجة . وأنها قرية متأخرها رؤية الهلال ، إلا أن
المنجمين أحتملوا فيها على الحساب دون الرؤية لتصحيح حساب التواريخ ونحوها ،
وجعلوا فيها شهرا تاما عدده ثلاثون يوما ، وشهرا ناقصا عدده تسعة وعشرون يوما ،
على ترتيب شهور السنة ، فالمحرم عندهم تام ، وصفر ناقص ، وربيع الأول تام ،

وربيع الآخر ناقص، وجمادى الأولى تام، وجمادى الآخرة ناقص، ورجب تام،
 وشعبان ناقص، ورمضان تام، وشوال ناقص، وذو القعدة تام، وذو الحجة ناقص .
 فيكون من السنة ستة أشهر تامة وستة أشهر ناقصة، وتكون السنة حينئذ ثمانية أيام
 وأربعة وخمسين يوما، ولحقها بعد ذلك كسر في كل سنة، وهو خمس يوم وسدس
 يوم، فتصير السنة ثمانية أيام وأربعة وخمسين يوما وخمس يوم وسدس يوم مفزقة^(١)
 في ثلاثين سنة، ويعملون الكيسة سنة بعد سنة ثم سنة بعد سنتين، ثم سنة بعد
 سنة، وعلى هذا الترتيب إلى آخر الثلاثين، فتكون الكائس هي: الثانية، والخامسة،
 والسابعة، والعاشر، والثالث عشر، والحادية عشر، والثامنة عشر، والحادية
 والعشرين، والرابعة والعشرين، والسادسة والعشرين، والتاسعة والعشرين . فتكون
 كل سنة منها ثمانية وخمسة وخمسين يوما، ويعمل الزائد فيها في ذى الحجة، فيكون
 فيها ثلاثين يوما وباقى سنى الثلاثين بساطك، كل سنة منها ثمانية وأربعة وخمسون
 يوما، وذو الحجة فيها تسعة وعشرون يوما، بناء على الأصل في أن يكون شهر تاما
 وشهر ناقصا .



وأما التاريخ الفارسي : وهو الذى مبدؤه من هلاك يزدجرد، فقد تقدم فى الكلام
 على الشهور أن سنى الفرس اثنا عشر شهرا، كل شهر منها ثلاثون يوما . وهى :
 افرودين ماه، أردبشتاه، حفيدماه، تيرماه، تردماه، شهريرماه، مهرماه، أبان ماه،

(١) كذا فى الأصول وصيغة الضم ١٥٦ "ويجتمع من هذا الخمس والسادس يوم فى كل ثلاث
 سنين فتصير السنة ثمانية وخمسة وخمسين يوما ويبنى من ذلك بعد اليوم الذى اجتمع فيه فيجتمع منه ومن
 خمس اليوم وسدس فى السنة السادسة يوم واحد وكذلك إلى أن يبقى الكسر أحد عشر يوما عند تمام الثلاثين
 سنة وتسمى تلك السنين كائس العرب" وهى أوضح .

أدرياه، ذى ماه، بهمن ماه، اسفندارماه . وبين أبان ماه وأدرياه خمسة أيام تسعة
المستقرة بمثابة أيام النسيء في آخر سنة القبط ، وبمقتضى ذلك تكون سنتهم ثلاثاً
وخمسة وستين يوماً ، وليس فيها زيادة ولا نقص . فلا بد من معرفة هذه الأصول
لإستخراج تواريخ بعض السنين المذكورة من بعض .

ثم مما يجب معرفته بعد ذلك أن تعلم أن التواريخ السريانية والرومية سنوئته
سريانية أو رومية على ما تقدم ، فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين السريانية والرومية من
عدد الأيام والكائنات ، والتاريخ القبطى سنوئته قبطية فيعتبر فيها ما يعتبر في السنين
القبطية من الأيام والكائنات ، والتاريخ العربى سنوئته عربية فيكون على ما تقدم
في السنين العربية من عدد الأيام والكائنات ، والتاريخ الفارسى سنوئته فارسية فيعتبر
فيها ما يعتبر في السنين الفارسية من عدد الأيام ، ولا كيفية فيها .

إذا علمت ذلك فإذا أردت استخراج بعض هذه التواريخ من بعض ، فافظر
التاريخ المعلوم عندها عندك ، كالتاريخ العربى مثلاً عند الإسلاميين فاجعل السنين
التامة من التاريخ المعلوم أياماً ، وزد عليها ماضى من السنة المكسورة من الشهور
والأيام إلى اليوم الذى تريد أن تعلم موافقته لثلث من التاريخ المجهول ، ثم أنظر :
فإن كان التاريخ المعلوم أقدم من التاريخ المجهول ، فاقطع من أيام التاريخ المعلوم
ما بين التاريخين من الأيام فما بقي فهو أيام التاريخ المجهول . وإن كان التاريخ
المجهول أقدم ، فرد ما بين التاريخين من الأيام فما بقي فهو أيام التاريخ المعلوم ،
فما بلغ فهو أيام التاريخ المجهول . فإذا علمت أيام التاريخ المجهول بزيادة ما بين
التاريخين على أيام التاريخ المعلوم أو نقصانها منه على ما تقدم ، فاجعل ما حصل
معه من أيام التاريخ المجهول الذى تريد إستخراجه ، فما كان فهو السنون التامة

للتاريخ الذى تريد أستخرجه ، فإن بقى شيء من الأيام بعد السنين التامة ، نخذ منها لكل شهر عدد أيامه ، وما بقى من الأيام دون شهر فهو الماضى من أيام الشهر الذى على ذلك .

مثال ذلك إذا أردت أن تستخرج التاريخ السريانى أو الرومى الموافق لآخر سنة ثمانمائة من الهجرة ، فقد تقدم لك أن التاريخ السريانى والرومى مبدؤه من غلبة الإسكندر على الفرس ، وهو قبل الهجرة بسبعائة سنة وأثنتين وثلاثين سنة ومائتين وسبعة وثمانين يوما ، وذلك ثلثمائة ألف يوم وأربعون ألف يوم وسبعائة يوم ، فاحفظ ذلك ، ثم أبسط الماضى من سنى الهجرة وهو ثمانمائة سنة أياما ، بأن تضرب الثمانمائة فى عشرة آلاف وستمائة وأحد وثلاثين يوما ، وهى بسط السنة العربية من حين كسرها الزائد على أيامها ، وهو خمس يوم وسدس يوم ، يكون ثمانية آلاف ألف وخمسمائة ألف وأربعة آلاف وثمانمائة ، فاقسمه على ثلاثين وهى مخرج الكسر الذى هو الجلس والسدس ، يخرج بالقسمة مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون ، وهو عدد أيام الثمانمائة سنة ، فاضمه على ما بين غلبة الإسكندر والهجرة من الأيام ، وهو ثلثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعائة يوم ، يكون الجميع ستمائة ألف وأربعة وعشرين ألفا ومائة وثلاثة وتسعين ، فاجعل تلك الأيام ستين سريانية ، بأن تضرب تلك الأيام فى أربعة ، يحصل منها ألفا ألف وأربعمائة ألف وستة وتسعون ألفا وسبعائة وأثنان وسبعون يوما ، فاقسمه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف وسبعائة وثمانية ، وهى سنون تامة ، ويفضل بعد ذلك ألف وثلثمائة وأربعة وثمانون ، فاقسمها على أربعة ،

(١) الذى تقدم له " ومائتين وتسعين يوما " .

يخرج ثلثائة وستة وأربعون يوما ، يكون ذلك أحد عشر شهرا ، من أول تشرين الأول وأحد عشر يوما من الشهر الثاني عشر من الشهور السريانية وهو أيلول ؛ فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة هجرية موافقا لليوم الحادى عشر من أيلول سنة ألف وسبعمائة وتسع من السريانية .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ القبطى - لآخر سنة ثمانمائة ، فقد هتمت أن التاريخ القبطى - ابتدأه من ملك دقلبيانوس على القبط ، وهو قبل الهجرة بثلثائة وسبع وثلاثين سنة وثلثائة وعشرين يوما ، وحلة أيامه مائة ألف يوم وثلاثة وعشرون ألف يوم وأربعمائة يوم وتسعة أيام ، فأضيف أيام الماضى من سنة الهجرة : وهو مائتا ألف وثلاثة وثمانون ألفا وأربعمائة وثلاثة وقسمون على مائتة في التاريخ السريانى [على ما قبل الهجرة^(١)] وهو مائة ألف وثلاثة وعشرون ألفا وأربعمائة وتسعة أيام ، يكون المجموع أربعمائة ألف وستة آلاف وتسعمائة يوم ويومين ، فاجمله ستين قبطية ، بأن تضرب ذلك فى أربعة عدد مخرج كسر السنة القبطية ، وهو الربع الزائد على الخمسة وستين ، يكون ألف ألف وسبعمائة ألف وسبعة وعشرين ألفا وسبعمائة وثمانية ، فاقسمه على ألف وأربعمائة وأحد وستين ، يخرج بالقسمة ألف ومائة وأربعة عشر ، وهو عدد السنين القبطية الثامنة ، ويبقى بعد ذلك أربعة ونحسون ؛ فاقسمه على الأربعة المذكورة يخرج بالقسمة أربعة عشر ، وهى أيام من الشهر الأول من السنة القبطية الناقصة ، فيكون آخر يوم من سنة ثمانمائة للهجرة موافقا لربع عشر شهر توت سنة ألف ومائة ونحس عشرة من السنين القبطية .

(١) الزيادة لازمة لتوضيح المقام وهى مرادة المؤلف .

وإن أردت أن تستخرج التاريخ الفارسي لأخر سنة الثمانمائة المذكورة ،
 فقد تهتم أن ابتداء التاريخ الفارسي بعد الهجرة بعشرين وثمانين يوما ، وجملة
 أيامه ثلاثة آلاف يوم وسبعمائة يوم وأربعة وعشرون يوما ، فاقطعها من الحاصل
 من أيام النسيء الماضي من الهجرة إلى آخر الثمانمائة ، يكون الباقي بعد ذلك مائتي
 ألف وتسعة وسبعين ألفا وثمانمائة وتسعة وستين يوما ، فاقسمها على ثلاثمائة وخمسة
 وستين ، يخرج لك سبعمائة وستة وستون سنة ، وهو عدد السنين الفارسية التامة ؛
 ويقضل بعد ذلك مائتان وتسعة وسبعون يوما ، فخذ لكل شهر عدد أيامه :
 وهو ثلاثون يوما ويبقى تسعة أيام ، منها خمسة أيام في نظير الخمسة الأيام الزائدة
 في آخر أبان ماه المعروفة بالمسترفة ، يبقى أربعة أيام من شهر ذي ماه : وهو الشهر
 العاشر من شهورهم ، فيكون آخر يوم من ثمانمائة من الهجرة موافقا لليوم الرابع من
 ذي ماه من شهور الفرس سنة سبعمائة وسبع وستين .

فلو فرض أنه مضى من سنة إحدى وثمانمائة سنة أشهر مثلا ، فاجعل الأشهر شهرا
 تاما وشهرا ناقصا على ما تهتم ، تكون أيامها مائة وسبعة وسبعين يوما فأضفها على
 أيام الثمانمائة ، وأصل فيها ما تهتم ذكره ، لا يتغير العمل في شيء من ذلك .

مثال ذلك : إذا أردت استخراج التاريخ المراتبي في آخر جمادى الآخرة سنة
 إحدى وثمانمائة ، فأضف مائة وسبعة وسبعين : وهي أيام ستة أشهر على أيام
 الثمانمائة ، وهي مائتا ألف وثلاثون ألفا وأربعمائة وثلاثة وتسعون ،
 يكون المجموع مائتي ألف وثلاثة وثمانين ألفا وسبعمائة وستين يوما ، فأضف إليه
 ما بين الهجرة والتاريخ المراتبي : وهو ثلاثمائة ألف وأربعون ألفا وسبعمائة ، يحصل

من ذلك ستمائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً وثلثمائة ومبسون ، فاضربه في أربعة
يُخرج لك ألف وستمائة وتسعة ، وَفَضَّلْ من الأيام مائةً وثمانية ونمسون يوماً ،
تكون سابع أدار من شهر السريان ، فيكون آخر يوم من جمادى الآخرة سنة إحدى
وثمانمائة موافقاً للسابع من شهر أدار سنة ألف وسبعمائة وعشر من سني السريان .
قلت : وفي كُتُب الزيجات وغيرها طُرُق مختلفة لاستخراج التواريخ ، وسَدَّأُ
موضوعاً لا يَحتملها هذا الكتاب فليراجعها من أحتاج إلى زيادة على ذلك .

الجملة الثامنة

(في موضع كتابة التاريخ من الكتاب ، وصورة وضعه في الكتابة)

أما موضعه من الكتاب ، فقال محمد بن عمر المدائني في كتاب " القلم والدواة " :
رسموا تاريخ الكتب في آخرها ، ويجعله العامة في صُدورها ، والتحقق في ذلك
ما ذكره صاحب " مواد البيان " وغيره أن الكُتُب التي تُؤرخ على ضربين :

الضرب الأول — الكتب السلطانية ، ولها حالان :

الحالة الأولى — أن يكون الكتاب في أمر نتشوف النفوس إلى معرفة اليوم
الذي وقع ذلك الأمر فيه : كالحوادث العظام ، والفُتوحات والمواسم ونحوها ، فيؤرخ
الكتاب في صدره ، مثل أن يكتب في صدر الكتاب « كتاب أمير المؤمنين إليك ،
أو كتابنا إليك يوم كذا من سنة كذا » كما كان يُكتب في الزمن المتقدم في مثل ذلك .

الحالة الثانية — أن يكون الكتاب في أمر لا نتشوف النفوس إلى معرفة اليوم
الذي وقع ذلك الأمر فيه ، فيؤرخ الكتاب في آخره .

الضرب الثاني — كُتُب الأتباع إلى الرؤساء .

والرسم فيها أن تُؤرِّخ في صدرها . قال في «مواد اليان» : وذلك مثل أن يقال :
كتب العبد من مقرّ خدمته يوم كذا .

قلت : والذي استقر عليه حال كُتَاب الزمان كتابُ التاريخ في أنجر الكتاب بكل
حال ، سواء كان المكتوب ولاية أو مكتبة أو غير ذلك ؛ ولعلّ الولايات
وما في معناها لم يقع الاختلاف في كتابتها في آخر المكتوب في زمن من الأزمان .



وأما صورة وضع التاريخ في الكتابة ، فقد أصطلح الكُتّاب على أن جعلوا التاريخ
بعد كتابة إن شاء الله تعالى في سطرين : يكتبون « كُتِبَ في كذا من شهر كذا »
في سطري ، ثم يكتبون « سنة كذا » في سطر تحته ؛ وفي الكُتُب عن قضاة القضاة
يحمل كُتّابهم جميع التاريخ في سطر واحد .

الطَّرَف الثالث

(في المستندات ، وفيه جملتان)

المجلسة الأولى

(في صورة ما يُكْتَب ، وهو على ضربين)

الضربُ الأوّل

(ان يُضَاف إلى مرسوم السلطان ، وله نمس حالات)

الحالة الأولى — أن يكون يتلقّى كاتب السر ، إما بما يأمر به السلطان عند قراءته
القصة عليه ، أو بما يكتبه كاتب السر ويُنْقِضه من نفسه ، كما في خلاص الحقوق
ونحوها ؛ فيكتب فيه « حَسَبَ المرسوم الشريف » في سطري واحد لا غير .

الحالة الثانية — أن يكون بتلقى كاتب الممر أو أحد من كتّاب الدست بدار العدل ، عند جلوس السلطان في المواكب بالإيوان وقراءة كاتب الممر وكتّاب الدست قصص المظالم ونحوها عليه . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من دار العدل الشريف » سطرين أحدهما تحت الآخر ، ويكون في السطر الأول « حسب المرسوم الشريف » والباقي في السطر الثاني .

الحالة الثالثة — أن يكون برسالة اللوادار . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف » سطرا واحدا ، ثم يكتب تحته « برسالة الجتاب العالي الأميرى اللوادار ، الفلانى » باللقب المضاف إلى الملك كالتاميرى ونحوه « ضاعف الله تعالى نعمته » ويكون آخر السطر الأول « الأميرى الفلانى » .

الحالة الرابعة — أن يكون من ديوان الخالص . فيكتب فيه « حسب المرسوم الشريف من ديوان الخالص الشريف » ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرا ، وباقي الكلام سطرا .

الحالة الخامسة — أن يكون بخط السلطان بظاهر قصبة . فيكتب « حسب المرسوم الشريف بالخط الشريف » سطرين ، ويكون « حسب المرسوم الشريف » سطرا على ما تقدم ، وما بعده سطرا .

قلت : وما يجب التنبيه له أن لفظ حسب الواقع في المستندات مشغول اللغة فيه بفتح السين كما تقول : فعلتُ ذلك حسب أمرك ، ولا يجوز تسكينها بحال كما أطبق عليه علماء اللغة ، إلا ما حكاه الجوهري في « صحاحه » من جواز تسكينها في ضرورة الشعر ، على أن جُلُّ كتّاب الزمان يَنْطَقُونَ في ذلك فلا يَنْطَقُونَ بها إلا ساكنة السين ، وربما ضبطوه كذلك في الكتابة .

الضرب الثاني

(أن يَجْعَلَ مستندَه الإشارة، وله ثلاث حالات)

الحالة الأولى — أن يكون بإشارة النائب الكافل . فيكتب «بالإشارة العالية»
الأميرية الكبيرة الكافلية، كافي المالك الشريعة الإسلامية، أطلاها الله تعالى! «
سطين، ويكون آخر السطر الأول الكافلية الفلانية .

الحالة الثانية — أن يكون بإشارة الوزير . فيكتب «بالإشارة العالية الوزيرية
الفلانية، مدبر المالك الشريعة أطلاها الله تعالى! « سطين، ويكون آخر السطر
الأول الوزيرية الفلانية .

الحالة الثالثة — أن يكون بإشارة الإستدار . فيكتب «بالإشارة العالية الأميرية
الكبيرة الفلانية، إستدار العالية، أطلاها الله تعالى! « سطين، ويكون آخر السطر
الأول الكبيرة الفلانية . وقد تخدم في الكلام على الألقاب ما جرى عليه الكتاب
في لفظ إستدار من التحريف، واستعملوه بلفظ إستادار، أو استاد الدار، ونجى
مواقفهم عليه وإن كان خطأ جرياً على المصطلح .

الجملة الثانية

(في موضع كتابة المستند)

وقد أصطلح الكتاب على أن يُكْتَبَ المستند في الغالب بعد التاريخ، ويكون
الظرف أو الجائر والمجرور فيه متعلقاً من التاريخ بلفظ كُتِبَ، وكأنه يقول : كُتِبَ
في تاريخ كذا، حسب الأمر الشريف، أو بالإشارة الفلانية . وربما كتب بمباشرة
المكتوب في المراسيم الصغار التي تُكْتَبَ على ظهور القصاص ونحوها، وكذلك

أوراق الطريق؛ وموضع كتابته يقابل بين السطرين الأولين أخذاً من جهة الأسفل إلى جهة الأعلى بحيث يكون آخر كتابة المستند مسامتاً للسطر الأول، فإن كان «حَسَبَ المرسوم الشريف» فقط، كتبه سطراً واحداً، وإن كان «من دار العدل» كتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» سطراً، ومن «دار العدل الشريف» سطراً تحته، وكذلك إن كان «من ديوان الخصاص» كما يكتب في أسفل الكتاب، وإن كان برسالة الدوادار، فقد جرت العادة أن يكتب «حَسَبَ المرسوم الشريف» في أسفل الكتاب تحت التاريخ سطراً واحداً، ويكتب «رسالة الجنتاب العالي، الأميرى، الكبيرى، الفلافى، الدوادار، القلافى ضاعف الله تعالى نعمته !» بالهامش في المحل المتقدم سطرين كما كان يكتب بآخر الكتاب. وإن كان المستند الإشارة كتب جميعه بمحاشية الكتاب في المحل المقدم ذكره سطرين على ما تقدم بيانه.

الطرف الرابع

(في الجملة في آخر الكتاب، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في الاصل في كتابها)

والأصل في ذلك أن الله سبحانه كما جعل الحمد مفتاحاً للأمور يميناً بالافتتاح به، جعله ختاماً لها يميناً بالاختتام به قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وقال جلَّت قدرته: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ فِيهَا سَلَامٌ وَإِخْرَاجُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا رجع من السفر قال: «آتِيُونَ تَائِبُونَ رَبَّنَا حَامِدُونَ»، قال السهيلي: ومن ثم سمي النبي صلى الله عليه وسلم (أحمد) إشارة إلى أنه خاتم الأنبياء وآخر المرسلين.

ولما كان الأمر كذلك ، أصطلح الكُتّاب على اختتام الكُتُب بالحمد تبرُّكا .
 قال ابن شَيْث في «معالم الكُتابة» : ولا يُتِمُّ بالحمد لله في التواقيع في المَظالم ، وربما
 خُتِمَ بها في تَواقيع الإطلاقات . وقد أصطلح كُتّاب الزمان على حذفها من آخر
 ما لا تُكْتَب في أوَّل البسملة : كالتواقيع الصَّغار ونحوها ، على ما سياتي في موضعه
 إن شاء الله تعالى . وكأنهم يُسَيِّرون بذلك إلى أنَّ مثل ذلك لا يُتِمُّ بشأنه ، فكما حذفوا
 البسملة من أوَّلها حذفوا الحمدلة من آخرها إشارة إلى عدم الاهتمام بها كما حذفت
 من أوَّل الكلام الذي لا يُتِمُّ به لأجل ذلك على ما تقدّم بيَّنه .

الجملة الثانية

(في بيان ما يُكْتَب وصورة وضعه في الكُتابة)

أما ما يُكْتَب ، فقد أصطلحوا على أن يُكْتَبوا في حَمْدَةٍ آخر الكُتَاب « الحمد لله
 وحده » وربما كُتِبوا : « الحمد لله ربَّ العالمين » . على أنهم لو أطبقوا على كتابتها
 لكان أولى . فقد ذكر النووي في كتابه «الأذكار» أنها أفضل صيغ الحمد ومن
 أجل ذلك أَفْصَحَتْ بها فاتحةُ الكُتَاب التي هي أمُّ القُرمان .



وأما وضعها في الكُتابة ، فقد أصطلحوا على أن جعلوها بعد كتابة المُسْتَدَّ عن يَمَنِّه
 الدَّرَج ، على بُعد قدر ما بين إن شاء الله تعالى والسطر الآخِر من المكتوب . قال
 في «معالم الكُتابة» وقد تحتل الخروج عن سَمَت السطور .

الطرف الخامس

(في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب ، وما يتحقق بذلك ، وفيه جلتان)

الجملة الأولى

(في أصل إثباتها في آخر الكتاب)

والأصل في ذلك مع ما تقدم في الكلام على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في أول الكتاب في الكلام على القوائم أنه كما ذكرنا في أوائل الكتاب تبركا ، كذلك ذكرنا في آخرها تبركا . وقد قال تعالى في حقّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ فإن معناه ما ذكرنا إلا ذكرنا معي ، ولما أختتمت الكتب بالحمد لله ، ناسب أن يقرن الحمد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم جمعا بين ذكره وذكر الله تعالى . وقد ذكر ابن هشام في "سيرته" : أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب في آخر عهده لعمر بن حزم حين وجهه إلى اليمن «صلى الله على عهد» .

ثم الكلام في الجمع بين الصلاة والسلام ، والصلاة على الآل والمصحب بعده صلى الله عليه وسلم في آخر الكتاب على ما مر في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في أول الكتاب .

قلت : فلو كتبت كتابا لسلطان أو غيره من المسلمين إلى أحد من أهل الكفر ، فهل يؤتى بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما يؤتى بها في الكتاب إلى المسلم .

(١) في الأصول "آخر" وهو خطأ من النسخ ، وجارة الضم على ما مر في القوائم ، وهي أظهر .

إرغاماً للكافر بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ألا يؤتى بها صيانةً لاسمه صلى الله عليه وسلم عن حصوله في يد كافر، كما يمنع من السفر بالمصحف إلى بلاد الكفر؟ لم أر من تعرض له، والظاهر أنه يؤتى بها إرغاماً للكافر، ومواجهةً له بما يكره.

وقد حكى أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل»: أن عبد الملك بن مروان، حين أحدث كتابه سورة الإخلاص وذكر النبي صلى الله عليه وسلم على الدنانير والدرهم، كتب إليه ملك الروم: إنكم قد أحدثتم في طوابعكم شيئاً من ذكر نبيكم، فامحوه وإلا أتاكم في دنانيرنا ذكر ماتركهون، فغضب ذلك في صبر عبد الملك، فأرسل إلى خالد بن يزيد بن معاوية يستشيره في ذلك، وكان أديباً عالمًا فقال له خالد: فريخ رومك^(١) يا أمير المؤمنين، حرم دنانيرهم وأضرب للناس سبكاً فيها ذكر الله تعالى وذكر رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تمفهم مما يكرهون في الطوابع، ففعل.

الجملة الثانية

(في بيان ما يكتب في التصلية في آخر الكتاب، وصورة وضعه في الكتابة)

أما صورة ما يكتب، فقد أصرطح الكتاب على أن يكتبوا في التصلية في آخر الكتاب بعد الحمد لله وحده ما صورته «وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه». وهي صيغة مستحسنة للإتيان بالصلاة فيها بصيغة الجمع، والجمع بين الصلاة والسلام، وإتيان الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم بالصلاة والسلام على الآل والصحاب. وربما أتى بعض الكتاب بالصلاة بلفظ الأفراد، فيكتب وصلاته.

(١) أي أذهب فروط ورميك، ووقع في الأصول فرج بالجم وهو تصحيف.

وأعلم أن الصلاة يحوز كتابتها بالآلف على هذه الصورة "الصلاة" ويحوز كتابتها بالواو على هذه الصورة "الصلوة" إلا أن محل ذلك ما إذا لم تُضَف إلى ضمير نحو صلاته وصلاتك . فإن أُضِيفَتْ إلى الضمير تَعَيَّنَتْ كتابتها بالآلف دُونَ الواو ، وربما قُطِعَ فيها بعضُ الحُكْب فَكُتِبَ بالواو .



وأما موضعها في الكتابة ، فقد أَمْطَلَحُوا على أن يَكْتُبُوا ذلك تِلْوَ الحمد وحده ، يفصل بياض بينهما لتكون الجملة في أوّل السطر ، والتبعية في آخره .

الطرف السادس

(في المسبلة في آخر الكتاب ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في أصل كتابتها)

والأصل في ذلك ما دلّ عليه قوله تعالى : (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَغُلِبُوا هُنَا وَانْقَلَبُوا صَائِرِينَ) . فحسبنا الله ونعم الوكيل سبباً لحسن المنقلب والصون عن السوء . وقد قيل : مَنْ قَالَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ لَمْ يَحِبْ فِي قَصْدِهِ .

الجملة الثانية

(في بيان ما يُكْتَب في ذلك ، وكيفية وضعه في الكتابة)

أما ما يُكْتَب ، فقد أَمْطَلَح الحُكْب على أن يَكْتُبُوا «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» بلفظ الجمع ، على أن المتكلم يتكلم بلسانه ولسان غيره من الأمة ، لا أن الجمع للتعظيم : لأنه

ليس بلائق بالمقام . وكان بعض الكُتَّاب يَسْتَحِبُّ أن يكتب «حَسْبِيَ الله» بلفظ الوحدة
فِرَارًا من التَّنَسُّع في لفظ الجمع بين التَّعْظِيم والجمع الحقيقي . وقد أشار في «مصناعة الكُتَّاب»
إلى بعض ذلك . قال ابن شيث في «معالم الكتابة» : «وقد يتأدب الأدبى مع الأعلأ،
فَيَأْتِي بِالآيَةِ عَلَى نَهْجِهَا فَيَقُولُ : (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) فِرَارًا مِنْ تَوْنِ الْجَمْعِ
الَّتِي هِيَ لِلْعَظَمَةِ . قال : وقد يقال في مكانها : (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)
ثم قال : فأما الأعلأ إِنْ كَتَبَ لِلأَدَبِيِّ فَلَا يَخْرُجُ عَنْ «حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» .
ثم بعض الكُتَّاب قد يَكْتُبُ مَعَ الْحَسْبَةِ وَأَوَا بِأَنْ يَكْتُبَ : وَحَسْبُنَا اللَّهُ
ونعم الوكيل ، ولا معنى لأَوَا هُنَا ، إِذْ لَا جِلَاسَةَ بَيْنَ الْحَسْبَةِ وَمَا قَبْلُهَا حَتَّى
يُسَوِّغَ الْعَطْفَ عَلَيْهِ ، فَالْوَاجِبُ حُلْفُهَا بِكَانِهِ عَلَيْهِ الشَّيْخُ جَمَالُ الدِّينِ بْنِ هِشَامٍ
فِي «وَرَقَاتِهِ فِي الْوَرِاقَةِ» .



وأما موضع وضعها في الكتابة ، فقد أَمْلَحُوا عَلَى أَنْ يَكْتُبُوهَا سَطْرًا وَاحِدًا بِعَدِّ
سَطْرِ الْمُحَدَّلَةِ وَالْتِصَالِ ، وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا فِي الْبُعْدِ قَدْرُ مَا يَنْبَغِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَبَيْنَ
السَّطْرِ الْآخِرِ مِنَ الْبَيَاضِ . قال ابن شيث : وموضعها ثَلَاثُ السَّطْرَيْنِ الْجَانِبِ
الْأَيْمَنِ إِلَى حَيْثُ يَنْتَهِي .

وأعلم أن الكُتَّاب قد أَمْلَحُوا عَلَى أَنْ يَكْتُبُوا تَحْتَ الْحَسْبَةِ صُورَةَ حَاءٍ لَطِيفَةٍ
مُنْكِبَةٍ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ «ح» وَلَا مَعْنَى لَهَا ، إِذْ هِيَ فِي الْأَصْلِ إِشَارَةٌ إِلَى الْحَسْبَةِ
فَعِظْمَا ، وَكَانَ بَعْضُ الْكُتَّابِ كَانَ يَكْتُبُ بِهَا عَنْ الْحَسْبَةِ ، ثُمَّ أَتَنَسَّعَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ
الْكُتَّابِ فَاتَّبَعُوا مَعَ الْحَسْبَةِ عَلَى ظَنِّ أَنْ فِيهَا قَدْرًا زَائِدًا عَلَيْهِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا إِنَّمَا
وُضِعَتْ فِي الْأَصْلِ لِسَدِّ الْبَيَاضِ كَمَا يَكْتُبُ بَعْضُ التَّوَاتُرِ لِسَدِّ الْبَيَاضِ أَوْ الْفَصْلِ
بَيْنَ الْكَلَامَيْنِ وَغَيْرَ ذَلِكَ .

الطرف السابع
(في اللواحق ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى
(في الترتيب ، ويتعلق به أمران)

الأمر الأول
(في النسب إلى الترتيب)

لا يُزَاعَ في أن ترتيب الكتاب بعد الفراغ منه بإلقاء الرمل ونحوه عليه مطلوبٌ ،
وفيه معنيان :

المعنى الأول — التبرُّك طلباً لُتُجْعَ القصد ؛ فقد روى محمد بن عمر المدائني
في كتاب "القلم والنواة" بسنده عن إسماعيل بن محمد بن وهب عن هشام بن خالد
وهو أبو مروان الأزدي ، عن بَقِيَّةِ بن الوليد ، عن عطية ، عن ابن جريح ، عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "تَرَبُّوا الكتابَ ونحوه من أسفله فإنه أعظمُ
للبركة وأجْمَحُ للحاجة" . وفي حديث "إذا كتب أحدكم كتاباً فليتربه فإنه مباركٌ
وهو أجمَحُ لحاجته" .

ومن كلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "تَرَبُّوا الكتابَ تَجِدُوا .
ويزيد ذلك ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب كتابين إلى أهل قريتين
فَقَرَّبَ أحدهما ولم يُقَرِّبَ الآخرَ ، فأسألتِ القرية التي تُرِبُّ كتابها . وهذا المعنى
موجود في المكتبات والولايات وغيرهما لطلب البركة والتباج في جميع ذلك .

(١) رواية كتب الله "تَرَبُّوا الكتاب" .

وقد حكي أن أبأذهمان مريض مريضاً أشفى فيه، فأوصى وأملى وصيته على ابنه، فكتبها وأتربها فقال : نَمَّ تَرَبُّهَا فَإِنَّهُ أَتَجَحُّ لِلْحَاجَةِ . ولا فرق في ذلك بين أن يكون المكتوب قد جَفَّ أم لا : لأن القصد إنما هو التَّجَحُّج والبركة .

المعنى الثاني — التَّجْفِيفُ لما كتبه بطَرَحِ التُّرَابِ عليه كي لا يَتَمَحَّجَ بما يُصِيبُه قبل الجفاف ، وهذا المعنى أضعف من الأول ، ومقتضاه أنه إذا جَفَّ الكُتَابُ لا يُتَرَبُّ ، وعليه عمل كُتَّابِ الزمان . ومن هنا يَضَعُونَ التُّرَابَ على آخر الكُتَابِ من حيثُ إنه أَقْرَبُ عهداً بالكاتب فيحتاجُ إلى التَّجْفِيفِ ، بخلاف أول الكُتَابِ فإنه يكون قد جَفَّ عند نِهَايَةِ الكُتَابِ غالباً ، لاسيما في الزمن الحاضر ، وأومع طول الكُتَابِ وامتداد زمن كتابته . على أن صاحب "مواد البيان" وغيره من قَدَمَاءِ الكُتَّابِ قد صرَّحوا بأنه يَسْتَحَبُّ وضع التُّرَابِ أولاً على البَسْمَلَةِ ، ثم يمرُّه الكاتبُ منها على سائر المكتوب ليُمَّ الكُتَابَ بركة البَسْمَلَةِ . ولقائل أن يقول إن الترتيب من آخر الكُتَابِ إلى أعلاه لا يخلو أيضاً من بركة ، لئلا يمس التُّرَابُ أولاً الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والحسبة . وربما يَلْجَأُ بالتُّرَابِ من أسفل الكُتَابِ إلى البَسْمَلَةِ ثم أعاده فيجمع فيه بين البركتين .

الأمر الثاني

(فما يُتَرَبُّ به الكُتَابُ)

وقد اصطُلح كُتَّابُ الزمان على الترتيب بالرَّمْلِ الأحمر . أما تخصيصهم الترتيب بالرمل فلأنه لا غُبَارَ فيه يَلْتَقِ بالكُتَابِ فيُذْهِبُ بِهِجَةَ الْوَرَقِ . وأما اختيارهم الأحمر دون غيره فلأنه أَهْيَجُ إذا لَصِقَ بالكُتَابِ . قال تَجَمُّدُ بْنُ عِمْرٍ المَدَائِنِيُّ : وَكَرِهُوا وَتَبَّوْا

عن تراب الحيطان، وماؤا إلى النشارة والأشتان . قال : وبلغنا أن بعض الأئمة من أهل العلم كان يقرب الحديث بالصنبل ويقول : لا أطرح على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب . وكان حيوة بن شريح يخرج إلى الصحراء فيأخذ الطين الأسود فيذقه ويثقله فيترّب به . وقد صرح الرافعي و غيره من أصحابنا الشافعية أنه يحرم الترتيب من جدار الغير، ومعناه ظاهر لما فيه من الاعتصاب والإعتداء . وقد سبق في المقالة الأولى في الكلام على الخط ذكر أنواع الرمل، وأن من أحسنه رملا يؤتى به من صحراء ماريدين ، فيه شُورٌ صُفْرٌ كشُور الذهب ، يلقي في الرمل الأحمر فيترّب به الأمراء والوزراء ومن في معانهم .

الجملة الثانية

(في نظر الكاتب في الكتاب وتأمله بعد الفراغ منه)

قد نصّوا على أنه إذا فرغ الكاتب من كتابة الكتاب ينبغي له أن يتأمله من أوله إلى آخره ويتتبع أفاضله ويتأمل معانيه ويصلح منها ما لعله ويلم فيه الفكر أو سبق إليه القلم : لتسلم من قدح الفساد وطعن الطاعن . وقد تعلّم في مقدمة الكتاب أن صاحب الديوان لا يكتفي بنظر الكاتب في ذلك ، بل يكلّه إلى نظر كاتب كامل يتعبه لذلك ، ثم يتأمله هو بنفسه بعد ذلك ليتقح الكتاب ويهلب .

المقالة الرابعة

في المكتبات ، وفيها بابان

الباب الأول

(في أمور كُتِبَ في المكتبات ، وفيه فصلان)

الفصل الأول

(في مقدمات المكتبات ، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في أصول يعتمد عليها الكاتب في المكتبات)

ويعتلق المقصود منها بشرة أصول :^(١)

الأصل الأول

(أن يأتي الكاتب في أول المكتبة بحسن الاقتراح المطلوب في سائر أنواع

الكلام : من تروى نظم مما يوجب التحسين : ليكون داعية لاسماع

مابعدة ، على ما تقدم بيانه في الكلام على علوم البلاغة في المقالة الأولى)

ويرجع حسن الاقتراح في المكتبات إلى معنيين .

المعنى الأول — أن يكون الحُسن فيه راجعاً إلى المبتدأ به . إما بالافتتاح بالحقيقة

كما في بعض المكتبات : لأن القوس تشوّف إلى الثناء على الله تعالى ، أو بالسلام الذي

جعله الشارع مفتوح الخطاب أو نحو ذلك . وإما بالافتتاح بما فيه تعظيم المكتوب

(١) الممدود اثنا عشر كما ستقف عليه .

إليه : من قهليل الأرض أو البِد أو النماء له أو غير ذلك ، فإن أمر المكتابات مبنية على التملُّق واستجلاب الخواطر وتألف القلوب ، إلى غير ذلك مما يجري هذا المجرى ، على ما يقتضيه اصطلاح كل زمن في الابتدآت .

المعنى الثانى — أن يكون الحسن فيه راجعا إلى ما يوجب التحسين : من مُمولة اللفظ ، وصحة السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات التحسين ، كما كتب الأستاذ أبو الفضل بن المميد عن ركن الدولة بن بويه ، إلى من عصى عليه ، مفتتحا كتابه بقوله : ” كَتَبْتُ إِلَيْكَ ، وأنا متردد بين طمع فيك ولزائس منك ، وإقبال عليك وإعراض عنك ؛ فإنيك تُلُّ بِسَالِفِ خِدَمِ أَيْسَرُهَا يُوجِبُ رِغَابِهِ ، وَيَقْتَضِي مَحَافِظَةَ وَغِيَايِهِ ؛ ثُمَّ تَشْفَعُهَا بِحَادِثِ غُلُولٍ وَخِيَانَةٍ ، وَتُدْعِيهَا بِأَلِفِ خِلَافٍ وَمَعْصِيَةٍ ، أَذْنَى ذَلِكَ يُحْرِيطُ أَعْمَالُكَ ، وَيُسْقِطُ كُلَّ مَا يُرْعَى لَكَ “ .

وكما كتب أبو حفص بن برد الأندلسى عن مَلِكِهِ إِلَى مَنْ عَصَى عَلَيْهِ ثُمَّ حَادَ إِلَى الطاعة كتاباً أقتضه بقوله : ” أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ الْغَلْبَةَ لَنَا وَالظُّهُورَ عَلَيْكَ جَلْبَاكَ إِلَيْنَا عَلَى قَدَمِكَ ، دُونَ عَهْدٍ وَلَا عَقْدٍ يَنْتَعِنَانِ مِنْ إِرَاقَةِ دَمِكَ ؛ وَلِكَيْتَاقِيَا وَهَبَ اللَّهُ لَنَا مِنْ الْإِشْرَافِ عَلَى سِرَائِرِ الرِّيَاسَةِ ، وَالْحِفْظِ لَشَرَائِعِ السِّيَاسَةِ ؛ فَأَمَلْنَا مِنْ سَاسِ جِهَتِكَ قَبْلَنَا ، فَوَجَدْنَا يَدَ سِيَاسَتِهِ نَحْرَقَاهُ ، وَصِنَ خِدْمَاتِهِ عَوْرَاهُ ، وَقَدَّمَ مَدَارَاهُ شَلَاهُ ؛ لِأَنَّهُ مَالٌ عَنْ تَرْغِيكِ فَلَمْ تَرْجِهْ ، وَعَنْ تَرْهِيكِ فَلَمْ تَحْشَهِ ، فَأَذْنَتْكَ حَاجَتُكَ إِلَى طِلَابِ الْمَعَاطِمِ الدِّينِيَّةِ ، وَقَلَّةُ مَهَابَتِكَ إِلَى التَّهَالُكِ عَلَى الْمَعَاصِي الرَّيْبِيَّةِ “ ونحو ذلك من الاقتضاحات البهجة ، والابتدآت الرائقة ، مما ستقف على الكثير منه فى خلال هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

الأصل الثاني

(أن يأتي في ابتداء المكتبة بمرآة الاستهلال المطلوبة
في كل فن من فنون الكلام)

بأن يأتي في صدر المكتبة بما يدل على تجزئها . فإن كان الكتاب بفتح ، أتى في أوله بما يدل على التهيئة . أو بتعزية ، أتى في أوله بما يدل على التعزية . أو في غير ذلك من المعاني ، أتى في أوله بما يدل عليه : ليُعلم من مبدأ الكتاب ما المراد منه . كما يحكى أن عمرو بن مسعدة كاتب المأمون أمر كاتبه أن يكتب إلى الخليفة كتابا يعرفه فيه أن بقرة ولدت عجلا وجهه وجه إنسان ، فكتب : "أما بعد حمد الله خالق الأنعام ، في بطون الأنعام" . وفضلاء الكتاب وأئمتهم يمتنون بذلك كل الاعتناء ، ويرون تركه إخلالا بالصنعة ، ونقصا في الكتابة ، حتى إن الوزير ضياء الدين بن الأمير في المثل السائر قد طاب أبا إسحاق الصابي على جلالة قدره في الكتابة ، وأعتراه له بالثقتم في الصناعة ، بكتاب كتبه بفتح بناد وهزيمة الترك فقال في أوله :

"الحمد لله رب العالمين ، الملك الحق المبين ، الوحيد الفريد ، العلي - المحيد ، الذي لا يُوصف إلا بسلب الصفات ، ولا يمتنع إلا برقع النعوت ، الأزلي بلا ابتداء ، الأبدى بلا انتهاء ، القديم لا منذ أميد حدود ، الدائم لا إلى أجل معدود ، الفاعل لا من مادة امتنعها ، الصانع لا بألة استعملها ، الذي لا تُدرِكُه الأعين بالخطاها ، ولا تحسُّه الأنس بالفاظها ، ولا تخلقُه العصور بمرورها ، ولا تزيهه الدهور بمرورها ؛ ولا تُجاريه أقدم النظراء والأشكال ، ولا تُزاحمه متكأ القرناء والأمثال ، بل هو الصمد الذي لا كُفَّه له ، والقرَد الذي لا توَمَّ معه ؛ والحي الذي لا تختزِمُه المنون ، والقيوم الذي لا تسغله الشئون ؛ والقدير الذي لا تُؤدُّه المضللات ، والخبير الذي

لا تُعْطِيهِ الْمُشْكَلَاتُ” ثم قال : إن هذه التَّحْمِيدَةَ لَا تُنَاسِبُ الْكُتَابَ الَّذِي أَقْتَضَاهُ
بِهَا، وَلَكِنَّهَا تَصْلُحُ أَنْ تُؤْضَعَ فِي صَدْرِ مُصَنَّفٍ مِنْ مَصَنُفَاتِ أَصُولِ الدِّينِ : كَكُتَابِ
”الشَّامِلِ“ لِلْجُوزْجَانِيِّ، أَوْ كُتَابِ ”الْاِقْتِصَادِ“ لِلْفَرَّازِيِّ، وَمَا جَرَى بِجَرَاهَا . فَمَا أَنْ
تُؤْضَعَ فِي أَوَّلِ كُتَابٍ قَطْعٍ فَلَا .

وَأَعْلَمُ أَنَّ بَرَاةَ الْأَسْتِهْلَالِ فِي الْمَكَاتِبَاتِ قَدْ تَقَعَّ مَعَ الْإِبْتِدَاءِ بِالتَّحْمِيدِ ،
كَمَا فِي كُتَابِ عَمْرُو بْنِ مَسْعُودٍ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ ، وَكَأَنَّ أَبَا إِسْحَاقَ الصَّابِيَّ عَنِ الطَّلَاحِ
إِلَى بَعْضِ وَلَدَةِ الْأَطْرَافِ ، عِنْدَ زَوَالِ الْوَحْشَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأُمَرَاءِ ، وَوُقُوعِ الشُّلُوحِ
وَالْإِهْطَاقِ : ”أَمَّا بَعْدُ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ نَازِلِ السَّمَلِ ، بَعْدَ شَتَاتِهِ ، وَوَاوِلِ الْحَبْلِ ، بَعْدَ بَنَاتِهِ ،
وَجَائِرِ الْوَهْنِ إِذَا انْتَهَى ، وَكَاشِفِ الْخَطْبِ إِذَا أَظْلَمَ“ .

وَقَدْ تَقَعَّ مَعَ الْإِبْتِدَاءِ بِالتَّحْمِيلِ : كَمَا كُنْتُ إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ بِشَرْعِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ ،
مُتَوَلِّيًا إِلَى التَّعْبِيرِ عَنْهُ بِالْفَرِّ ، وَعَنِ الرَّيْحِ الَّتِي تَهْبُطُ عَلَيْهِ مِنْ جَانِبِ الْبَحْرِ بِالْمَلْئِمِ ،
وَعَنِ مُسْتَنْزِهِ مِنْ مَسْتَنْزَعَاتِهِ بِالرَّمْلِ ، وَعَنِ الْمَسَاكِينِ الَّتِي بِهِ بِالْقُصُورِ مَعَ قُرْبِهِ مِنَ
الْبَحْرِ ، وَمُنَاسِبَةً ذِكْرَ النَّسِيمِ بِالْفَرِّ بِمَا صَوَّرَهُ : ”يُقْبِلُ أَرْضَ نَفَرٍ فَتَدْرُقُ مَلِكُهُ ،
وَرَقَى مَلِكُهُ ، بَأَنَّا لَشُكْرٍ يَعْتَرِفُ الرَّمْلُ بِالْقُصُورِ عَنْ حَلِّهِ ، وَيَحْفَ أَمْوَاجُ الْبَحْرِ
الْمَحِيطَ دُونَ عِلْمِهِ“ .

وَقَدْ تَقَعَّ مَعَ الْإِبْتِدَاءِ بِالْبَدَاءِ ، وَتَكُونُ بَرَاةُ الْأَسْتِهْلَالِ فِي الْبَدَاءِ الْمَعْطُوفِ عَلَى
الْمُبْتَدَأِ بِهِ : بِأَنْ يَكُونَ الْبَدَاءُ مُنَاسِبًا لِلْهَالَةِ الْمَكْتُوبِ فِيهَا ، كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ صَاحِبُ
”الْمَثَلِ السَّاتِرِ“ وَفِيهِ ، وَسَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى أَمْثَلِ ذَلِكَ فِيمَا بَعْدُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) عبارة الفرو : ”ويُزَجَّحُ بِذِكْرِ مَسْتَنْزِهِ لَمْ عَلَى الْبَحْرِ يَسِي بِالرَّمْلِ وَمَسَاكِينِ لَمْ فِي ذَلِكَ الْمَسْتَنْزِهِ تَسْمَى
الْقُصُورَ“ وَهِيَ أَوْضَحُ .

ثم من المكتبات ما يَعرُسُ معه الإتيانُ بِرَاعةِ الاستهلالِ فيما يلي ذلك من الكلام في مقدِّمة المكتبة قبل الخوض في المقصود ولا يَهْمَلُها جملة . على أن الشيخ شهاب الدين عمودا الحلبي رحمه الله قد ذكر في كتابه "حسن التوسل" أنه إن عُرِ عليه رَاعةُ الاستهلال، أتى بما يُقاربُ المعنى . وبكل حال فإذا أتى بِرَاعةِ استهلال في أولِ مكانته استصحبها إلى الفراغ من الخطبة إن كان الكتاب مفتتحاً بِخطبة ، وإلا استصحبها إلى الفراغ من مقدِّمة الكتاب الآتي بيانها .

الأصل الثالث

(أن يأتي في المكتبة المشتملة على المقاصد الجليلة بمقدِّمة يُصدِّرُ بها

تأسيساً لما يأتي به في مكانته)

مثل أن يأتي في صُورِ كُتُبِ الحثِّ على الجهاد بذكر أقرضاه على الأمة ، وما وعد الله تعالى به من نصر أوليائه ، وخِذلان أعدائه ، وإعزاز المؤمنين ، وقمع الملحدين . وفي صُورِ كُتُبِ الفتح بإنجازِ وعدِ الله الذي وعده أهل الطاعة من النصر والظفر ، وإظهارِ دينه على الدين كله . وفي صُورِ كُتُبِ جِباية الخراج ، يُصدِّرُ بِحاجة قيام الملك وأُسِّ السلطنة إلى الاستعانة بما يُستخرج من حقوق السلطان في عمارة الثغور ، وتحصين الأعمال ، وتقوية الرجال ، وبحوزة ذلك مما يجرى على هذا النمط بما سيأتي بيانه في مقاصد المكتبات في الكلام على الابتدآت والجوابات فيما بعد إن شاء الله تعالى .

فقد قيل : إنه لا يحسن بالكتاب أن يُحْلَى كلامه . وإن كان وِجْزاً . من مُقدِّمة يفتتحُ بها وإن وقعت في حرفين أو ثلاثة ، لِيُؤَيِّ التاليفَ حَقُّه . قال

(١) لعله الاستهلال في البداية لِيَأْتِيَ بها فيما يلي ذلك ... الخ كما هو ظاهر من بقية الكلام .

في "مواد البيان" : وعلّ هذا السبيل جرّت سنة الكتاب في جميع الكتب : كالفتوح ، والتأاني ، والتمازي ، والتأدي ، والاستخبار ، والاستبطاء ، والإحاد ، والإذمام ، وغيرها : ليكون ذلك سائلا لما يريد القول فيه ، ومجّة يستظهر بها السلطان ، لأن كلّ كلام لأبد له من قرّش يقرّش قبله : ليكون منه بمنزلة الأساس من البيان .

قال : ويرجع في هذه المقدمات إلى معرفة الكاتب ما يستحقّه كلّ نوع من أنواع الكلام من المقدمات التي تُساكُنها . ثم قال : والطريق إلى إصابة المرء في هذه المقدمات أن يُجمل مشتملة على ما يتّبعها من المقاصد والأغراض ، وأن يوضع الأمر انحصاراً مقدّمة خاصة ، والأمر العام مقدّمة عامة ، ولا يطول في موضع الاختصار ، ولا يقصر في موضع الإيجاز ، ولا يجعل أغراضها بعيدة المأخذ ، مُتصّفة على المتصّف . وذلك أن الكاتب ربّما قصد إظهار القدرة على الكلام والتصرف في وجوه المنطق ، فخرج إلى الإملال والإسجار الذي تتبرّم منه النفوس ، ولا سيما نفوس الملوك وذوى الأخطار الجليّة .

أما الأمور التي لا تشتمل على المقاصد الجليّة : كرقاع التحف والهدايا ونحوهما . فقد ذكر في "مواد البيان" أنه لا يجعل لها مقدّمة تكون أمامها فإن ذلك ضيرٌ جائز ولا واقع موقّع . قال : ألا ترى أنهم استحسنوا قول بعضهم في صدر ربيعة مقترنة بمحقّة في يوم مهرجان أو نحوه : « هذا يوم جرّت فيه العادة ، بأن تُهدى فيه العبيد إلى السادة » واستظرفوا الكاتب لإيجازه وتحرير المأخذ .

الأصل الرابع

(أن يعرف الفرق بين الألفاظ المستعملة في المكاتبات

فيضعها في مواضعها)

قال في "مذخبة الكتاب" : يجب على الكاتب الرئيس أن يعرف مرتبة الألفاظ ومواقعها : ليرتبها ويفرق بينها فرقا يقفه على الواجب ويتهنى به إلى الصواب ، فيخاطب كلًّا في مكاتبة بما يستحقه من الخطاب ، فإنه قبيح به أن يكون خطابه أولاً خطاب الرئيس للمروس ، ويتبع ذلك بخطاب المرموس للرئيس ، أو يبدأ بخطاب المرموس للرئيس ثم يبعه بخطاب الرئيس للمروس .

قال : ومتى استقر الكاتب على هذه المضافة من الألفاظ والمتأقضية ، تمصت المعاني ، ورذلت الألفاظ ، وسقطت المقاصد ، وكان الكاتب قد أدخل من الصناعة بمعظمها ، وترك من البلاغة غاية محكمها . بل يجب أن يبدأ بخطاب رئيس أو نظير أو مرموس ، ويكون ما يخلل مكاتبة من الألفاظ على أنساق إلى آخرها وأطراف من غير مخالفة بينها ولا مضادة ولا متأقضية .

فمن ذلك الفرق بين أصدرنا هذه المكاتبه أو أصدرناها ، وبين أصدرت ، وبين صدرت . فأصدرناها أعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه : للتصريح فيها بالضمير العائد على الرئيس التي صدرت المكتبة عنه ، إذ الشيء يشرف بشرف متعلقه . وعلى ذلك في الرتبة أصدرت ، لاكتضاها إصدارا في الجملة ، والإصدار لا بد له من مصدر ، وذلك المصدر هو الرئيس الصادرة عنه في الحقيقة . وإنما كانت دون الأولى للتصريح بالضمير هناك دون هنا . ودون ذلك في الرتبة صدرت : لاكتضاها الحال صدورها بنفسها دون دلالة على المصدر أصلا .

ومن ذلك الفرق بين «ونبدي لعليه» وبين «ونومح لعليه» : فنبدى لعليه أعل بالنسبة إلى المكتوب إليه : لأن الإبداء يرجع في المعنى إلى إظهار شيءٍ خفيٍّ ، والإيضاح يرجع إلى بيان مُشْكِل ، وحصول الإشكال المحتاج إلى الإيضاح ربما دلَّ على بُعد فهم المخاطب عن المقصود ، بخلاف إظهار الخفيِّ فإنه لا يتيسر إلى هذا الحد .

ومن ذلك الفرق بين «عليه الكريم» وبين «عليه المبارك» فالكريم أعل من المبارك ، لأن في الكريم عرافة أصل وشرف قد توجد في المبارك وقد تختلف عنه .

ومن ذلك الفرق بين «ومرسومنا لفلان بكنا» وبين «والمرسوم له بكنا» : فرسومنا أعل بالنسبة إلى المكتوب عنه لاشتقائه على نون الجمع المقتضية للتعظيم ، ولذلك اختصت بالملك دون غيرهم ، بخلاف والمرسوم له بكنا فإنه نازع عن ذلك . ومن ذلك الفرق بين «والمسئول» وبين «والمستمند» : فإن المسئول أعل بالنسبة إلى المكتوب إليه ^(١) ، فإن المسئول يتضمن نوع ذلة بخلاف الاستمداد فإنه لا يستلزم ذلك .

ومن ذلك الفرق بين «بلغنا» . وبين «أنهى إلى علمنا» وبين «أتمم بنا» : فاتمم بنا أعل من أنهى إلى علمنا ، لما في معنى الاتمعال من الاصق ، بخلاف الإنهاء ، وأنهى إلى علمنا أعل من بلغنا : لأن البلوغ قد يكون على لسان آحاد الناس .

(١) في الأصول «عه» والصحيح من القوم .

ومن ذلك الفرق بين «أنهى فلان كذا» وبين «عزفنا كذا» : فعزفنا أعلّ بالنسبة إلى رافع الخبر، لأن في التعريف مزية قُرب من الرئيس، بخلاف الإنهاء فإنه لا يقتضى ذلك .

ومن ذلك الفرق بين «وردت مكاتبتك» وبين «وردت علينا مكاتبتك» : فوردت علينا أعلّ بالنسبة إلى صاحب المكاتبه الواردة : تخصيصها بالوُرد على الرئيس بخلاف الوُرد المطلق .

ومن ذلك الفرق بين «عُرِضَتْ علينا مكاتبتك» وبين «وَقَفْنَا على مكاتبتك» : فوقفنا أعلّ بالنسبة إلى صاحب المكاتبه : لأن الوقوف عليها يكون بنفسه، والعرض يكون من غيره .

ومن ذلك الفرق بين «وَشَكَرْتُ اللهَ تعالى على سلامته» وبين «وَتَوَالَى شُكْرِي لله تعالى» : فتوالى شُكْرِي أعلّ بالنسبة إلى المكتوب إليه : لما فيه من معنى التكرار ومزيد الشكر الممدوق بالاحتفال .

ومن ذلك الفرق بين «وَرَغِبْتُ إلى الله تعالى» وبين «وَضَرَعْتُ إلى الله تعالى» : فَضَرَعْتُ أعلّ من رَغِبْتُ : لما في الضراعة من مزيد التأكيد في الطلب، بخلاف الرغبة فإنها لا تبلغ هذا المبلغ .

ومن ذلك الفرق بين «وَقَابَلْتُ أَمْرَهُ بالطاعة» وبين «وَأَمْتَلْتُ أَمْرَهُ بالطاعة» : فَأَمْتَلْتُ أَمْرَهُ أعلّ من قابلت أَمْرَهُ، لما في الأمتال من معنى الإذعان والاعتقاد، بخلاف المُقابلة .

ومن ذلك الفرق بين «وشَفَعْتُ له» وبين «وسألتُ فيه»: فالسؤال أصلٌ في حق المسئول من الشفاعة: لما في الشفاعة من رِفعة المقام المؤدى إلى قبول الشفاعة. ومن ذلك الفرق بين «وخاطبتُ فلانا في أمره» وبين «وتحدّثتُ في أمره»: فصحت أشد في تواضع المتكلّم من خاطبت، لأن الخطاب من الألفاظ الخاصة التي لا يتعاطاها كل أحد بخلاف التحدّث.

ومن ذلك الفرق بين «تشرّفى بكنا» وبين «إسعاف بكنا» [وبين «إتحاف بكنا»] ^(١) فالإسعاف أصل رتبة من التشريف لما فيه من دعوى الحاجة والفاقة إلى المطلوب، بخلاف التشريف؛ وإتحاف دون تشرّفى لأن الإتحاف قد لا يقتضى تشرّفاً.

ومن ذلك الفرق بين قوله: «نزل عنده» وبين قوله: «نزل بساحته»: فالساحة أصل لما فيها من معنى الفسحة والاتساع.

ومن ذلك الفرق بين «فُحِيطَ علّمه بذلك» وبين «فَعَلِمَ ذلك»: فُحِيطَ علّمه أصل من يَعْلَمُ ذلك: لأن في قوله فُحِيطَ علّمه بذلك نسبة إلى سعة العلم: لما فيه من معنى الإحاطة بخلاف فعلم ذلك.

(١) عبارة الضم: «لما في السؤال من معنى القلة وما في الشفاعة من معنى الشرف» وهي أوضح.

(٢) الزيادة من الضم وهي سابقة من ظم الناصح بدليل جية الكلام.

الأصل الخامس

(أن يعرف مواقع الدَّاء في المكتبات ، فينحو بكل دَّاء في موضعه)

ويتعلق النظر فيه بسنة أوجه

الأول — أن يعرف مراتب الدَّاء لوقوعها في مواقعها ، ويوردَها في مَوَاردِها ، ويتأثَّى ذلك في صفة أدعية .

(منها) الدَّاء بإطالة البقاء ، والدَّاء بإطالة العمر ؛ فالدَّاء بإطالة البقاء أرفع من الدَّاء بإطالة العمر . وذلك أن البقاء لا يدلُّ على مُدة تنقضي لأنه ضدَّ الفناء ، والعمر يدلُّ على مُدة تنقضي ؛ ولذلك يوصفُ الله تعالى بالبقاء ولا يوصفُ بالعمر . قال في "موادِّ البيان" : ومن هنا جُعل الدَّاء بإطالة البقاء أولَ مراتب الدَّاء ونُحِصَّ بالخطفاء ، وجُعل ما يليه لمن دُونهم . ويتلوه الدَّاء بالمدِّ في العمر ؛ فيكون دُونَ الدَّاء بالإطالة ، لأن الوصف بطول الزمان أبلغ من الوصف بالمدِّ فيه من حيث إن المدَّ قابلٌ للذة الطويلة والمدة القصيرة ؛ ولذلك صارت مرتبة الطول أقرب إلى مرتبة البقاء من مرتبة المدِّ .

(ومنها) الدَّاء بدوام النعمة ، والدَّاء بمُضَاعَفَتِها : فالدَّاء بالمضاعفة أعلى : لأن الدوام غايته استصحاب ما هو عليه ، والمضاعفة مقتضية للزيادة على ذلك .

(ومنها) الدَّاء بيز الأنصار ، ويزَّ النصر ، ويزَّ النُصرة . وقد اصطلح مُنْجَب الزمان على أن جعلوا أعلاها الدَّاء بيز الأنصار ، لأن عزَّ أنصاره عزُّ له بالضرورة مع ما فيه من تعظيم القدر ورفعة الشأن ؛ إذ الأنصار لا تكون إلا للملك عظيم أو أمير كبير . والدَّاء بيز النصر أعلى من الدَّاء بيز النُصرة : لما في الأول من

معنى التذكير وهو أرفع رتبة من التانيث . على أنه لو جُعل الدعاء بمنزلة النصر
أعلى من الدعاء بمنزلة الانصار ، لكان له وجه : لما في عز النصر من الغناء عن
عز الانصار .

(ومنها) الدعاء بمنزلة الأحكام ، والدعاء بتأييد الأحكام : فالدعاء بمنزلة الأحكام
أعلى : لأن المراد بالتأييد التعوية ، فقد توجد القوة ولا جزمها .

وينبى للكاتب أن يحتز في تنزيل كل أحد من المكتوب إليهم منزلة في الدعاء ،
فلا ينقص أحدا عن حقه ، ولا يزيد فوق حقه ، فقد قال في "مواد البيان" :
إن الملوك تسمع ببدرات المال ولا تسمع بالدعوة الواحدة .

الثاني — أن يعرف ما يناسب كل واحد من أرباب المناصب الجليلة من
الدعاء فيخصه به .

فيأتي بالدعاء في المكتبة للوك بإطالة البقاء ، ودوام السلطان ، وخلود الملك ،
وما أشبه ذلك .

ويأتي في المكتبة إلى الأمراء بالدعاء بمنزلة الانصار ، وعز النصر ، ومضاعفة
النعمة ، ومداومتها وما شا كل ذلك . على أن أين شئت قد ذكر في "معالم الكتابة" :
أن الدعاء بمنزلة النصر ومضاعفة الاكتدار كان في الدولة الأيوبية مما يخص بالسلطان
دون غيره .

ويأتي في المكتبات للوزراء من أرباب الأقلام ومن في مناصبهم بالدعاء بسبوغ
النعماء ، وتخفيف السعادة ، ودوام المجد ، وما يضاهي ذلك .

ويأتي في المكتبات للقضاة والحكام بالدعاء بمنزلة الأحكام ، وتأيد الأحكام
وما يطابق ذلك .

ويأتى في المكتبة إلى التجار بالدعاء بمزيد الإقبال، وتُخلد السعادة وشبه ذلك .
ويأتى في المكتبة في الإخوانيات ومكتبات النظراء من الدعاء بما يقتضيه الحال
بينهم من الود والإدلال ، بحسب ما يراه الكاتب ويؤدى إليه أجهاده . قال
في "مواد البيان" : وقد كانوا يختارون في الدعاء للأدباء أبقالك الله ، وأكرمك الله .
وفي الدعاء للابن والحُرمة أبقاك الله وأمتع بك .



أما أهل الكُفر فقد اصطُلحوا على الدعاء لهم بطول البقاء وما في معناه . أما جواز
أصل الدعاء لهم فليس رُوى أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودى ،
فقال له : بئس لك الله ، فما رُوى الشيب في وجهه حتى مات ، فدلَّ على جواز الدعاء
للكافر بما لا ضرر فيه على المسلمين ما لم تنضم إليه قوة ونحو ذلك ، بل ربما كان
في طول بقائه على جزية أو غنمة أو ثواب جهاد ونحو ذلك . وقد حكى أبو جعفر
النعاشي في "صناعة الكُتب" : أنَّ الشافعي رضي الله عنه قال لنصراني : أحزرك
الله ! فتَوَتَّبَ في ذلك ، فقال فقال

وأعلم أنه يجب مع ذلك أن يعرف مرتبة المکتوب إليه من الدعاء ، فيدعو بمنزلة
الأنصار لواحد ، ويدعو بمنزلة النصر لمن دونه : لأنَّ عزَّ الأنصار مستلزم لعزِّ النصر .
على أنه لو قيل : إنَّ عزَّ النصر أصل لكونه دعاء لنفس الشيء بخلاف الدعاء بمنزلة
الأنصار فإنه دعاء لشيء خارجي لكان له وجه . ويدعو بمنزلة النصرة لمن دون مَنْ
يُدعى له بمنزلة النصر ، لأنَّ النصر مذكور ورتبة الذكـر أعلى من رتبة التأنيث .

(١) يباين في الأصول بقدر كبيرين ولم يورده في الضوء ولعل الشافعي استدل بالحديث السابق .

ويدعو بتوأم النعمة لواحد ويدعو بمضاعفة النعمة لمن دونه ، لأن الصيغة تقتضى مزيداً على القدر الحاصل ، بخلاف التوأم فإنه يقتضى استصحاب القدر الحاصل فقط ، وعلى هذا النهج . قال في "معالم الكفاية" : ولا يكتب عن السلطان إلى أحد من في ممالكه بلا زال ، ولا يرح ، بل يختص ذلك بملك مثله . قال : ولا حرج في الكتابة بذلك عن السلطان إلى ولده إذا كان نائباً عنه في الملك . قال : وكذلك لا يدعو الأهل للأدنى بلا زال ، ولا يرح .

قلت : والذي استقر عليه الحال الكتابة عن السلطان بذلك لأكابر الثواب ، ويكتب به أكابر التولية بعضهم إلى بعض .

الثالث — أن يعرف ما يناسب كل حالة من حالات المكتبات ، فيأتى لكل حالة بما يناسبها من الدماء . قال في "مواد البيان" : ينبغي أن تكون الأدعية دالة على مقاصد الكتاب : فإن كان في المناء كان بما راجت معرفته ، وإن كان في العزاء كانت مشقة من وصفه ، وكذلك سائر فنون المكتبات ، فإنه متى خرج الدماء عن المناسبة وبأن المقصود ، خرج عن جادة الصناعة وتوجه اللوم على الكاتب ، لاسيما إذا أتى بما يضاد المراد . كما حكى أبو هلال السكري في "الصناعتين" أن بعضهم كتب إلى محبوبته : عصمتنا الله وإياك مما يكره . فكتبت إليه : يا غليظ الطبع ! إن استجيب لك لم تبق أبداً .

ويختلف الحال في ذلك باختلاف حال المكتبات : فتارة تكون باعتبار الشؤ المكتوب بسببه . كما يكتب في معنى الإشارة يجلوس الملك على تحت الملك : لازال أمره ! وأتمته من البشار بما يتوهم على جبين الصباح بشره ، وما يترشح على ميزان الكواكب قدره ، وما يتفسيح من أوقات أمن لا يختلف فيها زيده وعمره .

وَمَا يُكْتَبُ فِي الْبَشَرِ يَفْتَحُ : وَلَا زَالَتْ آيَاتُ النُّعْمِ تُشْلِي تِلْكَ مِنْ مُخْصَفِ
الْبَشَرِ ، وَفَنَاسُ الْفَقْرِ يُجْلِي عَلَى مِرَّةٍ فِي أَسْعَدِ طَائِرٍ ، وَفَوَائِحُ الْفَتْحِ تُزْهِى بِهِ الْأَسْرَةَ
وَتَرْهَوِي بُوْرَهُ الْمَنَارِ .

وَمَا يُكْتَبُ فِي التَّهْنِئَةِ بِعَاقِبَةٍ ، وَلَا بِرَجْحٍ فِي بُرْدِ الصَّحَّةِ رَافِلًا ^(١) بِعَزْمِهِ وَحَزَنِهِ
كَافِلًا ، وَالْإِتْبَالُ لِنَجَاتِهِ الْعَالِي بِالنَّهْءِ بِعَاقِبَتِهِ وَأَصْلًا .

وتارة تكون باعتبار حال المكتوب إليه التي هو بصدددها .

كَمَا يُكْتَبُ لِمَنْ نَخْرُجُ إِلَى الْفَرَزِ : وَحِفْهُ بَلَدُهُ فَلَا يَنْجِبُ ، وَهَيْالُهُ النُّعْمِ وَالْفَتْحِ
الْقَرِيبِ ، وَجَعَلَ عَلَى يَدَيْهِ دَمَارَ الْكُفَّارِ حَتَّى لَا يَبْقَى لَهُمْ بَشِيشَةٌ بِأَمْسِهِ مِنَ السَّلَامَةِ
نَعِيبِ .

وَمَا يُكْتَبُ إِلَى مَنْ نَخْرُجُ إِلَى الصَّيْدِ : وَامْتَعَهُ بِصَيْدِهِ ، وَجَعَلَ الْأَكْدَارَ مِنْ
جُنُودِهِ ، وَأَرَاهُ مِنْ مَصَارِعِ أَهْلِهِ بِسُيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ ، أَيْرَاهُ مِنْ مَصَارِعِ صَبِيدِهِ بِزَنَانِهِ
وَقُهُودِهِ .

وَمَا يُكْتَبُ لِمَنْ نَخْرُجُ فِي سَفَرٍ : وَقَضَى بِقُرْبِ رَجْعَتِهِ ، وَجَعَلَ كَالْهَلَالِ فِي مَسِيرِهِ
سَبَبٌ يَلْعَنُهُ ، وَسَكُنَ بِقُدُومِهِ أَشْوَاقَ أَوْلِيَانِهِ وَأَهْلِ عَمِيرَتِهِ .

وَمَا يُكْتَبُ لِمَنْ نَخْرُجُ لِنَحْضِرِ الْبَلَادِ : وَأَلْهَسَ الْبِلَادَ بِقُدُومِهِ . أَخْضَرَ الْأَنْوَابَ ،
وَأَحْلَاهُ أَشْرَفَ عَمَلٍ وَأَخْضَبَ جَنَابَ .

وتارة تكون باعتبار وظيفة المكتوب إليه التي هو قائم بها

كَمَا يُكْتَبُ إِلَى كَافِلِ الْمَلَكَةِ : وَلَا زَالَتْ كِفَايَةُ كَفَائَتِهِ تَزِيدُ عَلَى الْأَمَالِ ، وَتَقَرَّبُ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ، وَتُكْفَلُ مَا يَمِينُ أَفْصَى الْجَنُوبِ وَأَفْصَى الشَّمَالِ .

(١) يماض في الأصول بقدر كلفة ولعله ولا زال الزمان .

وكما يكتب الى قاض : وقصّل بين النّصوم بأحكامه المسدّه ، وأفضيته الى بها قواعد الإسلام بمهمه ، وأبنة الشرع المطهر وأركانه مشيده .

وكما يكتب الى منصورف : وأعاد من بركات تجمداته ، وأثار الليالي بصالح دعوته .

ونارة تكون باعتبار بلد المكتوب إليه وناحيته .

كما يكتب الى نائب الشام : ولا زال التصريح حلية أيامه وشامة شامه ، وحماسة مايجلّى على بلده المصعب من نعمائه .

وكما يكتب الى نائب حلب في زمن الحروب : ولا زال يعدّ ليوم تشيب فيه الولدان ، ويصدّ دونه كلّ محارب بين الشهباء والمسدان ، وزعم حلب من على أيامه مالا يفقد معه إلا أسم ابن حمدان ، ونحو ذلك مما يفرض في هذا السلك .

ونارة تكون باعتبار أسم المكتوب إليه أو لقبه .

كما يكتب الى من لقبه سيف الدين : ولا زال سيفه في وقاب أصدائه مغمدا ، وحده يذر كلّ ملحد ملحدا .

وكما يكتب الى من لقبه عز الدين : ولا زال عزه دائما ، والزمان في خنثته قائما ، وطرف الدهر من مراقبة سعادته دائما .

وكما يكتب الى من لقبه شمس الدين : ولا زالت شمس سعادته مشرقة ، وأغصان فضله بالعوارف موروقة ، وعبود طوارق الغير عنه في كلّ زمن مطروقة .

وكما يكتب الى من لقبه ناصر الدين : وقصر عزائه ، وشكر مكارمه ، ووفر من الحسنات مقامه . الى غير ذلك من الأمور التي تستغف على الكثير منها في الكلام على مقاصد المكتبات إن شاء الله تعالى .

الرابع — ان يعرف مواضع الدعاء على المكتوب إليه، ومن الذي يُصرِّح بذلك في المكتبة إليه . قد ذكر ابن شيث في "معالم الكتابة" أن الدعاء على الأصداء في صندوق الكتب كان من عوائد مكتبة الأدينى إلى الأعلى . مثل : وقصم ، وأذل ، وقهر ، وخضد . وكذلك المائل والمقارب ، فأما من الأعلى إلى الأدينى فلم يكن ذلك معروفا عند المتقنين ، لاسيما إذا كان الكتاب عن السلطان . ثم قال : ولكن قد أُفِلَّت الجبل في ذلك الآن [إلى أن] قال : ولا يقال للأدينى خير كَيْتَ صلوه ، أو ضِدته ، أو حُوده خاصة .

ومنها ^(١) — أن يعرف ما كرهه الكتاب من الدعاء فيتجنبه . وهو على ضربين :

الضرب الأول

(ما كرهوه في المكتبة إلى كل احد)

قال في "مواد البيان" : كانت عادتهم جارية أن يتجنبوا من الأدعية ما لا يتصلح له ، كقولهم : جعلني الله فداك ، وقتلني إلى السوء ثوبك : لما في ذلك من التصنع والملاقى الذي لا يرضاه السلطان ، لأن نفس الداعي لا تسمع باستجابته . ويؤيد ما ذكره ما كتب به ابن عبد كان إلى بعض أصدقائه : جِئْتُ فَبَاكَ عَلَى الصَّحَةِ والحقيقة ، لا على بحرئى المكتبة ومكتب العادة . قال في "مواد البيان" : وإما يحسن ذلك من الخواص الذين يتحققون أن مقامهم معدوق ببقاء رؤسائهم ، وثبات صممهم مقرون ببقاء أيام سلاطينهم ، لأنه يصدر عن عقائد مستحكمة من بدل الأنفس ثوبهم . وما ذهب إليه من كراهة ذلك قد نقل في "صناعة الكتاب" مثله عن مالك بن أنس ، وأحتج له بما روى عن الزبير رضى الله عنه أنه قال

(١) ملها في السوء مرتبة خاصة وهو أنيب .

للنبي صلى الله عليه وسلم : « جُعِلَتْ فِدَاكَ - فقال له أما تركت أمرا بينك بعد ! »
 على أن بعضهم قد أجاز ذلك استحباباً بقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن مالك يوم
 أُحُد : « إرم فِدَاكَ أبى وأُمى » وبما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن
 النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « ألا أُطْلِمَكَ كِلَسَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ ؟ قال نعم
 جعلني الله فِدَاكَ ! » ولم يشكر عليه ، ونحو ذلك ؛ وفي معنى ذلك كل ما يجرى هذا
 المجرى ونحوه .

الضرب الثاني

(ماقتضى كراهته بالبعض دون البعض ، وهو نوحان)

النوع الأول - ما يقتضى بالرجال ، فمن ذلك ما ذكره في « مواد البيان » : أنهم
 كانوا لا يستحسنون الدماء بالإشباع نحو أمتع الله بك وأمتعنى الله بك ، في حق
 الإخوان . وبما يحكى في ذلك أن محمد بن عبد الملك الزيات ، كتب إلى عبد الله
 ابن طاهر في كتاب : وأمتع بك ؛ فكتب إليه عبد الله بن طاهر :

أُحِلَّتْ عَمَّا عَهَلْتُ مِنْ أَدَبِكَ ؟ * أَمْ نِلْتَ مُلْكَ فِتْنَةٍ فِي كِتَابِكَ ؟
 اتَّبَعْتَ كَفَيْكَ فِي مُكَاتَبَتِي * حَسْبُكَ مِمَّا يَزِيدُ فِي تَعَبِكَ !
 إِنَّ جَفَاءَ كِتَابٍ ذِي مَقْبَةٍ * يَكُونُ فِي صَدْرِهِ ، « وأمتع بك » .

فاجابه محمد بن عبد الملك الزيات معتذرا بقوله :

كيف أخونُ الإخاءَ يا أُمِّي ! * وكلُّ شيءٍ أَكَلُ من مَبِيتِكَ !
 إِنَّ يَكْ جَهْلُ أَكَلِكَ مِنْ قِيلٍ ، * فَعُدْ بِفَضْلٍ عَلَى مَنْ أَدَبِكَ .

على أن في كراهة النساء للإخوان بذلك نظرا فسيأتي في الكلام على ترتيب المكتبات على سبيل الإجمال أن أم حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي صلى الله عليه وسلم [قالت]: اللهم أنتني بزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي أبي سفيان، وأبني معاوية - في حديث طويل يأتي ذكره هناك إن شاء الله تعالى -

أما النساء بالإمتناع للأتباع، فقد أجازوه جماعة من محققى الكُتُب، محتجين على ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم دعا لأبي اليسر: كُتب بن عبيد الله بقوله «اللهم آمِنَّا به». قال ابن خفيز: فكان آخر أهل بدر وفاة، مات سنة خمس وخمسين من الهجرة.

النوع الثانى - ما يختص بالنساء. فقد ذكر «أبو جعفر النحاس» أنه لا يقال في مكاتبتهم «وأدام كرامتك» ولا «وأتم نعمته عليك» ولكن لديك، ولا فضله عندك ولا «وأدام سعادتك». أما منع النساء لمن بالكرامة، فلما حكى محمد بن عمر المدائنى أن بعض عمال زبيدة كتب إليها كتابا بسبب ضياع لها فوقعت له على ظهر كتابه: أردت أن تدعونا فدعوت علينا، فأصلح خطاك في كتابك ولاصرفناك عن جميع أعمالك! فادركه القلق، وجعل يتعفف الكتاب ويعرضه على الكُتُب فلا يجد فيه شيئا، إلى أن جرحه على بعض أهل المعرفة فقال: إنما كرهت دُعائك في صدر كتابك بقولك: وأدام كرامتك: لأن كرامة النساء دفن - قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم «دفن البنات من المكرمات» فغير ذلك الحرف من كتابه وأعادها فوقعت له على ظهره - أحسنت ولا تعد - وأما كراهة وأتم نعمته عليك وإبدال ذلك بلفظ وأتم نعمته لديك، فكأنه لما يفتح فيه من ذكر العلوق على النساء. وأما منع وأتم فضله عندك، أو وأتم سعادتك فيحتاج إلى تأمل.

(١) الذى في «خلاصة تهذيب الكمال في أمم الرجال» لخروجى (كتب بن عمرو بن حبان بن عمرو) ونحوه في تلخيص التلخيص نادى بن و.

الخامس — أن يتجنب الخلاف في الدماء في فصول الكتاب، ولا يورلى بين دَعْوَتَيْنِ منه [متفقتين] . فأما الخلاف في الدماء، فقال أبو جعفر النحاس : هو مثل أن يقول أطلال الله بقاء سيدي — بلفظ النسيبة ، ثم يقول بعد ذلك : وبذلك أملك — بلفظ الخطاب . وأما الموالاة بين دَعْوَتَيْنِ ولا يأتى بهما متفقتين ، فقال في "مواد البيان" : هو مثل حرص الله الأمير أعزّه الله ، ثم يقول في الفصل الذى بعده : أعزّه الله تعالى ، وما أشبه ذلك .

السادس — أب يتجنب وقوع اللبس في الدماء . فإذا ذكر الرئيس مع صدقه مثلا ، لم يدع للرئيس حيلته ، فإنه لو ذهب يقول وقد كان من علو سيدي — أبقاه الله — كذا ، لأحتمل عود الدماء إلى الرئيس وإلى صدقه فيقع اللبس . أما إذا ذكر الرئيس وحده كما إذا قال : وقد كنت عرفت سيدي — أبقاه الله — كذا ، فإنه لا ألباس .

الأصل السادس

(أن يعرف ما يناسب المكتوب إليه من الألقاب فيعطيه حقه منها)
ويتعلق الفرض من ذلك بثلاثة أمور .

أحدها — أن يعرف ما يناسب من الألقاب الأصول — المتقدمة الذكر في المقالة الثالثة عند الكلام على الألقاب المصطلح عليها بحسب ذلك الزمان : كالمقام ، والمقرز ، والجناب ، والجلوس — في زمانها ، فيعطى كل أحد من المكتوب إليهم ما يليق به من ذلك ، فيجعل المقام لأكابر الملوك . والمقرز لمن توثق من الملوك ، والرتبة العليا

(١) حارة الضوء ص ٢٦ مكذا "وأما موالاة دَعْوَتَيْنِ متفقتين فقل أن يقول أعزّه الله تعالى ثم يقول في الفصل الذى بعده أعزّه الله تعالى" وهي أوضح .

من أهل المملكة . واجتنب للرتبة الثالثة من الملوك والرتبة الثانية من أهل الدولة .
والجلوس للرتبة الرابعة من الملوك والرتبة الثالثة من أهل الدولة . ويجلس الأميران
دون ذلك من أهل الدولة على المصطلح المستقر عليه الحال .

الثاني — أن يعرف ما يناسب كل لقب من الألقاب الأصول من الألقاب
والثعوت التابعة لذلك؛ فينبغ كل واحد من الأصول بما يناسبه من القروع .

الثالث — أن يعرف مقدار المكتوب إليه، فيؤقيه قسطه من الألقاب في الكثرة
والقلة بحسب ما يجرى عليه الاصطلاح . فقد ذكر في "معالم الكتابة" أن السلطان
لا يذكر في المكتبة إليه من ثعوته، بل يقتصر على الأشياء التي تكون فيه : مثل العالم
العادل . أما غير ذلك فيقع باللقين المشهورين : وهما نعمته الموقر، ونعمته المضاف
إلى الدين . وأنه في الكتابة عن السلطان كلما زيد في الثعوت كان أميز : لأنها على
سبيل التشريف من السلطان، ويحل المضاف إلى الدين متوسلاً بين الألقاب
لا في أولها .

الأصل السابع

(أن يراعى مقاصد المكتبات ، فيأتى لكل مقصد بما يناسبه)

ومدار ذلك على أمرين :

الأمر الأول — أن يأتى مع كل كلمة بما يليق بها ، ويختار لكل لفظة
ما يناسب كلها . قال ابن عبد ربّه : وليكن ما تنضم به قصودك في موضع ذكر البلى
بمثل : نسأل الله رقع المحذور، وصرف المكره، وأشباه ذلك . وفي موضع ذكر
المصيبة : إنا لله وإنا إليه راجعون . وفي موضع ذكر النعمة ، الحمد لله خالصاً ،

والشكره واجبا ، وما شاكل ذلك . قال في "مواد اليان" : وإذا ذكر البلوى
شفعها بالاستعانة بالله تعالى والرجوع إليه فيها ، ورد الأمر إلى حوله وقوته .
قال ابن عبد ربه : فإن هذه المواضع مما يتعين على الكاتب أن يتقنها ويحفظ
فيها ، فإن الكاتب إنما يصير كاتباً بأن يَضَحَّ كل معنى في موضعه ، ويُعَلِّق كل لفظ
على طبقة في المعنى .

وما يلحق بذلك أيضا أنه إذا ذُكر الرئيس في أثناء المكتبة ، دعا له ، مثل أن
يقول عند ذكر السلطان : خَلَّدَ الله مُلْكَهُ . وعند ذكر الأمير الكبير : عَزَّ نَصْرُهُ .
أو : أَعَزَّ الله أَنْصَارَهُ . وعند ذكر الحاكم : أَيْدِ الله أَحْكَامَهُ ، وما أشبه
ذلك مما يجري هذا المجرى .

الأمر الثاني — أن يقتضى التصريح إلى التلويح والإشارة إذا بلغته الحال إلى
المكتبة بما لا يجوز كشفه وإظهاره على صراحته ، مما في ذكره على نصه هناك ستر ،
أو في حكايته أطراح مهابة السلطان ، وإسماعه ما يلزم منه إخلال الأتوب في حقه ؛
كما لو أطلق علوه لسانه فيه بلفظ فيج يسوءه سماعه . قال في "مواد اليان" :
فيحتاج المثنى إلى استعمال التورية في هذه المواضع ، والتلطيف في العبارة عن هذه
المعاني ، وإبرازها في صورة توفية حتى السلطان في التوقير والإجلال
والإعظام ، والتترية عن المخاطبة بما لا يجوز إسماره على سمعه ، وإيصال المعنى إليه
من غير خيانه في طي ما لا غنى به عن علمه . قال : وهذا مما لا يستغل به إلا المبرز
في الصنعة ، المتصرف في تأليف الكلام .

الأصل الثامن

(أن يعرف مقدار فهم كل طبقة من المخاطبين في المكتبات من اللسان
 فيخاطب كل أحد بما يناسبه من اللفظ ، وما يصل إليه فهمه من الخطاب) .
 قال أبو هلال العسكري في كتابه "الصناعتين" : أول ما ينبغي أن تستعمل في كتابك
 مكتبة كل فريق على مقدار طبقتهم في الكلام وقوتهم في المنطق . قال : والشاهد
 على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يكتب إلى أهل فارس ، كتب
 إليهم بما يمكنهم ترجمته فكتب إليهم : " من محمد رسول الله إلى كسرى أبريز
 عظيم فارس ، سلام على من أتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأذعوك بدعاية الله
 فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة (لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين)
 فأسلم تسلم ، وإن آيت فإثم الجؤس عليك " فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الألفاظ غاية التيسيل حتى لا يخفى منها شيء على من له أدنى معرفة بالعربية .

ولما أراد أن يكتب إلى قوم من العرب ، نظم اللفظ لما عرف من قوتهم على
 فهمه ، وطاعتهم بسماح مثله ، فكتب لوائل بن حجر الحضرمي : " من محمد رسول الله
 إلى الأقبال العباهية من أهل حضرموت بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة : على التيممة
 الشاة ، والتيممة لصاحبها ، وفي الشيوب الخمس ، لا خلاك ولا وراك ولا شناق
 ولا شقار ، ومن أجهى فقد أربى ، وكل مسكر حرام " .

وقد ذكر العسكري أيضا في باب الإطناب ما يحسن أن يكون شاهداً لذلك
 من القرمان الكريم - قال : قد رأينا أن الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب ،
 أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي كما في قوله تعالى خطاباً لأهل مكة

(إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ) وقوله : (إِنَّا لَنَحِبُّ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا لَبِثْهُمْ عَلَى بَعْضٍ) وقوله : (أَوَلَيْكَ السَّمْعُ وَوَيْهَيْدٌ) في أشباه كثيرة لذلك . وإذا خاطب بنى إسرائيل أوحى عنهم ، جعل الكلام مهسوطا ، كما في سورة طه وأشباهها ، حتى إنه قلما تجد قصة لبنى إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروعة ومكررة في مواضع معادة ، لئلا يفهمهم ، وتأثر معرفتهم .

قال في "مبادئ البيان" : فيجب على الكاتب أن ينقل في استعمال الألفاظ على حسب ما تقتضيه رتب الخطاب والمخاطبين ، وتوجيه الأحوال المتغيرة ، والأوقات المختلفة : ليكون كلامه مشاكلا لكل منها ، فإن أحكام الكلام لتغير بحكم تغير الأزمنة والأمكنة ومنازل المخاطبين والمكاتبين .

قال : ولصحري الصدر الأجل من الكُتُب إضاعة المناسبة بين كتبهم وبين الأشياء المتقدمة الذكر أسعمل كُتَاب الدولة الأموية من الألفاظ العربية الفعلة ، والمتينة الجزلة ، ما لم تستعمل مثله الدولة العباسية : لأن كُتَاب الدولة الأموية قصصوا ما شاكل زمانهم الذي استفاضت فيه علوم العرب ولغاتها ، حتى عدت في جملة الفضائل التي يثابر على اقتنائها ، والأمكنة التي نزلها ملوكهم من بلاد العرب ، والرجال الذين كانت الكُتُب تصبأ إليهم ، وهم أهل الفصاحة واللحن والخطابة والشعر .

أما زمان بنى العباس ، فإن الهمم تهاصرت مما كانت مقبلة على طلبه فيما تقدم من العلوم المتقدم ذكرها ، وشغلته غيرها من علوم الدين ، ونزل ملوكهم ديار العراق وما يجاورها من بلاد فارس ، وليس استفاضة لغة العرب فيها كاستيفاضتها في أرض الحجاز والشام . ومن المعلوم أن القوم الذين كانوا يكتبون عنهم لأخباريون تلك العلية

في القصاصة والمعرفة بدلالات الكلام؛ فانتقل كتابها من اللفظ المتعين الجزل، إلى اللفظ الرقيق المثل؛ وكذلك انتقل متأخرو الكتاب عن ألفاظ المتقدمين إلى ما هو أعذب منها وأخف، المعنى المتقدم ذكره.

قال: وحينئذ ينبغي للكتاب أن يرأى هذه الأحوال، ويوقع المشاكلة بين ما يكتبه وبينها، فإذا احتاج إلى إصدار كتاب إلى ناحية من النواحي، فليُنظر في أحوال قاطنيها: فإن كانوا من الأدباء البلقاء العارفين بنظم الكلام وتأليفه، فليودع كتابه الألفاظ الجزلة، التي إذا حُلَّت بها المعاني زادت غفمة في القلوب، وجلالة في الصُّور. وإن كانوا ممن لا يفرق بين خاص الكلام وعامه، فليضمن آية الألفاظ التي يتسأى سمعوها في إدراك معانيها، فإنه متى عدل عن ذلك ضاع كلامه، ولم يصل معنى ما كتب فيه إلى من كتبه: لأن الكلام البالغ إنما هو موضوع بإزاء أفهام البلقاء والقصحاء. فاما العوام والحشوة: فإنما يصل إلى أفهامهم الكلام الماطل من حُلّ النظم، السارى من كسوة التأليف، فيجب على الكاتب أن يستعمل في مخاطبة من هذه صورته أدنى رتب البلاغة وأقربها من أفهام العامة والأهم الأعجمية إذا كتب إليهم.

ثم قال: فاما الكتب المعتبرة عن السلطان، فإن منها كُتِب الفتوحات والسلامات ونحوها، وهي محتملة للألفاظ القصيصة الجزلة، والإطالة التفاضية بإشباع المعنى، ووصوله إلى أفهام كافة سامعيه من الخالص والعام. ومنها كُتِب الخراج ويجابه وأمور المعاملات والحساب، وهي لا تحتمل اللفظ التفصيلي، ولا الكلام الوجيز لأنها مبنية على تمثيل ما يعمل عليه، وأفهام من لا يصل المعنى إلى فهمه إلا بالبيان الشافي

في العبارة . ومنها مخاطبته السلطان من نفسه ، فيجب فيها مخاطبته على قدر مكانته من الخدمة من الألفاظ المتوسطة ، ولا يجوز أن يستعمل فيها القصيدة التي لا تختمل من تابع في حق متبوع : لما فيه من تعاطي التفات مع سلطانته ، وهو غير جائز في أدب الملوك ؛ وكذلك لا يجوز فيه تعاطي الألفاظ المبجلة الدائرة بين السوقة ، لما في ذلك من الوضع من السلطان بمقابلته إياه بما لا يثبت رتبته .

وأما الكتب الإخوانيات النافذة في التهاى والتماهى ، فإنها تختمل الألفاظ الغريبة القوية الأخذ بجامع القلوب ، الواقعة أحسن المواقع من النفوس : لأنها مبنية على تحسين اللفظ ، وترتين النظم ، وإظهار البلاغة فيها مستحسن واقع موقعه .

قلت : والذي تراعى في النصيحة والبلاغة فيه من المكتبات عن الأبواب السلطانية في زماننا مكاتبات ملوك المغرب : كصاحب تونس ، وصاحب تلمسان ، وصاحب فاس ، وصاحب غرناطة من الأندلس ، وكذلك القانات العظام من ملوك المشرق ومن يجرى هذا الجرى ، ممن تستعمل بلادهم على العسله بالبلاغة وصناعة الكتابة . ويظهر ذلك بالاسمخبار عن بلادهم ، وبالاطلاع على كتبهم الصادرة عن ملوكهم إلى الأبواب السلطانية . بخلاف من لا عناية له بذلك : كحكام أصاغر البلدان وأصحاب اللغات العجمية : من الروم والفرنج والسودان ومن في معانهم ؛ فإنه يجب خطابهم بالألفاظ الواضحة ، إلا أن يكون في بعض بلادهم من يتعاطى البلاغة من الكتاب ووردت كتبهم على تهجها فإنه ينبغي مكاتبتهم على مدن البلاء .

الاصـل التاسع

(أن يُراعى رتبة المكتوب عنه والمكتوب إليه في الخطاب ،

فيُعبّر عن كل واحد منهما في كل مكتبة بما يليق به ،

ويُخاطب المكتوب إليه بما يقتضيه مقامه)

فأما المكتوب عنه ، فيختلف الحال فيه باختلاف منصبه ورتبته .

فإن كان المكتوب عنه خليفة ، فقد جرت عادة من تَهْتَم من الكُتّاب بالتعبير عنه في الكُتُب الصادرة عن أبواب الخلافة بأمير المؤمنين ، مثل أن يقال : فَجَرَى أَمْرُ أمير المؤمنين في كذا على كذا وكذا ، وَأَوْعَزَ أمير المؤمنين إلى فلان بكنا ، واقتضى رأيي أمير المؤمنين كذا ، ونَحَجَ أَمْرُ أمير المؤمنين بكنا ، وَهَتَمَ أَمْرُ أمير المؤمنين إلى فلان بكنا ، وما شاكل ذلك . وربما عبّر عنه بالسلطان ، مثل أن يقال في حق المخالفين : وَحَارَبُوا صَاكِرَ السلطان ، أَوْ مَنَعُوا نَحَايَةَ السلطان وما أشبه ذلك ، يريدون الخليفة ، على ما يستقيم عليه في الكُتُب التي تُوردُها في المكاتب عن الخلفاء فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقال ابن شيث في "معالم الكُتّاب" : وَيُخاطَبُ بِالْمَوَاقِفِ الْمُقَدَّسَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَالْعَتَبَاتِ الْعَالِيَةِ ، وَمَقَرِّ الرَّحْمَةِ ، وَحَجَلِ الشَّرَفِ . وَذَكَرَ الْمَقَرَّ الشَّهَابِيَّ بْنَ فَضْلِ اللَّهِ فِي "التَّعْرِيفِ" نَحْوَهُ . فَقَالَ : وَيُخاطَبُ بِالْأَمْرِ الْعَزِيزِ ، وَالْمَقَامِ الْأَشْرَفِ ، وَالْجَانِبِ الْأَعْلَى أَوِ الشَّرِيفِ ، وَبِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، بِمَجْدِهِ عَنْ سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا ، وَصَرَّةٍ ضِيرَ بِمَجْدِهِ ، مَعَ مِرَاعَاةِ الْمُنَاسَبَةِ ، وَالتَّسْلِيدِ وَالْمُقَارَبَةِ . قَالَ : وَسَبَبُ الْخُطَابِ بِالْأَمْرِ الْعَزِيزِ الْخُضْعَانُ عَنْ غَسَاطَةِ الْخَلِيفَةِ نَحْسِهِ ، وَتَنْزِيلُ الْخُطَابِ مُتَرَلَّةً مَنْ يُخاطَبُ

نفس الديوان ؛ والمعنى به ديوان الإنشاء، إذ الكتب وأنواع الخطابات إليه واردة عنه صادرة .

وقد سبق في الكلام على الألقاب في المقالة الثالثة نقلاً عن ابن حنبل النعمان في " ذخيرة الكتاب " إنكار هذه الاستعارات والمقتضات ^(١) ، وسيأتي في المكتبة إلى العلماء ذكر ترتيبها إن شاء الله تعالى .

وإن كان المكتوب عنه ملكاً ، فقد جرت العادة أن يعبر عنه بنون الجمع للتعظيم فيقال : فعلنا كذا ، وأمرنا بكذا ، وأحضت آرائنا الشريفة كذا ، وبرزت مراسيمنا بكذا ، ومرسومنا إلى فلان أن يتقدم بكذا ، أو يتقدم أمره بكذا ، وما أشبه ذلك . وذلك أن ملوك الغرب كانوا يحرون على ذلك في مخاطبتهم ، فجرت الملوك على سبيلهم في ذلك . وفي معنى الملوك في ذلك سائر الرؤساء : من الأمراء ، والوزراء ، والعلماء ، والكتّاب ، ونحوهم من ذوى الأقدار العلية ، والأخطار الجليلة ، والمراتب السنية في الدين والدنيا ، ممن يصلح أن يكون أمراً ونهياً ، إذا كتبوا إلى أتباعهم ومأموريهم ، إذ كانت هذه النون مما يختص بذي التعظيم دون غيرهم . وشاهد ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : (حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجُونِ) فدعاه دعاء المفرد لعدم المشاركة له في ذلك الاسم ، وسأله سؤال الجمع لمكان العظمة ، إلى غير ذلك من الآيات الواردة مؤيد الاختصاص له كما في قوله تعالى : (إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهِمْ) وقوله : (إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى) وقوله : (نَحْنُ الْوَارِثُونَ) وغير ذلك من الآيات . قال في " معالم الكتّابة " : وقد أخذ كتّاب المغرب بهذا مع ولادة أموريهم في الجمع بالميم فخطبوا الواحد مخاطبة الجمع مثل : أتم ، وقستم ، وأمرتهم ، وما أشبه ذلك .

(١) في الأصول والنوابع نعر بغير عطف .

قلت : والأمر في ذلك عنكم مستمير إلى الآن . قال ابن شيث : وهو غير ماضٍ به عند غيرهم .

وإن كان المكتوب عنه مَرعوساً بالنسبة إلى المكتوب إليه كالساج ومن في معناه ، فقال في "مواد البيان" : ينبغي أن يتحفظ في الكتب النافذة عنه من الإتيان بنون العظمة وغيرها من الألفاظ التي فيها تعظيم شأن المكتوب عنه مثل أن يقول : أمرت بكذا ، أو نهيت عن كذا ، أو أعزت بكذا ، أو هتَم أمرى إلى فلان بكذا ، أو أنوى إلى كذا ، أو خرج أمرى بكذا ، وما في معنى ذلك مما لا يحاط به إلا بتأويل رؤسائهم ، بل يصلح عن مثل هذه الألفاظ إلى ما يؤدى إلى معناها مما لا حظمة فيه ، مثل أن يقول : وجدت صواب الرأي كذا ففعله ، ورأيت السياسة تقتضى كذا فامضيته ، وما أشبه ذلك ، إن كان حرف الكتاب على الخطاب بالهاء ، وإلا قال : وجد المملوك صواب الرأي كذا ففعله ، ورأى السياسة تقتضى كذا فامضاه ، وما يجري هذا الجرى .



وأما المكتوب إليه ، قال أبو هلال العسكري في كتابه "الصنايع" : ينبغي أن يعرف قدر المكتوب إليه من الرؤساء ، والنظرَاء ، والعلماء ، والوكلاء : ليُفرق بين من يكتب إليه «أنا أفعل كذا» ومن يكتب إليه «نحن نفعل كذا» (فأنا) من كلام الأشياء والإخوان ، (نحن) من كلام المملوك ، ويفرق بين من يكتب إليه «إن رأيت أن تفعل كذا» وبين من يكتب إليه : (فرائك) . قال في "مواد البيان" : وذلك أن قولهم «إن رأيت أن تفعل كذا» لفظ النظرَاء والمساوين ، بخلاف «فرائك» فإنه لا يكتبه إلا جليلاً معظماً . لتضمنها معنى الأمر والتقدير «فرائك» ، بخلاف «إن رأيت» فإنه لا أمر فيه ، إذ يقال : «إن رأيت أن تفعل كذا فافعله» . على أن الأخفش

قد أنكر هذا على الكُتّاب، لأن أقل الناس يقول للسلطان : أنظر في أمري، ولفظه لفظ الأمر ومعناه السؤال . وذكر مثله في "صناعة الكُتّاب" عن النخوين . قال في "مواد البيان" : و"حجة الكُتّاب أن المشافهة تحمل ما لا تحتمله المكتبة، لأن المشافهة حاضر يحضر الإنسان لا يمكنه هيبته وترتيبه، والمكتبة بخلاف ذلك، فلا عذر لصاحبها في الإخلال بالأدب . قال ابن شيث : وقد أصطلحوا على أن يكتب في أواخر الكتب : «وللآراء العالية فضل السموّ والقُدرة إن شاء الله تعالى» . ودون ذلك : «والرأى السامى حكاه» ودونه : «والرأى أعلّ» . ودونه : «والرأى مؤثّق» وموثّقا بالرفع والنصب . ودونه : «ورأى» للجلس : «ورأى» للفضة . قال : وربما قالوا : «إن رأى مولانا أن يكون كذا وكذا امر به أو فعل» إلا أنها لا تقوم مقام قوله : «والرأى أعلّ» . فأما من دونه فاحتمل . وذكر أنه كان مصطلحهم أن يقال في آخر كُتُب السلطان : «فألم ذلك وأعمل به إن شاء الله تعالى» . وأن أعيان أصحاب الأقلام كانوا يكتبونه إلى من دونه .

قلت : والذي استقر عليه الحال أن يكتب في مثل ذلك : «وللآراء العالية مزيد الملو» وأن تفتح الكُتّاب للأكابر بمثل : «فصيحط صامه بذلك» ولين دونه : «فصيحط بذلك علما» وللأصاغر : «فليعلم ذلك وبعتمده» ونحو ذلك . قال محمد ابن إبراهيم الشيباني : إن أحجّت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكُتّاب والأدباء والخطباء وأوساط الناس وسوقهم ، فخطب كلّا منهم على قدر أهله وبلائه وطوّه وآرئاه وفطنته وأتباعه . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن تعرّعها في مراسلتك إليهم في شئبك ، وترن كلامك في مخاطبتهم بيزانه ، وتعليه قسمته ، وتوقيه نصيبه ؛ فإنه متى أهملت ذلك واضعته ، لم آمن عليك أن تبدل بهم عن طريقهم ، وتبيلك بهم غير مسلكهم ،

وَيُجْرَى شُعَاعٌ بِإِعْثَارِكَ فِي خَيْرِ تَجَرَّاهُ ، وَتَنْظِيمُ جَوْهَرِ كَلَامِكَ فِي غَيْرِ سِلْكِكَ ، فَلَا تَعْتَدُ
بِالْمَعْنَى الْجَزَلِ مَا لَمْ تَكُنْهُ لَفْظًا غَضَلًا عَلَى قَبْرِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ؛ فَإِنْ إِبَاسَكَ الْمَعْنَى -
وَأَنْ صَحَّ إِذَا أَثْرِبَ - لَفْظًا لَمْ تَجْرِبْهُ عَادَةُ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ تَهْيِينُ الْمَعْنَى ، وَإِخْلَالُ بَقْدَرِ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، وَظُلْمُ بَلَحْقِهِ ، وَهَضُّ مِمَّا يَجِبُ لَهُ ؛ كَمَا أَنَّ فِي أَتْبَاعِ مُتَطَرِّفِهِمْ ،
وَمَا أَتَشَرَّتْ بِهِ عَادَتِهِمْ ، وَجَرَتْ بِهِ سُلَّتُهُمْ ، قَطْعًا لَعُنُهُمْ ، وَتُرُوجًا عَنْ حَقِّهِمْ ،
وَبُلُوغًا إِلَى غَايَةِ مُرَادِهِمْ ، وَإِسْقَاطًا لِحُجَّةِ آدِهِمْ . قَالَ أَبْنُ حَبْرَةَ : فَاغْتَبِلْ هَذِهِ
الْمُلَاحِظَ وَأَجْرِ عَلَيْهَا الْقَوْمَ .

قَالَ فِي "مَوَادِّ الْبَيَانِ" : وَفَكَ أَنْ الْمَعَانِي الَّتِي يُكْتَبَ فِيهَا وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهَا
جِنْسًا بَيْنَهُ : كَالْتَهِنَةِ وَالْعَزِيَّةِ وَالْإِعْذَارِ وَالْعِتَابِ وَالْإِسْتِظْهَارِ وَمِثْلِ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ
لَا يَحْجُوزُ أَنْ يَخْرُجَ الْمَعْنَى لِكُلِّ غَاطِيٍّ عَلَى صِبْغَةٍ وَاحِدَةٍ مِنَ اللَّفْظِ ، بَلْ يَنْبَغِي
أَنْ يَخْرُجَ فِي الصِبْغَةِ الْمَشَاكِلِ الْغَاطِيَّةِ ، الَّتِي لَهَا بَقْدَرُهُ وَرُبَّتُهُ . أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ خَاطَبْتَ
سُلْطَانًا أَوْ زَرِيرًا بِالْعَزِيَّةِ عَنْ مُصِيبَةٍ مِنْ مَصَائِبِ الدُّنْيَا ، لَمَا جَازَاكَ تَنَبُّيُ الْكَلَامِ
عَلَى وَعْظِهِ وَتَبْصِيرِهِ وَإِرْشَادِهِ وَتَذْكِيرِهِ وَحَضُّهُ عَلَى الْأَخْذِ بِحَقٍّ مِنَ الصَّبْرِ ، وَبِجَانِبَةِ
الْجَزَعِ ، وَتَلَقَّى الْحَادِثَاتِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرَّضَا ، وَإِنَّمَا الصَّوَابُ أَنْ تَنْبِيِيَ الْخَطَابَ عَلَى
أَنَّهُ أَعْلَى شَأْنًا ، وَأَرْفَعُ مَكَانًا ، وَأَصَحُّ حَرْمًا ، وَأَرْبَحُ حِلْسًا ، مِنْ أَنْ يُعْزَى ؛ بِخِلَافِ
الْمُتَاخَرِفِ الرِّبَةِ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا يُعْزَى تَنْبِيَاهَا وَتَذْكِيرُهَا ، وَهَدَايَةُ وَتَبْصِيرُهَا ، وَيَعْرِفُ الْوَاجِبَ
فِي تَلَقَّى السَّرَّاءِ بِالشُّكْرِ ، وَالضَّرَّاءِ بِالصَّبْرِ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ .

وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ رُبُوسًا فِي مَعْنَى الْأَسْتِزَادَةِ وَالشُّكْوَى ، لَا يَحْجُوزُ أَنْ تَأْتِيَ بِمَعْنَاهَا
فِي أَلْفَاظِهِمَا ائْتِصَافًا ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَمِيلَ عَنْ [أَلْفَاظِ] الشُّكْوَى إِلَى أَلْفَاظِ الشُّكْرِ ،

(١) هذا الشرط غير موجود في النسخة .

(٢) لم يذكر في النسخة فقد القوم .

ومن ألفاظ الاستيلاء إلى ألفاظ الاستعطاف والسؤال في النظر، لتكون قد رتبته
كلامك في رتبته، وأخرجت معتك مخرج من يستدعي الزيادة لا من ينسكو التقصير.

قال ابن شيت في "معالم الكتابة" : ولا يخاطب السلطان في خلال الكتابة إليه
بسيدينا مكلان مولانا، فإن سيدنا كأنها خصصت بأرباب المراتب الدينية والدنيوية،
ومولانا تخص السلطان وحده، وإن كان من ثبوت السلطان السيد الأجل .

قال : على أن ذلك غائب للذهب المغاربة : فإنهم يعتبرون عن ولاية أمورهم
بالسادة، ويعتبرون عن صاحب الأمر بسيدينا، وكان هذا كان في زمانه،
والأفامعروف عند أهل المغرب والأندلس الآن التمييز عن السلطان بالمولى، يقول
أحمد مولانا فلان . وأهل مصر الآن يطلقون السادة على أولاد الملوك .

وكذلك لو وقع واقع للسلطان فتصحت له يمزات تُورد ذلك مودة التنبيه على
ما أخفاه، والإيقاظ لما أهمله، والتعريف من الصواب لما جهله : لأن ذلك
من القبيح الذي لا يمتثل له الرؤساء من الأتباع، ولكن تنفي الخطاب على أن السلطان
اعلى وأجل رأيا، وأصح فكريا، وأكثر إحاطة بصُدور الأمور وأعجازها، وأن آراءه
ختمه جزء من رأيه، وأنهم إنما يتفرضون تحايل الإحابة بما وقفوا عليه من سلوك
منهجه، والتأديب بأدبه، والارتياض بسياسته، والتثقل في خدمته، وإن بما يفرضونه
في حكم الإشفاق والاهتمام، وما يسبغ عليهم من الإمام، المطالعة بما يجري في أوهامهم،
ويحتمل في أفكارهم، من الأمور التي يتخيلون أن في العمل بها مصلحة للدولة،
وعسارة للملكة، ليتصقمه بأصالة رأيه التي هي أوفر وأثبت . فإن استصوبه
أمضاه، وإن رأى خلافه ألفاه، وكان الرأي الأعلى ما يراه، إلى غير ذلك مما يجري
هنا المجرى .

قال ابن شيت في "معالم الكتابة" : ولا يقارن الكاتب السلطان في تكرار المواضع التي يقع الاكتباس فيها بين الكاتب والمكتوب إليه ، لأن هاء الضمير تعود عليهما معا لما تقدم من ذكرهما ، وإن كان في القرينة ما يدل على ذلك بعد الفكرة وإذا ابتدأ معهم بالملوك لا يقال بعد ذلك العبد ولا الخادم ، وإن كان ذلك جائزا مع غير السلطان .

قال : ولا بأس بتكرار الإشارة إلى السلطان في المواضع التي يتجمل فيها الاشتراك بينه وبين المكتوب إليه ، مثل أن يقال : وكان قد ذكر كذا وكذا ، والضمير في كان يصلح لهما معا ، فلا بد هنا من ذكر الملوك ، إن كان الاكتباس من جهة الكاتب ، أو مولانا إن كانت الإشارة إلى السلطان .

الأصل العاشر

(أن يراعى مواقع آيات القرآن والسجع في الكتب ،

وذكر أبيات الشعر في المكتبات)

أما آيات القرآن الكريم ، فقد ذكر ابن شيت في "معالم الكتابة" أنها في صدر الكتاب قد يذكرها الأدنى للأعلى في معنى ما يكتب به ، مثل قوله تعالى : (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا) وقوله تعالى : (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ) إلى غير ذلك من الآيات المناسبة للوقائع وإن كانت في أثناء الكتاب ، فقد استشهد بها جماعة من الكتاب في خلال كتبهم مما رأيت .



وأما السجع ، فقد ذكر ابن شيت : أنه لا يُفَرَّق فيه بين كَلَامِ الأَعْلَى للأدنى وبالعكس ، وأنه بما يُكْتَب عن السلطان أَلِيْقُ ، لكن قد ذكر بعض المناظرين أن الكتابة بالسَّجْع نَقْصٌ في حق المكتوب إليه ، وقضيتُه أنه لا يُكْتَب به إلا من الأَعْلَى للأدنى ، إلا أنَّ الذي جرى عليه مصطلح كَلَامِ الزَّمان تخصيصُه ببعض الكُتُب دُونَ بعض من الجانبيين .



وأما الشعرُ فَيُؤَيِّدُه حيثُ يحسُن إِرَادُه ، ويمُنعه حيثُ يحسُن منعه ، فليس كلُّ مكتوبةٍ يحسُن فيها إِرَادُ الشعر ، بل يختلف الحالُّ في ذلك بحسَب المكتوب عنه والمكتوب إليه . فاما المكتوباتُ الصادرةُ عن الملوك والصادرةُ إليهم ، فقد ذكر في "موادِّ البيان" : أنه لا يُتَمَثَّل فيها بشيءٍ من الشعر ، إجلالاً لهم عن شَوْب العبارة عن عزائم أو أميرهم ونواهيهم والأخبار المرفوعة إليهم ، بما يُخالف تحطُّها ووضعها ، ولأنَّ الشعرَ صناعةٌ مقابلةٌ لصناعة الترمُّل ، وإدخالُ بعض صنائع الكلام في بعض غير مستحسن .

قلت : الذي ذكره عبدُ الرحيم بنُ شيت في كتابه "ممالك الكتابة ومَوَاضِع الإصابة" أنه [يُتَمَثَّل] بالشعر في المكتوبات الصادرة عن الملوك دُونَ غيرهم ، وهو معارضٌ لما ذكره في "موادِّ البيان" . وكأنه في موادِّ البيان يريد الكُتُب النافذة عن الملوك إلى مَنْ دُونهم ، أو مَنْ دُونهم إليهم . أما الملوك والخلفاء إنا كَتَبُوا إلى مَنْ ضاهاهم في أبهة المُلْك وقاربهم في علو الرتبة ، فإنه لا يتمتع التمثُّل بآيات الشعر فيها ، تطريفاً للشر بالتعظيم ، وجمعاً بين جنسَي الكلام اللَّذَيْن هما خلاصة مقاصده .

وما زالت الخلفاء والملوك السافسة يَحْلُونَ كُتُبَهُم الصادرة عنهم إلى نُظرائهم في ملوؤ
الرتبة بالآيات الرقيقة الألفاظ ، البديعة المعاني ، للاستشهاد على الوقائع المكتوب
بسيها : كما كتب أمير المؤمنين "عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ" رضى الله عنه حين تملاً عليه
القومُ واجتمعوا على قتله إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه !

فَإِنْ شِئْتُ مَا مَكُولًا ، فَكُنْ خَيْرَ كُلِّ * وَأَلَّا فَأَذِرْكَ نِي وَلَمَّا أَمَرْتُ !

وكما كتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ! إلى معاوية بن أبي
سُفْيَانَ ، في جواب كتاب له حين جرى بينهما التنازع في الخلافة ، فقال في أثناء
كتابه : وَرَعَمْتُ أَنْ لِكُلِّ الْخُلَفَاءِ حَسَنَتٌ ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَقِيَّةٌ ، فَإِنْ يَكْ ذَلِكَ كَذَلِكَ
فَلَيْسَتْ الْجَنَاحُ عَلَيْكَ ، فَيَكُونُ الْعُدُوُّ إِلَيْكَ :

* وَتِلْكَ شَكَاةُ ظَاهِرٍ عَنْكَ ظَاهِرًا *

وعلى ذلك جرى كثير من خلفاء الدولتين الأموية والعباسية : كما حكى السكري
في "الأوائل" أن أهل جَمْعٍ وثبوا بعاملها فأنزجوه ، ثم وثبوا بعده بعامل
آخَرٍ ، فأمر المتوكل إبراهيم بن العباس أن يكتب إليهم كتاباً يحذرهم فيه
ويختصر ، فكتب .

أما بعد ، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله تعالى عليه فيما قوم به من أود
أو عدل به من ربح ، أو لم به من شعث ، ثلاثاً يقدم بعضن أمام بعض : فأولاهن
ما يستظهر به من حيلة ومجبة ، ثم ما يشفعه به من تحذير وتنبه ، ثم التي لا ينفع حسم
الداء غيرها :

أَنَاءٌ ؛ فَإِنْ لَمْ تُنْزِلْ قَبْ بَسْطُهَا * وَجِدْ ، فَإِنْ لَمْ يُجِدْ ، أَجَلْتُ عَزَائِمَهَا

(١) أى الصول .

(٢) فى الأصول فى من يقوم به الخ . والصحيح من "أدب اللغة" الشيخ أحمد السكندرى .

ومن كان يكثرُ التثُل بالشعر في المكتبات من خُلفاء بني العباس وتُصنِّع إليه المكتبات كذلك «الناصر لدين الله» حتى يُحكى أن الملك الأفضل، على ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب دمشق حين تعصب عليه أخوه الملك العزيز عثمان وعنه الملك العادل أبو بكر، كتب إلى الناصر لدين الله يستجيبه طيهما كتاباً يُشير فيه إلى ما تعبدته الشيعة من أن الحق في الخلافة كان لعل، وأن أبا بكر وعثمان رضى الله عنهما تهماً عليه، إذ كان الناصر يميل إلى التشيع، وكتب فيه :

مَوْلَايَ ! إِنِّ ابَا بَكْرٍ وَصَاحِبَهُ * عُثْمَانٌ قَدْ غَضَبَا بِالسَّيْفِ حَقَّ عَلَيَّ !
فَانظُرْ إِلَى احْظَ هَذَا الْإِسْمَ كَيْفَ لَقِيَ * مِنَ الْأَوَانِيرِ مَا لَاقَى مِنَ الْأَوَّلِ !
فكتب إليه الناصر الجواب عن ذلك، وكتب فيه :

وَأَوَّلُ كِتَابِكَ يَا ابْنَ يُوسُفَ نَاطِقًا * بِالْحَقِّ يُحِيرُ أَنَّ أَصْلَكَ طَاهِرٌ !
غَضَبُوا عَلَيَّ حَقَّهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ * بَعْدَ النَّبِيِّ لَهُ يَنْزِبُ نَاصِرًا
فَاصْبِرْ فَإِنَّ عَلَى الْإِلَهِ حِسَابَهُمْ * وَأَنْشِرْ فَنَاصِرُكَ الْإِمَامُ النَّاصِرُ !

وعلى ذلك جرى الملوك القاسمون على خُلفاء بني العباس في مكتباتهم أيضاً .
كما كتب أبو إسحاق الصبائي عن مُعزِّ الدولة بن بُوَيْه، إلى عتة الدولة أبي تغلب كتاباً يذكر له فيه خلاف قرييين له، لم يملكته مساعدة أحدهما على الآخر، واستشهد فيه بقول المتلمس :

وَمَا كُنْتُ إِلَّا مِثْلَ قَاطِعِ كَفِّهِ * يَكْفُ لَهُ أَثَرِي فَأَصْبَحَ أَجْلَمًا !
فَلَمَّا اسْتَفَادَ الْكَفَّ بِالْكَفِّ، لَمْ يَجِدْ * لَهُ دَرْكًا فِي أَنْ تَيْنَا فَاخْجَمًا .

وعلى هذا التبع جرى الحال في التولية الأيوبية بالديار المصرية . كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان صلاح الدين "يوسف بن أيوب" إلى ديوان الخلافة ببغداد ، عند قتل ابن رئيس الرؤساء وزير الخليفة كتابا يسأل الخليفة عنه ، وكان ممن اساء السيرة وأكثر الفتك ، متمثلا باليتين المقولين في أبي حفص الخلال : وزير أبي العباس السفاح ، وكان يُعرف بوزير آي عمدا .

لأن المسكاره قد نُشر ، ودُيِّمًا * كان السرود بما كَرِهَتْ جديرا !
لأن الوزير وزير آل عميد * أودى ، فمن يشاك كان وزيرًا .

وكما كتب القاضي "محيي الدين بن عبد الظاهر" عن "المنصور قلاوون" إلى صاحب اليمن في جواب تهنئة ارسلها إليه في ولعه الملك الصالح ، مع تعريضه في أمريه بأن الحروب مما يشغل عن المصائب في الأولاد، مستشهدا فيه بقوله :
إذا اعتاد الفقى خَوْضَ المَنَيا ، * فاهْوَنُ ما تَمُرُّ به الوُحُول !

وكما كتب صاحبنا الشيخ علاء الدين اليربوعي رحمه الله عن "الظاهر برقوق" صاحب الديار المصرية ، جوابا لصاحب تونس من بلاد المغرب ، وأستشهد فيه بلغة الكتاب الوارد عنه بقوله :

وَكَلَامٍ كَدَمَعٍ صَبَّ غَرِيْب * رَقَّ حَتَّى المَوَاهُ يَكْتَفُ عِنْدَهُ !
رَأَى أَقْطَا ، وَرَقَّ مَتَى ، فاضْحَى * كُلُّ مَحْمَرٍ مِنَ البَلَاءِ عِبْدَهُ !

وعلى ذلك جرث ملوك المغرب من بني مرين وغيرهم . كما كتب بعض كُتَّاب السلطان أبي "الحسن المريني" عنه إلى السلطان الملك الناصر "محمد بن قلاوون" صاحب الديار المصرية كتابا يُجَدِّدُ في خلاله أن صاحب بجاية نرج عن طاعته ففَزَّاه ، وأوقع به ويحوشه مآلعه ، مستشهدا فيه بقوله :

إِنْ عَادَتِ الْقَرْبُ ، عُدْنَا لَهَا • وَكَانَتِ التَّمَلُّ لَهَا حَاضِرَةً ١
إلى غير ذلك من المكتبات الملوكية التي لا تحصى كثرة . بل ربما وقع التمثل
بالشعر في المكتبات عن الخلفاء والملوك إلى مَنْ دُونَهُمْ وبالعكس . كما حكى العسكري
في "الأوائل" أن رافعاً رفع كتاباً إلى الرشيد ، وكتب في أسفله :

إِذَا جِئْتُ مَرَّارًا أَوْ رَضِيتُ بِذِلَّةٍ ، * فَتَقِي عَلَى نَفْسِي مِنَ الْكَلْبِ أَهْوَا
فكتب إليه الرشيد كتاباً وكتب في أسفله :

وَرَفَعَكَ نَحْسًا طَالِبًا فَوْقَ قَدِيرِهَا • يَسُوقُكَ الْخُتَفَ الْمُسْجِلَ وَالذَّلَا

وبالجملة فذهابُ الناس في التمثل بالشعر في المكتبات الملوكية مختلفٌ ،
ومفاصلهم متباينةٌ بحسب الأغراض ؛ ولذلك أورد الشيخ جمال الدين بن تَبَّانَ
هذه المسئلة في جملة أسئَلِهِ ، التي سأل عنها كُتَّابُ الإنشاء بِدَمَشْقَ ، مخاطباً بها
الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو يومئذ صاحب ديوان الإنشاء بها فقال :
وَمَنْ كَرِهَ الْأَسْتِشَادَ فِي مَكْتَبَةِ الْمُلُوكِ بِالْأَشْعَارِ ؟ وَكَيْفَ تَرْكُهَا عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْأَنَارِ ؟
أما المكتبات الإخوانيات الواقعة بالتهاني ، والتمازي ، والتراور ، والتهادي ،
والمندابعة ، وسائر أنواع الرِّقَاعِ في فنون المكتبات ، فقد قال في "مواد البيان"
إنه يجوز أن تُودَعَ أبيات الشعر على سبيل التمثل وعلى سبيل الاختراع ، معصياً بأن
الصنم الأول كانوا يستعملون ذلك في هذه المواضع . وهذا الذي ذكره لاختفاء فيه ،
وكتب الرسائل المدونة من كلام المتعلمين والمتأخرين من كُتَّابِ المشرق والمغرب
شاهدةٌ بذلك ، ناطقةٌ باستعمال الشعر في المكتبات ، وأمثالها ونهاياتها ، ما بين البيت
والبيتين فأكثر ، حتى القصائد الطوال . وأكثر ما يقع من ذلك البيت المفرد والبيتان
لما حَوَّلَ ذلك . كما استشهد القاضي الفاضل في بعض مكتباته في الشوق بقوله :

وَمِنْ عَجَبِي أَنِّي أَجِنُ الْيَوْمَ ، * وَأَسْأَلُ عَنْهُمْ مَنْ أَرَىٰ وَهُمْ مَعِيَ !
وَتَطْلُبُهُمْ عَنِّي وَهُمْ فِي سَوَادِيهَا * وَيَسْتَأْذِنُونَنِي أَعْلَىٰ

وكما كتب أيضا لبعض إخوانه في جواب كتاب :

وَكَمْ قُلْتُ حَقًّا : لَيْتَنِي كُنْتُ حِنْدًا * وَمَا قُلْتُ إِجْلَالًا لَهُ : لَيْتَهُ حِنْدِي !

وكما كتب في وصف كتاب ورد عليه مستشهدا بقوله :

وَحِسْبَتُهُ - وَالطَّرْفُ مَعْقُودُهُ - * وَجَهَ الْحَبِيبِ بَدَأَ لَوْجُهُ يُحِبُّهَا

وكما كتب في كتاب تميزه بصديقي مستشهدا فيه بقوله :

وَقَالَ الَّذِي لَا يَبْرَحُ الْخَمْرُ رُذْلُهُ ، * وَلَا ذِكْرُهُ مَا أَرْزَمْتُ أَمْ حَالِي .

إلى غير ذلك من المكاتبات التي لا يأخذها حصر ، ولا تمحل تحت حد ، مما

ستقف على الكثير منه في الكلام على مقاصد المكاتبات ، إن شاء الله تعالى .

الأصل الحادى عشر

(أن يأتى فى مكاتبه بحسن الإختام)

ويرجع إلى معنيين ، كما فى حُسن الافتتاح المقدم ذكره .

المعنى الأول - أن يكون الحسن فيه راجعا إلى المعنى المختتم به : إما بمطابقة
الأدب من المرموس إلى الرئيس ونحو ذلك ، وإما بما يقتضى التمييز والتوفيق من
الرئيس إلى المرموس ، كالأختام بالدعاء ونحو ذلك ، مما يقع فى مصطلح كل زمن .

المعنى الثانى - أن يكون الحسن فيه راجعا إلى ما يوجب التحسين من سهولة
اللفظ ، وحُسن السبك ، ووضوح المعنى ، وتجنب الحشو ، وغير ذلك من موجبات

التحصين ، كما كتب الصاحبُ برُّن عبَّاد في آخر رسالة له : "ثَلَاثٌ حَقِيقَةٌ فِيهَا حَقِيقَةٌ ، فَلَا تَخْلُوتُ لِتَحْصِيلِ مَجْدٍ ، وَلَا تَهْضُمُ لِإِقْتِنَاءِ مَحْمَدٍ ، وَلَا سَمِعَتْ إِلَى مَقَامِ نَفَرٍ ، وَلَا حَرَّضَتْ عَلَى مَلُودٍ ذِكْرٍ" . قال أبو هلال العسكري : فهذه اليمين ، لو سمعها حاضِرُ بن الظُّرْب ، لقال هي اليمين الغموسُ لا القسمُ باللاتِ والعُزَّى ومناة الثالثة الأُخرى ، ونحو ذلك مما يجري هذا المجرى .

قلت : وأعتبارُ هذه الأصول [الأحد عشر]^(١) بعد ما تَهْتَمُّ اعتبارُهُ في الكلام على صنعة إنشاء الكلام وترتيبه في المقالة الأولى ، من أنه لا يستعمل في كلامه ما أتت به آياتُ القرآن الكريم : من الاختصارِ ، والحذفِ ، ومخاطبةِ الخاصِّ بمخاطبةِ العامِّ ، ومخاطبةِ العامِّ بمخاطبةِ الخاصِّ ، ولا ما يختصُّ بالشعر : من صرفِ ما لا ينصرفُ ، وحذفِ ما لا يُحذفُ ، وقصرِ الممدودِ ، ومدِّ المقصورِ ، والتقديمِ والتأخيرِ ، والإضمارِ في موضعِ الإظهارِ ، وتصغيرِ الإِسمِ في موضعِ التعظيمِ ، مثل دَوْبِيَّةٍ ، وما شاكل ذلك مما تَهْتَمُّ التنبيهُ عليه في موضعه ، فلا بدَّ من اعتباره هنا .

الأصل الثاني عشر

(أن يعرفَ مقدارَ قطعِ الورقِ ، وسعةَ الطِّرةِ والحامشِ ، وسعةَ بيتِ العلامةِ ومقدارَ ما بين السُّطور وما يتركُ في آخرِ الكتابِ)

أما مقدار قطع الورق ، فقد تقدَّم في المقالة الثالثة أنه يختلف باختلاف المکتوبِ إليهم عن السلطان ، فكلُّما عَظُمَ قدرُ المکتوبِ إليه ، عَظُمَ مقدار قطع الورق ، ودبما رُوِيَ في ذلك قدرُ المکتوبِ عنه والمکتوبِ إليه جميعا .

(١) في الأصل "الشرة" .



وأما طول الطَّرة في أعلى الكتاب ، فقد ذكر في "معالم الكتابة" أنها تُطَوَّلُ فيما إذا كان الكتاب من الأعلى إلى الأدنى ، وتكون متوسطة من الأتباع ، وسيأتي أن المصطلح عليه في زماننا أن المكاتبات الصادرة عن السلطان تكون الطَّرة فيها ما بين ثلاثة أوصال إلى وصلين ، ومن التَّواب ومن في معانهم تكون وصلا واحدا .



وأما مقدار سَمَةِ الماش قد سمعتُ بعض فضلاء الكتاب يذكر أن الضابط فيه أن يكون ثلث عرض الدَّرَج المكتوب فيه .



وأما بيتُ العلامة فقد تقدّم أنه يكون مقدار نحو شبر في كُتُب السلطان ، أما في غيره - حيث كانت العلامة تحت البسمة - فتكون نحو ثلاثة أصابع أو أربعة .



وأما سَمَةُ ما بين السطور فقد تقدّم أنها تكون بمقدار نصف بيت العلامة . وذكر ابن شيث : أنها ثلاثة أصابع أو أربعة .



وأما ما يترك في آخر الكتاب فقد ذكر ابن شيث أنه لا يترك في آخر المكتبة شيئا .



وأما الخطُ نانه كلما غلظ القلم وآتسعت السطور كان أقصَص في رتبة المكتوب إليه وقد ذكر في "معالم الكتابة" أن الكتب الصادرة إلى السلطان لا يكون بين سطورها أكثر من إصبعين .

الطَّرَفُ الثَّانِي

(في بيان مقادير المكاتبات وما يناسبها من البسط والإيجاز،
وما يلائم كل مكتبة منها من المعاني)

ولتعلم أن المكاتبات على ثلاثة أقسام :

القسم الأول

(ما يكتب عن السلطان أو من في معناه من الرؤساء
إلى الأتباع . وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُتمَلَّ فيه على الإيجاز والاختصار)

وقد استحسنا الإيجاز في خمسة مواضع :

أحدها — أن يكون المکتوب من السلطان في أوقات الحروب إلى تواب
الملك . قال في "حسن التوصل" : فيجب أن يتوخى الإيجاز والألفاظ البليغة
الدالة على القصد، من غير تطويل ولا بسط يُضيق المقصد ويُفصل الكلام بعضه
من بعض . ولا يعتمد في ذلك على تهويل لأمر المدعى يُضعف القلوب، ولا تهوين
لأمره بحيث يحصل به الاعتقار .

الثاني — أن يكون ما يكتب به عن السلطان خيراً يريد التورية به عنه وستر
حقيقته ، كإعلامهم بالحوادث الخادثة على الملوك ، والنواب السائمة بالدولة : من
هزيمة جيش ، أو تغيير رسم ، أو إحداثه ، أو تكليف الرعية ما لا يسهل عليها تكليفه

وما أشبه ذلك . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يقصده في ذلك إلى الاختصار والإيجاز، ويبتدل عن استعمال الألفاظ الخاصة بالمعنى إلى غيرها مما يحتمل التأويل، ولا تتغير الأسماع عنه، ولا ترأع القلوب به ، من غير أن يحتمل كذباً صراحاً ، فإنه لا شيء أقبح بالسلطان، ولا أعمس لشأنه وقدره من أن يضمن كتابه ما ينكشف للعامة بطلانه . قال وينبغي للكتب أن يختص من هذا الباب التخصّص الجيد الذي يزيّن به الأثر، من غير تصريح بكذب، وأن يخرج الباطل في صورة الحق، ويمرض سلطانه في لك للإجماد والتعريف من حيث يستحق التانيب والإذمَام فإن هذه سبيل البلاغة، وطريقة فضلاء الصّامة، لأن الأمر الظاهر الحسن المجمع على فضله لا يحتاج في التعبير عن جُسنه إلى كذ الحاطر، وإتباع الفكر، إذ الأكثَر لا يحتاج من التعبير عنه تفضلاً عن الآسِن ، وإنما الفضل في تحسين ما ليس بحسن، وتصحيح ما ليس بصحيح، بضروب من التويه والتخييل، وإقامة المعاذير، والمعلل المعقّية على الإساءة والتقصير، من حيث لا يلحق كذب صريح ولا زور مطلق . وليضيق هذا المقام وصعوبة مرثاه ، أوردته الشيخ جمال الدين بن تَبَّانَة في جملة مسائله التي سأل عنها كُتَّاب الإنشاء بدهشيق - فقال : وما الذي يُكتَب عن المهزوم إلى مَنْ هَزَمَهُ ؟ .

الثالث - أن يكون المكتوب به عن السلطان أمراً أو نهياً . قال في "مواد البيان" : حكها حكم التوقيعات الوجيزة الجامعة للعاني، الجازمة بالأمر أو النهي . اللهم إلا أن يكون الأمر أو النهي مما يحتاج إلى رسوم ومثل يُعمل عليها، فيحتاج إلى الإطالة والتكرير، بحسب ما يؤمّر به وينهى عنه دون الحذف والإيجاز.

الرابع — أن تكون الكتب المكتوبة عن السلطان باستخراج الخراج وحبابة الأموال وتدير الأعمال . قال في "مواد البيان" : فسيلها أن ينص فيها على ما رآه السلطان وذره ، ثم يثبت بفصل مقصور على التوكيد في أمثال أمره وإفاده ، ولا يقتصر على ما تقدم ، إيجاباً للجنة ، وتضييقاً للملء ، وحسباً للأسباب الإختلاف .

الخامس — أن يكون ما يكتب به عن السلطان إحماداً أو إدماًماً ، أو وعداً أو وعيداً أو استعماراً أو عدلاً أو توبيخاً . قال في "مواد البيان" : فيجب أن يُسبغ الكلام ويمد القول ، بحسب ما يقتضيه أمر المكتوب إليه : في الإساءة والإحسان ، والاجتهاد والتقصير ، ليشرح صدر المشتر المحسن ، ويتيسر أمله ورجاؤه ، ويرتد المقصر المسوء ، ويرتجع عما يئمه منه ، ويتلافى ما قوط فيه .

الضرب الثاني

(ما يعمل فيه على البسط والإطناب)

وقد استعملوا البسط في موضعين :

أحدهما — أن يكون ما يكتب به عن السلطان خبراً يريد تقرر صورته في نفوس العامة ، كالإخبار بالفتوحات المتتحدة في إعلاء الدين والسلطان .

قال في "مواد البيان" : فيجب أن يُسبغ القول فيها ، وينبغ على الإطناب وتكثير الألفاظ المترادفة ، ليعرفوا قدر النعمة الحادثة ، وتزيد بصائرهم في الطاعة ، ويعلموا موضع سلطانهم من حناية الله تعالى به ، فتقوى قلوب أوليائه ، وتضعف قلوب أعدائه ؛ لأنه لو كتب كتاباً في فتح جليل لقرأ في المحافل والمشاهد العامة على رؤوس

الأشهاد بين العامة ومن يرد تضييق السلطان في شمه على صورة الاختصار، لأوقع كلامه في غير رتبته، وذلك على جهله. وقد أوضح الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله هذا المقام في كتابه "حسن التوسل" فقال: وإذا كتب في التهانى بالفتوح فليس إلا بسط الكلام والإطناب في شكر نعمة الله تعالى، والتبري من الحول والقوة إلا به، ووصف ما أعطى من النصر. وذكر ما منح من الثبات، وتعليم ما يسر من الفتح؛ ثم وصف ما بعد ذلك: من حرّم، وإقدام، وصبر، وجلد، عن الملك وعن جيشه مما حسن وصفه ولاق ذكره، وراق التوسّع فيه، وعلّب بسط الكلام معه. قال: ثم كلّا آتسع مجال الكلام في ذكر الواقعة ووصفها، كان احسن وأدل على السلامة، وأدعى لسرور المكتوب إليه، وأحسن لتوقع المنّة عنده، وأشبهى إلى سمعه، واشفى لقليل شوقه إلى معرفة الحال. قال: ولا بأس بتحويل أمر العذر، ووصف جمعه وإقدامه، فإن في تصدير أمره تحقيراً للظفر به.

قال في "مواد اليان": ولا يحتاج للإيجاز في كتب الفتوح بما كتب به كاتب المهلب بن أبي صفرة إلى الحجاج في فتح الأزرق، على أرهاق خطره، وطول زمانه، وعظم صيته، من مذكوره فيه مسلك الاختصار؛ حيث كتب فيه:

"والحمد لله الذي كفى بالإسلام فقد ما سواه، وجعل الحمد متصلاً بثناءه، وقضى أن لا ينقطع للزيد من فضله، حتى ينقطع الشكر من خلقه. ثم إنّا كنا وعدونا على حالين غنيين، نرى منهم ما يسرنا أكثر مما يسوئنا، ويرون منا ما يسوئهم أكثر مما يسرهم؛ فلم يزل ذلك دأبنا ودأبهم: ينصرون الله ويغلبهم، ويحصنوا ويحفظهم؛ حتى بلغ الكتاب يتأديسهم أجله. (فقطّع دأب القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ..."

فانه إنما حسن في موضعه لمخاطبة السلطان به، ولغرض كانت المكتبة فيه .
قال : فإن كتب مثل هذا الكتاب عن السلطان في مثل هذا القصر أو ما يقارب به ،
ليُورد على العامة ، ويُقر في قلوبهم به قدر النعمة ، لم يحسن موقعه ، ونرجع عن
شرط البلاغة بوضعه إياه في غير موضعه ، وذكر المسكرى نحو ذلك في "الصناعين".

ثم قال في "حسن التوصل" : وإن كان المكتوب إليه ملكاً صاحب مملكة
بمقدوره ، تعيين أن يكون البسط أكثر ، والإطناب والتحويل أبلغ ، والشرح أتم .
ثم قال : وإن اضطر أن يكتب مثل ذلك إلى ملك غير مسلم لكنه غير عايرب ،
فالحكم في ذلك أن يذكر من أسباب المودة ما يقتضى المشاركة في المصائر ، وأن أمر
هذا المدعو مع كثرة أخذ بأطراف الأمان ، وآل أمره إلى ما آل . ويعظم ذكر
ما جرى عليه من القتل والأمر . ويقول : إن تلك عوائد نصير الله تعالى لنا ، وأنتم
ممن عادانا ،

وإن كان المكتوب إليه متبهاً بمالاة العدو ، كتب إليه بما يدل على التقريع
والتهكم والتهديد في معرض الإخبار .

الثاني — أن يكون ما يكتب به عن السلطان في أوقات حركات العدو إلى أهل
الثغور ، يعلمهم بالحركة للقاء عدوهم . قال في "حسن التوصل" : فيجب أن يبسط
القول في وصف العزائم ، وقوة الهمم ، وشدة الحمية للدين ، وكثرة العساكر والجيش
وسرعة الحركة ، وطى المراحل ، ومعالجة العدو ، وتخييل أسباب النصر ، والوثوق
بعوائد الله تعالى في الظفر ، وتقوية القلوب منهم ، وبسط آمالهم ، وحثهم على التيقظ ،
وحفظ ما بأيديهم ، وما أشبه ذلك . ويبرز ذلك في أمثل كلام وأجله وأمكنه ،
وأقربه من القوة والبسالة ، وأبعد من اللين والرفقة . ويأليخ في وصف الإجابة إلى الله
تعالى واستئصال نصره وتأييده ، والرجوع إليه في تثبيت الأقدام ، والأضواء به

في الصبر، والاستعانة به على العدو، والرغبة إليه في خذلانهم وازالة أقدامهم وجعل الدائرة عليهم، دون التصريح بطلان حركتهم، ورجاء تحريرهم، وانتظار العرضيات في ضعفهم، لما في ذلك من إيهام الضعف عن لقائهم، واستشعار الوهم والخوف منهم .

القسم الثاني

(ما يكتب به عن الاتباع إلى السلطان والعلبة العليا
من الرؤساء، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُعمل فيه على الإيصال والاختصار)

وقد استحبوا الإيجاز في ثلاثة مواضع :

أحدها - أن يكون ما يكتب به من باب الشكر على نعمة يُسبغها سلطانه عليه، وعارفة يُسبغها إليه . قال في "مواد البيان" : فسيئله أن لا يئبها على الإسهاب وتجاوز الحد، بل يئبها على اللفظ الوجيز، الجامع لمعانى الشكر، المشتمل على أساليب الاعتراف والاعتداد، فإن إطناب الأصابع في شكر الرؤساء داخل في باب الإهمجار والإبرام، ولا سيما إذا رجعوا إلى خصوصية وتقدم خدمة . وكذلك لا يكثر من الثناء عليه، لأن ذلك من باب التلق الذي لا يليق إلا بالأباعد الذين لم يتقدم لهم من الموات والحرم ما يدل على محبة عقائدهم، ولم يُضف عليهم من النعم ما يوجب خلوص نيائهم . أما إذا كان المثنى أجنبيا متكسبا بالتقرير والثناء، فإنه لا يفتح به الإيغال والإغراق فيها . قال : وكذلك لا ينبغي الخاصة الإكثار من البهاء وتكريره في صُدُور الكتب

عند ما يجري ذكر الرئيس ، فإن في ذلك مشقة وكلفة يستعملها الملوك . والحكم فيها يستعمل من ذلك في الكتب شيه بما يستعمل شفاها منه . ويصح من خادم السلطان أن يشغل سمعه في مخاطبته إياه بكثرة الدعاء ويكرهه .

الثاني - أن يكون ما يكتب به التابع إلى السلطان ونحوه في سؤال حُسن النظر وشكوى الفقر والخصاصة . قال : في "مواد البيان" : فينبغي القول على الإيجاز ويخرج الشكوى بالشكر والاعتداد بالآلاء ، والرغبة في مضاعفة الإحسان والزيادة في البر ، والإحلاق بالطبقة الراسية في إلاء العوارف ، فإن ذلك أعطف ثقل الرئيس ، وأدعى إلى بلوغ الغرض ، ولا يكثر شكوى الحال وراثتها ، وأستلاء الخصاصة والفقير عليه ، فإن ذلك يجمع إلى الإهتبار والإبرام شكاية الرئيس بسوء حال مرؤوسه ، وقلة مجهود نعمته عليه ، وذلك مما يكرهه الرؤساء ويؤمونه .

الثالث - أن يكون ما يكتب به التابع إلى المتبوع من باب التئصل والاعتذار عن شيء قُرب به عند رئيسه . قال في "مواد البيان" : فسيله أن يبنى كلامه على الاختصار ، ويسدل عن الإسهاب والإطناب ، ويقصد إلى التكتل التي تُزيل ما عرض عنده من الشبهة في أمره ، وتمحو الموجدة السابقة إلى ضمير رئيسه ، ولا يصحج براءة الساحة عن الإساءة والتقصير ، فإن ذلك مما يكرهه الرؤساء من أتباعهم ، لأن عادتهم جارية بإظهار اعتذارهم لهم بالتقصير والتفريط ، والإقرار بالمعروف به ليكون لهم في العقوب عند الإقرار موضع منة مستأنفة تستدعي شكرا ، وعارفة مستجدة تحتضن نشرها . أما إذا أقام التابع الحجة على براءة مما قُرب به ، فلا موضع للإحسان إليه في إقراره على مثلته والرضا عنه ، بل يكون ذلك قدرا واجبا له ، إن منعه إياه ظلمه وتعدي عليه .

الضرب الثاني

(ما يعمل فيه على البسط والإطناب)

وقد استحبوا البسط هنا في موضع واحد : وهو ما إذا كان ما يكتب به التابع إلى السلطان واقفاً في باب الإخبار بأحوال ما ينظر فيه من الأعمال ، وما يجري على يديه من المهمات . قال في "مواد البيان" فسيhle أن يوفق حقه في الشرح والبيان ، ويسلك فيه طريقة يجمع فيها بين إضاح الأغراض من غير هذر يضر ويمل ، ولا اختصار يقصر ويمل ، وأن يقصد إلى استعمال الألفاظ السهلة التي تصل معانيها إلى الألفهام من غير كلفة ، ويتجنب ما يقع فيه تعقيد وتويعير أو إلهام ، إلا أن يعرض له في المكتبة ما يحتاج إلى التورية والكتابة كما هتم فيها إذا أطلق مدولساته في السلطان فإنه يحتاج إلى الكتابة عنه على ما مر .

القسم الثالث

(ما يكتب به إلى الأكفاء والنظراء ، والطبقة الثانية من الرؤساء)

قال في "مواد البيان" : وسيل مكاتبتهم أن يوفق فيها باللفظ المساوي للمعنى من غير إيجاز ولا إطناب : لأنها رتبة متوسطة بين الرتبين المتقدمين . ولا يخفى أن ما ذكره إنما هو عند الوقوف مع حقائق المكتبات . أما الإخوانيات المطلقة ، فإنها تكون في الطول والقصر بحسب ما بين الصديقين من المودة والقرب ، وما يعلمه كل واحد منهما من خلق الآخر ، وما توجه دأله عليه .

وسياتي في مقاصد المكتبات من أمثلة الأقسام الثلاثة ما يوضح مقاصدها وقرب ما أخذها إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ الثَّالِثُ

(في أمور تختص بالاجوبة ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في بيان أيّ الأمرين من الابتداء والجواب أعلى رتبة وأبلغ في صناعة الكتابة)
وقد اختلف الكتاب في ذلك : فذهب أكثر البلغاء إلى أن الكتب الجوابية
أصعب مطالبا وأصعب مرتقى من الكتب الابتدائية ، وأن فيها تظهر مهارة الكاتب
وحذقه ، لاسيما إذا كان الخطاب محملا للاختصار والاعتزال^(١) عن أمثال الأوامر
والنواهي ، والتورية عن نصوص الأحوال ، والإعراض عن غوايرها ، قائما إلى
استعمال المغالطة ، موجبا لانفصال عن الاحتجاج والإلزام ، ونحو ذلك مما يؤدي إلى
الخلاص من المكاره .

واحجبوا لترجيح ذلك بوجوه .

منها — أن المبتدئ محكم في كتابه ، يحدى بالفاظه كيف شاء ، ويقطعها حيث
يشاء ، ويتصرف في التقديم والتأخير ، والخلف والإيجاب ، والإيماز والإشباع ،
ويأتي على أساس يؤسسه لنفسه ، والمحيب ليس له تقديم ولا تأخير ، وإنما هو
تابع لفرض المبتدئ ، وبأن على أساسه .

ومنها — أن المحيب — إذا كان جوابه محملا للإشباع والتوسع — مضطر إلى
اقتصاص ألفاظ المبتدئ وأتباعها للإجابة عنها ، وذلك يؤدي إلى تعقيد كلام
المبتدئ والمحيب ويصل ما بين الكلامين : لأن الكلامين يتقابلان فلا تثنى رتبتهما
والفاضل منهما من الرذل ، وهذا مرفوع عن المبتدئ .

(١) أي حائلا ومشتلا .

ومنها - أن تأليف الكلام وانتظامه وأتساقه وألثامه يُقدَّرُ منها المبتدئ على ما لا يقدر عليه الخُبيب : لأن الجواب يُفَصَّلُ أجزاء الكلام ويُتَدَرَّجُ نظامه ويُقَسَّمُ أقساماً ، لمكان الحاجة إلى استئناف القول من الفصل بعد الفصل بقول وأما كذا وأما كذا ، فظهور الصورة المستحسنة في المتصل أكثر من ظهورها في المنفصل .

أما إذا كان الجواب مقتضياً مبدئياً على امتثال مأمور ، أو انتهاء عن منهي عنه ، فإنه سهل المرام ، قريب المتناول : لأنه إنما يشتمل على ذكر وصول الكاتب والعمل بما فيه .

وذهب صاحبُ "مَوَازِيهِ الْيَمَانِ" إلى أن الابتداء والجواب في ذلك على حدٍّ واحدٍ ، وإن كان الكاتب قد يَجِدُّ في الابتداء ولا يجد في الجواب وبالعكس ، محتجاً لذلك بأن كلاً من المبتدئ والخبيب متمسكٌ بمَعْرُوفَةٍ الغريزة ، محتاجٌ من البلاغة والتصنعة إلى ما يحتاج إليه الآخر : لأن الكاتب يكون تارة مبتدئاً وتارة خبيباً ، وليست الإجابة بتصنعة على خيالها ، ولا البداية بتصنعة على خيالها ، بل هما كالنوعين للجنس ، ولا تمنع من أن يكون الكاتب ماهراً في نوعٍ دون نوع .

قال : والكاتب لا يكون في الأمر الأهم كاتباً عن نفسه وإنما يكون كاتباً عن أمرٍ يأمره بالكتابة في أغراضه ويسألها إليه مشورة ، فيحتاج إلى نظمها وضمها وإبرازها في صورةٍ محببةٍ يبيع تلك الأغراض من غير إخلال بشيء منها ، فعلى المبتدئ من المُشَقَّة في إيراد أغراض المكتوب عنه في الصورة الجامعة لها مع نظمها

(١) الظاهر أن كان زائدة والأصل وأن الكاتب قد يجد الخ كما يفهمه المعنى وآخر العبارة .

في سلك البلاغة مثل ما على الحبيب من الشقة في توفية فصول كتاب المبتدئ حقها من الإجابة والتصرف على أوضاع ترتيبها ، بل كلفة الحبيب قريسة ، لأنه يستلزم من نفس معاني كتاب المبتدئ للعاني إلى يحيب بها : لأن الجواب لا يخلو من أن يكون يوافق الابتداء أو يناقضه : فإن وافقه فالأمر سهل ، وإن ناقضه فإن كل قبض قائم في الوهم على مقابلة قبضه ، إلا أنه أقرب على كل حال من الموافق ، ولا شك أن الجواب بجزئته قد خفَّ ثقله : إذ ليس من يجمع خاطره على الفصل الواحد حتى يخرج عن جوابه كن يجمع خاطره على الكتاب كله . ثم قال : وليس القصد بما ذكرناه مناقضة مشايخ صناعتنا ، ولكن القصد تعريف الحق الذي يجب اعتقاده والعمل عليه .

الجملة الثانية

(في بيان ترتيب الأجوبة)

وأعلم أن الجواب حالتين :

الحالة الأولى - أن يكون الجواب من الرئيس إلى المرموس عما كتب به الرئيس إليه ، فالذي ذكره في "مواد البيان" أن الرئيس أن يثني حكاية كتاب مرموسه إليه في جوابه على الاختصار ، ويجمع معانيه في الفاظ وجيزة ، محيطة بما وراءها كان يقول : وصل كتابك في معنى كنا وفهمناه .

الحالة الثانية - أن يكون الجواب من المرموس إلى الرئيس عما كتب به الرئيس إليه ، قال في "مواد البيان" : والواجب في هذه الحالة أن يحكي فصول كتاب

(١) في الأصول "مشاح هنا عتاً" وهو تصحيف تلحق من التامح والتصحيح من القنو .

رئيسه على نصها وقصصها على وجهها من غير إخلال بشيء منها ، إعظاماً لقدر الرئيس وإجلالاً لخطابه . قال : وليس العجيب إن مرّ في كتاب الرئيس بقطة واقعة في غير موضعها أن يُبدّلها بغيرها : لما في ذلك من الإشارة إلى أن هذا أصح من كتاب رئيسه في ألفاظه ومعانيه . قال : ولا يجوز الخروج عن حكاية لفظ رئيسه في كتابه بحال ، اللهم إلا أن يكون الكتاب الوارد على العجيب في معنى الشكر والتعريف من رئيسه له والثناء عليه في قيامه بالخدمة ، فإنه لا يجوز أن يأتي به على نصه : لأنه يصير لك مادحاً نفسه ، ومدح الإنسان نفسه غير سائغ ، ولا يجوز أن يجعل ذكره جملة لأنه يكون قد أدخل بما يجب من شكره له على تشريف رتبته بإحاده له والثناء عليه ، بل الواجب أن يوقع تلك الصفة على جملة تجعل نفسه بعضها منها ، مثل أن يقول : « فاما ما وصفه من اعتدائه بخاديه في جملة من تهض بمقوق خنثته ، وقام بفرض طاعته ، فأمله لما يرفع الأقدار من إحاده وثباته ، ويصلي الأخطار من شكره ودوامه » وما يضاهي هذا من العبارة التي تشمل على معاني ألفاظ رئيسه ، فإنه إذا قصد هذا السبيل في حكاية كتاب رئيسه في هذا المعنى ، فقد جمع بين البلاغة والإتيان على معاني ألفاظ رئيسه والأدب في ترك التفضيم لنفسه بإضافته لها إلى جملة الخاصة دون إلقاء المدح عليها فقط .

قلت : هذا هو الترتيب الذي يجب اعتدائه في الأجوبة ، فلا يجوز الخروج عنه إلى غيره ، على أن تكّتب زماناً قد اطرأوا النظر في ذلك جملة ، وصاروا يكتبون الأجوبة بحسب الترتيب : فمنهم من يميكن الكتاب الذي يقع الجواب عنه بنصه مطلقاً ، سواء كان من رئيس أم من دوس وبالعكس ، مع قطع النظر عما وراء ذلك . فقلبه لهذه الجملة فإنها دقيقة جليّة .

الفضل الثاني

من الباب الأول من المقالة الرابعة

(في ذكر أصول المكتبات وترتيبها، وبيان لواحقها
ولوازمها . وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في ذكر أصولها وترتيبها . وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في المكتبات إلى أهل الإسلام)

وأعلم أن المكتبات الدائرة بين المسلمين من صدر الإسلام وإلى زماننا لا يأخذها
حد، ولا تمخل تحت حصر .

والمشهور استعماله منها في دواوين الإنشاء على اختلاف الأزمان خمسة عشر أسلوباً .

الأسلوب الأول

(أن تُفتَحَ الكتبُ بقَظ «من فلان إلى فلان»)

قال أبو حلال العسكري في كتابه "الأوائل" : وأول من كتب بذلك قس بن
ساعة الإيادي ؛ وعلى ذلك كانت مكتبات النبي صلى الله عليه وسلم والسلف من
الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم . فكان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب :
"من عهد رسول الله إلى فلان" . ثم كتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه في خلافة :
"من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم" . ثم كتب عمر بن الخطاب : "من عمر

أبن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان . فلبا ثقب
 أمير المؤمنين زاد في ذلك لفظ «عبد الله» قبل عمر، ولقب «أمير المؤمنين» بعده،
 فكان يكتب : «من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى فلان» . ولم يزل الأمر على ذلك
 إلى خلافة هارون الرشيد، فأمر أن يُزاد في صدور الكتب بعد «وإني أحمد إليك الله
 الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يُصَلِّيَ على جنَّته محمدٍ وعبدِهِ ورسولِهِ» . بغيري الأمر^(١)
 على ذلك في زمنه وما بعده . قال أبو هلال العسكري في «الأوائل» : وكان ذلك
 من أجل متابعيه . قال صاحب «ذخيرة الكتاب» : وكان الرشيد قد قال ليحيى
 ابن خالد : إني قد عزمت على أن يكون في كُتُبِي : «من عبد الله هارون الإمام
 أمير المؤمنين عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم» - فقال له يحيى : قد عرف الله
 نيتك في هذا يا أمير المؤمنين ! [وأجزل] لك الأجر، والتعب إنما هو لله وحده
 لا لغيره . قال : فأكتب «من هارون مولى عبد رسول الله» - فقال : إن المولى
 ربما كان في كلام العرب ابن العم، وجزئ الله أمير المؤمنين خيراً عن هذه النية
 وهذا الفكر .

الأسلوب الثاني

(أن يُفتح الكتاب بلفظ «لفلان من فلان» أو «إلى فلان من فلان»
 وبهيئة الصدر، والتخلص بها ما بعد، أو غيرها، والاختتام بالسلام
 وبغيره على ما تقدم في الأسلوب الأول)

وقد اختلف العلماء في جواز الابتداء في المكتبة باسم المكتوب إليه : فذهب
 جماعة من العلماء إلى جواز ذلك، عتجبن بأن الصعابة رضى الله عنهم وبعض الملوك

(١) له جدى وسقط لفظ جده من عبارة الفراء وهو أوضح وأصرح .

كانوا يكتبون إلى النبي صلى الله عليه وسلم كذلك . كما كتب إليه خالد بن الوليد والتجاشي والمقوقس في إحدى الروايات ، على ما سيأتي ذكره في المكتبات إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا كتب أحدكم فليبدأ بنفسه ، ألا إلى والد أو والدته أو إمام يخاف عقوبته » وعن نافع قال : كانت لابن عمر إلى معاوية حاجة ، فقال له ولده : أبدأ به في الكتاب ، فلم يزالوا به حتى كتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى معاوية من عبد الله بن عمر » . وعن الأوزاعي أنه كان يكتب إلى عمر بن عبد العزيز فيبدأ به فلا ينكر ذلك . وعن سعيد بن عبد العزيز قال : كتب عمر (يعني ابن عبد العزيز) إلى الجراح ، فيبدأ بالتحاج قبل نفسه - فقبل له في ذلك - فقال : بدأت به لأخف دم رجل من المسلمين . قال سعيد : لحقن له دمه . وعن بكر بن عبد الله أنه كتب إلى عامل في حاجة ، فكتب : « بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى فلان من بكر » - فقبل له أبدأ باسمه فقال : وما على أن أرضى صاحبي وتقضى حاجة أئني المسلم ؟ قال في « صناعة الكتاب » : وعلى ذلك جرى التعارف في المكتبة إلى الإمام .

ونهب قوم إلى كراهة ذلك ، لأنه مأخوذ عن ملوك العجم . قال ميمون ابن مهران : كان العجم يبدعون بملوكهم إذا كتبوا إليهم . وقد روى عن العلاء ابن الحضرمي أنه كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيبدأ بنفسه . وعن الربيع ابن أنيس قال : ما كان أحد أعظم حرمته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أصحابه يكتبون إليه يبدعون بأنفسهم . وعلى ذلك جرى في « نهاية الأرب » فقال : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرأء جيوشه يكتبون إليه

كما يكتب إليهم : يدعون بأفئديهم . وعن ميمون بن مهران أنه قال : كان ابن عمر إذا كتب إلى أبيه كتب « من عبد الله بن عمر إلى عمر بن الخطاب » . وعن يحيى بن سعيد القطان قال : قلت لسفيان الثوري : اكتب إلى أمير المؤمنين يعني المهدي ، قال : إن كتبت إليه بدأت بنقسي - قلت : فلا تكتب إليه إذن . وهذه الأحوال كلها جائحة إلى ترجيح بدأة المکتوب عنه بنفسه . قال أبو جعفر النعمان : وهذا جند أكثر الناس هو الإجماع الصحيح ؛ لأنه هو إجماع الصحابة رضي الله عنهم .

وقد علم أن الداهيين إلى جواز الابتداء باسم المکتوب إليه اختلقوا ؛ فذهب قوم إلى أنه إنما يكتب « إلى فلان من فلان » كما تقدم في كتاب ابن عمر إلى معاوية ، ولا يكتب « لفلان من فلان » . وأستشهد لذلك بما روي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : يكتب الرجل « من فلان إلى فلان » ولا يكتب لفلان ؛ وبما روي عن هشيم عن المغيرة عن إبراهيم أنه قال : كانوا يكرهون أن يكتبوا « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » لكن قد روي أن رجلا كتب عند ابن عمر « بسم الله الرحمن الرحيم لفلان من فلان » فقال ابن عمر : مه ! فإن اسم الله هو له إذن . ومقتضى ذلك أن الكرامة إنما هي لإيهاهم إن البسملة للمكتوب إليه ، لا للابتداء باسم المکتوب إليه .

وفهمت طائفة إلى جواز أن يكتب « لفلان من فلان » واحتج لذلك بما روي عن مالك بن أنس عن عبد الله بن دينار أن ابن عمر كتب إلى عبد الملك ابن مروان : « بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر » وهو ظاهر ، فقد كانت مكتوبة خالد بن الوليد والتجاشي والمقوقس

« لمحمد رسول الله » على ما سياتى ذكره . وعلى ذلك كانت المكتبة الخلفاء : فكان يكتب لعمرو بن الخطاب رضى الله عنه من عماله وغيرهم « لعبد الله عمر امير المؤمنين » وعلى ذلك جرى الحال فى المكتبة الى سائر الخلفاء بعده على ما ستقف عليه فى مواضعه ان شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(ان يفتح الكتاب بلفظ اما بعد)

وعليه ورد بعض المكاتبات الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وعن الخلفاء من الصحابة لمن بعدهم فى صدر الإسلام على ما سياتى ذكره ان شاء الله تعالى . وكانوا بعد حدوث الداء فى المكاتبات يتبعونها بالداء بطول البقاء غالباً ، فيقال : « اما بعد اطال الله بقاءك » ونحو ذلك ، ثم ضرب عنها بعض الكتاب بعد ذلك . قال أبو هلال العسكري : فى كتابه « الصناعين » : وكان الناس فيما مضى يعملون فى أوائل فصول الرسائل « اما بعد » وقد تركها جماعة من الكتاب فلا يكادون يستعملونها . قال : وأظنهم ألما بقول ابن القريّة - وقد سألهم الجعاج عما يكره من خطابته - فقال : إنك تكثر الرّد ، وتشير باليد ، وتسمين بأما بعد . فتعاضوا لهذه الجهة . ثم قال : فإن استعملتها أتباعا للسلف ورجية فيما جاء فيها من التاويل أنها فصل الخطاب ، فهو حسن ، وإن تركتها خوفا لمطابقة أهل عصرك ، وكرهة الخروج عما أصبوه لم تكن ضارا . أما الآن فقد ترك الابتداء فى الكتب بأما بعد

(١) فى الاصل وعلى كل حال وهو سبق لم كما هو ظاهر .

حتى لا يكاد يُؤمل عليها في الابتداء كُتِبَ من كُتَاب الزمان ، ولا يَفْتَحُ بها مكتبة .
 ثم يؤتى بها في أثناء بعض المكتبات على ما سيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .
 وقد تَقَلَّمَ الكلام على معناها وأول مَنْ قالها في الكلام على الفوائد في المقالة
 الثالثة ، وكُتِبَ المغاربة ربما أَقْتَصَحُوا مكتباتهم بلفظ وبعد .

الأسلوب الرابع

(أن تفتتح المكتبة بحُطْبَةٍ مَفْتُوحَةٍ بِالْحَمْدِ لله)

وأصل هذه المكتبة مختلصة من الأسلوب الأول من قولهم : فإني أحمد إليك الله
 الذي لا إله إلا هو . ثم جاء عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان بن محمد : آخر
 خلفاء بني أمية ، وأطال التَّحْمِيدَاتِ في مُدَوَّرِ الكُتُبِ مع الإتيان بأما بعد ،
 وتبعه الكُتُوبُ على ذلك ؛ ثم توسَّعُوا فيه حتى كَثُرُوا الحمدَ المَرَاتِ في الكتاب
 الواحد ، لا سيما في أماكن التَّحْمِيدِ الحادثة ، كالفُتُوحَاتِ ونحوها . ثم توسَّعَ بعضُ
 الكُتُوبِ في ذلك حتى جعل الحمدَ أَفْتَحًا ، واستمر ذلك إلى الآن . وعلى ذلك
 بعضُ المكتبات السلطانية في زماننا ، على ما ستقف على ذلك جميعه في مواضعه
 إن شاء الله تعالى .

ولا خفاء في أن الحمدَ أَفْضَلُ الافتتاحات ، وأعلى مراتب الابتداءات ، وإن لم
 يقع الابتداء به في صدر الإسلام ، فهو من المبتدئات المستحسنة . وحيث أَقْتَصَحَ
 المكتبةُ بالحمد لله كان التَّخَلُّصُ منها إلى المقصود بأما بعد ؛ وربما وقع التَّخَلُّصُ
 بغير ذلك ، ويكون الاختتامُ فيها تارةً بالسَّلام ، وتارةً بالدعاء ، وتارةً بغير ذلك . قال
 ابنُ شَيْثٍ في " معالم الكتابة " : والتَّحْمِيدُ في أولِ الكُتُبِ لا يكونُ إلا في الكُتُبِ

المكتوبة عن السلطان . قال : وغاية عظمة الكتاب أن يكرر الصميد ثانية وثالثة في الكتاب ، ثم يذكر الشهادتين والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . قلت : والتكرار في الحمد يكون بحسب مقدار النعمة المكتوب بسببها من فتح ونحوه .

الأنسلوب الخامس

(أن تفتح الكتاب بلفظ « كتابي إليك » أو « كتابنا إليك من موضع كذا ، أوفى وقت كذا والأمر على كذا » وتشرح القضية ، وتختتم المكتبة « بكتابنا إليك » بنحو قولك : « لأن رأيت أن تحمل كذا فعلت » والمكتبة « بكتابي إليك » بنحو قولك : « فراكب في كذا » وما يجري هذا المنبر)

والأصل في هذه المكتبة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكتب في بعض المكتبات الصادرة عنه : « هذا كتاب من محمد رسول الله إلى فلان ، أو إلى الجماعة الفلانية » . فلما كان أيام بني بويه في أثناء الدولة العباسية ، استخرج كتابها من هذا المعنى الابتدائي « بكتابي إليك » إذا كانت المكتبة إلى التظير ومن في معناه ، والابتداء « بكتابنا إليك » إذا كانت المكتبة ممن له رتبة فوق العظمة من الملوك ونحوهم ، وكانوا يوقعون ذلك بالدعاء بطول البقاء نحو « كتابي إليك أطال الله بقاءك » أو « كتابنا إليك أطال الله بقاءك » . وربما عبر بهذه الخدمة^(١) وما أشبه ذلك ، ويكون التخلص فيه إلى المقصود بواو الحال ، مثل أن يقال : « كتابي إليك والأمر على كذا وكذا » ونحو ذلك ، وربما وقع التخلص بخلاف ذلك . ويكون الاختتام فيه

(١) أي عبر بكتابي إليك مثلا بقوله « هذه الخدمة إليك » كما يؤخذ مما يأتي في الأنسلوب الحادي عشر

تارةً بالسلام وتارةً بالدعاء ، وتارةً بغير ذلك . وتُكتب المقرب مدلولاً عن لفظ الأسم
في كتابي إلى لفظ الفعل . مثل أن يقال : « كتبنا إليك » أو « كتبْتُ إليك والأمرُ
على كذا ، أو من موضع كذا » .

الاسلوب السادس

(أن جمع المكتبة بلفظ « كتب » بصيغة الفعل)

وهذه المكتبة كان يُكتب بها عن الوزراء ومن في مقامهم إلى الخلفاء . فيكتب
الوزير ونحوه : « كتبَ عبدُ أمير المؤمنين » أو « كتب العبدُ من محلِّ خدمته بمكان
كذا ، والأمر على كذا وكذا » . وعلى نحو من ذلك يجري تكتب المغاربة في الكبير
من كتبهم ، مثل « إنا كتبنا إليكم من محلِّ كذا » أو « كتبْتُ إليك من محلِّ كذا »
وما أشبه ذلك . وهذه في الأصل مأخوذة من الأسلوب الذي قبل .

الأسلوب السابع

(أن يقع الاقتطاع بالدعاء)

والأصل في ذلك ما حكاه أبو جعفر النحاس : أن معاوية بن أبي سفيان كتب
لإلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند حرمين الخلاف ووقوع
الحرب بينهما : « أما بعدُ طافنا الله وإياك من سوء » . ثم زاد الناس في الدعاء
بعد ذلك .

وقد اختلف في جواز المكتبة بالدعاء في الجملة : فذهب زاهبون إلى جواز ذلك
كما يحوز البقاء في غير المكتبة ، سواء تضمن الدعاء معنى التوأم والبقاء أم لا . وهو

الذى رَجَّهَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو المَدَائِنِيُّ فِي كِتَابِ "الْقَسَمِ وَالنَّوَاةِ" وَإِلَيْهِ يَمِيلُ كَلَامُ غَيْرِهِ
أَيْضًا، وَحَكَاهُ النَّحَّاسُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ أَحْمَدَ بْنِ سَلَامَةَ، وَكَلَامُهُ يَمِيلُ إِلَى تَرْجِيحِهِ .
أَمَّا مَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ ، فَلَمَّا رُويَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ
لَأَبِي الْيَسْرِ كَسْبَ آيِنٍ ^(١) حَلِيَّةٍ : «اللَّهُمَّ آمِنْنَا بِهِ» قَالَ النَّحَّاسُ : وَفَإِنَّ دَلِيلَ الْجَوَازِ ،
بَلْ حُكِيَ عَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّ الدَّوَامَ بِطَوِيلِ الْبَقَاءِ أَكْبَلَ الدَّعَاءَ وَأَنْفَعَهُ ، لِأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ
لَا يُنْقَطِعُ بِهَا إِلَّا مَعَ طَوِيلِ الْبَقَاءِ . ثُمَّ قَالَ : وَالْمَعْنَى فِي الدَّعَاءِ فِي الْمَكْتُوبَاتِ التَّوَهُدُ
وَالْتَّجَبُّ ، وَقَدْ أَمَرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَكُونُوا إِخْوَانًا ، وَمَنْ أَخُوهُمْ
وَدُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ بِمَا يُؤَكِّدُ الْأُخُوَّةَ بَيْنَهُمْ وَالْمَوَدَّةَ مِنْ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ،
وَإِذَا قَالَ لَهُ ذَلِكَ ، كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنْ قَلْبِهِ نَهَاجَهُ مَبْلَغٍ مِثْلِهِ مِنْهُ ، وَيَكُونُ مَنْ قَالَ ذَلِكَ
قَدْ حَلَّمَ مِنْ قَلْبِهِ فِي شَأْنِهِ مَا يَكُونُ مِنْ قَلْبِ مِثْلِهِ . وَقَدْ قَالَ الشَّيْخُ عَجِي الدِّينِ النَّوَوِيُّ :
مَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ - يَحْفَظُ لِمَوَدَّةٍ - : «أَدَامَ اللَّهُ لَكَ النِّعَمَ» وَبَعْدَ ذَلِكَ فَلَا بَأْسَ بِهِ .



وَأَمَّا مَا لَمْ يَتَضَمَّنْ مَعْنَى الدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ : كَالْعَزِّ وَالْكَرَامَةِ ، فَقَدْ رَوَى عَنْ كَسْبِ
أَبْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ
مَقْتَلَ حِمَزَةٍ ؟ فَقُلْتُ : أَعَزَّكَ اللَّهُ ! أَنَا رَأَيْتُهُ » . وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ قَالَ : دَخَلَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَضَنَّ النَّاسُ بِمَجَالِمِهِمْ
فَلَمْ يُوسَّعْ لَهُ أَحَدٌ ، فَرَمَى لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَيْتَهُ وَقَالَ أَجْلِسْ
عَلَيْهَا يَا جَرِيرُ ، فَتَلَقَّاهَا بِوَجْهِهِ وَتَحَرَّهَ قَبْلُهَا ثُمَّ رَدَّهَا عَلَى ظَهْرِهِ ، وَقَالَ : أَسْرَمَكَ اللَّهُ

(١) سَقَى فِي صَفْحَةِ ٢٩٢ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ كَسْبَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَاقِي فِي "خِلَاصَةِ تَهْلِيلِ تَهْلِيلِ الْكَلَامِ"

مُحَرَّرٌ مِنْ ص ٣٢٩ أَنَّهُ كَسَبَ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَبَادٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَزِيَّةَ بْنِ سَوَادٍ بْنِ قَتْمِ بْنِ كَسْبَ بْنِ مُنْبَلَةِ
الْأَصَادِيِّ السُّلَمِيِّ بِالْفَتْحِ أَبُو الْيَسْرِ فَتَحَ النَّحَّاسُ حَقَّقَ بِهَذَا جَلِيلٌ . قُلْتُ طَبْعُ أَسْمَاءٍ :

يا رسول الله كما أكرمتني، فقد دعا له صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك بالعز، وبحرير
ابن عبد الله بالكرامة ولم يذكرك على واحد منهما .

ونحب آخرون إلى أنه لا يجوز المكتبة بالدعاء، سواء تضمن معنى الدوام والبقاء
أم لا : لأنه خلاف ماوردت به السنة وجرى عليه اصطلاح السلف .

وفصل بعضهم فقال : إن كان الدعاء مما لا يتضمن معنى الدوام والبقاء نحو
« أكرمك الله بطاعته » و « تولاك بحفظه » و « أسعدك بمعرفته » و « أعزك بنصره »
جاز، لحديث كعب بن مالك وبحرير بن عبد الله المتقين . وإن كان مما يتضمن
معنى الدوام والبقاء، نحو « أطال الله بقاءك » و « نسا أجلك » و « أمتع بك » وما أشبه
ذلك، لم تجز المكتبة به .

وأحجج لذلك بحديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه " أن أم حبيبة بنت
أبي سفيان، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : اللهم آمين يزوجي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأبي معاوية - فقال لها رسول الله صلى الله
عليه وسلم : لقد دعوت الله لآجال مضرورية، وأرزاق مقسومة لا يتقدم منها شيء
قبل أجله ولا يتأخر بعد أجله ! ولو سألت الله أن يعيك عذاب النار لكان خيرا لك "
وبما روى أن الزبير بن العوام رضى الله عنه ! قال للنبي صلى الله عليه وسلم :
« جعلني الله فداك » . فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : « أما تركت أعرابيتك
بعد؟ » فقد أنكر صلى الله عليه وسلم على أم حبيبة والزبير الدعاء بما فيه طول البقاء،
وإذا امتنع ذلك في مطلق الدعاء، امتنع في المكتبة من باب أولى : لخالفه طرقها
التي وردت بها السنة . قال حماد بن سلمة : كانت مكتبة المسلمين « من فلائح
إلى فلائح، أما بعد سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله

أن يصلّي على محمد عبده وآل محمد « حتى أحدث الزنادقة - لنهم الله - هذه المكتبة التي أولّا « أطال الله بقاءك » .

وعن إسماعيل بن إسحاق أن أول من كتب « أطال الله بقاءك » الزنادقة . وقد قال الإمام الرافعي وغيره من أئمة أصحابنا الشافعية : إن الدعاء بالطلبقة - وهي أطال الله بقاءك - لأصل له في الشرع . قال الشيخ محي الدين النووي : وقد نص السلف على كراهته . ونقل النحاس عن بعضهم : أنه استحبّ تهيبته بالإضافة إلى شيء آخر ، مثل أن يكتب « أطال الله بقاءك في طاعته وكرامته » أو « أطال الله بقاءك في أمر عيش وأتم بال » وما أشبه ذلك .

وأعلم أن الناس قد أخطأوا في صورة الابتداء بالدعاء : فالأولون - لابتداع الدعاء في المكتبات - كانوا يفتحون بطول البقاء للقاء وغيرهم ، ثم توسعت الطبقة الثانية من الكتاب في المكتبة فافتتحوا بالدعاء للقاء والملوك بخلود الملك ، ودوام الأيام ، ودوام السلطان وخلوده ، وما في معنى ذلك ؛ ولما كونه بعد النصر والنصرة والأمنار بدوام النعمة وخلود السعادة ومدّ القل وإسباغ الفلال ، وغير ذلك مما يأتي ذكره في الكلام على مصطلح كل طبقة فيما بعد إن شاء الله تعالى .

ثم للكتاب في الخطاب بالطلبقة^(١) منهجان :

أحدهما - أن يقع الدعاء بلفظ الخطاب ، نحو « أطال الله بقاءك » وأعزك الله ، وأكرمك الله ، وأدام كرامتك وسعادتك وما أشبه ذلك .

والثاني - أن يقع بلفظ الدعاء للغائب مثل : « أطال الله بقاء أمير المؤمنين » و « أطال الله بقاء سيدي » و « أطال الله بقاء مولانا » أو « أعز الله أنصار المقام والمقر »

(١) كما في الأصول ولعله في الاتيان بالدعاء الخ .

أو « ضاعف الله تعالى نعمة الجَنَاب » أو « أدام الله نعمة الجَنَاب أو المجلس » وما أشبه ذلك .

قال في « صناعة الكتاب » : وهو أجل الدَّاء فيما أصطلَّحُوا عليه . قال : ودأيتُ على بن سليمان يُنكر ذلك ويقول : الدَّاء للغائب جهل بالغة ، ونحن ندعو الله عز وجل بالمخاطبة .

الأسلوب الثامن

(أن يُفتح الكتاب بالسلام)

ويقع التخلُّص إلى المقصود بلفظ « ونُبدى لِعالمه » أو نحو ذلك ، ويقع الاختتام فيه بالسلام أيضا ، وهو مترج من قولهم في صدر المكتبة في الأسلوب الأو : سلام عليك يا أيُّ أحمد إليك الله ، تصرف الكتاب فيه بفعلوا السلام في ابتداء المكتبة ، وصاروا يتدنونها بنحو سلام الله ورحمته وبركاته . وقد كانوا يتدنون المكتبة إلى الخلفاء ببغداد في الدولة الأيوبية بالديار المصرية بالسلام في بعض الأحيان ، وعلى ذلك استقرَّت المكتبة عن الخليفة الآن . وبه يُفتح بعض المكتبات إلى مشايخ الصوفيَّة ، على ما سيأتي في الكلام عليه في موضعه إن شاء الله تعالى .

قال في « صناعة الكتاب » : وإنما قلتموا السلام على الرحمة لتصرُّفه : لأنه من أسماء الله تعالى أو جمع سلامة . قال في « مواد البيان » : أو أسمُ الجنة كما في قوله تعالى : (لَمْ نَدْرُ السَّلامَ عِنْدَ رَبِّهِمْ) ثم حَقَّب ذلك بأن قال : والسلام في هذا الموضع من السَّلامَة ، وتقديم السَّلامَة التي تكون في الدنيا أولى من تقديم الرحمة التي تكون في الآخرة .

الأسلوب التاسع -

(أن يُقْتَحَ الكَلْبُ بِقَبْلِ الأرض)

ويقتلص إلى المقصود بلفظ « وبنى » ويقع الاختتام بـ « طالع » أو « انتهى » وهذه المكتبة مما هو موجود في بعض مكاتبات القاضى الفاضل ، ولم أرها فيما قبله ؛ وكأنهم لما استعملوا في صدور المكاتبات إلى الخلفاء المكتبة بقبيل الأرض والعقبات ونحو ذلك ، استنبطوا منه آبداء مكتبة وجعلوها لمكتبة الرؤساء من السلطان ومن في معناه بالنسبة إلى المرئوس . والأصل في ذلك أن تحية الملوك والرؤساء والأكابر في الأمم الخالية كانت بالسجود ، كما يحى المسلمون بعضهم بعضا بالسلام . وقد قال قتادة في قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف عليهم السلام : (وَتَرَوْا لَهُ تَعْجِبًا) : كانت تحية الناس يومئذ تسجد بعضهم لبعض ، وعليه قيل قوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا) على أحد التفسير ، وهو المربح عند الإمام نحر الدين وغيره من المفسرين . قال الشيخ حماد الدين بن كثير رحمه الله في تفسيره : وكان ذلك مشروعًا في الأمم الماضية ولكنه فسح في ملكتنا . قال معاذ « يارسول الله ! إني قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لآسافقيتهم وعلمائهم فأنت يارسول الله أحق أن تسجد لك . فقال : (لا) ^(١) لو كنت أمرًا بشرًا أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لعلها من عظم حقها عليا . وعن صهيب : « أن معاذًا [لما] قِيم من اليمن تبعه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ ! ما هذا ؟ قال [إن اليهود تسجد لعلها وعلمائها ، ورأيت النصارى تسجد لقسيسها وطارقيها ، قلت ما هذا ؟ قالوا تحية الأنبياء - فقال عليه السلام : كذبوا على أنبيائهم . »

(١) الزيادة من تفسير ابن كثير .

(٢) الزيادة من مفاتيح الغيب للشمس الرازى .

وعن سفيان الثوري عن سَمَكِ بْنِ هَانِيٍّ قَالَ : دَخَلَ الْجَاهَلِيْقُ عَلَيَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : أَتُحَمَّدُ اللَّهَ وَلَا تَسْجُدُ لِي .

فلما وردت شريعة الإسلام بنسخ التحية بالسجود وطلب ملوك العجم على الأقطار ، استمضجوا ما كان عليه الأمر في الأمم الخالية ، وعبروا عنه بتقيل الأرض فراراً من أسم السجود ولورود الشريعة بالنهي عنه ، واستقر ذلك تحية الملوك إلى الآن ، فاستعار الكتاب ذلك وقلوه من الفعل إلى اللفظ ، فاستعملوه في مكاتبتهم إلى الخلفاء والملوك ، ثم توسعوا في ذلك فكاتبوا به كل من له عظمة بالنسبة إلى المكتوب عنه ، ورثبوه مراتب على ما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله تعالى . ولا جفاء فيما في هذه المكتبة من الكرامة .

الأسلوب العاشر

(أن يُفتح الكتاب بيقبل اليد وما في معناها من الباسط والباسطة)

ويشع التخلّص منه إلى المقصود بما يقع به التخلّص في الأسلوب الذي قبله من الإنهاء ، ويختتم بالدعاء ونحوه .

والأصل في هذه المكتبة أن يقبل اليد وما في معناها مما يؤذن بالتعظيم ، والتبجيل والتكريم ، وتلو القدر وزيادة الرفعة ، مع أنه ليس بممنوع في الشريعة . فقد ثبت في الصحيحين في حديث الإفك : « أنه لما أنزل الله تعالى براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، قال لها أبوها : قومي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقبلي يده » . ولم يكن الصديق رضي الله عنه ليأمرها بما هو ممنوع في الشريعة . وقد نص الفقهاء

رحمهم الله على أنه يجوز تَقْيِيلُ يَدِ العالم والرجُل الصالح ونحوهما، فاستعار الكاتب ذلك ونقلوه من الفعل إلى الكتابة أيضا، كما فعلوا في تَقْيِيلِ الأرض، ورتَّبوه مراتب على ما سياتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى . على أن بعض الكتاب قد جعل يُقَبِّلُ القَدَمَ رتبةً بين يُقَبِّلُ الأرضَ ويُقَبِّلُ اليدَ وما في معناها، وهو ظاهر لكنه لم يشتهر في حُرُفِ الكتاب .

الأسلوب الحادى عشر

(أن يُفْتَحَ الكتابُ بلفظ « صدرت المكتبة »)

ويقتصر فيها إلى المقصود بلفظ « وتوقع لعله » أو « موصحة لعله » وما أشبه ذلك . ويقع الاختتام فيها بمثل « والله الموفق » ونحو ذلك . وربما قيل فيها : « أُصْدِرَتْ هذه المكتبة » أو « أُصْدِرَتِها » .

وأصل هذه المكتبة أنه كان يُكْتَبُ في الدولة السُّلْجُوقِيَّةِ ببغداد، والدولة الأيوبيَّة بالديار المصرية « صدرت هذه الخلعة » أو « أُصْدِرَتْ هذه الخلعة » . وربما كتب « صدرت هذه الجملة » فعُدل عنه كُتِبَ الزمان بالديار المصرية ومن قاربهم إلى التعبير بقولهم : « صدرت هذه المكتبة » . على أن كُتِبَ الزمان بالديار المصرية إنما أخذوها من صُدُورِ المكتبات المفتحة بالدماء : مثل أمر الله أنصار المقر، حيث يقال في تصديرها « أُصْدِرَتِها » ومثل « ضاعف الله نعمة الجَناب » و« أدام الله نعمة الجَناب أو المجلس » وما أشبه ذلك ، حيث يقال في تصديرها : « صدرت هذه المكتبة » فجعلوا الصُدُورَ ابتداء .

الأسلوب الثاني عشر

(أن يفتح الكتاب بلفظ « هذه المكتبة »)

ويختلص منها إلى المقصود بنحو ما وقع التخلّص به في الأسلوب الذي قبله ،
ورقع الاختتام بمثل ما وقع به اختتامه .

وهذه المكتبة مأخوذة في الأصل من ابتدائهم في الأسلوب الخامس بلفظ :
« تخلي إليك » وما في معناه ، على أن تُكّاب الزمان إنما أخذوا ذلك من المكتبة التي
قبلها ، فجعلوا بعض الصّدر فيها ابتداءً ، كما جعلوا جميع الصّدر ابتداءً في الأسلوب
الذي قبلها .

الأسلوب الثالث عشر

(أن يفتح الكتاب بالإعلام)

كما يكتب كُتّاب الزمان : « يعلّم فلان أن الأمر كذا وكذا » والاختتام فيها بمثل
الأسلوبين اللذين قبلها ولا يختلص فيها ، لأن الافتتاح فيها موصل إلى المقصود ، على
أن الصواب لإثبات اللام في أولها ، بأن يقال : « ليعلم فلان » لأن لام الأمر لا يجوز
حذفها على ما هجر في آخر المقالة الثالثة . وعلى ذلك كتب غازان أحد ملوك بني
جنك خان بيقداد وما معها إلى الملك الناصر « محمد بن قلاوون » صاحب الديار
المصرية ، وكتب الجواب عن الملك الناصر إليه كذلك ، على ما سيأتي ذكره في موضعه
إن شاء الله تعالى .

الاسلوب الرابع عشر

(أن يفتح الكُتاب بلفظ « يُعْثَم »)

مثل « يُعْثَمُ الجَنَابَ » أو « يُعْثَمُ المَجْلِسَ » وما أشبه ذلك . ويكون التخلّص منها بمثل : « وَيُنْهَى » أو « وَيُؤَدَّى » ونحو ذلك ؛ ويقع الاختتام فيها بالنهاء . وهذه المكتبة كانت مستعملة في مكاتبات الفاضل بقلّة ، وتداولها الكُتّاب بعد ذلك إلى أن صارت مستعملة بين الكُتّاب في المكتبات الدائرة بين أهل النّوالة في زماننا ؛ ثم رُفِعَتْ بعد ذلك وتركَتْ حتى لم يستعملها منهم إلا القليل النادر .

الأسلوب الخامس عشر

(أن يفتح الكُتاب بلفظ الخِلافة أو المَقَام الذي شأنه كذا ،

أو الإمارة التي شأنها كذا)

مثل : « خِلافة فلان » أو « مَقَام فلان » أو « إمارة فلان » وما أشبه ذلك . ثم يقع التخلّص في ذلك بمثل : « معظّم مقامها يُخصّصها بِسلامِ صِفْتِه كذا ويبدى لعلمها كذا » وما أشبه ذلك . ويقع الاختتام فيها بالسلام ؛ وهذا الأسلوب مما أخصّ به كُتّاب المغرب لاسيما المتأخرون منهم ، على ما سيأتى ذكره في موضعه إن شاء الله تعالى .

قلت : ووراء هذه الأساليب أساليب أخرى لكُتّاب أهل الشرق والقرب بالديار المصرية في الأزمنة المتقدمة ، لا يأخذوها حصراً ، ولا تدخل تحت حدّ ، وأكثر ما تكون في الإخوانيات ، وسيأتى ذكر الكثير من أنواعها في موضعه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في المكتبات إلى أهل الكُفر، والكُتب فيه أسلوبان)

الأسلوب الأول

(أن تُفتَح المكتبة بلفظ «من فلان إلى فلان»)

وعلى ذلك كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل الكُفر، وكان يكتب في مكاتباته صلى الله عليه وسلم : «السلام على من أتبع الهدى» بدل «والسلام» ويُفَضِّل فيها بأما بعد تارة، وبغيرها أخرى؛ وعلى ذلك جرى الخلفاء من الصحابة رضي الله عنهم، وخلفاء بني أمية، وخلفاء بني العباس ببغداد، ومن شاركهم في الأمر من ملوك بني بويه وبني سلجوق ومن في معانهم . ونُحِتَ هذه المكتبة تارة بلفظ «والسلام على من أتبع الهدى» إن لم يذكر السلام في الأول، وتارة بغير ذلك .

الأسلوب الثاني

(أن تُفتَح المكتبة بالدعاء)

كما يكتب كُتب الزمان : «أطال الله بقاء الحضرة الفلانية : حضرة الملك الفلاني» أو «أطال الله بقاء الملك الفلاني» وما أشبه ذلك . وقد تقدم أن خلافاً في أصل جواز المكتبة بالدعاء ، وما قيل في الدعاء بطول البقاء وما في معناه : من الكراهة ، وأن جماعة من العلماء والكُتب أجازوه .

فإن قيل : على تقدير جواز ذلك في حق المسلم ، فكيف يجوز في حق الكافر . فالجواب أنه قد ورد «أنت النبي صلى الله عليه وسلم استسقى فسقاه يهودي» ،

فقال له : جَمَلَك اللهُ ، فما رُؤى الشَّيْبُ في وَجْهِهِ حَتَّى ماتَ » فقد دعا صليُّ الله عليه وسلم ليهودىً بالجمال ، وقد لا يكون في طول بقائه على الإسلام ضررٌ ، بل قد يكون فيه نفعٌ ، كحَمَلِ حِزْبَةٍ ونحوه ، وإنما يُبَيِّنُ الدعاء له بِالْعِزِّ وَالنَّصْرِ وما في معنى ذلك .

تنبيه — اعلم أن الأجوبة قد تفتَّحَ بِمَا تفتَّحَ به الإبداعات من الأساليب المتقدمة ، ثم يُؤْتَى بالأجوبة في أثنائها مثل أن يقال : « وقد وصل كتابُ المجلس أو الجَنَابِ » أو « وردتْ مكاتِبُهُ » أو « عُرِضَتْ مكاتِبُهُ على أمير المؤمنين ، أو على المَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ » وما أشبه ذلك . وقد يُعْمَلُ الجوابُ ابتداءً ، فيُفتَّحَ الكتابُ بنحو : « عُرِضَتْ مكاتِبُكَ على أمير المؤمنين » مثلاً كما كان يكتب في الزمن المتقدم ، أو « عُرِضَتْ المكاتِبُ الواصلةُ من جهة المجلس أو الجَنَابِ الفلاني على المَسَامِعِ الشَّرِيفَةِ » أو « وردتْ مكاتِبُهُ » أو « وصلتْ مكاتِبُهُ » ونحو ذلك ، ويُؤْتَى على ما تفضَّلْتُمُة المكاتِبُ وما اقتضاه الجوابُ عنه ، ثم يُؤْتَى في الاختتام بنظير ما يُؤْتَى به في المكاتِبِ المبتدأة .

الطرف الثاني

(في ذكر لواحق المكاتِبِ ولوازمها ، وفيه ستُّ جمل)

الجملة الأولى

(في التَّرجِمة عن المَكْتُوبِ عنه)

أما التَّرجِمة عن السلطان ، فقد ذكر ابنُ شيثٍ أنَّ مصطَلَحَ الدولة الأيوبيَّة أنْ يُكْتَبَ لأربابِ خِدْمَتِهِ العلامةُ فإنَّها أُلِيقَ به معهم . فإنْ أراد تمييزَ أحدٍ منهم ، كتبَ له بخطه شيئاً مكانَ العلامةِ ، وأنْ ترجمته للفقهاء والقضاة ودُوي التَّنَسُّكِ « أخوه »

و «ولده» . و ذكر أن الأحسن أن يقال في «ولده» «محل ولده» لقوله تعالى :
 (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ) أما «أخوه» فلا حرج عليه فيه : لقوله تعالى : (أَمَّا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)
 وقوله : (فَأَخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ) و ذكر أنه يترجم لمولاه من ولّى الأمر أيضا :
 «المعترف بربكته» و «المُتبرك بدعائه» و «المرتبن بمودته» . و ذكر أن الفقهاء
 والقضاة ودوى الناسك يترجمون عن أنفسهم بـ «الخادم» ودون ذلك «خادمه» .

قال : وربما ترفعوا عن الترجمة بهذه اللفظة مطلقا فقالوا : «الخدم بالثناء
 الصالح» أو «الخدم ببطائه» . قال : وأهل الودع خاصة يترجمون بـ «الفقير إلى
 رحمة الله» . وربما راحوا المترجم له مثل أن يكون ولّى الأمر ، فيقول : «السبد
 الفقير إلى رحمة الله» ويعنى أنه عبد الله ، ويحصل بذلك المقصود من الأدب مع
 السلطان . ومنهم من يكتب : «الناعى لولته» و «المتنجل بدعائه الصالح لأئمه»
 و «المواظب على خدمته بالثناء» وأمثال ذلك . قال : وأكثر الناس يرى الترجمة
 لولده ، فإن ترجم له لم يسم اسمه لأنه ليس له والدان ، ولا أقل من أن يكون بينه
 وبين من يكتب بوالده غير الأب هذا الفرق ؛ فاما أن يقول : «والله فلان بن
 فلان» بحيث يذكر اسم أبيه فمسيح . ثم قد كانوا في الزمن الأول يكتبون بذكر اسم
 المكتوب عنه في صدر الكتاب وعنوانه ، نحو : «من فلان إلى فلان» ثم أحدث
 الكتاب في أيام بنى بويه وما بعدها تراجم رتبوها ، بعضها أرفع من بعض .

وقد ذكر في «ذخيرة الكتاب» لذلك مراتب في الصدور والمُنوّن بعضها أعلى
 من بعض ، فجعل أطلاقا بالنسبة إلى المكتوب عنه أن يكتب اسمه ، ودونه
 «صديقه» ودونه «حبيبه» ودونه «شاكرك» ودونه «المعتد به» ودونه «أخوه»
 ودونه «وليّه» ودونه «عبدّه» ودونه «خادمه» ودونه «عبدّه وخادمه» ودونه

«العبد» ودونه «العبد الخادم» ودونه «الصبيعة» ودونه «مملوكه» ودونه «المملوك» ودونه «المملوك الصبيعة». وهو الأعلى بالنسبة إلى المكتوب إليه . ثم قال: ويتفرع من هذه الأصول فروع كثيرة لا يحصر مما يختاره الكتاب ويقترحونه ويتكرونها ، ويكتبون به أصلناهم وأوداعهم حسب ما تقتضيه موداتهم وتوجبها مصافاتهم : كصنفي مودته ، والمقتضير بحجته ، والمعتد على أخوته ؛ وصيد مودته ، وخادم مجده ، وشاكر أباديه ، وحامد تفضله ، والمعتد بتطوله وما يجرى هذا التجري مما هو أوسع من أن يجمع وأكثر من أن يمحصر ؛ ولكنه أكثر ما يكون بين النظراء والأقران .

ورتب عبد الرحيم بن شيبث في «معالم الكتاب» ترتيباً آخر: فذكر أن الترجمة إلى ديوان الخلافة من قوى الولايات كلهم «العبد» ومن الملوك كلهم «الخادم» وأن الترجمة إلى الملوك من الأجناد كلهم «المملوك» مع النسبة إلى أشهر ألقاب الملك : كالناصرى للناصر ، والعاذل للعاذل ، وما جرى مجرى ذلك . ودون المملوك في الخشوع : «عبد» ، وخادمه» ودونه «العبد» مفردة . ودونه «مملوكه» ودونه «العبد الخادم» لأن الثاني كأنه ناصح للأول ؛ ودونه «الخادم» ودونه «عبد» ودونه «خادم» ودونه «عبد وأخوه» ودونه «أخوه» ودونه «شاكر تفضله» ودونه «شاكر إحسانه» ودونه «شاكر مودته» ودونه «ولي» وصفيته» ودونه «محبه وواده وشاكره» . ودونه الاسم ، ودونه العلامة .

ثم قال: أما «أصغر الممالك» وما يجرى مجراها ، فلا يليق من الأجانب . ورايت في دستور صغير في الكتابات يعزى للقرن الثماني بن فضل الله ، أن أكبر الآداب في أسم المكتوب عنه بالنسبة إلى المكتوب إليه «المملوك» ثم «المملوك الرق» ثم «المملوك الأصغر» ثم «المملوك المحب» ثم «المملوك الداعي» ثم «مملوكه وعبيده» ثم «الخادم»

ثم «خادمه» ثم «أخوه» ثم «مُحبّه» ثم «شاكرك» ثم «الفقيه إلى الله تعالى» .
ولا يخفى ما في بعض هذه التراجم من التخالّف بين ما ذكره وما تقدم ذكره من
«ذخيرة الثّغاب» .

والذي استقر عليه الحال في زماننا في ترجمة العلامة بالقلم الشريف السلطاني
«أخوه» ثم «والده» ثم الاسم؛ وفي حق غيره «المملوك» ثم الاسم . وربما كتب
بعضهم «العبد» بدل الاسم تواضعا . على أنهم قد اختلفوا في جواز الترجمة بالعبد
والمملوك : فنذهب بعضهم إلى منع ذلك ، محتجا بما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال : « لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَلَا أُمِّي ، كُلُّكُمْ عِبْدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ
وَلَكِنْ غُلَامِي وَجَارِئَتِي » . والذي عليه العمل جواز ذلك احتجا بما يقوله تعالى :
(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ) والاستدلال به لا يخلو من نزاع؛
وقضاة القضاة يكتبون «الداعي» .

الجملة الثانية

(في العُنوان، وفيه سبع لغات)

حكاهما صاحب «ذخيرة الثّغاب» . واقتصر في «صناعة الثّغاب» على ذكر
بعضها : إحداهما عُنوان - بضم العين وواو بعد النون . والثانية عُنوان - بضم العين
وياء تحتية بعد النون . والثالثة عُنوان - بكسر العين . والرابعة علوان - بضم العين
ولام بدل النون . والخامسة علوان - بفتحها . والسادسة علوان - بكسرهما .
والسابعة علوان بالكسر مع إبدال الواو ياء ، ويجمع عُنوان على عُنوانين ، وعلوان
على علوانين . ويقال : عَنَوْتُ الثّغَابَ عَنَوْنَةً وعلَوْتُهُ علُونَةً ، وعَنَفْتُهُ بنونين الأولى

منهما مشددة تَمِينَا، وَعَيْنُهُ بنون مشددة بعدها ياء تَعِينَا، وَعَوْنُهُ عَنَاءٌ بفتح العين وسكون النون، وَعَوْنَا بضمهمما وتشديد الواو .

وآخلف في اشتقاقه : فمن قال عُنَانٌ، جعله مأخوذاً من العُنَان بمعنى الأثر، لأنَّ عُنَانُ الكَلْبِ [أثر بيان^(١)] من هو وإلى مَنْ هو . قال النحاس : وأكثر الكَلْبُ لا يعرف غير هذا، واحتجوا لذلك بقول الشاعر يَذْكُرُ قَتْلَ أمير المؤمنين « عِيَانُ بْنُ عَفَانٍ » رضى الله عنه :

صَحُوا بِأَهْمَطِ عُنَانُ السُّجُودِ بِهِ * يَقْطَعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقِرَاءًا

وزعم بعضهم أنَّ العُنَان مأخوذ من قول العرب : عَنَتِ الْإَرْضُ تَعْنُو إِذَا أُخْرِجَتِ النَّبَاتُ، وَأَعْنَاهَا الْمَطَرُ إِذَا أَظْهَرَ نَبَاتَهَا . قال النحاس : فيكون عُنَانٌ عَلَى هَذَا مُعْلَلًا يَنْصَرَفُ فِي النَّكِرةِ وَلَا يَنْصَرَفُ فِي الْمَعْرِفَةِ . وقيل هو مأخوذٌ من عَنَّ يَنْ، إِذَا حَرَّضَ وَبَدَأ . قال النحاس : فعلى هَذَا يَنْصَرَفُ فِي النَّكِرةِ وَالْمَعْرِفَةِ لِأَنَّهُ مُعْلَلٌ .

ومن قال : عُلُونٌ ، أبطل من النون لاما ، كما في صَيْدَلَانِي وصَيْدَنَانِي ؛ فيكون الاشتقاق واحداً . وقيل عُلُونٌ مشتقٌّ من الْعَلَانِيَّةِ ، لِأَنَّهُ خُطَّ ظَاهِرٌ عَلَى الْكَلْبِ .

ومن قال : عُنَانٌ وَعِيَانٌ ، جعله من عَنَتِ فَلَانًا بِكُنَا إِذَا قَصَدْتَهُ . قال في « موادِّ البيان » : وَالْعُنَانُ كَالْعَلَامَةِ ، وَهُوَ دَالٌّ عَلَى مَرْتَبَةِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ مِنَ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ الْإِخْبَارُ عَنْ أَمْرِهِمَا حَتَّى لَا يَكُونَ الْكَلْبُ بِمَجْهُولٍ ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ يَكْتُبُ فِيهِ « مِنْ فَلَانٍ إِلَى فَلَانٍ » أَوْ « لِفَلَانٍ مِنْ فَلَانٍ » قَالَ : وَلَمْ يَزَالُوا يَكْتُبُونَ بِأَسْمَائِهِمْ إِلَى أَنْ وَلِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخِلَافَةَ وَلَقَّبَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،

(١) الزيادة من الضوء لولف ص ٤٤١ .

(٢) عبارة الضوء والمعنى فيه وهو مراده بما هنا .

فكتب : « من عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب » . ثم وقع الاصطلاح على
العنوان للرؤساء والنظار والمؤمنين والاشباع بالاسماء ، ثم تغير هذا الرسم أيضا .

وكان المأمور يكتب في أول عنوانه كُتِبَ : بسم الله الرحمن الرحيم ، فكانت
تكتب قبل اسم المكتوب إليه والمكتوب عنه . وقد ذكر أبو جعفر النحاس أن
ذلك بقي إلى زمانه ، وكان بعد الثلاثمائة . قال في « مواد اليان » : ثم بطل بعد
ذلك . قال : والأصل فيه أن يُتدأ باسم المكتوب عنه ثم باسم المكتوب إليه
وهو الترتيب الذي تشهد به العقول : لأن نفوذ الكلب من المكتوب عنه إلى
المكتوب إليه كل شيء ونحوه من ابتداء إلى نهاية . فابتدأه من المكتوب
عنه ، وأتتهاه إلى المكتوب إليه ، ولفظ « من » يتقدم لفظ « إلى » بالطبع : لأن
حرف « من » ينهي عن منشأ الشيء ، و « إلى » حرف يُخبر عن النهاية التي عندها قرأ
الشيء ، والابتدأت في الأشياء قبل النهايات .

قال محمد وعلي هذا كانت كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سلف من الأمم
الماضية ، ثم عرض للناس رأي في تغير هذا الرسم إلى غيره ، ففرقوا بين مراتب
المكاتب من الرؤساء والعظماء والاشباع بتقديم اسم المكتوب إليه إذا قصدوا
إعظامه وإجلاله وتأخير اسم المكتوب عنه ، ورأوا أنه الصواب الصحيح .
على أن كُتب زماننا يقتضون في أكثر عتواتهم على ذكر المكتوب إليه دون
المكتوب عنه ولا يذكرون المكتوب عنه إلا في مكاتبات خاصة قليلة . قال
في « صناعة الكُتب » : ولا يتكفى المكتوب عنه على نظيره ، بل يسمى له ولين
فوقه ، ثم يقول : المعروف بابي فلان . وإن كانت كتيبه أشهر من اسمه واسم

أبيه ، جاز أن يكتب كنيته بغير ألف ويحررها بحري الأسم . قال النحاس : وإن كان الكتاب إلى اثنين أحدهما أكبر من الآخر ، فيقدم الأكبر ، وكذلك لو كان إلى ثلاثة . قال أبو جعفر النحاس : وقد استحسن جماعة أن يصغر أسم المكتوب عنه على عنوانات الكتب ، ورأوا أن ذلك تواضع . وما ذكره هو المستعمل في المكتبات الجارية عليه حكم الدواوين إلى زماننا . والأصل في ذلك ما ذكره النحاس أن الحاجج ابن يوسف كتب إلى عبد الملك بن مروان وهو خليفة في طومار : « لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين » ثم كتب في طومره بقلم ضليل : من الحاجج بن يوسف ، بغير الكتاب على أسلوبيه فيما بعد .

قال في « معالم الكتابة » : ولا يكثر النعوت ولا الدعاء على العنوان للسلطان ولا للكبراء ، أما من الأعلى إلى الأدنى فحسن . وقد تهتم في مقدمة الكتاب أن صاحب ديوان الإنشاء هو الذي ينعون الكتب السلطانية ، وأنها كانت لا ينعون قبل كتابة السلطان عليها علامته ؛ والذي استقر عليه الحال في كتب السلطان وما في معناها من المستملية على الألقاب أن تكتب الألقاب في العنوان ، ويدعى فيها بدعوة واحدة وهي المفتتح بها المكتبة .

-
- (١) حارة الضوء « جاز أن يكتب كنيته ويحررها ... الخ » وهي واضحة ولكن قد ورد في مسالك الأبهاز في كتاب اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على قم الهادي وذكره المؤلف فيما تقدم أن الكنية فيه بغير ألف ونص على ذلك ، فقل مراده أن الكنية في هذه الكتب تكتب بغير ألف فيقال في أبي بكر بـ بكر .
- (٢) لأن ذلك يؤذن بتعريف المكتوب إليه كما تقدم .

الجملة الثالثة

(في طي الكتاب وختمه)

أما طيه فمعروف ، وهو أن يُلفّ بعضه على بعض لقا خاصا . والطى في اللغة خلاف النشر ، ويقال : طوى الكتاب يطويه طيا ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ . والترتيب في ذلك أن تكون الكتابة إلى داخل الكتاب : لأن المقصود صون المكتوب فيه .

ثم للناس في صورة الطي طريقتان :

الطريقة الأولى - أن يكون لفة مدوّرا ككتابة الرمح ، وهى طريقة كتاب الشرق من قديم الزمان وإلى الآن .

والطريقة الثانية - أن يكون طيه مسوطا في قدر عرض أربعة أصابع مطبوقة ، وطي ذلك كان الحال جاريا في الدولة الأيوبية بالديار المصرية . فقد ذكر عبدالرحيم ابن شيهت من كتاب دولتهم : أن طي الكتب السلطانية يكون عرض أربعة أصابع ، وكذلك من العلية إلى من دونهم ، أما الكتاب من الأدنى إلى الأعلى فلا يتجاوز به عرض إصبعين ، وهذا ظاهر في أن الطي يكون غير رضا لمدوّرا ، وهى طريقة أهل المغرب والروم والفرنج .



وأما ختمه ، فالتختم مصدر تختم ، يقال : ختم الكتاب يختمه ختما ، ومعناه الطبع ، ومنه قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ ﴾ والمراد شد رأس الكتاب والطبع عليه بالختم ، حتى لا يطلع أحد على ما في باطنه حتى يقضه المكتوب إليه ، على ما سياتى ذكره إن شاء الله تعالى . وهو أمر مطلوب مُرغّب فيه ، فن كلام عمر .

رضى الله عنه : « طِبْنَةُ خَيْرٌ مِنْ طِلْنَةٍ » . يعنى أَنَّ خَتَمَ الْكُتَابِ بِطِبْنَةٍ خَيْرٌ مِنْ طِلْنَةٍ تَقَعُ فِي الْكُتَابِ بِالْغُلْظِ فِيهِ أَوْ زِيَادَةٍ أَوْ قُصَصٍ ، وَالطِّلْنَةُ التَّهْمَةُ . وَمِنْ كَلَامِ غِيَرِهِ : « اخْتِمِ تَسْلِمٌ » . وَمِنْ كَلَامِ غِيَرِهِ : « إِنْ طَلَبْتَ وَإِلَّا وَقَعْتَ » يعنى إِنْ طَلَبْتَ الْكُتَابَ وَإِلَّا وَقَعْتَ فِي الْمُسَدَّدِ . وَيُقَالُ : إِنْ فِي خَتَمِ الْكُتَابِ تَعَطُّلاً لِلْكِتَابِ إِلَيْهِ . قَالَ بَزْرَجُهُرٌ أَحَدُ مُلُوكِ الْقُرْسِ : مَنْ لَمْ يَخْتِمِ كِتَابًا فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِصَاحِبِهِ ، وَجُهِلَ فِي رَأْيِهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ أَوَّلَ مَنْ خَتَمَ الْكُتَابَ سَلْبَانٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ وَقَدْ قُصِرَ قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ يَحْيَى : (إِنْ أَلْقَى إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ) بَأَنَّهُ غُخُومٌ . وَهَلْ تَنْجِيهِهِ فِي ذَلِكَ جَرَتْ مُلُوكُ الْعَجَمِ . قَالَ فِي « مَوَادِّ الْبَيَانِ » : وَلَمْ تَزَلْ كُتِبَ الْعَرَبُ مَلْشُورَةً حَتَّى كَتَبَ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ الصَّحِيفَةَ إِلَى الْمُتَلَمِّسِ ، قَرَأَهَا وَلَمْ يُوصِلْهَا ، نَحِمَتْ الْعَرَبُ الْكِتَابَ مِنْ حِرَافَةٍ . وَقَدْ وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ « إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى بَعْضِ الْعَجَمِ فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَا يَقْرَءُونَ كِتَابًا غَيْرَ غُخُومٍ ، فَأَمَرَ أَنْ يُخَذَّ لَهُ خَاتَمٌ حَدِيدٌ ، فَوَضَعَهُ فِي إصْبَعِهِ ، فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ أَنْبِئَهُ مِنْ إصْبِعِكَ ، فَنَبِّئْهُ وَأَمَرَ أَنْ يُخَذَّ لَهُ خَاتَمٌ نُحَاسٌ فَوَضَعَهُ فِي إصْبَعِهِ فَأَتَاهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَنْبِئَهُ مِنْ إصْبِعِكَ فَنَبِّئْهُ ، ثُمَّ أَمَرَ أَنْ يُخَذَّ لَهُ خَاتَمٌ ، فَأُخَذَ لَهُ خَاتَمٌ مِنْ فِضَّةٍ نَحِمَ بِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ مِنَ الْأَطَاغِمِ ، وَخُفِّسَ عَلَيْهِ « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ » ثَلَاثَةٌ أَسْطُرٌ ، وَكَانَ الْخَاتَمُ فِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى ؛ ثُمَّ نَحِمَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُبِضَ ؛ ثُمَّ نَحِمَ بِهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى قُتِلَ ؛ ثُمَّ نَحِمَ بِهِ عُمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى قُرْأَرِيسٍ مِنْ بَنَاتِ الْمَدِينَةِ ، إِذْ حَبَسَتْ بِالْخَاتَمِ فَسَقَطَ مِنْ يَدِهِ ، فَزَجَّ كُلُّ مَا كَانَ فِي الْبَيْتِ

(١) قَالَ " فِي إِرْشَادِ السَّارِي " فَرَحَ صَبِيحُ الْبُخَارِي ج ٨ ص ٣٦٢ لَا يَنْصَرَفُ عَلَى الْأَمْحِ . وَقَالَ صَاحِبُ " تَلَاخِ الْعَرَبِيَّةِ " عَنْ أَبِي مَالِكٍ جَوَازُ صَرْفِهِ . وَقَالَ أَبُو قَارِسٍ الْمُبَرِّزُ وَالزَّاهِدُ وَالسَّيِّدُ لَيْسَتْ حَرَبِيَّةٌ .

من المساء فلم يُوجد ، فلما يئس منه أمر أن يُصاغ له خاتم مثله وينقش عليه
«مجد رسول الله» فُعل ذلك ونقش به . هكذا أورد صاحب «ذخيرة الكتاب»
وبعضه في الصحيح . وقيل : إن نقش الخاتم الذي آتخذه كان «أمنتُ بالذي
خلق قسوى» . وقيل : كان نقشه «لتصبرن أو لتتمنن» .

ثم كان لكل من الخلفاء بعد عثمان رضى الله عنه خاتم يفتح به ، عليه نقش
مخصوص : فكان نقش خاتم أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه
«الملِكُ لله الواحد القهار» ونقش خاتم ابنه الحسن «لا إله إلا الله الملك الحق المبين»
ونقش خاتم معاوية بن أبي سفيان «لكل عمل ثواب» وقيل : «لا قوة إلا بالله»
ونقش خاتم يزيد بن معاوية «ربنا الله» ونقش خاتم معاوية بن يزيد «الدنيا غرور»
ونقش خاتم مروان بن الحكم «الله يفتي ودجائي» ونقش خاتم عبد الملك بن مروان ،
«أمنتُ بالله مخلصا» ونقش خاتم الوليد بن عبد الملك «يا وليدُ إنك ميت ومحاسب»
ونقش خاتم عمر بن عبد العزيز «عمر بن عبد العزيز مؤمن بالله» ونقش خاتم يزيد بن
عبد الملك «فني السيفات يا عزيز» ونقش خاتم هشام بن عبد الملك «الحكم للهكم
الحكيم» ونقش خاتم الوليد بن يزيد «يا وليدُ أحذر الموت» ونقش خاتم يزيد بن
الوليد «يا يزيدُ تم بالحق» ونقش خاتم إبراهيم بن الوليد «توكلتُ على الحى القيوم»
ونقش خاتم مروان بن محمد «أذكر الله يا غافل» .

وكان نقش خاتم السفاح : أول خلفاء بني العباس «الله همة عبيده» ونقش خاتم
المهدي^(١) «حسنسى الله» ونقش خاتم الرشيد «المعلمة والقدرة لله» . وقيل :
«نحن من الله على حذر» ونقش خاتم الأمين «محمد وأتقى بالله» ونقش خاتم المأمون

”سَلِّ اللَّهُ بِعَلِيكَ“ ونقش خاتم المعتمد ”اللَّهُ هُمَةُ أَبِي إِسْحَاقَ بْنِ الرَّشِيدِ وَبِهِ يَوْمِينَ“
 ونقش خاتم الواثق ”اللَّهُ هُمَةُ الْوَائِقِ“ ونقش خاتم المتوكل ”عَلَى الْحَقِّ أَتَمَّ كَالِي“
 ونقش خاتم المنتصر ”يُؤْتِي الْحَيْدَرُ مِنْ مَأْمِنِهِ“ ونقش خاتم المستعين ”فِي الْإِعْتِبَارِ
 غَنَاءٌ عَنِ الْإِخْتِبَارِ“ ونقش خاتم المعز ”الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ كُلِّ شَيْءٍ وَخَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ“
 ونقش خاتم المهتدي ”مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ“ ونقش خاتم المعتمد
 ”السَّعِيدُ مِنْ وَعْظِ بَنِيهِ“ ونقش خاتم المعتضد ”الْإِضْطِرَارُ يُزِيلُ الْإِخْتِيَارَ“ ونقش
 خاتم المستنصر ”بِاللَّهِ عَلَى بْنِ أَحَدٍ يَتَّقِي“ ونقش خاتم المقتدر بالله ”الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
 لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ“ ونقش خاتم القاهر ”عَهْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ“ ونقش خاتم النقي ”الْمُنْقَى“ وقلبه لخلافة، ونقش خاتم المستنصر
 ”الْمُسْتَنْصَفُ بِاللَّهِ يَتَّقِي“ ولم أنف على نقش خاتم أحد من الخلفاء غير هؤلاء .

وأعلم أنه كان للعلم في أيام الخلفاء ديوان مفرد يبر عنه بديوان الخاتم .
 وقد اختلف في أول من اتخذ ديوان الخاتم : فروى محمد بن عمر البغدادي في كتاب
 ”العلم والعروة“ بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنه أنه قال : لم يكن أبو بكر ولا عمر
 يلبسون^(١) خواتم ولا يطبعون كتاباً ، حتى كتب زياد بن أبي سفيان إلى عمر بن
 الخطاب رضي الله عنه : إنك تكتب إلينا بأشياء ليست لها طوابع ، فاتخذ عند
 ذلك عمر طابعا يطبع به ، ونعم الكتاب ولم يكن قبل مجيئهم .

ومقتضى ذلك أن يكون أول من اتخذ الخاتم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
 ويكون لبسه خاتم النبي صلى الله عليه وسلم لغير الخاتم . وذكر الطبري في تاريخه :
 أن أول من اتخذ ذلك معاوية بن أبي سفيان في خلافة ، وذلك أنه أمر بعبور بن

(١) استعمل سبعة الجمع للعلم أو أراد به ما فوق الواحد .

الوزير بمائة ألف من عند زياد، ففتح الكتاب وجعل المائة مائتين، فلما رفع زياد حسابه أنكر ذلك معاوية، وطلب عمراً فحبسه حتى قضاهما عنه أخوه جند الله ابن الزبير وأتخذ معاوية حينئذ ديوان الختم، ونزح الكتاب ولم يكن قبل يُخزَم . قال القاضي «ولي الدين بن خلدون» في تاريخه : وديوان الختم عبارة عن الكتاب القائم على إيفاد كتب السلطان . قال : وهذا الخاتم خاص بديوان الرسائل ، وكان ذلك للوزير في أيام الدولة العباسية . ويشهد لذلك قول الرشيد ليحيى بن خالد لما أراد أن يستوزر جعفرًا ، ويستبدل به من الفضل أخيه : إني أحول الخاتم من يميني إلى شمالك ، فكفى بالخاتم عن الوزارة ، لأنضمام ديوان الرسائل إلى الوزير إذ ذاك . ثم اختلف العُرف بعد ذلك ، فصار ليس إليه الرسائل في الدولة .

ثم لحق ثلاث صور :

الصورة الأولى — أن يُلصق رأس الكتاب بنوع من أنواع اللصاق ، كالكتِّيراء المُدافاة بالماء ، والنَّشَا المطبُوخ ونحو ذلك . وهذا هو المستعمل بالديار المصرية وبلاد المشرق من قديم الزمان وهلمَّ جرًّا إلى زماننا ، والمستعمل بالدواوين هو النَّشَا دون غيره ، لتصامته بياضه وشدة لصاقه . قال في «مواد البيان» : ويجب أن يكون اللصاق خفيفًا كاللَّحْن لئلا يتكرَّس ويكتنف في جانب الورق . وقد كانت حادتهم في بلاد المشرق أيام الخلفاء أن يُختم بخاتم الخليفة ، بأن يُتمس في طين معدَّ لذلك أحمر الصبغ ، ويختم به على طرفي اللصاق ، ليقوم مقام علامة الخليفة . وكان هذا الطين يحلب إليهم من سِراف من بلاد فارس ، وكأنَّه مخصوص بها ، وعلى نهج الخلفاء جرى الملوك حينئذ . والذي استقر عليه الحال الآن بالديار المصرية ونحوها من البلاد الشرقية الاكتصاف على مجود اللصاق اكتفاء بما فيه من الضبط وظهور

فَقَضَهُ إِنْ قُضِيَ . وهذه المسئلة مما سأله الشيخ جمال الدين بن نباتة كُتِّبَ ديوان الإنشاء بدمشق مخاطبا به للشيخ جمال الدين محمود الحلبي - قال : وَمَنْ خَمَّ الكلاب بالطين وربطه ؟ ومن غير الطين إلى النشا وضبطه ؟ . وقد سبق الكلام في النشا وسائر أنواع اللصاق في الكلام على آلات السواة في المقالة الأولى .

الصورة الثانية - أن يُخَزَمَ الكلاب من وسطه بالأشعار حتى تنفذ في بعض طبقات الكلاب ثم تخرج من وجه الورق أيضا ، ويدخل فيه دسرة من الورق كالسيف الصغير ويُقَطُّ طَرَفُ الدسرة ، ثم يُلصَقُ على ذلك بِسَمْعٍ أَحْمَرٍ ، ثم يضم عليه بخاتم يظهر نقشه فيه ، ويسمى هذا النوع من الختم الختم - بالخلاء والزاي المعجمين - أخذنا من تحريم البعير ، وهو أن يُثَقَّبَ أَفْهُهُ وَيُحْمَلُ فِيهِ خَيْطٌ أَوْ مِصْبُوحٌ . ولعل هذه الطريقة من الختم هي التي كان عليها الحال حين أُحْدِثَ الختم في صدر الإسلام ، ويدل على ذلك قول ابن عمر رضي الله عنه في رواية الطبري المتقدمة ^(١) : وَخَزَمَ الْكَلَابَ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلُ يُخَزَمُ . وعلى هذا الآن أهل المغرب والروم والفرنج ومن في معناهم .

الصورة الثالثة - أن يُلَفَّ على الكلاب بعد طيه قِصَاصَةٌ من الورق كالسيف في عرض رأس الخنصر ، وتلف على الكلاب ثم يلصق رأسها ، ويكون ذلك في الرقاع الصينية المترددة بين الإخوان ، وتسمى القِصَاصَةُ التي يُلصَقُ بها تحامة - بفتح السين وبالمدة ، وتقال بكسر السين أيضا ، وربما قيل بحاية ، ويقال فيه : مَحَوْتُ الْكَلَابَ

(١) مراد المؤلف بالدسرة السمار أو السمار أو الخيط من ليف وجارى العامة في تسميته به بالدسرة .

(٢) الذي تقدم من الطبري أن أول من اتخذ الختم والخزم معارية وأما رواية ابن عمر التي قيد أن أول من اتخذ الختم والخزم عمر فقد رواها محمد بن عمر الهادي في الكلام سهواً واشتباه .

أَتَحْمَوْهُمُ نَحْمُوا ، وَتَحْتَجُّهُ بِالْتَشْدِيدِ أُنَحِّجُهُ تَسْحِيَةً فَهُوَ مَسْحُوٌّ وَمَسْحِيٌّ وَمُسْحَىٌّ ؛ وَالْأَمْرُ
مِنْ مَحْوَتْ اللَّابِ أُنَحِّجُ ، وَمِنْ تَحْتَجُّهُ بِالْتَشْدِيدِ تَحَّجَّ ، وَأَصْلُهُ مِنَ السَّحْوِ وَهُوَ الْقَشْرُ .
يُقَالُ : مَحْوَتْ الْحَمِّ عَنْ الْعَظْمِ إِذَا قَشَرْتَهُ .

الجملة الرابعة

(فِي حَمْلِ الْكَلْبِ وَتَأْدِيبِهِ)

وهو من جملة الأمانات الداخلة في عموم قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا
الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) . وقد رُوِيَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : مِنْ أَكْثَرِ
الْأَمَانَةِ إِدَاءُ الْكَلْبِ إِلَىٰ أَهْلِهِ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو الْمَدَائِنِيِّ : حَمْلُ الْكَلْبِ أَمَانَةٌ ،
وَتَرْكُ إِصْلَاحِهِ خِيَانَةٌ . وقد رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «مَنْ بَلَغَ كَلْبَ
غَازٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَىٰ أَهْلِهِ أَوْ كَلْبَ أَهْلِهِ إِلَيْهِ ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ عِتْقٌ رَقِيَّةٌ وَأَعْطَاهُ
اللَّهُ كِتَابَةً يَمِينُهُ وَكُتِبَ لَهُ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ» . وقد نطق القرآن الكريم بتأدية المُنْهَدِ
كَلْبَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَىٰ يَلْقَيسَ ، حَيْثُ قَالَ خُكَايَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ : (أَذْهَبَ بِكَلْبِي
هَذَا فَأَقِيقَهُ إِلَيْهِمْ) إِلَىٰ أَنْ قَالَ : (قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّ إِلَهِي إِلَهُكَ كَلْبٌ كَرِيمٌ) .

وقد وردت الأحاديث بِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَبْعَثُ كُتْبَهُ مَعَ رُسُلِهِ
إِلَى الْمُلُوكِ : فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ خُذَّافَةَ إِلَىٰ كِسْرَى أَرْبُوزِ مَلِكِ الْفُرْسِ ، وَبَعَثَ
دِحْيَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَىٰ قَيْصَرَ مَلِكِ الرُّومِ ، وَبَعَثَ حَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَىٰ الْمُقَوْقِسِ
صَاحِبِ مِصْرَ ، وَبَعَثَ عَمْرُو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَىٰ الصُّخَّالِ مَلِكِ الْحَبَشَةِ ، وَبَعَثَ
ثُجْبَاعَ بْنَ وَهْبِ الْأُمْدِيِّ إِلَىٰ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ النَّسَائِيَّ ، وَبَعَثَ سَلِيطَ بْنَ عَمْرُو

(١) فِي الْفُرْسِ "النَّبَاحِي" .

إلى هُوَذَةَ بن عليّ صاحب اليمامة ؛ وبعث العلاء بن الحضرميّ إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين ؛ وبعث عمرو بن العاص إلى حديد^(١) وبيقر أبى الجلتندى ملكى عُمان . قال ابن الجوزى : وبعث جرير بن عبد الله البجليّ إلى ذى الكلاع الجهمي .

وأعلم أنه يجب أن يكون حامل الكتاب المؤدى له عن الملك ونحوه وإفرا العقل ، شديد الشكيمة في الجواب ، طلق اللسان في المناورة ، فإنه لسان ملكه ، وتربحان مُرسله ، وربما سأل المكتوب إليه عن شيء أو أورد عليه اعتراضاً فيكون بصدد إجابته . وقد قيل : إنه يُستدلّ على عقل الرجل بكأبه ورسوله . ومن غريب ما يروى في ذلك ما ذكره ابن عبد الحكم : أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما بعث حاطب ابن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب مصر ، وبلغه كتاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال له : مانتعه أن يدعو علىّ فهل سألته علىّ ؟ - قال له حاطب : مانتع . يعني أن يدعو على من أبى عليه أن يفعل ويفعل ؟ فوجم ساعة ثم استمدها ، فأطاعها عليه حاطب ، فسكت . ويروى : أنه حين سألته عن أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم في حرب قومه ، وذكر له أن الحرب تكون بينهم محالاً : تارة له وتارة عليه ، قال له المقوقس : النبيّ يغلب ! فقال له حاطب : فالإله يغلب ! - يشير بذلك إلى ما ترجمه النصارى من أن المسيح عليه السلام صلب مع دعواهم فيه أنه إله .

وذكر السهيليّ أن حجة الكلبيّ حين دخل على قيصر بكتاب النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال له حجة : هل تعلم أن كان المسيح يُصلّى ؟ قال نعم ، قال : فإني أدعوك إلى من كان المسيح يُصلّى له ، وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح في بطن أمه . فالزمه من صلاة المسيح أنه عبده الله تعالى ، وتضمن ذلك بيتاً من أبيات له فقال :

(١) كذا في "المواهب الدنية" أيضاً . ولاقى في القتاموس عبد الله .

فَقَرَّرْتُهُ بِصَلَاةِ الْمَسِيحِ ، * وَكَانَتْ مِنَ الْجَوْهَرِ الْأَحْمَرِ
وَيُحْكَى أَنَّ بَعْضَ مُلُوكِ الرُّومِ كَتَبَ إِلَى خَلِيفَةِ زَمَانِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَنْ يَنَظُرُ عِلْمَاءَ
النَّصْرَانِيَّةِ عِنْدَهُ فَإِنْ قَطَعَهُمْ أَسْلَمُوا ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِالْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ بْنُ الطَّيِّبِ الْمَالِكِيَّ ،
وَكَانَ مِنْ أُمَّةِ عِلْمَاءِ زَمَانِهِ ، فَلَمَّا حَضَرَ الْمَجْلِسَ وَاجْتَمَعَ لَدَيْهِ جِهَاءُ النَّصْرَانِيَّةِ ،
قَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ مَتَقَدِّمَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَعْصُومُونَ فِي الْفِرَاشِ ، وَقَدْ
رُمِيَتْ عَائِشَةُ بِمَا رُمِيَتْ بِهِ : فَإِنْ كَانَ مَارُمِيَتْ بِهِ حَقًّا ، كَانَ نَاقِضًا لِأَصْلِحِكُمُ الَّذِي
أَصْلَحْتُمُوهُ فِي عَصْمَةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْفِرَاشِ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ حَقٍّ كَانَ مُؤَثِّرًا فِي إِمْبَانِ
مَنْ وَقَعَ مِنْهُ . فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ : امْرَأَتَانِ حَصِيصَتَانِ رُمِيَتَا بِالْفِرْيَةِ ، إِحْدَاهُمَا
لَهَا زَوْجٌ وَلِلْأُخْرَى لَهَا وَلَدٌ وَلَا زَوْجَ لَهَا - يُشِيرُ بِالْأُولَى إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهَا ، وَبِالْثَانِيَةِ إِلَى مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ، فَسَجَدُوا لَهُ عَلَى عَادَةِ تَحِيَّتِهِمْ فِي ذَلِكَ ، إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْوَقَائِعِ الَّتِي لَا تُحْصَى كَثَرَةٌ :

فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ مِمَّاكَ مِنْ عَقْلِهِ ، طَالَمَا بِمَا يَأْتِي وَيَا يَذَرُ ، كَفَى مَلِكَهُ مَكُونَةَ
غَيْبَتِهِ ، وَأَجَابَ عَنْ كُلِّ مَا يُسْأَلُ عَنْهُ ، وَإِذَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ أَنْعَكَسَتْ الْقَضِيَّةُ ،
وَرَبَّحَ عَلَى مُرْسَلِهِ بِالْوَبَالَى . ثُمَّ إِنَّ أَقْنَضِي رَأَى الْمَلِكَ زِيَادَةَ فِي الرِّسَالَةِ عَلَى الرَّسُولِ
الْوَاحِدِ فَعَلَّ : لِيَتَأَوَّنَا عَلَى مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ ، وَيَتَشَاوَرَا فِيمَا يَضِلَّانَ ، فَقَدْ ذَكَرَ السَّيِّئُ :
أَنَّ جَبْرًا مَوْلَى أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ كَانَ رَسُولًا مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوِّسِ .
وَإِنْ أَقْنَضِي الْحَالُ إِرْسَالُ أَكْثَرِ مَنْ أَتَيْنَ أَيْضًا فَعَلَّ ، فَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّ
أَبَا بَكْرَ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلَافَتِهِ بَسَّ إِلَى قَيْصَرَ ثَلَاثَةَ رُسُلَ ، وَهُمْ : هِشَامُ
ابْنُ الْبَاصِ ، وَتَمِيمُ بْنُ عَيْدِ اللَّهِ ، وَرَجُلٌ آخَرٌ .

(١) فِي مَرْحِ الْمَوَاقِبِ الدِّينِيَّةِ ج ٣ ص ٣٩٨ عَنْ السَّيِّدِ مَاتَمَةَ "مَوْلَى أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ وَهُوَ قَائِمٌ
فِي الْإِسْتِجَابِ وَالْإِمَابَةِ وَغَيْرِهِمَا أَنْ جَبْرًا كَانَ مِنَ الْقَبِيلَةِ وَأَنَّهُ رَسُولُ الْمُقَوِّسِ بِمَارِيَةِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" .

ومما يجب التنبيه عليه أنه يحرم على حامل الكتاب النظر فيه ، والإطلاع على مضمونه . قال محمد بن عمر المداينى : فى فُص الكتاب إثم وسوء أدب ، وساق بسنده إلى معاذ بن جَبَل رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أطلع فى كتاب أخيه بغير إذنه ، أطلعه طَلْعَةً فى النار » .

الجملة الخامسة

(فى فُص الكتاب وقراءته)

أما فُصُه فالمراد فَكُّ ختمه ونُصْحُه ، والفُصُّ فى أصل اللغة الكُمُر والتفريق ؛ ومن الأول ما ثبت فى الصحيح من قول القائلة لآلِ بْنِ عَمْرٍو فى قِصَّة الثلاثة الذين دَعَوْا اللَّهَ بِأَحَبِّ أَعْمَالِهِمْ : « إِنِّى اللَّهَ وَلَا تُفُصُّ الْخَاتَمُ إِلَّا بِحَقِّهِ » تريد إزالة يَكْرَاهِيهَا . ومن الثانى (ثُمَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا) . وقد جهلتم فى الكلام على ترتيب المملكة فى المقالة الثانية أن الرسول أو البريدى الواصل إلى باب السلطان يقدمه النوادار إلى السلطان ، ثم يتناول الكتاب منه ويمسحُ به ووجه من حضر على يده ، ثم يقدمه إلى السلطان فيُفُصُّ ختامه ، ثم يتناوله النوادار من السلطان ويقدمه إلى كاتب السر ، فيقرؤه على السلطان .

وألم أن لفص الكتاب حالتين :

الحالة الأولى - أن يكون غنوماً باللصاق بالشَّاء على طريقة المُشَارَقة وأهل الديار المصرية ، فيشق ظاهره على القُرب من محلِّ اللصاق بسكين ثم يفتح .

الحالة الثانية - أن يكون غزوماً مسجراً يلمسه من الورق على عادة المغاربة ومن جرى مجراهم ، فيرفع الختم الملتصق عليه من الشمع ، ويُفْلَعُ اللِّمَّة ويفتح الكتاب .



وأما قراءة الكتب فإنه يجب أن يكون من يقرأ الكتب على الملوك ومن
في معانهم ماهراً في القراءة، فصيح اللسان في التلقين، رقيق حاشية اللسان في حسن
الإيراد، قوي الملكة في استخراج الخطوط المختلفة، سريع الفهم في إدراك المعاني
الخفية، وأن تكون قراءته على رئيسه - من سلطان أو غيره - بحسب ما يؤثر ملكه
أو أميره سماحه من السرعة والبطء؛ وأن يكون ذلك بصوت غير خفي بحيث يسمع
سماحه، ولا مرفع بحيث يمد صاحبه خارجاً عن أدب المخاطبة للأكابر؛ وأن
يقرب لمن يقرأ عليه فهم المقاصد التي اعتاصت عليه إذا سأله عنها، أو غلب على
ظنه أنها لم تصل إلى فهمه، بحسن إيراد، وتلطيف عبارة يحسن موقعها في النفوس
ويجمل وقعها في الأذهان.

الجملة السادسة

(في كراهة طرح الكتاب بعد تخزينه : وهو فضله،

وحفظه بعد ذلك في الإضابة)

أما كراهة طرحه فقد قال محمد بن عمر المدائني في كتاب "القلم والدواة": "كرهوا
تخزين الرسائل ورميها في الطرقات والمزابل، خوفاً على اسم الله تعالى أن يداس، أو تلحقه
النجاسة والأذناس". قال: وفي رفع ما طرح من الكتاب أعظم الرغائب وأجل
الثواب؛ وساق بسنده إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه
قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من كتاب يلقى ببقعة من الأرض فيه

أسم من أسماء الله إلا بعث الله إليه سبعين ألف ملك يحضونه بأجمعهم ويُقدسونه ،
حتى يبعث الله إليه ولياً من أوليائه فيرقعه من الأرض . ومن رفع كتاباً من الأرض
فيه أسم من أسماء الله تعالى ، رفع الله أسمه في عليين وخفف عن والديه العذاب
وإن كانا مشركين . و يروى : « من رفع قرطاساً من الأرض فيه مكتوب
« بسم الله الرحمن الرحيم » إجلالاً له أن يداس ، أدخله الله الجنة وشفعه في عشرين
من أهل بيته كلهم قد وجب له النار . »



وأما حفظه في الإضبارة فهو أمر مطلوب ؛ والإضبارة عبارة عن ورقة تُلف على
جملة من الكتب قد جُمعت في داخلها ويُصنق طرفها بالنشا . والقاعدة فيها أن
تُلوى الكسرة من أسفلها ، وإن طال بعضها في طيه وقصر بعض جعل التفاوت
في الطول والقصر من أعلاها . قال في « صناعة الكتاب » : ومعناها الجمع ، لأنها
يُجمع بعضها إلى بعض . ومنه قيل : تَضَيَّر القوم إذا تَجَمَّعوا ، ودجل مضبراً انطلق
أى مجتمعه ، وثاقفة مضبرة ومضبورة ، وضبر الفرس إذا جمع قوائمه ووثب . ويقال
للإضبارة أيضاً إضامة بكسر الهمزة وتشديد الميم لضم بعضها إلى بعض ، والمعنى
فيها صيانة الكتب وحفظها عن الضياع . وقد جرت عادة كتّاب ديوان الإنشاء
بالديار المصرية أن يجعل لكل شهر إضبارة تجمع فيها الكتب الواردة على أبواب
السلطان من أهل المملكة وغيرهم ، ويكتب عليها « شهر كذا » . وقد سبق القول
في مقسمة الكتاب أن الديوان كان له في زمن الفاطميين كتاب يكتب الكتب

(١) كذا في الأصول والقواعد في أمهات اللغة بهذا المعنى في مادة ضم م م « إضامة » أى بكرة

الهمزة وتحذف الميمين بينهما ألف فتنه .

الواصلة ويُسَطَّ عليها جرائد ، كما يكتبُ الكتبُ الصادرة عن الأبواب السلطانية
ويُسَطَّ عليها جرائد ؛ وأن ذلك بطل في زماننا وصار الأمرُ قاصراً فيها على حفظ
الكتب في الإضبارات ، متى احتيج إلى الكشف عن كتاب منها ، أخذ بالمدس
أنه ورد في السنة الفلانية ، وتُكشَفُ إضباراتها واحدةً بعد واحدة حتى يقع العُشُورُ
عليه ، ولا خفاء فيما في ذلك من المشقة ، بخلاف ما إذا كان لها جرائد مهسولة ،
فإنه يسهلُ الكشف منها ، ويستدلُّ بتاريخه على إضبارته فتُخرَجُ ويقع الكشفُ
منها ، ولكن أهمل ذلك في جملة ما أهمل .

الباب الثاني

من المقالة الرابعة

(في مصطلحات المكاتبات الدائرة بين كُتَّاب أهل الشرق والغرب

والديار المصرية في كل زمن من مَنَوال الإسلام

وهُلَّ جراً إلى زماننا، وفيه ستة فصول)

الفصل الأول

(في الكُتُب الصادرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وفيه ثلاثة أطراف)

الطرف الأول

(في ذكر ترتيب كُتُبِهِ صلى الله عليه وسلم في الرسائل على سبيل الإجمال)

كان صلى الله عليه وسلم يَفْتَحُ أَكْثَرَ كُتُبِهِ بلفظ «من عهد رسول الله إلى فلان»
وربما أَتَتْحَهَا بلفظ «أما بعد» وربما أَتَتْحَهَا بلفظ «هذا كتاب» وربما أَتَتْحَهَا
بلفظ «سلم أنت» .

وكان يَصْرِّحُ في الغالب بِأَسْمِ المَكْتُوبِ إليه في أوَّلِ المَكاتبات، وربما أَكْتَفَى
بشهرته^(١) . فإن كان المَكْتُوبُ إليه مِلْكاً كَتَبَ بعد ذكره أَسْمَهُ «عَظِيمُ القَوْمِ الفُلَانِيين»
وربما كَتَبَ «مَلِكُ القَوْمِ الفُلَانِيين» وربما كَتَبَ «صَاحِبُ مَمْلَكَةِ كَذَا» .

وكان يعبّر عن نفسه صلى الله عليه وسلم في أَثْناء كُتُبِهِ بلفظ الإفراد . مثل : «أنا»
و«لي» و«جاءني» و«وفد علي» وما أَشْبَهَ ذلك ، وربما أَتَى بلفظ الجمع مثل
«بلغنا» و«جاءنا» ونحو ذلك .

(١) أي بما أشهره كالقاهر ونحوه .

وكان يخاطبُ المكتوبَ إليه عند الأفراد بكاف الخطاب . مثل : « لك »
و « عليك » و « يا مخاطب » . مثل : « أَنْتَ قُلْتَ كَذَا وفعلتَ كَذَا » . وعند الثنية
بلفظها مثل : « أَيْتَا » و « لَكَا » و « عَلَيْكَا » . وعند الجمع بلفظه . مثل : « أَنْتُمْ »
و « لَكُمْ » و « عَلَيْكُمْ » وما أشبه ذلك .

وكان يأتي في صدور كُتُبِهِ بِالسَّلام . فيقول في خطاب المسلم « سَلامٌ عليك »
وربما قال : « السَّلامُ عَلَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ » وفي خطاب الكافر : « سَلامٌ
عَلَى مَنْ أَتَى هُدًى » وربما أسقط السَّلامَ من صدر الكتاب .

وكان يأتي في صدور الكتب بالتحميد بعد السَّلام . فيقول : « فَوَيْلٌ لِمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ
وَالَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » وربما تركه ، وقد يأتي بعد التحميد بالشَّهْد وقد لا يأتي به .
وكان يختص من صدر الكتاب إلى المقصود تارةً بأما بعد وتارةً بغيرها .

وكان يَحْمِمْ كُتُبَهُ بِالسَّلام تارةً ، فيقول في خطاب المسلم : « وَالسَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ
اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ » وربما أقصر على السَّلام . ويقول في خطاب الكافر : « وَالسَّلامُ عَلَى
مَنْ أَتَى هُدًى » وربما أسقط السَّلامَ من آخر كُتُبِهِ .

أما حوزة كُتُبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلم أَفِفْ فيها عَلَى نَصٍّ صريحٍ ، والذي يظهر
أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يُعَيِّنُ كُتُبَهُ بلفظ : « مِنْ عِندِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى فُلَانٍ » .
على نحو ما في الصَّدر ، ويكون كتابته « مِنْ عِندِ رَسُولِ اللَّهِ » عن يمين الكتاب ،
و « إِلَى فُلَانٍ » عن يساره ، وعليه يدل ما ختمت من كلام صاحب « مَوَادِّ الْيَقَانِ »
في الأصل الثاني عشر من أصول المكاتبات حيث ذكر في الكلام عَلَى الْعُتْوَانِ أَنَّ
الْأَصْلَ أَنْ يُبْتَدَأَ بِاسْمِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ وَيُلْتَمَسَ بِاسْمِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ ، ثم قال : وعلى هذا
كانت كُتُبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

الطرف الثاني

(في كتبه صلى الله عليه وسلم إلى أهل الإسلام ،

وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ « من عهد رسول الله إلى فلان »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد ، في جواب كتابه إليه صلى

الله عليه وسلم بإسلام بن الحارث وهو على ما ذكره ابن إسحاق في سيرته :

« من عهد رسول الله إلى خالد بن الوليد :

سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد فإن كتابك
جاءني مع رسولك ، يخبرني أن نبي الحارث قد أسلموا قبيل أن تقاتلهم ، وأجابوا
إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ،
وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفئتهم ، والسلام
عليك ورحمة الله وبركاته » .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين من جهة

الفرس ، في جواب كتابه إليه صلى الله عليه وسلم . ونسخته على ما ذكره الشهابي

في « الروض الأنف » :

”من عهد رسول الله إلى المنذر بن سائب .

سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله . أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح فلما ينصح لنفسه، وإنه من يطع ربي ويطيع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن ربي قد أشوا عليك خيرا، وإني قد شفعتك في قومك فأتوك السليمين ما أسألوهم عليه، وصفوت عن أهل الذنوب فأقبل لهم، وإنك مهما تصلح فلن نزالك، ومن أقام على مجوسيته فعليه الجزية“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى قنوة بن عمرو الجندكي . وتسخته على ما ذكره ابن الجوزي في ”كتاب الوفاء“ .

”من عهد رسول الله إلى قنوة بن عمرو .

أما بعد، فقد قدم علينا رسولك، وبلغ ما أرسلت به، وخبر عما قبلكم خيرا، وأثابا بإسلامك وأن الله هناك بهداه“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى طهفة التهدي وقومه . وتسخته فيما حكاه ابن الأثير في ”المثل السائر“ :

”من عهد رسول الله إلى بني نهيد .

السلام على من آمن بالله ورسوله . لكم يا بني نهيد في الوظيفة الفريضة، ولكم الفارض^(١) والفريش، و ذو العنان الركب والقلوب الضبيس، لا يمنع سرحكم، ولا يعضد

(١) يرى باقاه وبالعين فاما باقاه فيكون المراد بها المريضة وأما بالنين فهي التي أسألتها أن تترك سراح

طَلَحَكُمْ ، وَلَا يُهْبَسُ دَرَكُكُمْ مَا لَمْ تُصَيِّرُوا الْإِمَاقَ ، وَتَا كُكُلُوا الرِّاقَ . مَنْ أَقْرَبَ
[بِمَا فِي هَذَا الْكَلْبِ] فَهُ [مِنْ رَسُولِ اللَّهِ] الْوَفَاءُ بِالْمَهْدِ وَالثَّمَّةُ ، وَمَنْ أَبَى
فَعَلَيْهِ الرَّوَّةُ .

وهذا الكلب مما يحتاج إلى شرح غريبه يُفهم . « فالوظيفة » التصاب في الزكاة وأصله
النشأ الراتب . « والفريضة » الحرمة المستنة ، والمراد أنها لا تؤخذ منهم في الزكاة
بل تكون لهم . « والفريش » بالقاء والشين المعجمة ما أنبسط من النبات وفرش
على وجه الأرض ولم يقم على ساق ، وقد يطلق على القرم إذا حبل عليها بعد التناج
أيضا . « وذو العنان الركب » الفرس الذلول ، « والقلق » المهر الصغير وقيل القطيع
من جميع أولاد الحافر . « والضبيس » بالضاد المعجمة والباء الموحدة والسين المهملة
العصر الضعيف الذي لم يرض . « والمرح » السارحة وهي الموائى ، والمعنى أنها لا تمنع
من المرعى . والعنيد القطع . والطلع شجر عظام من شجر المضاه . والذر اللبن ،
والمراد ذوات الدر من المواشى ، أراد أنها لا تنحصر إلى المصدق وتمنع المرعى إلى أن
تجتمع الماشية ثم تمعد لما في ذلك من الإضرار . و « الإماق » محقف ، من أفاق الرجل
إذا صار ذاماة وهي الحمية والأففة ، وقيل مأخوذ من الموق وهو الحق ، والمراد
إضمار النكت والفرد أو إضمار الكفر . و « الرباق » بالراء المهملة والباء الموحدة
والقاف جمع ربيعة ، وهي في الأصل أسم لروية تجعل في الحبل وتكون في عتق
البيمة أو يدها ثمسكها ، والمراد هنا تقص المهد واستمرار الإكل لذلك ، لأن البيمة
إذا أكلت الربة خلصت من الشدة . و « الروة » بكسر الراء الزيادة ، والمراد هنا الزيادة
في الفريضة الواجبة عليه كالعقوبة له .

(١) الزيادة من « المثل السائر » . ورواية « الشفا » كما في الأصل .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أكيدر دومة فيما ذكره أبو حبيدة، وهو :
 " من محمد رسول الله لا أكيدر دومة حين أجاب إلى الإسلام ، وخلق الأنداد
 والأصنام ، مع خالد بن الوليد سيف الله في دومة الجندل وأكافها : إن لنا الضاحية
 من الضحل والبور والمعامي وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن .
 ولكم الضامنة من الغل ، والمعين من المعمور ، لا تعدل ساحتكم ، ولا تعدل فاردتكم ،
 ولا يحظر عليكم النبات ، يقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك
 عهد الله والميثاق " .

وهذا الكتاب أيضا مما يحتاج إلى معرفة غريبه : فالأنداد جمع ند بكسر النون
 وهو ضد الشيء الذي يخالفه في أموره ، وينادى أى يخالفه ، والمراد ما كانوا يقضونه
 آلهة من دون الله تعالى . والأصنام جمع صنم : وهو ما اتخذ لها من دون الله ، وقيل :
 ما كان له جسم أو صورة ، فإن لم يكن له جسم ولا صورة فهو وثن . والأخفاف
 بالنون جمع كنف بالتحريك وهو الجانب والناحية . والضاحية بالضاد المعجمة والحاء
 المهملة الناحية البارزة التي لاحائل دونها ، والمراد هنا أطراف الأرض ، والضحل
 بفتح الضاد المعجمة وسكون الحاء المهملة القليل من الماء ، وقيل الماء القريب
 من المكان ، وبالتحريك مكان الضحل . والبور الأرض التي لم تزرع ، وهو بالفتح
 مصدر وصف به ، وبالضم جمع بوار : وهو الأرض الخراب التي لم تزرع . والمعامي
 المجهولة من الأرض التي ليس فيها أثر عسارية ، واحدا معي . وأغفال الأرض
 بالتين المعجمة والفاء الأرض التي ليس فيها أثر يعرف كأنها مفعول عنها . والحلقة
 بسكون اللام السلاح طاماً ، وقيل الشروع خاصاً ، والسلاح ما أمد للحرب من آلة

الحديد مما يُقاتل به ، والسيف وحده يسمى سلاحا . والضامنة من النخل بالضاد
المعجمة والنون ما كان داخلا في العمارة من النخيل وتضمنته أمصارهم وقراهم ،
وقيل سميت ضامنة لأن أربابها صمّنتوا عمارتها وحفظها ، فهي ذات صمّان كمبشة
راضية بمعنى ذات رضا . والممين من المعمور الماء الذي ينبع من العين في العاص
من الأرض . وقوله : لا تُسَدِّلْ سارحكم بالنال المعجمة ، أى لا تُصَرِّفْ ما شيتكم^(١)
وتسأل عن الرعي ولا تمنع . وقوله : ولا تُعَدِّ فارذكم أى لا تُضَمِّ إلى غيرها وتُحشِّر
إلى الصدقة حتى تمدَّ مع غيرها وتُحسب . والفارذة الزائكة على الفريضة . وقوله :
ولا يُحْظَرُ عليكم الثبات بالنساء المعجمة ، أى لا تُمنعون من الزرع والمرعى حيث
شئتم ، والْحُظَرُ المنع .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى وائل بن حجر وأهل حضر موت ، وهو :
”من عيّد رسول الله إلى الأقبال العبايلة من أهل حضر موت ، بإقامة الصلاة ،
وإيتاء الزكاة . على التبعة الشاة ، والتبعة لصاحبها ، وفي السيوب الخمس ، لا خلط
ولا وراط ولا شتاق ولا شغار ، ومن أجبني فقد أربني ، وكلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ“ .

وذكر القاضي حياض في ”الشفاء“ أن كتابه لهم : » إلى الأقبال العبايلة ،
والأرواح المشاييب . وفي التبعة شاة ، لأمقورة الأباط ، ولا ضنك ، وأنطوا التبعة ،
وفي السيوب الخمس ، ومن زنى مِمَّ بكرٍ فاصقعوه مائة واستوفضوه عامًا ، ومن زنى
مِمَّ ثليبٍ فضرّجوه بالأضاميم ، ولا توصيم في الدين ، ولا نعمة في فرائض الله تعالى ،
وكلُّ مُسْكِرٍ حرامٌ ، ووائل بن حجر يقرئ على الأقبال « .

(١) حوايه بالذال المهملة كما يفيد المعنى وقد أورده صاحب اللسان ج ١٣ - في مادة ع دل بالهال
المهملة فاقطعه .

وهذا الكتاب في معنى ما هتَم من الاحتياج إلى شرح غريبه ، الأفعال بالهاف
 وإليه المنتاة تحت جمع قيل : وهو الملك . والعبّالة الذين أُقِرُوا على مُلكهم لا يُزَالُونَ
 عنه ؛ وحُضِرَ موتَ بلدةٍ في اليمن في أقصاها ، وقيل هي أحدُ تخاليفها . والتّبعة
 بالمنتاة من فوق ثم المنتاة من تحت والعين المهملة اسمٌ لأدنى ما يجب فيه الزكاة من
 الحيوان : كالنَّحْس من الإبل والأربعين من النَّم . قال ابن الأثير : وكأنها الجملة
 التي للسعاة عليها سبيلٌ من ناعٍ يَبِيعُ إذا ذهب إليه . والتّيمة بالكسر الشاة الزائنة
 على الأربعين حتى تبلغ الفريضة الأخرى ، وقيل هي الشاة التي تكون لصاحبها
 في منزله يَحْلُبُها وليست بسائمة ، وهي بمعنى الداجن . والسُّيُوب الرِّكَاز أخذنا من
 السَّيْب وهو العطاء ، قاله أبو عبيدة ؛ وقيل هي عروق الذهب والفضة التي تَسْبُ
 في المعدن بمعنى تتلون وتظهر . وقال الزحشرى : هي جمع سَهْب ، يريدُ به المسال
 المسفون في الجاهلية أو المعدن لأنه من فضل الله تعالى لمن أصابه . والخِلَاط بالكسر
 مصدر خالط ، يقال : خالطه يخالطه خِلَاطًا وخِلَاطَةً ، والمراد أن يخالط الرجلُ إبله
 بإبل غيره أو بقره أو غنمه ليمنع حقَّ الله تعالى منها ، ويخصَّ المصدق فيما يجبُ له .
 والوراط بالكسر أيضا أن تجعل النَّم في وَهْدَةٍ من الأرض لتخفى على المصدق ،
 مأخوذٌ [من الورطة] وهي الهوة من الأرض . والشَّاق بكسر الشين المشاركة
 في الشَّق بفتح النون : وهو ما بين الفريضتين من كلِّ ما تجب فيه الزكاة ، وهو
 ما زاد من الإبل على الخمس إلى التسع ، وما زاد على العشر إلى أربع عشرة ، والمراد
 أن لا تؤخذ الزيادة على الفريضة . قال ابن الأثير : ويجوز أن يكون معناه المشاركة
 في الشَّق والشَّقِين ، وهو بمعنى الخِلَاط المتَّصم ذكره ، لكن حملهُ على الأول أولى ،
 لتعبد المعنى . والشَّغار بكسر الشين والفتن المعجمة نِكَاحٌ معروف في الجاهلية ،
 وهو أن يُزَوَّج الرجلُ أبنته أو أخخته على أن يُزَوِّجَه بنته أو أخته ، ويكون بُعْثُ كلِّ

منهما صدقاً للأخرى . والأرواحُ جمع راح : وهم الحسانُ الوجوه من الناس .
وقيل : الذين يروعون الناس أى يُفزعونهم بشدة الهيبة . قال ابن الأثير : والأول
أوجه . وقوله : ومن أجبى هو بالجيم والباء الموحدة : وهو بيع الزرع قبل بدو
صلاحه . وقيل هو أن يُغيبَ إله عن المصدق أخذاً من أجيائه إذا واريته .
وقيل هو أن يبيع من الرجل سلعةً بمن معلوم إلى أجل معلوم ثم يشتريها منه بالتد
بأقل من الثمن الذى باعها به ، ومعنى أربى وقع فى الربا . والشايبُ السادة الروسُ
الزهرُ الألوان الحسانُ المناظرُ واحداً مشبُوب . والمقوَّة الألياط المسترخية
الجلود لَهْزَالُهَا والاهوارُ الاسترخاءُ فى الجلود . والألياط جمع ليط : وهو قشر العود ،
شُبَّه به الجلدُ لاختراقه بالحم . والضناك بالكسر الكثيرُ اللحم ، ويقال الذكر والأُنثى
فيه سواء ، والمراد أنه لا تُؤخذ المفردة فى السمن كما لا تؤخذ الهزيلة . وقوله :
وأظنوا هو بطفة أهل اليمن بمعنى أعطوا ، خاطبهم صلى الله عليه وسلم بلغتهم . والثبجة
بشء مثلثة بعدها باء موحدة ثم جيم هى الوَسَط من المسال التى ليست من خياره
ولأرذالته ، أخذاً من نتيجة الناقية وهو ما بين الكاهل إلى الظهر . وقوله ثم يكر جري
فيه على لغة أهل اليمن حيث يُبدلون لام التعريف ميماً . قال ابن الأثير : وعلى هذا
فتكون راء بكر مكسورة من غير توين لأن أصله من البكر ، فلما أبدلت الألف واللام
ميماً بقيت الحركة بحالها ، ويكون قد استعمل البكر موضع الأبقار . قال : والأشبه
أن تكون بكر متونة ، وقد أبدلت نون من ميماً ، لأن النون الساكنة إذا كان بعدها باء
قلبت فى اللفظ ميماً نحو عتبر وميتر ، ويكون التقدير ومن زنى من بكر . وقوله
فاضفوه هو بالصاد المهملة والقاف أى أضربوه ، وأصل الصبغ الضرب على الرأس ،
وقيل الضربُ بيطن الكف . وقوله : وأستوفضوه هو بالقاصو الضاد المعجمة أى
أنفوه ، أخذاً من قولهم : استوفضت الإبل إذا هزقت [فى رعيها] وقوله : فضرَّجوه -

بالضاد المعجمة والجيم أى أَمَّوهُ بالضرب، ويطلق الضَّرَج على الشَّق أيضا .
والأضاميم بالضاد المعجمة المجارة واحدا إشمامة، والمراد أَرْجُوهُ بالمجارة . والتوصيم
بالضاد المهملة الفَتْرة والثَوَانى، أى لَا تَهْتَرُوا فى إقامة الحدود وَلَا تَوَانُوا فيها . وقوله :
وَلَا تُعْجَمُ فى فرائض الله - أصل النِّعْمَةُ السَّنَرُ، أى لَا تُسْتَرَفَّرَ فرائضُ الله وَلَا تُخْفَى،
بَلْ تُظْهَرُ وَيُجَهَّرُ بِهَا وتُعْلَنُ . وقوله : يَرْقُلُ - أى يُسَوَّدُ وَيَتَرَأَّسُ ، استعارة من
تَرْقِيلِ الثوب وهو إسبافُهُ وإرساله ؛ والأَقْيَالُ الملوكُ وقد هَتَمَ الكلامُ عليه .

الأسلوب الثانى

(أن تفتح المكتبة بلفظ « هذا كتاب » ويُذكر المقصد فيها بعد ،

وهو قليل الوقوع فى المكتبات)

ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم لَقِيلَةُ هَمْدَانٍ من اليمن ، فيما ذكره أبْنُ هشام
وهو : « هذا كتابٌ من عهد رسول الله لمُخْلَافِ خَارِيفٍ وأهل جَنَابِ المَضْبِ وحَقَافِ
الرَّيْلِ ، مع وإيادها ذى المِشْعَارِ ، لِمَالِكِ بْنِ تَمِيمٍ وَلَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، عَلَى أَنَّ لَهُمْ
فِرَاعَهَا وَيَوْعَاطَهَا [وعَزَازَهَا] مَا أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَتَوْا الزَّكَاةَ ، يَأْكُلُونَ عِلَاقَهَا ، وَيَرْعَوْنَ
حَافِيَهَا ، لَكُمْ بِذَلِكَ عَهْدُ اللَّهِ وَذِعَامُ رَسُولِهِ ، وشَاهِدُكُمْ الْمَاهِرُونَ وَالْأَنْصَارُ » .

وذكر القاضي عياض فى « الشفاء » أن فى كتابه إليهم : « إِنَّ لَكُمْ فِرَاعَهَا وَيَوْعَاطَهَا
وعَزَازَهَا ، تَأْكُلُونَ عِلَاقَهَا وَتَرْعَوْنَ حَفَاقَهَا ، لَنَا مِنْ دَقِيمِهِمْ وَصِرَامِهِمْ مَا سَلَّمُوا بِالْمِيثَاقِ

(١) كذا فى الإبهات القوية أيضا وفى شرح الزرقانى حل المواهب ج ٤ ص ٣٩ أنه ذوالمشعار
بالجمعين أو المهملين .

(٢) فى المواهب مالك بدون لام الجر وأعربه الشايج بدلا مما قبله .

(٣) ضبطه صاحب السان بالقصر وضبطه الزرقانى ودلا على قارى بالمد .

والأمانة، ولهم من الصنقة الثلب والتاب والقصيل والفارص والداجن والكيش الحورى، وطيهم فيها الصالغ والقارح^(١).

وهذا من نسبة ما تقدم مما يحتاج إلى شرح غريبه : فالفراع بالكسر جمع فرعة ، وهو ما ارتفع من الأرض . والوهاد جمع وهطة : وهى ما أطمأن من الأرض ، والعلاف بالكسر - جمع طلف بكمل وجبال ، والمراد ما تعتقه الدواب من نبات الأرض ، والعزاز - ماصلب من الأرض وأشتد وخشن ، ويكون ذلك فى أطرافها ، والقواء العاصى - وهو ما ليس لأحد فيه ملك ، من قولهم : عفا الأثر إذا دس ، والذلف - نسيج الإبل وما يتنعم به منها ، سمي ذلفاً لأنه يتخذ من أوبارها ما يستنفا به ، والمراد هنا الإبل والغنم . والصرام - الفضل ، وأصله قطع الثمرة ، والثلب من ذكور الإبل - الذى هريم وتكسرت أستانه . والتاب - المسنة من إناثها . والقصيل من أولاد الإبل - الذى فصيل عن أمه من الرضاع . والفارص - المسن من الإبل ، والمراد أنه لا يؤخذ منهم فى الزكاة . والداجن - الشاة التى يعلقها الناس فى منازلهم ، والكيش الحورى منسوب إلى الحور وهى جلود تتخذ من جلود الضأن . وقيل : هو ما دسغ من الجلود بغير القرط . والصالغ بالصاد المهملة والغين المعجمة : وهو من البقر والغنم الذى نكل وأتهى ، ويكون ذلك فى السنة السادسة ، ويقال : بالسبين بدل العباد . والقارح الفرس الذى دخل فى السنة الخامسة .

(١) فى الأصول بالفتح وهو سيق قلم .

الأسلوب الثالث

(أن تفتح المكتبة بلفظ « سَلِّمْ أَنْتَ »)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى . وهو فيها ذكره أبو عبيد في « كتاب الأموال » : « سَلِّمْ أَنْتَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .
أَتَابَعُدْ ، فَإِنَّ مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبَلَتَنَا وَكَلَّ ذَرْبَ جَنَّتِنَا ، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ
لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ الرَّسُولِ ؛ فَمَنْ أَحَبَّ ذَلِكَ مِنَ الْمُجُوسِ فَإِنَّهُ آمِنٌ ، وَمَنْ أَبَى فَإِنَّ
عَلَيْهِ الْحِزْيَةَ » .

الطرف الثالث

(في كُتُبِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ الْكُفْرِ لِلدَّعَايَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ ،
وهو على ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ « مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى فُلَانٍ »)

كما في الأسلوب الأول من كُتُبِهِ إِلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هِرَقْلَ : وهو قِصْرٌ ، وقيل
نائبه بالشام .

وهو على ما ثبت في الصحيحين . « مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ ،
سَلَامٌ عَلَى مَنْ أَتَى الْهَدْيُ » .

أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، أسلم يؤتيك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، ويأهل الكتاب تناولوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون .

وذكر أبو عبيد في "كتاب الأموال" : أن كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هيرقل كان فيه .

"من عهد رسول الله إلى صاحب الروم، إني أدعوك إلى الإسلام : فإن أسأمت فللك ما ألسين وعليك ما علمهم، وإن لم تدخل في الإسلام فاعط الجزية، فإن الله تعالى يقول : قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَبْتَغُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ وَالْأَفْلاَحُ لَئِنْ بَيْنَ الْفَلَاحِينَ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ أَنْ يَدْخُلُوا فِيهِ أَوْ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ" .

قال أبو عبيد : وأراد بالفلاحين أهل مملكته، لأن السجم عند العرب كلهم فلاحون لأنهم أهل زرع وحريث .

وفي مسند البزار أنه صلى الله عليه وسلم كتب إليه : « من عهد رسول الله إلى قيصر صاحب الروم » .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى كسرى أبرويز^(١) : ملك الفرس فيما ذكره ابن الجوزي، وهو :

(١) فتح الوار وكسرها وقاله أرمياز ومناه بالبرية المظفر - اه الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٢٨٩ .

”من عهد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس .

سلام على من أتبع الهدى وأمن بالله ورسوله ، وأدعوك بدعاية الله عز وجل
فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة ، لأُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ،
وأسلم تسلم فإن توليت فإن إثم المجوس عليك “ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى المُتَّقِينَ صاحب مصر . وهو فيما ذكره
أبن عبد الحكم .

(١)

”من عهد رسول الله إلى المُتَّقِينَ عظيم القبط ، سلام على من أتبع الهدى .

أما بعد ، فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك
مرتين ، فإن توليت فليك إثم القبط . يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا
وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا آدِبًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون “ .

وذكر الواقدي أن كتابه إليه كان بخط أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وأن فيه

”من عهد رسول الله إلى صاحب مصر .

أما بعد ، فإن الله أرسلني رسولاً وأنزل عليّ قرماتاً ، وأمرني بالإحذار والإنذار
ومقاتلة الكفار حتى يدينوا يديني ويدخل الناس في مليّ ، وقد دعوتك إلى الإقرار
بوحدينته ، فإن فعلت سحلت ، وإن آثت شقيت ، والسلام “ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي: مَلِكِ الْحَبَشَةِ . وهو في ذكره
أبن إسحاق :

”من عهد رسول الله إلى النجاشي مَلِكِ الْحَبَشَةِ ، إلى أحمد إليك الله الملك
القدوس السلام المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى ابن مريم النبوة الطيبة الحسنة ،
حملته من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده . وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ،
وأن تقبلي وتؤمن بالذي جاءني ، إني رسول الله ، وإني أدعوك وجنودك إلى الله
عز وجل ، وقد بلغت وتصرت ، فاقبلوا نصيحتي . وقد بعثت إليكم ابن عمي جعفرًا
ومعه نفر من المسلمين ، والسلام على من أتبع الهدى“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى هوثة بن عل: صاحب البصرة ، وكان
نصرانيًا . وهو في ذكره السبيل .

”من عهد رسول الله إلى هوثة بن عل .

سلام على من أتبع الهدى . وأعلم أن ديني سيظهر إلى منتهى الخلف والخافير ،
فأسلم تسلم ، وأجعل لك ما كنت يدرك“ .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى نصارى تَجْرَان . وهو في ذكره صاحب
”الهدى الحمدي“ .

(١) هو فتح الماء كما في الصحاح وقتل العمير ضيها والواو ساكنة على كل حال .

بسم الله الرحمن الرحيم ، اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .

أما بعد ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ ، وَأَدْعُوكُمْ إِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ الْعِبَادِ ، فَإِنِ ابْنُكُمْ فَالْخَزِيَّةُ ، فَإِنِ ابْنُكُمْ فَقَدْ آذَنْتُكُمْ بِحَرْبِ الْإِسْلَامِ .

وَمِنْ ذَلِكَ كِتَابُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَعْفَرٍ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْبَلْطَنْدِيِّ مَلِكِي عُثْمَانَ .
وهو : « مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى جَعْفَرٍ وَعَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْبَلْطَنْدِيِّ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْمَهْدِيَّ .

أما بعد ، فَإِنِّي أَدْعُوكُمْ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ ، أَسْلِمْنَا تَسْلِمًا ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأَنْتُمْ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيَى الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ، وَإِنَّا إِنَّا أَفْرَرْنَا بِالْإِسْلَامِ وَلَيْتُنَا ، وَإِنِ ابْنُكُمْ أَنْ تَهْرَبُوا بِالْإِسْلَامِ فَإِنَّ مُلْكَكُمْ زَائِلٌ عَنْكُمْ ، وَخَلِي تَحُلْ إِسَاحِكًا ، وَتَظْهَرُ بُيُوتِي فِي مَالِكِكُمْ . وَكُتِبَ أَبِي بْنُ كُتَيْبٍ . »

وفي رواية ذكرها أبو عبيد في « كتاب الأموال » أنه كتب إليهما .

« مِنْ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ لِعِبَادِ اللَّهِ أَسِيدِ بْنِ مُلُوكِ عُثْمَانَ ، وَأَسِيدِ عُثْمَانَ : مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْبَحْرَيْنِ ، لِيَنْهَى إِنْ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَطَاعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَعطَوْا حَقَّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَسَكَّوْا نُسُكَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنَّهُمْ آمَنُونَ ، وَإِنْ لَمْ يَأْمَنُوا عَلَيْهِ ، فَخَرَّ أَنْ مَالَ بَيْتِ النَّارِ ثِقَاةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَإِنْ خُشُّوا التَّوَكُّلَ صِدْقَةً ، وَنِصْفَ خُشُوعِ الْحَبِّ ، وَإِنَّ لِلْمُسْلِمِينَ نَصْرَهُمْ وَنُصْرَتَهُمْ ، وَإِنْ لَمْ يَجْلُ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ ذَلِكَ ، وَإِنْ لَمْ أَرْحَأْ يَطْعَنُونَ بِهَا » .

(١) . كذا في الأصول وفي « بفتح الألف » بحرب والسلام .

قال أبو عبيد : وبعضهم يرويه لعباد الله الأسيين. اسمها اعجميا نسبهم إليه .
قال : وإنما سُمُّوا بذلك لأنهم نُسِبُوا إلى عبادة فرس ، وهو بالفارسية أسب فُسِبُوا
إليه ، وهم قوم من الفرس وفي رواية من العرب .



ومن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى مُسَيِّمَةَ الْكَذَّابِ في جواب كتابه إليه
صلى الله عليه وسلم : أنه إن جعل لله الأمر بغيره آمن به .

وهو : « من عهد رسول الله إلى مُسَيِّمَةَ الْكَذَّابِ : السلام على من أتبع الهدى
أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

الأسلوب الثاني

(أن يُفْتَحَ الْكِتَابُ بلفظ « أما بعد » وهو أقل وقوعاً مما قبله)

فمن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم إلى أهل تبجوان ، ودينهم النصرانية .
وهو فيما ذكره ابن الجوزي .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لله إبراهيم وإسماعيل ويعقوب .

أما بعد : فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد ، وأدعوكم إلى ولاية الله
من ولاية العباد ، فإن أبيتُم فالحزبة ، فإن أبيتُم فقد أدتكم بحرب الإسلام .

(١) كذا في الأصول والمناصب لما تقدم له في اختتام الكتب ما في «فتح الأفكار» وهي «حرب
والسلام» .

الأسلوب الثالث

(أن يُفْتَحَ الْكِتَابُ بِلفظ « هذا كتاب »)

فإن ذلك كتابه صلى الله عليه وسلم مع رفاة بن زيد إلى قومه . وهو فيما ذكره ابن إسحاق .

« هذا كتاب من عهد رسول الله لرفاعة بن زيد ، إني بعثته إلى قومي عامة ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم قبي حزن الله وحزن رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين » .

قلت : وقد كتب صلى الله عليه وسلم إلى جماعة غير من تقدم ، لم أقف على صورة ما كتب إليهم ، بجيلة بن الأيهم الفسائي ، وذو الكلاع الحنظلي وغيرهم ، وستأتي كتبه صلى الله عليه وسلم في معنى الولايات والإقطاعات والمحدثن والأمانات في مواضعها إن شاء الله تعالى .

الفصل الثاني

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في الكُتُبِ الصادرة عن الخلفاء ، وهي على قسمين)

القسم الأول

(المكتاباتُ إلى أهل الإسلام ، وفيه تسعة أطراف)

الطرف الأول

(في الكُتُبِ الصادرة عن الخلفاء من الصحابة رضى الله عنهم ، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في المكتابات الصادرة عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه)

وكانت مُنْتَحَبَةً بلفظ : « مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى فُلَانٍ »
وباقى الكتاب من نِسْبَةِ كُتُبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التصدير بالسَّلام
والتَّحْمِيدِ ، وَالْمُخَاطَبَةِ بِأَمَّا بَعْدُ ، وَالْإِخْتِطَامُ بِالسَّلامِ وَمَا يَحْجِزُ هَذَا الْخَبْرُ ، مَعَ لُزُومِ
الْمُخَاطَبَةِ بِالْكَافِ وَتَاءِ الْمُخَاطَبِ لِلوَاحِدِ ، وَبِالْثَّلَاثَةِ لِلثَّلَاثِينَ ، وَالْجَمْعُ لِلْجَمَاعَةِ . وَعَوْنُهَا
« مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ » فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ ثُمَّ « إِلَى فُلَانٍ الْفُلَانِي »
فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ عَلَى مَا يَنْتَضِيهِ التَّرْتِيبُ الْمُتَقَدِّمُ .

وهذه نسخة كتابه رضى الله عنه إلى أهل الرِّقَّةِ حين أُرْتُكُوا عَنِ الْإِسْلَامِ بِمَدِّ

وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وهو على ما ذكره صاحب "نهاية الأرب"

"من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة ، أقام على الإسلام أودع عنه :

سلام على من أتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ؛ فإني أحمد
إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن هذا
عبدُه ورسولُه ، وأقر بما جاء به [وأكفر من أبي وأجاهله] .

أما بعد ، فإن الله أرسل هذا بالحق من عنده إلى خلقه نبياً ونذيراً ؛ وداعياً إلى
الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، يهدي الله
لحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه حتى
صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً ؛ ثم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد نفذ لأمر
الله ، ونصح لأئمة ، وقضى الدين عليه ؛ وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام
في الكتاب الذي أنزل ، فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِإِنشِر
مِنْ قَبْلِكَ الْإِنشِرَ إِذْ أَنْ مِتَّ فَهُمْ إِنشِرُونَ ﴾ وقال للؤمنين : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِنُشِر
مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلَ إِذْ أَنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَقْلَبْتُمْ عَلَىٰ أَهْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ
يُضِرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ فمن كان بعد هذا فإن قد مات ، ومن
كان بعد الله وحده لا شريك له فإن الله بالرصاد ، حتى يقوم لا يموت ولا تأخذه
سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه بمنزله ، وإني أوصيكم بتقوى الله
وحفظكم وصيبيكم من الله ، وما جاء به نبيكم ، وأن تهتدوا بهديه ، وأن تعتصموا بدين
الله ، فإن من لم يهد الله ضل ، وكل من لم يهده مبتلى ، وكل من لم ينصره محمول .

فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ كَانَ مُهْتَدِيًا ، وَمَنْ ضَلَّهُ كَانَ ضَالًّا : (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا يَجِدُهُ وَلَا مَرْشِدًا) ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يحرقه ، ولم يقبل له في الآخرة صَرْفٌ ولا صَدَلٌ .

وقد بلغني رجوع مَنْ رجع منكم عن دينه بعد أن أقرب بالإسلام وعمل به ، أقرارًا بالله وجهالةً بأمره ، وإجابةً للشيطان ، وقال الله جل شأوه : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) . وقال جل ذكوه : (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) وإني أنفقت إليكم فلاتًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان ، وأمرته أن لا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله ، فمن استجاب له وأقر وكف وعمل صالحًا ، قيل منه وأعانته عليه ؛ ومن أبى أمرته أن يقاتله على ذلك ، ولا يُبقي على أحد منهم قدر عليه ، وأن يحرقهم بالتيار ، ويقتلهم كل قتلة ، ويسبي النساء والذراري ، ولا يقبل من أحد إلا الإسلام ؛ فمن آمن فهو خير له ، ومن تركه فلن يسجز الله . وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم ، والداعية الأذن ، فإن أذن المسلمون فأذتوا ، كفوا عنهم ، وإن لم يؤذتوا [طاجلوم ، وإن أذنوا] سلوهم ما عليهم ، فإن أبوا طاجلوم ، وإن أقروا قبل منهم وحملهم على ما ينبغي لهم .

(١) في البرقية ج ٢ ص ٧٠ وتاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ "فمن أتته"

(٢) الزيادة من رواية الطبري ج ٣ ص ٢٢٦ .

الجملة الثانية

(في المكاتبات الصادرة عن بقية الخلفاء من الصحابة رضوان الله عليهم)

وهي على أسلوبين :

الأسلوب الأول

(أن يُفتح الكتاب بلفظ « من فلان إلى فلان »)

يقال إن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما صارت الخلافة إليه بعد أبي بكر، كان يكتب في كتبه : « من عمر بن الخطاب خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فلان » فلما تقبب أمير المؤمنين علي ما تقدم في المقالة الثالثة ، أثبت هذا اللقب في كتبه ، وزاد في ابتدائها لفظ « عبد الله » قبل اسمه ، ليكون اسمه متما^(١) له ، فكان يكتب : « من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى فلان » وبقى الكتاب على ما مر في كتب النبي صلى الله عليه وسلم والصدقي بعده في التصدير والتعير من نفسه بلفظ الأفراد ، مثل أنا ولي وعلي ، وعن المكتوب له بكاف الخطاب : مثل لك وعليك ، وتاء المخاطب : مثل قلت وقلت ، وتبعه الخلفاء على ذلك . وصورتها « من عبد الله فلان أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن ، ثم « إلى فلان الفلاني » في الجانب الأيسر كما همم ترتيبه .

فمن ذلك ما كتب به أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه إلى عمرو بن العاص وهو يونسذ أمير مصر ، وهو :

(١) له "تياه" .

« من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص : سلام عليك .
أما بعد ، فقد بلغتني أنه فشت لك فاشية من خيل وإبل وبقير وعبيد ، وعهدي
بك قبل ذلك ولا مال لك ، فاكْتُبْ إلى من أين أصل هذا المال . »



ومن ذلك ما كتب به معاوية بن أبي سفيان في خلافته إلى ابنه يزيد ، وقد
بلغه مفارقة اللذات ، وأنهما كره على الشهوات ، وهو :

« من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى يزيد بن معاوية .

أما بعد ، فقد أدت البيسة التصريح إلى أذن العناية بك ما بقى الأمل فيك ،
وباعد الرجاء منك إذ ملأت البيوت بهجة ، وألغيت هيبة ، وترامت إليك آمال
الراغبين ، وهم المتنافسين ، ونفت بك فيان قرين وكهول أهيك ، فابسوخ لم
ذمك إلا على الحرة الموهوبة ، والكف الجشء . انصحت البوائق ، واخذت للمعابر ،
وأعترضتها من سمو الفضل ، ورفع القدر ، فليتك يزيد إذ كنت لم تكن . سررت يافعا
ناشئا ، وأكلت كهلا ضالما ، فواحرزاه عليك يزيد . وياحرصد المثل بك !
ما أثمرت فيان بنى هاشم ! وأذل فيان بنى عبد شمس ! عند تماوض المفاحر ودراسة
المناقب ! فن لصلاح ما أفسدت ، ورقي ما فقت ؟ هيات تحشت الدربة وجه
التصبر بك ، وأبت الحناية إلا تحسدا على الألسن ، وحلاوة على المباحق ، ما أريج
فائدة نالوها ، وفروسة أتهزوها ! ؛ أنتبه يزيد لفظه ، وشاور الفكره ، ولا تكن إلى
سمك أسرع من معناها إلى عقلك . وأعلم أن الذي وطأك وسوسة الشيطان ،
وزخرفة السلطان ، مما حسن عندك قبحه ، وأحلل عندك مره ، أمر شركك فيه

السَّوَادَ وَنَافِثَكُمُ الْأَضْبَدَ ، لَا لِأَثَرَةٍ تَلْعَبُهَا أَوْ جَبَّتْهَا لَكَ الْإِمْرَةُ ، وَأَضَعْتَ بِهَا مِنْ قَدْرِكَ ، فَأَمَكَنْتَ بِهَا مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَكَأَنَّكَ شَأْنِي نَفْسِكَ ، لِمِنْ لِهَذَا كَلِمَةُ ؟ .

اعْلَمْ يَا زَيْدُ أَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ وَأَسِيرُ الْحَيَاةِ ، بَلَّغْنِي أَنَّكَ اتَّخَذْتَ الْمَصَانِعَ وَالْمَجَالِسَ لِلْمَلَامِي وَالْمَزَامِيرِ كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ اتَّبِعُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّبِعُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَلُونَ ﴾ وَأَجْهَرْتَ الْفَاحِشَةَ حَتَّى اتَّخَذَتْ مَرِيرَتَهَا عِنْدَكَ جَهْرًا .

اعْلَمْ يَا زَيْدُ أَنَّ أَوَّلَ مَا سَلَبَكَ الشُّكْرَ مَعْرِفَةُ مَوَاطِنِ الشُّكْرِ عَلَى نِعَمِهِ الْمُنْتَظَاهِرَةِ ، وَالْآيَةِ الْمُتَوَاتِرَةِ ، وَهِيَ الْجُرْحَةُ الْعُظْمَى ، وَالْفَجْعةُ الْكُبْرَى : تَرُكُ الصَّلَاةِ الْمَفْرُوضَاتِ فِي أَوْقَاتِهَا ، وَهُوَ مِنْ أَظْهَرِ مَا يَتَحَدَّثُ مِنْ آفَاتِهَا ، ثُمَّ اسْتَحْصَنُ الْعُيُوبَ ، وَرُكُوبَ الذُّنُوبِ ، وَإِظْهَارُ الْعَوْدَةِ ، وَإِلَاحَةُ السَّرِّ . فَلَا تَأْمَنُ نَفْسُكَ عَلَى مِرْكٍ ، وَلَا تَعْقِدُ عَلَى نَفْسِكَ . فَمَا خَيْرُ لَدِيَّةٍ تَغِيبُ النَّدَمَ ، وَتُغْنِي الْكَرَمَ ؟ وَقَدْ تَوَقَّفَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنَ شَطْرَيْنِ مِنْ أَمْرِكَ ، لَمَّا يَتَوَقَّعُ مِنْ غَلْبَةِ الْآفَةِ وَأَسْهَلِكِ الشُّبُهَةِ . فَكُنِ الْحَاكِمَ عَلَى نَفْسِكَ ، وَاجْعَلِ الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ ذِهْنَكَ تَرْتُدُّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَلِيَبْلُغْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَرُدُّ شَارِدًا مِنْ نَوْمِهِ ، فَقَدْ أَصْبَحَ نُسَبَّ الْأَعْتَرَالِ مِنْ كُلِّ مُؤَانِسٍ ، وَدُرَّةُ الْأَلْسَنِ الشَّامَةِ ، وَفَقَّكَ اللَّهُ فَاحْسَنَ .

الأمسلوب الثاني

(أَنْ يُفَسِّحَ الْكَاتِبُ بَقِطَ «أَنَا بَعْدَ»)

وهو على ما تقدم خلا الابتداء والتصدير بالسلام والصعيد ، ويكون الاقتراح فيه بالمقصد ، كما كتب أمير المؤمنين عثمان بن عفان إلى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حين خرج علي إلى اليمن وأختلف الناس على عثمان .

. أما بعد، فقد بلغ السيل الزبى^(١) [وجاوز] الحزام الطين، وطمع في كل من كان يضعف [عن الدفع] عن نفسه، ولم يغلبك مثل مغلب، فاقبل إلى صديقاً كنت أو ملوكاً :

فإن كنت ما كولا، فكُن خير آكل * ولا فاذر فنى ولما أمزق

الطرف الثاني

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية)

وهي جل ما تهتم من الكتب عن الخلفاء من الصحابة في التصدير والتعير، إلا أنه يسر عن الخليفة أمير المؤمنين، وربما صبر عنه بلفظ الإفراد . مثل : فعلت وأفضل وما أشبه ذلك، أما الخطاب للكتاب له فكاف الخطاب وتاء الخطاب، مثل : إنك أنت قلت كذا، وفعلت كذا، وما أشبه ذلك . وصوائها : « من عبد الله فلان أمير المؤمنين » في الجانب الأيمن، ثم « إلى فلان الفلاني » في الجانب الأيسر . ثم هي على أسلوبين :

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ « من عبد الله فلان أمير المؤمنين إلى فلان »)

كما كتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف - وقد بلغه تعرضه لأنس ابن مالك رضى الله عنه - « من عبد الله عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف

أما بعد، فَإِنَّكَ عَبْدٌ صُلِّتَ بِكَ الْأُمُورُ فُطِنْتَ، وَطَوْتُ فِيهَا حَتَّى جُرْتَ حَدَّ قُدْرِكَ، وَعَدَوْتُ طَوْرَكَ. وَأَيُّمُ اللَّهِ لَا تُعْزِزُكَ كَبْضُ عَمَزَاتِ اللَّيْثِ الثَّمَالِبِ! وَلَا رُكُضَتُكَ رُكُضَةً تَدْخُلُ مِنْهَا فِي وَجَعَاءِ أَمْلِكَ، أَذْكَرُ مَكَاسِبِ آبَائِكَ فِي الطَّائِفِ، إِذْ كَانُوا يَقُولُونَ الْجَمَارَةَ عَلَى أَصْنَاقِهِمْ، وَيَحْفَرُونَ الْآبَارَ وَالْمَتَاهِرَ بِأَيْلِهِمْ! قَدْ نَسِيتَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَأَبَاؤُكَ مِنَ الدَّعَاةِ وَاللُّؤْمِ وَالضَّرَاعَةِ. وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِغْلَالَهُ مِنْكَ عَلَى أَيْسِ بْنِ مَالِكٍ جُرَّةً مِنْكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَغِرَّةً بِمَعْرِفَةِ غَيْرِهِ وَتَقَاتِهِ وَسَعَاوَاتِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَ سَبِيلَهُ، وَحَمْدًا لِيْ غَيْرِ حَمْدِهِ، وَزَلَّ عِنْدَ مُخْطِئِهِ، وَأَطْنَكُ أَرَدْتَ أَنْ تَرُوزَهُ بِهَا فَعَمِلَ مَا عَمِلَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّنْكِيرِ فِيهَا، فَإِنْ سُوِّغَتْهَا مَضْبُوتٌ قُدُّمًا، وَإِنْ غَصِبَتْ بِهَا وَلَيْتَ دُبْرًا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْأَخْفَشُ الْعَيْتِينَ، الْأَمْنَكُ الرَّجُلَيْنِ، الْمَسْجُوحُ الْجَالِعَيْنِ، وَلَنْ يَخْفَى عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ نَبْؤُكَ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ.

الأسلوب الثاني

(أَنْ يَفْتَحَ الْكَاتِبُ بِفَقْطِ «أَمَّا بَعْدُ» وَيَقَعَ الشَّرُوعُ مِنْهُ فِي الْمَقْصِدِ)

كَمَا كَتَبَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ - عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ، وَالتَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ - وَقَدْ بَلَغَهُ خِلَافُهُمْ عَلَيْهِ.

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُبَيِّرُوا مَا بَأْتِيهِمْ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَمْ يَنْزِلْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَائِلٍ. إِنِّي وَاقِعٌ قَدْ لَيْسْتُكُمْ فَخَلَقْتُكُمْ! وَرَفَعْتُكُمْ عَلَى رَأْسِي، ثُمَّ عَلَى عَيْنِي، ثُمَّ عَلَى قَمِي، ثُمَّ عَلَى بَطْنِي؛ وَأَيُّمُ اللَّهِ لَئِنْ وَضَعْتُكُمْ

(١) فِي مِفْتَاحِ الْإِنْكَارِ ص ١٨١ "طُنْتُ" وَهِيَ أَقْرَبُ إِلَى الْمَعْنَى رَفَعَهُ فِي آخِرِ الْكِتَابِ زِيَادَةُ فَرَاخِهِ.

(٢) فِي "مِفْتَاحِ الْأَفْكَارِ" فَلْيَكْ لَمَةُ اللَّهِ مِنْ جِدِّ أَخْفَشِ الْخ.

نَحْتِ قَدَيْ لَاطَانِكُمْ وَطَاةُ أَقْلٍ بِهَا عَدَدُكُمْ ، وَأَتْرُكُكُمْ بِهَا أَحَادِيثُ تُنْسَخُ مِنْهَا
أَخْبَارُكُمْ كَأَخْبَارِ عَادٍ وَمُؤَدٍّ .

وكما كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة ، وهو عامله على بعض التواحي .
«أما بعد ، فإذا أمكنتك القدرة على المخلوق ، فأذكر قدرة الخالق عليك ! وأعلم أن
مالك عند الله مثل ما للرجية عندك» .

وكما كتب يزيد بن الوليد المعروف بالناقص إلى مروان بن محمد - وقد بلغه عنه
تلك في بيعته - .

«أما بعد ، فإنني أراك قد تقدم رجلاً وتوتر أئمتي ، فإذا أتاك كتابي فاحتمد على أيهما
شئت والسلام» .

قلت : ولم يزل الأمر في المكتبات في الدولة الأموية جارياً على سنن السلف ،
إلى أن ولي الوليد بن عبد الملك ، بفؤد القراطيس ، وجلال الخطوط ، ونظم المكتبات ؛
وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك ، إلا عمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن الوليد
المقدم ذكره ، فإنهما جريا في ذلك على طريقة السلف ؛ ثم جرى الأمر بعدهما على
ما سته الوليد بن عبد الملك ، إلى أن صار الأمر إلى مروان بن محمد آخر خلفائهم ،
وكتب له عبد الحميد بن يحيى - وكان من اللسن والبلاغة على ما أشتهر ذكره - فأطال
الكتب وأطنب فيها ، حيث اقتضى الحال تطويلها والإطناب فيها ، حتى يقال :
إنه كتب كتاباً عن الخليفة جاء وقرب جميل ، وأستمر ذلك فيما بعده .

الطرف الثالث

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني العباس ينفذ
 ولاة المهدي بالخلافة، وفيه ثلاث جمل)

المسألة الأولى

(في بيان ترتيب كتبهم في الرسائل على سبيل الإجمال)

كانوا يفتحون أكثر كتبهم بلفظ « من فلان إلى فلان » ونارة بـ « أما بعد »
 وربما أقصوها بغير ذلك ؛ فاما افتتاحها بلفظ من فلان إلى فلان فكان يكتب
 عنهم في أول دولتهم كما كان يكتب عن خلفاء بني أمية ، وهو « من عبد الله فلان
 أمير المؤمنين ، سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين محمد إليك الله الذي لا إله إلا هو »
 ثم يخلص إلى المقصود بلفظ أما بعد . إلا أنهم زادوا بعد اسم الخليفة لفظ
 « الإمام الفلاني » بلفظ الخلافة ، فكان يقال : « من عبد الله الإمام الفلاني
 أمير المؤمنين » فلما صارت الخلافة إلى الرشيد زاد بعد التخصيد « ويسأله أن يعص
 على حذبه ورسوله صلى الله عليه وسلم » فلما وليّ أبنته الإمين آكتفى في كتبه
 وتبعه من بعده من الخلفاء على ذلك .

وقد اختلف في تقديم الأسم والكنية واللقب ، والذي رتبّه أبو جعفر النحاس
 في « صناعة الكتاب » تقديم الأسم على الكنية وتقديم الكنية على اللقب . مثل
 أن يقال : « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » ثم قال :
 وهذه المكتبة هي التي أصطلح عليها في الأمور السلطانية التي تنشأ بها الكتب من
 الدواوين ، إلا أن بعض العلماء قد خالفهم في هذا ، وقال : الأولى أن يبدأ

باللقب، مثل أن يقال «من الراضى» أو «المتوكل» وما أشبه ذلك، كما قال الله جل وعز: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ وذلك لأن اللقب لا يشترك فيه غيره، فكان أولى أن يُدعى به .

وترتيب المكتبة على ما ذكره في «صناعة الكتاب» أن يكتب : «من عبد الله فلان أبى فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين، سلام عليك؛ فإن أمير المؤمنين يمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلّى على عهده ورسوله» . ثم يفصل ببياض يسير، ويكتب «أما بعد فإن كذا وكذا»؛ ثم يأتي على المعنى، فإذا فرغ من ذلك وأراد أن يأمر بأمر، فصل ببياض يسير، ثم يكتب : «وقد أمر أمير المؤمنين بكذا ورأى أن يكتب إليك بكذا» ، فيؤمر بامتثال ما أمر به والعمل بحسبه؛ ثم يفصل ببياض ويكتب : فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين، وأعمل به، إن شاء الله تعالى . «وكتب فلان بن فلان» باسم الوزير وأسم أبيه ، يوم كذا ، من شهر كذا ، من سنة كذا . وقد يكتب في أواخر المكتبة بعد استيفاء المقصد : « هذه متاجاة أمير المؤمنين لك » أو « هذه مغاوضة أمير المؤمنين لك » .

ويقال : في السلام على أعلى الطبقات من المكتوب إليهم « والسلام عليك ورحمة الله » وربما قيل : « ورحمة الله وبركاته » .



وأما افتتاحها بلفظ أما بعد، فنال ما يقع في الكتب المطلقة : كالنشرى بالفتوح وضريها . ثم تارة يعقب البعديّة بالحمد لله، إما مرة أو أكثر، وغالب ما يكون ثلاث، وتارة يعقب بنفي الحمد .



وأما الافتتاح بغير هذين الافتتاحين، فمارة يكون بالدعاء، ومارة يكون بغيره، ويكون التعبير عن الخليفة في كتبه الصادرة عنه « بأمر المؤمنين » على ما تقدم في خلافة بني أمية .

ثم إن كان المکتوب إليه معينا، فالذي كان عليه الحال في أول دولتهم أن يكتب إليه باسمه، ثم لما تغلب بنو بويه على الخلفاء وقبضوا عليهم، وطت كلتهم في الدولة وتغلبوا بفلان الدولة وفلان الملة، فكان يكتب إليهم بذلك في الكتب إليهم، ثم لما كانت الدولة السلجوقية في أواخر الدولة العباسية ببغداد، استعملوا كثرة الأقاب للكتوب إليه عن الخليفة في صدر المكتبة . قال في «مواد البيان» : ولا يخاطب أحد من الخليفة إلا بالكاف . وقد يخاطب الإمام وزيره في المكتبة الخاصة بما يرقعه فيه عن خطاب المكتبة العامة الديوانية، ويتصرف في ذلك ويؤاد ويتقص على حسب لطافة محل الوزير ومقرته من الفضل والجلالة .

قال في « ذخيرة الكتاب » : ويكون الدعاء من الخليفة لمن يكتبه على قدر موضعه من خدمته وعمله عنده، وقد تقدم أن أعلى الدعاء كان عندهم بإطالة البقاء، ولذلك كان يدعى للملك بنو بويه فن يعلم بلفظ : « أطال الله بقاءك » وقد تقدم في المقالة الثالثة في الكلام على مقادير قطع الورق وما يناسب كل قطع من الأعلام أنه إن كانت المكتبة عن الخليفة ترك الكاتب من رأس الدرع قدر ذراع بياضا، ثم يكتب « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم يكتب في سطر ثان بلاصقها ويخرج يسيرا، من عبد الله إلى آخر التصدير الذي يليه أما بعد، وأن التصدير يكون في سطرين

بينهما فضاءٌ قد رُشِرَ، لا يزيد عن ذلك ولا ينقص؛ ثم يترك بعد هذين السطرين فضاءً بنصف ما بين الأولين فيما ذكره في "موادّ البيان" : وبقدرة فيما ذكره في "ذخيرة الكتاب" ثم يقول : أما بعد، ويأتى على المكتبة إلى آخرها على هذا النحو .

أما عتونه كتبهم ، فكانت في أول دولتهم : « من عبد الله فلان الإمام الفلاني » أمير المؤمنين « في الجانب الأيمن ، وفي الجانب الأيسر « إلى فلان بن فلان » . ثم زاد المأمون في أول عتواناته « بسم الله الرحمن الرحيم » . ولما تكثرت الأئمة في كتبه بعد ذلك زيدت الكُتُبة في العنوان ، فكان يكتب في الجانب الأيمن « بسم الله الرحمن الرحيم : من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني » وفي الجانب الأيسر ، « إلى فلان ابن فلان » . وقد تهتم في الكلام على ترتيب المكتبات أن السلسلة بقيت في العتونة إلى زمن النحاس في خلافة الراضى ، وأن صاحب "موادّ البيان" ذكر أنها بطلت منه بعد ذلك .

قال النحاس : فإن كان المكتوب إليه من موالى بنى هاشم ، نُسِب إلى ذلك ، وإن لم يكن يلسب إليهم تُرِكَ .

الجملة الثانية

(في الكُتُب العامة ، وهى على أسلوبيين)

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ « من فلان إلى فلان »)

بأن يكتب « من عبد الله فلان أبي فلان الإمام الفلاني أمير المؤمنين » إلى آخر المكتبة على ما تهتم ترتيبه .

وهذه نسخة كتاب من ذلك كتب به أبو إسحاق الصابي عن الطامع لله إلى
شمس الدولة بن عضد الدولة بن بويه بسبب كردويه، الخارج عن الطاعة، وليس
فيه تكتية تخليفة وهو .

من عبد الله « عبد الكريم الإمام الطامع لله أمير المؤمنين » إلى شمس الدولة
وشمس الملة أبي كاليجار بن عضد الدولة وتاج الملة مولى أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمدُ إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن
يصلّى على عهد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم .

أما بعد - أطال الله بقاءك - فإن أمير المؤمنين وإن كان قد بَوَّأَكَ المتزلة العليا ،
وأنا لك من أثره الغاية القصوى ؛ وجعل لك ما كان لأبيك عضد الدولة وتاج الملة
رحمة الله عليه من القدر والفضل ، والموضع الأرفع الأجل ؛ فإنه يُوجب لك عند
بذلك أثرًا يكون لك فى الخلد ، ومقام جمد تقوم فى حماية البيضة ؛ إنصافًا يظاهاه ،
ولا كراما يتابعه ويؤاثره . والله يؤيدك من توفيقه وتدبيره ، ويمدك بموئنته
وتأييده ؛ ويخبر لأمر المؤمنين فيما رآه مستمر عليه من مزيدك وتمكينك ، والإبقاء
بك وتعظيمك ؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يُليَّب .

وقد عرفت - أدام الله عزك - ما كان من أمر كردويه كافر نعمة أمير المؤمنين
ونعمتك ، وباحد صميمته وصليته ، فى الوثبة التى وثبها ، والكبرة التى ارتكبها ؛
وتقريره أن يتهنز القرصة التى لم يُمَكِّنْهُ الله منها ، بل كان من وراء [ذلك] دفعه ورده
عنها ؛ ومعاجلتك إياه الحرب التى أصلاه الله نارا ، وقنعه طارها وشتارها ؛ حتى أنهزم
والأوغاد الذين شَرَّكَوه فى إغارة الفتنة على أقمع أحوال الذلة والفساد ، بعد القتل
الذريع ، والإثم الجريح ؛ فالحمد لله على هذه النعمة التى جَلَّ موقعها ، وبأن جَلَّ

الخاصة والعامة أثرها، ولزم أمير المؤمنين خصوصاً والمسلمين عموماً نشرها، والحديث بها، وهو المسؤول إقامتها وإدامتها برحمته .

وقد رأى أمير المؤمنين أن يحازيك عن هذا الفتح العظيم ، والمقام المحيد الكريم ؛
يخلع تامة ، ودابتين ومركبين ذهباً من مراكبه ، وسيف وطوق وسوار مرصع ؛
فتلق ذلك بالشكر عليه ، والاعتداد بنعمته فيه ، وألّس خلع أمير المؤمنين وتكرّمته ،
وسر من بابه على حملاته ، وأظهر ماحباك به لأهل حضرته ، ليعز الله بذلك وليه
ووليك ، ويذلّ عدوّه وعدوّك ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .
(وكتب أحمد بن محمد ثمان إن بقيت من شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلثمائة)
أطال الله بقاءك ، وأدام عزك ، وأحسن حفظك وحياطك ، وأمتع أمير المؤمنين
بك ، وبالنعمه فيك وعينك .



وهذه نسخة كتاب آخر من ذلك أيضاً، كتّيب به عن المفتي لأمر الله إلى السلطان
مسعود بن محمد بن ملكشاه السلجوقي في تمزيق يوليد مات له ؛ وفيه تمكينة الخليفة
وتقديم الكنية على الاسم وكثرة الألقاب للكتوب إليه وهو .

« من عبد الله أبي عبد الله محمد المفتي لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى شاهنشاه
المعظم مولى الأئم ، مالك رقاب العرب والعجم ؛ جلال دين الله ، ظهير عباد الله ؛
حافظ بلاد الله ، مبين خليفة الله ؛ غياث الدنيا والدين ، ناصر الإسلام والمسلمين ؛
محي الدولة القاهرة ، مغيّر الملة الزاهرة ، عماد الملة الباهرة ، أبي الفتح « مسعود
أبن عبد ملكشاه » قسم أمير المؤمنين .

سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله ويسلم تسليماً .

أما بعد ، أطال الله بقاءك ! وأدام عزك وتأييدك وسعادتك ونعمتك ، وأحسن حفظك وكلاءك ورعايتك ، وأمتع أمير المؤمنين بك ، وبالنعمه الجليله والموهبه الجزيله والمنعمه النفسه فيك وعندك ، ولا أخلاه منك ! ، فإن أولى من أدرج للحوادث جُبة الإصطبار ، ونظر أحوال الدنيا فى تحملها بعين الاعتبار ، ورجع الى الله تعالى فى قدره وقضائه ، وسلم لأمره الذى لا راد له فى أمتهائه وأبتلائه . وعرف أن له سبحانه فى كل ما يُجريه على عباده حكمة باطنه ، ومصلحة كامنه ، من خير طاجل ينشره ، وثواب آجل يؤخره لهم الى يوم الجزاء ويُدبره ، وفائدة هو أدرى بها وأعلم ، وفعله فيها أتمن وأحكم ، من خصه بما خصك الله به من الدين الراجح ، والخلق الصالح ، والمتقصد الواضح ، والنعم التى جادك فى كل يوم مقام مصائبها ، وآسست بين يديك عند مضايق الأمور رجاها ، وأمنت إذا استوحشت من العاجزين عن ارتباطها بالشكر مصائبها ، والمنقب التى فرحت بها صهوات المجد ، وتملكت ريق الثناء والحمد ، وعلوت فيها عن المساجل والمطاول ، وبعد ما حضر لك منها أن تناله يد القاسم المحال . وتأذى إلى حضرة أمير المؤمنين - أتمعه الله ببقائك - ودافع له عن حوائلك^(١) نبأ الحادثة بسيلك الذى اختار الله له كريم جواره ، فأحب له الانتقال إلى محل الفوز ومداره ، فوجد لذلك وجوماً موثقاً ، وهماً للسكون متقراً ، وتوثقاً تقتضيه المشاركة لك فيما سويته (٩) والمساهمة الحاصلة فى كل ماحل من الأمور وأمر ، وأمر عند ورود هذا الخبر بالتصدي للرزاء ، وإعلان ما يُعلن من مقامتك فى الضراء - دفعها الله عنك - والضراء ، وتذببهما من الخلق المطيعين بشرى سنده ،

(١) الحوائج النفس أنظر القاموس .

المختصين بعزیزِ خدمته ؛ بتعزیتِ صورتِه لباس التعزیه ، ویستدنی بتقمصه تازب التسلیه ؛ إبانته عن أنصراف الهمم الإمامیه إلیک فیما خصّ وعمّ من حالک ، وأستجلایه لک دواعی المسارّ فی حاکّ وترحالک ؛ وکون الأفكار الشریفه موکلة بكلّ ماحی من الروائع قلبک ، وأدبب شربک ؛ وأنت حقیق بمعرفة هذه الحال من طویته لک ونیته ، ورأیه فیک وشفقته ، ووطایة مصلحتک منه بعین کالیه ، ورُجوعه من المحافظة فی حَقّک إلی ألفه بالصفاء حالیه ؛ وتلقی الرزیه الّتی أرادها الله وقضاها ، وأخذ مشیئته فیها وأمضاها ؛ بالصبر المأمور به والأحتساب ، والتسليم الموعود علیه یجزیل الثواب ؛ صاماً أن الاحتمار لا تمّالّب ، وغیرهما لا یطالّب ؛ وإن الله تعالى إذ قال لنبيه صلی الله علیه وسلم - وهو سید البشر - (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَأَنْتُمْ مَيِّتُونَ) فلا سبیل لأحد من خَلقه إلی البقاء ، ولا وَجّه لخلود فی دار الفناء ؛ ولا دافع لحکمه جلّت عظمتُه فیما قدره من الآجال ، وسبق فی صامه من الروائع فی دار الأیسلاء والأحوال ؛ وما یزأل التعلُّع وأما إلی وصول جوابک الدالّ علی السّلوۃ الّتی هی الایقُ بک ، والأدعی إلی حصول بُشریک من قضاء الله وأدبک ؛ لتُحطّ الآسۃ مع وصوله فی رحالها ، وتُؤدّن لِصرف القُوم الحارِیه لِأجلک بارحالها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين لك ، أدام الله تأييدك ! وأمتع بك ! إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك ورحمة الله .

الأسلوب الثاني

(أن يكون الافتتاح بلفظ «أما بعد» وهو على نوعين)

النوع الأول

(أن يعقب البعديّة «الحمد لله» ؛ وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يتعدّد الحمد في أوّل الكتاب)

ويكون ذلك في الكتب المؤدّنة بمحصل نعميّة ظاهرة : كالفتوح ونحوها . ويقع التعدّد فيها بحسب ما تختص به النعمة ؛ وغالب ما يكون ثلاث مرات ، وربما وقع التعديّد في أوّل الكتاب وآخره .

وهذه نسخة كتاب من هذا النوع كُتِبَ بها عن المعتصم إلى ملوك الآفاق من المسلمين عند قبض الأتقيين على بابك ملك الروم ، وهي :

أما بعد ، فالحمد لله الذي جعل العاقبة لديّنه ، والعصمة لأوليائه ، والعزّ لمن نصره ، والفلاح لمن أطاعه ، والخلق لمن عرّف حقّه ؛ وجعل دائرة السوء على من عصاه وصنّف عنه ، ودرّب عن ربوبيته ، وأبتغى إلها غيره . لا إله إلا هو وحده لا شريك له . يحمّله أمير المؤمنين حمداً من لا يعبّد غيره ، ولا يتوكّل إلا عليه ، ولا يقوِّض أمره إلا إليه ؛ ولا يرجو الخير إلا من عنده ، والمزيد إلا من سعة فضله ؛ ولا يستعين في أحواله كلّها إلا به . ويسأله أن يصلّ على محمد جده ورسوله ، وصفوته من عباده ، الذي ارتضاه لنبوته ، وأبتعته بوحيه وأختصّه بكرامته ؛ فأرسله بالحق شاهداً ومبشّراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بألنّه وسراجاً منيراً . والحمد لله الذي توجه

لأمير المؤمنين بصنعه ، فيسر له أمره ، وصلى له ظنه ، وأنجح له طليته ، وأفذل له
حيلته ، وأبلغ له محبته ، وأدرك المساكين بثأرهم على يده ، وقتل عدوهم ، وأسكن
رؤسهم ، وريح فاقمهم ، وأس وحشتم ، فأصبحوا آمنين مطمئنين مقيمين
في ديارهم ، متمكنين في أوطانهم ؛ بعد القتل والخوف والتشريد وطول العناء ، وتنازع
البلاء ، متكنن الله عز وجل على أمير المؤمنين بما خصه به ، وصنعا له فيها وقفه لطلبه ،
وكرامة زادها فيها أجرى على يده ؛ فالحمد لله كثيرا كما هو أهله ، وزغب إلى الله
في تمام نعيمه ودوام صنعه ، وسمة ماعنده بمنه ولطفه ؛ ولا يعلم أمير المؤمنين - مع
كثرة أعداء المساكين وتكثفهم لأياه من أقطاره ، والضغائن التي في قلوبهم على أهله ،
وما يتصدونه من العداوة ، وينطوون عليه من المكايدة ، إذ كان هو الظاهر عليهم ،
والأخذ منهم - عدوا كان أعظم بليّة ، ولا أجل خطبا ، ولا أشد كلبا ، ولا أبلغ
مكايدة ، ولا أروع بمكره ، من هؤلاء الكفرة الذين يغزوهم المسلمون ، فيستولون
عليهم ، ويضعون أيديهم حيث شاعوا منهم ، ولا يقبلون لهم صلحا ، ولا يعملون معهم
إلى موادة ؛ وإن كانت لهم على طول الأيام وتصرف الحالات وبعض ما لا يزال
يكون من قترات ولالة الثغور أدنى دولة من دولات الفقر وخلسة من خلس
الحرب ، كان بما لهم من خوف العاقبة في ذلك منقضا لما تمجّلوا من سروره ،
وما يتوقعون من الدوائر بعد ، مكثرا لما وصل إليهم من فرحة .

فأما الذين بآل بك وكفرته ، فإنهم كانوا يغزون أكثر مما يُغزون ، ويتألون أكثر
مما يُتأل منهم ؛ ومنهم المنصرفون عن الموادة ، المتوحشون عن المراسلة ؛ ومن
أدبلوا من نتائج الدول ، ولم يخافوا عاقبة تدريكهم ، ولا دائرة تلور عليهم . وكان مما
وطأ ذلك ومكثه لم أنهم قوم أبندوا أمرهم على حال تشاغل السلطان ، ونتائج من
الفتن ، واضطراب من الحبل ، فاستقبلوا أمرهم بيزة من أنفسهم ، وضعف

وَأَسْتَارَةً مِّنْ بَارَاهِمَ ، فَاجْلَوْا مَن حَوْلَهُمْ لِنَخْلُصَ الْبِلَادَ لَهُمْ ، ثُمَّ أَثْرَبُوا الْبِلَادَ لِيَزِمَ مُطْلَبُهُمْ ، وَاسْتَدَّ الْمَثُونَةَ وَتَعَطَّمَ الْكُفَّةَ ، وَبَقَوْا فِي ذَاتِ أَيْدِيهِمْ ، فَلَمْ يَتَوَافَ إِلَيْهِمْ قُوَادُ السُّلْطَانِ إِلَّا وَقَدْ تَوَافَتْ إِلَيْهِمُ الْقُوَّةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، فَاسْتَفْعَلَ أَمْرُهُمْ ، وَعَظَّمَتْ شَوْكَتُهُمْ ، وَاسْتَنْتَضَتْ ضَرُورَاتُهُمْ وَاسْتَجْمَعَ لَمْ يَكُنْهُمْ ، وَكَثُرَ عَدَدُهُمْ ، وَاعْتَصَدَ أَدَمُهُمْ ، وَتَمَكَّنَتْ الْمَهِيَّةُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنْهُمْ ، وَتَحَقَّقَ فِي قُلُوبِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَا يَعْلَمُهُمُ الْكَافِرُ وَيُمَيِّنُهُمْ أَخَذَ بِالْيَدِ . وَكَانَ الَّذِي بَقِيَ عَنْدهُمْ مِنْهُ كَالَّذِي مَضَى ، وَبَدُونَ هَذَا مَا يَخْتَدِعُ الْأَرَبَ وَيُسْتَزَلُّ الْعَاقِلُ وَيَعْتَقِلُ الْفَطِنُ ، فَكَيْفَ بِنَ لَا فِكْرَةَ لَهُ ، وَلَا رُويَةً عَنْده ؟

هذا مع كل ما يقوم في قلوبهم من حسد أهل النعم ، ومناقصتهم على ما في أيديهم ، وقطعهم حركات في إثره أخضعوا به ، وأنهم إن لا يَكُونُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَحَقَّ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ .

ولم يزل أمير المؤمنين قبل أن تُقَضِيَ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ مَاذَا عُنَّه ، مَوْجِعًا هِمَّتَهُ إِلَى أَنَّ يُؤَلِّيهَ اللَّهُ أَمْرًا هَؤُلَاءِ الْكُفْرَةَ وَيَمْلِكُهُ حَرْبَهُمْ ، وَيَحِلُّهُ الْمَقَارِعَ لَمْ يَنْبَغِ عَنْ دِينِهِ ، وَالْمُنَاجِزَ لَمْ يَنْبَغِ عَنْ حَقِّهِ ، فَلَمْ يَكُنْ يَأْتُو فِي ذَلِكَ حِرْصًا وَطَلَبًا وَاحْتِيَالًا ؛ فَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْتِي ذَلِكَ لَفْظُهُ بِهِ ، وَصِيَّاتُهُ بِقَرْبِهِ ، مَعَ الْأَمْرِ الَّذِي أَحْلَاهُ اللَّهُ لَهُ وَآثَرَهُ بِهِ ؛ وَرَأَى أَنَّ شَيْئًا لَا يَبْقَى بِقِوَامِ الدِّينِ وَصَلَاحِ الْأَمْرِ .

فَلَمَّا أَقَضَى اللَّهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِخِلَافَتِهِ وَأَطْلَقَ الْأَمْرَ فِي يَدِهِ ، لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَلَا أَثَقَّ بِقَلْبِهِ مِنَ الْمَاجَلَةِ لِلْكَافِرِ وَكَفَرَتِهِ ، فَأَعَزَّهُ اللَّهُ وَأَعَانَهُ اللَّهُ ، فَتَنَّهُ اللَّهُ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ وَيُثَمِّرُهُ ، فَأَعَدَّ مِنْ أَمْوَالِهِ أَخْطَرَهَا ، وَمِنْ قُوَادِ جَيْشِهِ أَعْلَمَهُمْ بِالْحَرْبِ وَأَنْهَضَهُمُ بِالْمَعْضَلَاتِ ، وَمِنْ أَوْلِيَائِهِ وَأَبْنَاءِ دَعْوَتِهِ وَدَحْوَةِ آبَائِهِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ

عليهم - أحسنهم طاعة ، وأشلمهم نكايه ، وأكثرهم علة . ثم أتبع الأموال بالأموال ، والرجال بالرجال ، من خاصة مواله وصدد غلمانه ، وقبل ذلك ما أنكل عليه من صنع الله جل وعز ، ووجه إليه من رعيته . فكيف رأى الكافر اللعين وأصحابه الملاعين ؟ ألم يكذب الله ظنونهم ، ويسف صدور أوليائه منهم ؟ يقتلونهم كيف شأوا في كل موطن ومعرك ، مادامت عند أنفسهم مقاومة .

فلما قتلوا وقتلوا وكرهوا الموت ، صاروا لا يقرءون إلا في رموس الجبال ومضايق الطرق وخلف الأودية ومن وراء الأنهار ، وحيث لا تتألم الخيل ، حصنا للطاولة وانتظارا للدوائر ، فكانهم الله عند ذلك وهو خير الكائدين ، واستدرجهم حتى جمعهم إلى حصنهم معصمين فيه عند أنفسهم ، فجعلوا أعصابهم لحين لهم ، وضع أوليائه وإحاطة منه به تبارك وتعالى ، لجمعهم وحصرهم لكي لا تبقى منهم بقية ولا تروى لهم عاقبة ، ولا يكون الدين إلا لله ، ولا العاقبة إلا لأوليائه ، ولا التمس والتمس إلا لمن خله .

فلما حصرهم الله وحبسهم عليهم ودأبهم مصارعهم ، سلطهم الله عليهم كيده واحدة ، يخطئونهم بسيوفهم ، وينتظونهم برماحهم ، فلا يجلدون ملجأ ولا مهرأ ، ثم أمكنهم من أهاليهم وأولادهم ونسائهم وحرهم وصيروا الدار دارهم والمحلة محلتهم ، والأموال قسما بينهم ، والأهل إماء وصيدا . وفوق ذلك كله ما قتل هؤلاء وأعطاهم من الرحمة والثواب ، وما أعد لأولئك من الخزي والعقاب ، وصار الكافر بابك لا فيمن قتل فسلم من ذلك القلبة ، ولا فيمن نجا فعان في الحياة بعض العوض ، ولا فيمن أصيب ، فيشتغل بنفسه عن المصيبة بما سواه ، لكنه سبحانه وتعالى أطلقه وسد مداخله ، وتركه ملدحا بين الليل والنهوف ، والفصبة والحسرة ، حتى إذا ذاق

طعم ذلك كله وفهمه، وعرف موقع المصيبة، وظن مع ذلك كله أنه على طريق من النجاة، فأضرب الله وجهه، وأعمى بصره، وسد سبيله، وأخذ بسمعه وبصره، وحازه إلى من لا يرقى له، ولا يرقى لمصرمه؛ فامتثل ما أمر به الأفيشين (حيدر بن طلوس) مولى أمير المؤمنين في أمره؛ فبث له الجبال، ووضع عليه الأرصاد، ونصب له الأشرار حتى أظفروه الله به أسيراً ذليلاً موقفاً في الحديد، يراه في تلك الحالة من كان يراه رباً، ويرى الدائرة عليه من كان يظن أنها ستكون له. فالحمد لله الذي أحرز دينه، وأظهر حجته، ونصر أوليائه وأهلك أعدائه، حمداً يفضي به الحق، ويتم به النعمة، وتتصل به الزادة. والحمد لله الذي فتح على أمير المؤمنين وحقق ظنه، وأنجح سعيه، وحاز له أجر هذا الفتح وذخره وشرفه، وجعله خالصاً تمامه وكجالة بكل الصنع وأحسن الكفاية، ولم يربوياً فيه ما يقضى عينه، ولا خلا من سرور يراه، وبشارة تتجدد له عنه، فما يدرى أمير المؤمنين ما متع فيه من الأمل، أو ما تحم له من الظفر؛ فالحمد لله أولاً والحمد لله آخرًا والحمد لله على عطايه التي لا تحصى، ونعمه التي لا تثنى، إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخة كتاب من هذا الضرب، كتب به أبو سعيد العلاء بن موصلاً عن القائم بالله، إلى عضد الدولة «أب أرسلان» إلى مسعود بن محمود صاحب غزنة من أوائل بلاد الهند، بالإشارة بالنصر على الهساسيرى وهو.

أما بعد، فالحمد لله منير الحق ومبيد الباطل ومُردِّيه، الكايل بإعزاز حربه، وإذلال حربه، المؤيد في نصرة دينه خصب الثمر بعد إعماله وجده، الناطم بتمل الشرع بعد شتاته وتفرقه، الحاسم داعي الفساد بعد استيلائه وتفرقه، ذى المشيئة النافذة الماضيه، والعزة الكاملة الوافرة والمنظمة الظاهرة البنادية،

والبراهين الرائعة الرائقة ، والدلائل الشاهدة بواحدية نبيه الناطقة ، حملاً لا آتية
 لأئمة ، ولا إحصاء لعدده . والحمد لله الذي اختص عبداً صلى الله عليه وسلم برسائه
 وحباؤه ، وأولاده من كرامته ما حازله به الفضل وحواه ، وبهته على حين فترة
 من الرسل ، وخلاء من واضح السبل ، بفاهد بن أطاعه من عصباء ، وبلغ في الإرشاد
 أقصى ظاهجه ومداه ، ولم يزل مبدئاً أعلام الإعجاز ، ومُلحاً الموادى بالإنجاز ؛
 إلى أن دخل الناس في الدين أفواجا ، وسلّكوا في نصرته جدداً واضحاً ومنهاجا ،
 وغلّت أنوار الشرع ضاحكة المباسم ، وأثار الشرك واهية الدائم ، ومناهل الهدى
 عذبة صافية . فوصل الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه المستفيين وخلفائه
 الأئمة الراشدين ، وسلم تسلياً . والحمد لله الذي أصار إلى أمير المؤمنين من ثراث النبوة
 ما استوجبه واستحقه ، وأثار لديه من مطالع الجلال ما تملك به الفخر وأسترقه ،
 ومنعه من حُسن التمكن والإعطار ، وإبراء الأفضية على مُراده والأقدار ، مارد
 صرف الدهر عن حوزته مقلول الحد ، ومد باع مجده إلى أقصى الناية والحد ،
 وحمل ترب إمامته من دواعي الخوف والخطر ، ووقا مشرب خلافته من عوادي
 الرقن والكدر ، وجعل معالم العدل في أيامه مُشرقة الأوضاح والنجول ، مفتحة النواجد
 عن الكمال الضافي الأهداب والذبول ، مؤذنة باستقرار أمداد السعاده ، واستمرار
 الأحوال على أفضل الرسم والعادة ، وهو يستدعيه من لطيف الصنع وجميله ،
 ووافي العلول وجزيله ، بما يزيد آراءه سداداً ورشاداً ، وأرومة عزه أناساً وأمناداً ،
 ويجاري الأمور لديه أناساً على المراد وأطراداً ، وماتوفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه
 يتوكل وإليه يُتنبأ !

ومعلوم ما أعمده شاهنشاه المعظم بعد مسيره إلى العراق ، في الجيوش التي يضيق
 بها القضاء ، ويحرق على مرادها القضاء ، قاصداً طيبة الدعوة ، وخاضعاً شوك كل

مَنْ سَدَّ عَنْ الدِّينِ أَسْبَابَ الْمَضَرَّةِ وَالْمَعْرَةِ ، وَمَعْتَمِدًا مَا حَيَّ حَوْزَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ الشَّوَابِبِ الْمُعْتَرِضَةِ ، وَحَوَى أَقْسَامَ الْفَخَّارِ فِي اتِّبَاعِ شُرُوطِ الْخُلْعَةِ الْمُتَقَرَّرَةِ ؛ مِنْ الْمُبَادَرَةِ لِلْحُكْمِ الْعَلِيِّ الْبَاسِئِيِّ وَلَقِيْفِهِ الْخَفَائِلَ ، مَدْرِمًا مِنَ الْاِعْتِضَادِ بِاللهِ تَعَالَى أَقْوَى الْجُنْدِ وَأَسْبَغَ السَّرَابِيلَ ، لِيُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ دَنَسِ كُفْرِهِمْ ، وَيُوقِرَ الْجَسَدَ فِي فَصْمِ حَتَمِهِمْ وَحَسْمِ كَيْدِهِمْ ؛ فَاطَّلَ عَلَى بِلَادِ الشَّامِ مُتَطَلِّبًا مِنْ أُلْجَاءِ حُذْرِهِ إِلَى الْإِيْمَانِ فِي الْمَرْبِ ، وَقَطَعَ كُلَّ أُخِيَّةٍ وَسَبَبٍ ؛ وَمَعْتَمِدًا الْإِيْتِمَامَ إِلَى مَصْرِ لَا تَتْرَاهَا وَبَقِيَّةِ الْأَعْمَالِ ، مِنْ أَيْدِي أَحْلَافِ الْفَوَايَةِ وَالْفُضَّلَالِ ، وَقَرَّبَ الْأَمْرَ فِيمَا حَاطَهُ مِنْ ذَلِكَ وَرَامَهُ ؛ اعْتِمَادَهُ فِيهِ صِنُوفَ التَّجَدُّدِ وَأَقْسَامَهُ ؛ فَاعْتَرَضَهُ مِنْ عِصْيَانِ إِبْرَاهِيمَ إِيْتَالِ وَعُقُوقِهِ ، وَنَحْرُوجِهِ عَنْ زُمْرَةِ ابْنَاءِ الطَّاعَةِ وَمُرُوقِهِ ؛ بِإِفْسَادِ الْعَلِيِّينَ إِيَّاهُ ، وَإِحَالَتِهِ بِمَكْرِهِ عَنْ مَنَاجِحِ هُدَاهُ ، مَا أَحْوَجَهُ إِلَى تَرْكِ مَا هُوَ بِصَلَدِهِ وَالْجَلْبَاقِ بِأَثَرِهِ حَلْدًا مِنْ اسْتَفْخَالِ خَطْبِهِ ، وَبِدَارًا إِلَى قُلِّ حَتَمِهِ وَغَرْبِهِ ؛ فَعَادَ ذَلِكَ بِتَجَمُّعِ الْأَعْدَاءِ وَأَحْشَادِهِمْ ، وَسُلُوكِهِمُ الْمُحْجَبَةَ الَّتِي خُصَّصُوا فِيهَا بِعَدَمِ تَوْفِيقِهِمْ وَرَشَادِهِمْ ، وَلِقْدَامِهِمْ عَلَى فَضْلِ الْإِمَامَةِ الْمَكْرُمَةِ بِالْمَحَارِبِ ، وَأَطْرَاحِهِمْ فِي مَنَابِتْنِهَا حَكْمَ الْأَحْشَادِ وَالْمُرَاقِبَةِ ، وَوُجُوعِ التَّظَاهُرِ عَلَى الْمَجَاهِرَةِ بِخِلَافِهَا ، وَالتَّظَاهُرِ بِشِعَارِ الْفَوَايَةِ وَأَحْلَافِهَا ؛ جَرَاءَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَاسْتِزَالًا لِعِقَابِهِ ، وَأَطْرَاحًا لِمَا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ الْعُظَمَى مِنْ تَوَقُّعِ الْعَذَابِ وَأَرْهَابِهِ ؛ وَأَدْرَاعًا لِلْمَلَابِسِ الْخِزْيِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاتِّبَاعًا لِدَاعِي الضَّلَالَةِ الْمُغْوِيَةِ فِي الْبَلَدِ وَالنَّاصَةِ ؛ فَاقْتَضَى حُكْمُ الْأَسْطِظْهَارِ الْاِسْتِقَالَ مِنْ دَارِ الْخِلَافَةِ - بِمَدِينَةِ السَّلَامِ - إِلَى (حَدِيثَةِ طَائِفَةٍ) لِمَا هِيَ عَلَيْهِ مِنْ اِمْتِنَاعِ الْجَانِبِ وَشِدَّةِ الْحَصَانَةِ ؛ إِلَى أَنْ أَصْفَرَ خَطْبُ شَاهِنْشَاهِ رُكْنِ الدِّينِ - أَمْنَعُ اللَّهِ بِهِ - عَنْ إِدْرَاكِ الْمَطَالِبِ ، وَتَبَسَّرَ الْمَصَاصِ ؛ فَعَادَ بِنُصْرَةِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ الْإِمَامِيَّةِ الْقَائِمِيَّةِ مُسْتَعِظِدًا فِي ذَلِكَ أَقْسَامَ الْوُسْعِ

(١) لعله وما خندا شوكة كل من سد عن الدين وأولاه أسباب الخ

والاجتهاد ، ومستجبنا بمعونة الله تعالى على اعادة الكفر بصنوف الفِرَاق والجهاد ؛ ولم يزل ساعيا في ازالة العار ، وارتفاع المغتصب وارتفاع المستعار ؛ الى أن صدق الله تعالى الأمل وحققه ، وأصفى مثل العز من كل ما شابه ودفعه ؛ وأطلع شمس الحق بعد غروبها ، ومن يخضد شوكة الباطل وقيل غروبها .

وعاد أمير المؤمنين إلى دار ملكه ومقر مجده في يوم كذا ضافية على راياته جلايبب النصر والظفر ، جارية على ايرادته تصاريق القضاء والقدر ، يمين قبيبة شاهنشاه الذي أدى في الطاعة الفرض الواجب ، وتمسك من المشايعة بأفضل ما تضمن عليه الرأجب ؛ وفدا للدولة عضدا موفيا على الأبطال ، في دفعه عن الإسلام ودبه ، ومتقمصا للجلال ، بحسن إخلاصه في سائق بئنه وقربه ؛ وما زالت همة أمير المؤمنين مستحكة بالله تعالى عند ما ألم به من تلك الحال ، ودعم من الحلب المحتف به سطورة الاستناد والاستفعال ؛ في إجرائه على ما ألقه من النصر والإعزاز ، وإظهار الآيه في تأييده والإعجاز ؛ إذ لم يكن ما جراه استعادة لفق المسلم اليه ، والموهبة التي ضفت جلايببها عليه ؛ بل جعل الله ذاك إلى امتحان صبره سيلا ، وعلى وفور أجره دليلا ، وبإبادة كل ناعق في الفتنة كفيلا ؛ لترداد أنوار طلاء نصارة وحسنا ، وأعلام جلالة سعادة ويمنا ، ورياح عزه سُكُونا وأنا ؛ لطلقا منه جلت الآؤه في ذلك ومنا .

وتلا هذه النعمة التي جددت عهود الشرع وافية النصارة ، وأزالَتْ عَنِ الدِّينِ مفايسه العارضة ومضاره ، ما سبَّله الله وهناه ، وأجزل به صليعه الجزيل وأستاه ؛ من ظفر السرايا التي توردها لاصطلام اللئاه وأجتياحهم ، وحسم فسادهم وهدم عراسهم ؛ وإخماد ما أضرموه من نار الشرك وشبهه ، وإبطال ما أحدثوه من رسم الجور وسنوه ؛ وأفضى الحلال إلى النصر على الأعداء من كل جانب ، وقهر كل منحرف عن الرشاد ومجانِب ، وحلول التأييد على الرايات المنصورة العباسية التي لم تزل مكشوفة

على صَرف الدهر أشياعُها وأنصارُها ؛ وإجلالِ الحرب عن قتل اللعين البَساسيري
وأخذِ رأسه ، وتكذيبِ ظَنِّه في احترازه من طوارق الغيرِ واحتراسه ، وإراحة الأرض
وأهلها من دَنَسه وعضوانه ؛ وكون من ضامه من طبقات العرب والإكراد والأكراد
البنديدين والعوأم بين قتيلٍ مُرملٍ بدمه ، وأسيرٍ تلقى المنونَ بفضة أسفه وتدمه ،
وصريحٍ في بَقِيَّة من ذماته ، وهاربٍ والطلبُ واقعٌ من ورائه . فأنجز الله وعده في هذا
المسارِق ، والعبد الآبى ، الذى عَزَّه إمهالُ الله تعالى لِمَاءه فليسَ عَوَاقِب الإهمال
في التَّوَايه ، والإمهالِ في الطُّفَيانِ إلى أفعى الحَدِّ والغايه ؛ وحملَ رأسه إلى الباب
العزيرِ فتقدم بالطَّواف به في جانبي مدينة السلام وشجره ، لِمَانَّة عن حاله وإيضاحا
لِجَلِيَّة أمره ؛ وكفى ما يوجبُه إقدامُه على المظالم التي علمَ الله تعالى سوءَ مصيرها
ومآلها ، وحُرِّم الرُّشد في التمسك والتشبُّث بأذيالها ؛ وتلك عاقبة من بنى وأعدى ،
وأترَد بالقدرِ وأرعدى ، وأمن في الضَّلَّة وأعدى . . وإلحد واقع من بعدُ في المسير
للاحتواء على بلاد المخالفين الدانية والقاصيه ، والأخذ مع مشيئة الله تعالى بنواحي
كل فتنة طاغية عاصيه .

فالحمد لله على هذه المنحة التي بشرت الإسلام بيجر كُمره ، وأهتدت الهدى من
ضيق الكُفْر وأسيره ؛ وأبنت نجوم العُدل بعد أن أظلت وغارت ، وأردت شيمه
الباطل بعد أن أعتدت على الحقِّ وأغارت ؛ وهو المسئول صلتها بأُمِّدائها بتقضى
إذ ذاك سائر الأغراض وبلوغها ، وتقضى بكامل رائي الآلاء وسُبُوغها .

(١) أى بالراء المهملة بمعنى ملغح قال الشاعر :

ان يبقِ رسولنى بالدم * شنته أمرها من أنرم

(٢) القاء بإبدال المعجمة واللام بقية للغس .

أَقْضَىٰ مَكَائِكَ - أَمِنَ اللهُ بِكَ - مَنْ رَأَىٰ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي وَطَأَ لَكَ مَعَاذَ
الْعِزِّ وَهَضْبَاهُ ، وَكُلَّ لَدَيْكَ دَوَاعِيَ الْفَخْرِ وَأَسْبَابَهُ ، وَتَحَلَّكَ مِنْ لِحَابِهِ الَّذِي وَصَلَتْ بِهِ
إِلَىٰ ذُرْوَةِ الْعِلَاءِ ، وَصَلَتْ عَلَى الْأَمْثَالِ وَالنُّظَرَاءِ ، إِشْعَارَكَ بِمَا جَنَّدَهُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ هَذِهِ
النِّعْمَةِ الَّتِي غَلَّتِ السُّعُودُ بِهَا جَمَّةَ الْمَنَاطِلِ ، سَامِيَةَ الْمَرَاتِبِ وَالْمَنَازِلِ ، لَتَأْخُذَ مِنْ حِفْظِهِ
بِهَا ، وَالشُّكْرِ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَى مَا تَفَضَّلَ بِهِ فِيهَا بِالْقِسْمِ الْأَوْفَىٰ ، كِفَاءَهُ مَا يُوجِبُهُ وَلَا تُؤْكَرُ الَّذِي
أَمْتَطَيْتَ بِهِ كَاهِلَ الْمَجْدِ ، وَأَصْطَفَيْتَ بِهِ كَامِلَ السُّعْدِ ، وَكَوْنَكَ لِلدَّوْلَةِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
شِبَاهًا لِلْمُشْرِقِ فِي الْخَنَادِ ، وَصِفِيهَا الرَّاقِلَ مِنْ إِخْلَاصِ مُشَايَعَتِهَا فِي أَنْفَرِ الْحُلَلِ
وَالْمَلَابِسِ ، وَاللهُ تَعَالَىٰ لَا يُحِيلُكَ ، مِنْ كُلِّ مَا تَسْتَدِرُّهُ أَخْلَافُ مَعَالِيكَ ، وَلَا يَعْدُمُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ السَّيِّدُ ، الرَّشِيدُ الْعَقِيدَةُ وَالسَّيِّدُ ، النَّبِيلُ الشَّاكِلَةُ
وَالْوَرِيثُ .

هَذِهِ مُنَاجَاةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ ، أَجْزَلَكَ فِيهَا عَلَى مَا حَوَّدَكَ مِنَ الصَّجَلِ وَالْإِكْرَامِ ،
وَحَبَّكَ فِيهَا بِمَا هُوَ بِمَشْرِكَ بِالسَّعَادَةِ الْوَافِيَةِ الْأَصْنَافِ وَالْأَقْسَامِ ، فَتَقَطُّهَا بِالْجَلَلِ
وَالِاسْتِشَارِ ، وَوَاصِلُ شُكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ حَسَنِ تَجَارِيِ الْأَقْصِيَةِ
وَالْأَقْدَارِ ، وَطَالِبُ حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنْبَائِكَ ، وَتَابِعُ لِنَهْأَةٍ مَا يُتَشَوَّفُ لِحَوْهٍ
مِنْ تَقَاتِكَ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ .

الضرب الثاني

(أَنْ يَتَّخِذَ الصَّحِيدُ فِي أَوَّلِ الْكَلْبِ ، وَهُوَ أَقْلُ وَقُوَّةٍ مِنَ الضَّرْبِ الَّذِي قَبْلَهُ)
وَهَذِهِ نَسْخَةُ كِتَابٍ مِنْ ذَلِكَ ، كَتَبَ بِهِ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِغِيُّ عَنْ « الْمَطْبَعِ اللهِ » إِلَى
بَعْضِ وُلاةِ الْأَطْرَافِ ، عِنْدَ طَاعَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ نُوَيْجٍ أَحَدِ مُلُوكِ بَنِي سَاسَانَ ، وَهِيَ :

أما بعد ، فالحمد لله الوليّ بالاستعجاء ، المستحقّ لِكُنْه الإعتباد ، القدير على تأليف الأجساد ، البصير بسُئُل خَفَايا الأخقاد ؛ ذى الحكمة فى تَبْدِيل الضغْن والسَّخِيمَةِ ذِمَّة ، والمُتَابَذَةِ عِصْمَةٍ ؛ والقَطِيعَةِ وَصْلَةٍ ، والشَّحْنَاءِ خُلَّةً ؛ والْحَرْجِ حَرْجَةً ، والشَّعَثِ نَفْثَةً وَبَهْجَةً . الذى جعل الصِّلَحَ قِصْعًا هَيَّيًّا ، والسَّلْمَ مَتَجًا بَيَّيًّا ، والمُؤَادَّةَ مَنَّا جَزِيلًا ، والإِرْمَاءَ أَمَّا جَمِيلًا ؛ والإِفَالَةَ حَرَمًا لَا يَضِلُّ هُدَاهُ ، وَلَا تُحْمَلُ قُوَاهُ ؛ وَلَا تُغَيَّبُ عَوَاقِبُهُ ، وَلَا تُخْفَى مَآثِرُهُ وَمَنَاقِبُهُ ؛ رَافَةً مِنْهُ بِالْخَلْقِ ، وَصِيَانَةً لِأَهْلِ الْحَقِّ ؛ وَإِسْهَالًا فِي الْعَهْدِ ، وَرُخْصَةً فِي الْإِخْتِصَارِ كُنْ الْخَدَّ ؛ لِيُقَرَّبَ قِيَمَةُ الْمُنَاطَلِ ، وَيُسَهَّلَ رَجْعَةُ الْمُتَحَصِّلِ ، وَيُسْرَعَ رِفَاقَةُ الْمُسْتَبْصِرِ ، وَيُنْفَخَ أَجْتِهَادُ الْمَزَالِ الْمَشْرِقِ ؛ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَالصِّلَحَ خَيْرٌ) وَهُوَ الْمُسْتَوَلُّ حِمَارَةَ الْإِسْلَامِ بِالسَّلَامَةِ ، وَالْإِثَامِ بِالْإِسْتِقَامَةِ ؛ وَالسُّلْطَانِ بِالطَّاعَةِ ، وَالْمُلْكِ يُنْفَخُ الْجَمَاعَةِ ؛ حَتَّى لَا تَزَالَ الْفِتْنَةُ مِهْمُضَةً الْجَلَنَاحِ ، مَرِيضَةُ الْأَجْتِيَاكِ ، قَلِيلَةُ الشَّبَابَةِ ، قَلِيلَةُ الْأَنْوَاتِ ؛ فَتَكُونُ النُّفُوسُ وَاحِدَةً ، وَالْأَيْدِي مُتَرَاغِفَةً ، وَالْمُؤَدَّاتُ صَافِيَةً ، وَالْمَارِبُ مُتَكَافِيَةً مُتَضَاهِيَةً ، فِي الشُّكْرِ الَّذِي يُبَادُّ بِهِ عَنِ النُّفُوسِ ، وَيُعْمَى بِهِ حَرِيمُ الدِّينِ ؛ وَيُرْجَى مَعَهُ التَّائِيدُ ، وَيُبْتَنَى بِوَسِيلَتِهِ الْمَزِيدُ ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : (لَنْ شَكَّرْتُمْ لِأَزِيدَنَّكُمْ) وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَجِيبٌ . وَحَسْبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ !

وقد علمت ما قُطِرَ مِنْ نُوحِ بْنِ نَصْرِ فِي السُّهْوِ ، وَنِعْمَ مِنْهُ فِي الْهَفْوِ ؛ الَّذِي أَلْهَاهُ عَنِ التَّقْوَى ، وَأَنْبَاهُ شَيْمَةَ الرُّفْيِ ؛ فَتَدَلَّ عَنْ سَنَنِ الْقَبْدِ ، وَزَاغَ عَنْهُ عَلَى تَعَدِّ ؛ وَحَالَ عَنْ آدَابِ آبَائِهِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ الْقُسْنُوهُ ، وَتَجَاوَاهُمْ بِهِمُ الْأُسْنُوهُ ، وَمَا كَانَ يَنْتَشِي بِهِ مِنَ الْوَلَاءِ ، وَيَتَرَى إِلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ ؛ وَصَارَ أَدْنَى مَتَى مِمَّنْ يَحْسُدُهُ عَلَى كَرَمِ الْأَصِيلِ ، وَيَنَافِسُهُ فِي شَرِّفِ الْحِيلِ ؛ وَيُدْخِلُ عَلَى عَقْلِهِ مُدْخَلَ النَّصِيبَةِ ، وَيَطْلَعُ

(١) أى اتقادها يقال ينجى لى بالحق ينجوا اتقاد وبذلك .

بظاھرھا علی آرائه الصریحه؛ وكلّ ذلك إلحادٌ فی أمر المؤمنین وعُھدته، ومُروق
عن أزمته، وعقوقٌ بالبریة یُشَقُّ به الباقی، ولن یُشَقِّ به التازح الماضی. فانت
أمیر المؤمنین مازال واعيًّا لأوامر سلفه، عارفاً بما یرِث خلقه؛ متجافياً لأولئك عما
أبتدعه، متنوّباً لهذا التجاوز عما صنعه؛ فقد كان تُمَى إلى أمیر المؤمنین أن عبد الملك
أبن نوح مولیٰ أمیر المؤمنین سلیم السیرره، سدید البصیره؛ یرجع إلى رأیه وتدبیره،
ولم یُخذ وشمکیر بن زرار، حاجله بالبوار؛ مسافاً إلى ختله، ولا احتیالاً فی لیة وقلته؛
وكان لعبد الملك ركن الدولة بن مالك مولیٰ أمیر المؤمنین ظهیر صندق، إن وین
أیقله، وإن مادأیده؛ خلة فضل فطره الله علیها، وغررة تميز أحسن الله إليه فیها؛
فإنه لو قال أمیر المؤمنین: إنه لا یمثل له استحقّ هذا الوصف. ولأین أمیر المؤمنین
فی الخلق. ترك لياس أبیه فزعه، واحتاض منه وخلعه؛ وتصلّ عما كان منه
متنبها، فناد علیه محنتكا؛ وأتی الأمر من طریقہ، ولبا فیہ إلى فرقه؛ ركن الدولة
أبی علی مولیٰ أمیر المؤمنین، أحسن الله ولايته، ومُعز الدولة أبی الحسین تولى الله
معونته، وأستصلحهما، وكفی، وأستخلصهما، وغنی؛ وراسل فی الإجابة وإن لم
یکن حائدا، والأستغالة وإن لم یكن جانبا؛ فبا ترك ركن الدولة ومعز الدولة -
كلاهما الله - إجاز قدره، وإجلال أمره؛ والقیام بخلاصه، والنطق عن أمیر المؤمنین
بلسان مشاركته؛ وإذكار أمیر المؤمنین بما لم یُنسب من تلك الوثائق، التي صدر بها
كتابه، والعلاقی، التي وُصِّح بها خطابہ. إلى أن أجلّ أباحمد نوحا ورحم علیہ، وقیل
عبد الملك وأحسن إليه؛ وواصل رُسله؛ وأستمع رسائله؛ وقلّده خراسان ونواحیها،
وسائر الأعمال الجارية فیها، وعهد إليه فی ذلك عهداً ومیزه باللواء، والخلع والحیاء؛
بعد أن تكلم بلسانه، ووقاه حُلوذ إحسانه؛ وألحقه فی ذلك بابائه؛ ولم یُقصّر فیہ
بشأوه. وكتب أمیر المؤمنین هذا وقد أطردت الحلال وأستوقفت، وأمتربت الأهواء

وَأَخْفَقَتْ ؛ وَخَلَا الْمَشْرِقُ مِنَ الْأَضْطِرَابِ الَّذِي طَالَ أَمْدُهُ ، وَلَمْ يَكِدْ يَرَى أَثَرَهُ ؛ وَصَارَتِ الْعَسَاكِرُ الدَّانِيَةِ وَالنَّائِيَةُ قَوْضَى لَاحِظًا ، وَلَا تَفْرِدُ وَتَحَازُ ، وَذَلِكَ صَنَعَ اللَّهُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي جَمْعِ الشَّتَاتِ ، وَتَلَاقِ الْهَتَاتِ ، وَلَمْ يَخَلِّ الصَّخَاذِلَ ، وَمُدَاوَاةِ نَقْلِ الدَّخَالِ ؛ لِنَيْمِ الْكَلِمَةِ فِي وَلَا يَتَسَدِّ ، وَتَعَمُّ النِّعَمُ فِي طَاعَتِهِ ، وَلَا يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ سَبِيلٌ عَلَى شَيْعَتِهِ ، وَلَا طَرِيقٌ إِلَى مَكِيدَةِ أَبْنَاءِ دَعْوَتِهِ ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

فَاحْمِدِ اللَّهَ عَلَى هَذَا النَّبْلِ الَّذِي تَطَوَّعَ بِهِ الْمِقْدَارُ ، وَالْخَيْرِ الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ؛ مِنَ الْفَتْحِ الَّذِي لَمْ يُنْقَضْهُ تَعَبٌ ، وَلَمْ يَكْثُرْهُ عَنَاءٌ وَلَا تَصَبُّ ؛ فَإِنَّهُ تَأْتِي سَهْلًا ، وَأَتَى رِسَالًا ؛ وَأَبْتَدَأَ عَفْوًا ، وَأَتَمَّهَا خَالصًا صَفْوًا ؛ فَقَدْ قَمَعَ اللَّهُ بِهِ الْعِنْدَةَ ، وَجَمَعَ بَهْرَتَهُ الْعَبْدَةَ ؛ وَأَذَنَ عِقَابَهُ بِالْإِسْعَادِ ، وَبَشَّرَ سِيَاهَ بَاتِّصَالِ الْمُسَادَةِ ؛ وَأَنْزَلَ أَبَا الْفَوَارِسِ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنَ نُوحٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مُتَرَلِّقًا مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلًا لِلْوُدِيِّهِ ، وَآمَنَهُ عَلَى الصَّبْلِيَّةِ ؛ وَرَبَّنَا مَرْتَبَةَ الْمُسَبِّحَةِ ، وَأَسْتَحْفِظُ اللَّهَ حَسْبَ الْمُوْهِبَةِ بِهِ ، وَمَا قَدْ تَجَمَّعَ دِينَ أَبِي الْفَوَارِسِ وَبَيْنَهُمَا مِنَ الْإِتِّحَادِ ، الْمُتَوَلَّدِ مِنَ الْاِغْتِبَاطِ وَالْاِحْتِنَادِ ؛ فَقَلَّ مِنْ شَاقِّهِمَا فَلَمْ يَنْتَمِ ، وَتَزَوَّدَ عَلَيْهِمَا فَلَمْ يُكَلِّمْ ؛ وَتَمَسَّكَ بِهِمَا فَلَمْ يَنْسَعِدْ ، وَأَرْتَبَعَ أَكْفَاهُمَا فَلَمْ يَوْعِدْ ؛ وَأَجَبَ عَنْ هَذَا الْكَلَامِ بِوَصُولِهِ إِلَيْكَ ، وَمَوْقِعِ مَتَضَمِّنَتِهِ لَدَيْكَ ؛ وَمَا يُجِدُّهُ لَكَ مِنَ الْجَلَلِ ، وَأَنْفُسَ الْأَمَلِ ؛ مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(أَنْ لَا يَمْتَقِبَ الْبَعْدِيَّةُ تَحْمِيدُ ، بَلْ يَقَعُ الشَّرُوعُ عَقِبَهَا فِي الْمَقْصُودِ)

وهذه نسخة كتاب من ذلك ، كَتَبَ بِهِ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الطَّائِعِ قَهْ إِلَى مِنْ بَصْطَارَ وَسَوَادِيهَا ، وَجِبَالِ عُثْمَانَ وَأَعْمَالِهَا ، وَحَاضِرَتِهَا وَبَادِيَتِهَا ، بِالْأَمْرِ بِالْاجْتِمَاعِ عَلَى الطَّائِعَةِ ، وَهِيَ :

أما بعدُ، فإنَّ أمير المؤمنين الذي حمَّله الله من أعباء الإمامة، وأهله له من شرف الخلافة؛ وأستودعه من الأمانة في حياة المسلمين، والاجتهاد لهم في مصالح الدنيا والدين؛ يرى أن يُراعى من بعدَ منهم ونائى، كما يُراعى من قُرب ودنا؛ وأن يلاحظ جماعتهم بالعين الكالية، ويطلبهم بالعين الوافية؛ ويتصفح ظواهر أمورهم، وبواطن دواخلهم؛ فيحمد من سلك نهج السلامة، ويرشد من عدل عن الاستقامة، وينظم تمثيل الجماعة على الألفة التي أمر الله بها وحض عليها، ويزيلهم عن القُرعة التي ذمها ونهى عنها؛ إذ يقول جل من قائل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَتَازَعَوْا فَتَفْشَلُوا وَتَكْهَبَ رِيحُكُمْ﴾: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ فلا يزال أمير المؤمنين يُعرفهم ما أقرض الله عليهم من طاعة الأئمة وأولى الأجر الذين لا عصمة لخالفهم، ولا ذمة لمعايديم؛ ولا عدل لمسلم ولا معاهد نائى يجانبه عنهم، وضلَّ بوجهه عن سبيلهم؛ إذ كان الإمام حجة الله على خلقه، وخليفته في أرضه؛ وكانت الطاعة واجبة له ولبن قلبه أزيمة أموره، وأستتابه في حمل الأعباء عنه؛ فمن آتس منه الهداية أحده، ومن أنكر منه النواية أرشده بالوعظ ما اكتفى به، أو باليسط إن أخرج إليه. وإن أمير المؤمنين يسأل الله أن يوقه للرأى السديد، ويمدّه بالصنع والتأييد؛ ويتولاه بالمعونة على كلِّ مالم الشعث، وسدَّ الخلل، وقوم الأودَّ وعدل الميل؛ وأحسن العائنة على المسلمين جميعا في شرق الأرض وغربها، وسبلها وخرتها؛ إنه بملك جدير، وطيبة قدير؛ وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله عليه يتوكل وإليه يرتب.

وقد علمتم أن أمير المؤمنين أحسن إلى الرعية بما كان قوضه إلى عضد الدولة. وتاج الملة - رحمة الله عليه - من سياستهم باديا، ثم أحسن باستخلاف عديله وسليله. ثم صمَّام الدولة وشمس الملة ثانياً؛ إذ كان خيرة أمير المؤمنين وصفوته، وحُسامه وبعثه؛ والمؤيد المُصَدِّر عنه بالمُهْدِين المستمترين: من أمير المؤمنين بالنص عليه، ومن

الوالد رحمه الله بالوصية إليه . وإن هذه العقود المؤكدة ، والعهود المشددة ؛ موجبة على الكافة طاعة مَنْ حَصَلَتْ لَهُ ، أو استقرت بوثائقها في يده ؛ إذ لا يصح من حاكم حُكْمٌ ، ولا من عاقد عَقْدٌ ، ولا من والٍ إقامة حُدٍّ ، ولا من مسلم تأدية فرض حتى يكون ذلك مبنيًا على هذا الأصل ، ومُدارًا على هذا القطب ، وإن كان خارج عنهما وراض بخلافهما ، نخرج من دينه ، أثم بربه ، يرى من عصيته ، وأثم من بين الرعية فقد خصصتم سالفًا بحسن النظر لكم ، وصرفت الطاعة الحسنة منكم ؛ فتقابلت النعمة والشكر ، هائلًا طالب به الذكر ، وانتظم به الأمر ؛ ثم حدثت الهفوة المعترضة قُبيل ، فكان أمير المؤمنين موجبًا للعاقبة الموجبة على الجاهل الموضع في الفتنه ، والمُعَاتَبَةِ السَّعِيَّةِ على الحكيم منكم القاعد عن النصرة ؛ إلى أن وردت كُتُبُ أستاذهم من بن الحسن ، حاجب شتمصام الدولة ، باستمراركم على كلمة سواء ، في نصرة الأولياء ، والحماية دُونَهُمْ ؛ ومُدافعة الأعداء والرماة لهم ؛ فوقع ذلك من أمير المؤمنين أحسن موافقه ، ونزل لديه ألطف منازل ؛ وأوجب لكم به رضاه المقتَرَنَ برضا الله سبحانه ، الموجِبَ للقربة والزلفى عنده ؛ وأمير المؤمنين يأمركم بالدوام على ما أتم ، والثبات على ما استأنفتم ؛ والمبادرة إلى كل ما يأمركم به فلان الوالى عليكم من شتمصام الدولة بالاستخلاف والتفويض ، ومن أمير المؤمنين ، بالإمضاء لما أمضاه ، والرضا بما يرضاه ، فاعلموا ذلك من رأى أمير المؤمنين وأمره ، وآتوها فيه إلى حده ورسمه ؛ وتكونوا لفلان الوالى خير رعية ، يكن لكم خير راع ؛ فقد أمر فيكم بحسن السيرة ، وإجمال المعاملة ، وتخفيف الوطأة ، ورفق المشونة ؛ وجعل إليه عقابُ المسمى ، وثوابُ الحسن ، ومسالمةُ المسالم ، ومحاربةُ المخارب ، وأمانُ المستأمن ، وإقالةُ المستقيل ، وحملُ الجماعة على سواء السبيل ، إن شاء الله تعالى .

الجملة الثالثة

(في الكتب الخاصة مما يصدر عن الخلفاء ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب عن الخلفاء إلى وزراءهم)

قال في "صناعة الكتاب" : ويكتب الإمام الوزير أو من حل محله « أمتنى الله بك وبدوام النعمة عندى بك ، وبقاء الموهبة لى بك » وما جرى هذا المجرى .

وذكر في " ذخيرة الكتاب " : أن السقاء للوزير « أمتنا الله بك وبدوام النعمة لنا بك » وتجديد الموهبة عندنا بك . ثم قال : ودعا " المكشئ بالله " للقائم بن عبد الله لما أمر بتكثيره ، وكان الكتاب بخطه « أمتنى الله بك وبالنعمة بك » ووقع المستنصر إلى وزيره أحمد بن النخيب « مد الله في عمرك » . وهو قريب مما ذكره في " صناعة الكتاب " في ذلك كله . والذي رأيت في مكاتبات العلماء ابن موصلاً عن « القائم بأمر الله » التصديق بما فيه تعظيم الوزير وتقريره ، من غير ضابط في الابتداء ، والدعاء في أثناء ذلك بالحياطة ثم التوصل إلى المقصد .

وهذه نسخة كتاب كتب به العلماء بن موصلاً عن القائم إلى وزيره :

لما خص الله تعالى الدولة القاهرة العباسية بامتداد الرواق ، في العز واتساع النطاق ، وأجرى لها الإقدار بما يجمع شمل الحق ويمنع من تفارق الشقاق ، وأفرد أيامها بالبهاء المثير الأعلام ، والانتهاى في قوة الأمر إلى ما يتأذى في طاعتها . بين اليقظات والأحلام ، وجعل الزمان واقفاً عند حتمها في التقض والإبرام ، ومتصرفاً على حكمها في كل ما حاول من حل ودام ، وممكن لها في الأرض حتى أذلت نواصي الأعداء قهراً

وَقَسْرًا، وَحَمَرَتْ عَنْ قِتَاعِ الْقُدْرَةِ عَلَى رَدِّ الطَّامِعِينَ فِي إِدْرَاكِ مَدَاهَا ظُلْمًا حَسْرَى؛
 فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُخْلِهَا كُلَّ وَقْتٍ مِنْ قَاتِلٍ فِي نُصْرَتِهَا فَاعْلَمْ، وَقَاتِمٍ بِإِقَامَةِ حِسْمَتِهَا مِنْ
 كُلِّ حَافٍ مِنَ الْأَثَامِ وَنَاحِلٍ؛ وَرَاغِبٍ فِي اللَّذْبِ عَنْ حَوَظَتِهَا سِرًّا وَجَهْرًا، وَخَاطِبٍ
 مِنْ خِدْمَتِهَا مَا يُرْجَى أَنْ يَكُونَ رِضَا اللَّهِ فِي الْمُقَابَلَةِ عَنْهُ أَغْلَى مَهْرًا؛ وَنَاجٍ بَعْدَ الرُّشْدِ
 فِي الْمُنَازَلَةِ عَنْهَا بِسَيْفِهِ وَقَلَمِهِ، وَفَارِجٍ لِلْكُرْبِ الْحَادِثَةِ فِيهَا بِنُطْقِي فِيهِ وَسْئِ قَلْبِهِ .
 وَقَدْ مَنَعَ اللَّهُ أَيَّامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - مِنْ كَوْنِكَ الْوَلِيِّ بِمُوَاسَلَةِ الْمَقَامَاتِ الْغُرَبَاءِ،
 وَالْخَلْقِ مِنْ كُلِّ مَا يُبَايِنُ حِمَّةَ الْمَوْلَاةِ وَيُنَاقِهَا؛ وَالضَّمِيمِينَ لِمَا عَادَ عَلَيْهَا بِاسْتِقَامَةِ
 النِّظَامِ، وَالضَّمِيمِينَ بِمَا يُوجِدُ لِلْفَرِيقِ إِلَى وَصُولِ الْخُتْفِ إِلَيْهَا وَالْاِهْتِضَامِ؛
 وَالْمُتَجَوِّدِ فِي إِمْدَادِ عِزِّهَا بِالْإِحْصَاءِ وَالْإِسْرَارِ، وَالْمُتَقَرِّدِ بِإِعْدَادِ أَقْسَامِ الْمُنَازَلَةِ
 دُونَهَا فِي الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ؛ وَالْبَازِلِ وَسُعَى فِيهَا فَنَى إِلَيْهَا أَعْنَةَ السَّعْدِ وَلَوَاهَا، وَالْخَائِلِ
 كُلَّ مُسْتَعِجِدٍ بِهَا فِيمَا يَخَالِفُ مَحَبَّتَهَا وَهَوَاهَا؛ مَا أَوْفَى عَلَى الْمَالُوفِ فِي امْتِلَاحِهَا مِنْ قَبْلِ،
 وَصَارَ لَكَ بِهِ عَلَى كُلِّ مَنْ سَلَفَكَ مِنَ الْأَعْضَاءِ التَّقَدُّمُ وَالْفَضْلُ؛ فَهِيَ - بِأَثَارِكَ الْحَبِيبَةِ
 فِيهَا، وَبِإِبْرَارِكَ الْحَدِّ فِي تَشْيِيدِ بَيِّنَاتِهَا؛ وَكَوْنِكَ كَافِيًا أَمْرًا لِحَامِلَاتِهَا مِنْ وَرَائِهَا، كَافًا عَنْهَا
 مَا يُخْشَى مِنْ حُدُوثِ أَسْبَابِ الْقَسَادِ وَأَعْرَاقِهَا - مَنِيْعَةُ الْجَنَابِ مَرِيْعَةُ الْخِتَابِ،
 سَرِيْعَةُ فِيهَا السُّعُودِ إِلَى مَا يُلِي نِدَاعَهَا بِأَحْسَنِ التَّلِيَةِ وَالْجَوَابِ .

ثم إنه وإن كانت رُفْقَتُكَ إِلَى حَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَدِيَةِ التَّجَمُّولِ وَالْفَرَرِ، فَبِمَعْتَابَةِ
 إِلَى إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهَا بِمَا أَتَّضَعَ مِنْ أَمْرِهَا وَأَشْتَرَتْ، فَإِنْ فَلَانَا يُعِيدُ جِلَامَهَا دَائِمًا
 فِي أَهْلِ الْمَلَابِسِ وَأَنْصَرَهَا، وَيُعِيدُ الْحَدَّ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى تَهَابُلِ تَحْبُّبِهَا فِي الْجَمَالِ
 وَمَنْظَرِهَا؛ وَيُكْشِفُ مِنْ صَفَاءِ السَّرَائِرِ فِيهَا وَالنُّوَاطِنِ، وَمَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ مِنْهَا فِي كُلِّ
 الْحَالِ وَالْمَوَاطِنِ؛ مَا يُسَبِّحُ فِي وَصْفِهِ وَيُسَبِّحُ مِمَّا حُجَّ ذِكْرُهُ وَيُطْرَبُ .

وفي هذه النبوة عاد، وقد زاد، على المهود من شكرك وجازته، وأبان عن جلته بالومد في ضمان النجس منك تجازيه؛ وأوجب على نفسه أن لا يقف عند حدٍ فيها يؤدي إلى نشر محامدك في الأرض، وطى الجوائح لك على الإخلاص الصادق المحض .

ولما مثل بحضرة أمير المؤمنين على رسمه الذى وم بالجمال جبينه، وأبتم ثمر التوفيق فيه عما أصبح النجس أليف سعيه وقريته، وبحسب فوزه من شرف الخطوة برتبة لم يتلها أحد الأحرار له في الزمان، وفوته شأو أبناء جلسته يوم المظمار والزمان؛ كفاء ما يستوجب به غلاء قيمته في الكلال، والفتاء به في كل مقام أمين حد مضائه فيه الكلال؛ أشار بذكر مقاصدك التي حررت بها من غنائم الحمد الصفايا، وشاد مباني حامدك بفضل الإبانة عن المرائر والخطايا، وتابج البناء على كل من أفساك التي أسمى هلاكك فيها مقمرا، وفتح فيها كونك بشروط الإخلاص محبا مضمرا؛ وشرح من توفرك على كل قرابة غراء تغري الألسنة بمهلك، وتثني عن حسن مقصدك برفع عماد الحق وتمسكك، ما قامت عليه الأدلة، واستقامت به على سنن الرشد الأهواء البضلة؛ وبين من إمضاءك كل عزم في تهيئة القربات إلى حضرة أمير المؤمنين حالا خلا، وإطاعتك خطا الحسد فيما يراد برفلك البالغة أقصى الغايات لديه سابقا وأتصلا، ما يضاهي المظنون في تلك العقيدة التي طالما ألفت في نصرة الدولة القاهرة صافية المورود والمتمثل، حالية من الحسنى بكل حال أفضح فيها ما ألقى عن غيرها من الوصف وأنحل، فقولت بما تستحقه من إحسان أشيع وأذيع، وأشيع فيه الواجب وأطبع، وتضاعف الاعتماد بأفلاك التي أعنت بالعون منها في الجمال والإبكار، وأعلنت بها الأمور في الصلاح إلى ما يؤمن بإضاحه المجد والإنكار . ومن أحق منك بكل فعل قضى مصايح الخير فيه، ويشتر جميل الذكر من مطاويه، وأنت للدولة الولي الأمين ! ، وبحفظ نظام كل أمر يخص بها الكمیل

الضَّيِّمين؟ ومن أثلى منك بكلِّ حديدٍ يَفْدُ إليك إمداده أرسالا، ويَجِدُ منه ضالَّةً تَسُدُّ
منظها آمالَ سواك فأبَتْ بالنيَّةِ عَجَلا؟ فَكَّكَ من الحقوق ما لا يُلغى، وما يلزَمُ أن يُرعى
في كلِّ مُصِيبٍ ومُحْصَى. فأحسنَ اللهَ جِزَاءَكَ عن كوثِكَ في دولته ذابًا عن الجحد حاميا.

فاما ما تُعَدُّ في معنى الأعمال على الوصف الذي قضى بزوال الخلف والمحاسن،
واقنعني رأيك إجراء الأمر على ما استُصوب من آساقه وانتظامه؛ فقد وقفت
عليه، وأجيز ما أشرت إليه؛ فأعواض الدنيا تهون وتسهل في ضمن ما يلحظ من
اعتنائك أحكام مشايعة الدولة التي نُفِيت بأعبائها في كلِّ أوان، وغدت آثارك فيها
باقية الذكر والأجر على تَقْضَى الأزمان؛ فانت المرغوب في الثناء ولاية وإن شانت
الأحوال، والمُغْلِص الذي لا حوض عنه في كلِّ مقام ومقال؛ فقد أحاط العلم بتفصيل
ذلك وجملته، وتحقق أن الخيرة في كلِّ ما تُشير إلى سلوك طريقه وجده؛ ولذلك
أُجِيب فلان إلى الحضور والمستخدمون معه، وأذن في المقابلة بالقوانين القديمة والباقي
والجرائد، والموافقة على ما رأيته في البوادي والعوائد؛ والتفتُّ عن كلِّ ما شذَّ عن
الجملة المؤكدة بتوفيقك وتوفر الموجود لهذه السنة فيه عليه، وحسن موادَّ استراديه
في كلِّ ما تمسك به وأشار إليه؛ والثقة من بعد مستحكة بتوفيقك على ما يرادف إليك
إمداد الحمد، وتجديدك كلَّ قرينة تنضم إلى سوابقها المتجاوزة حدَّ الإحصاء والعَد.

فاما ما تضمنته إشارتك في حقِّ السرِّ الرفيع، فهل الصِّلَاح إلا من نتائج
أقوالك؟ وهل مسامحك إلا موقوفة على الخير وأفعالك؟ وهل الموافقة إلا لك
في جميع آرائك وأبحاثك، وبحكم أبدائك لاستقامة النظام فيما قُرب وبعد،
والسُّكُون إلى إسعادك في كلِّ أمر يحدث ويحدث؛ ويبحث على ما يُعِيدُ رَوْقَ
الحشمة من الوهن، ويهز طاحصك في كلِّ أمر يُحقِّق التقدير فيها والقلن؛ فإننا

تُصَفِّحَتْ حَقُوقُ الْوَكَلَاءِ الْمُجْتَبَاةِ وَجِلَتْ مَوْفَرَةٌ عَلَى اقْتِنَاءِ الْأَجْرِ، مَصْرُوفَةٌ فِي وَجْهِهِ
الْبِرِّ الَّتِي هِيَ أَشْفَعُ النَّحْرِ فِي قَدِّهِ . وَهَلِ الْأَعْوَاضُ إِلَّا عِنْدَ مَنْ يَظُنُّ الدُّنْيَا بَيْنَهَا قِيَمَةٌ
تَنَافَسَ ، وَهَلِ مَصِيرُهَا إِلَّا إِلَى أَهْضَاءٍ وَلَوْ أَسْحَقَتْ بِالرَّغَائِبِ وَالنَّفَاقِ ، غَيْرَ أَنَّ
الْأَحْوَالَ إِذَا كُشِفَ مَسْتَوْرُهَا أَثَبَّتْ مَا يَحْتَضِي إِسْبَالُ سِتْرِ الْإِشْفَاقِ ، وَالْبُؤَاغِثُ مَتَى
أُصْرِبَ عَنْهَا أَتَمَّتْ ذَلِكَ كُلُّ مُجَابٍ لِلدَّوْلَةِ مِنْ أَهْلِ النَّفَاقِ ؛ وَأَنْتَ الْمُعْتَمَدُ لِتَنْدِيرِ
مَا يَصُونُ حِشْمَةَ الدَّوْلَةِ عَنِ الْيَلَّةِ وَالخَلَلِ ، وَالْمَرْجُوعُ إِلَيْهِ فِي تَحْسِينِ الْأَمْرِ فِيمَا وَقَعَ
الْاجْتِهَادُ فِيهِ حَتَّى يَتِمَّ قَدْرُهُ وَتَمَثَّلَ ؛ وَلِهَذَا تَفْصِيلُ قَدْ أَوْعِزَ إِلَى فُلَانٍ بِاسْتِصْخَاءِ
شَرْحِهِ ، وَإِطْلَاقِكَ عَلَى حَقِيقَةِ الْأَمْرِ وَقَصِّهِ ؛ فَكُنْ بِحَيْثُ الْفَنُّ فَيْكُ ، تَجِدُ زَنْدَ بَهَائِكَ
بِذَلِكَ أَوْرَى ، وَتَجِبُ لَكَ بِهِ صُنُوفُ الشُّكْرِ طَوْرًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(ما يكتب عن الخلفاء إلى وزراء الملوك)

وَمِنْهَا يَوْمِي فِي صَدْرِي بِحَرْفِ الْإِنْدَاءِ ظَالِمًا . كَمَا كَتَبَ عَنِ الْمُسْتَبَشِّرِ إِلَى مِزْالِ الدِّينِ
الْفَضْلِ بْنِ مَجْمُودٍ ، وَزَيْرِ مِزْالِ الدِّينِ سَمِجَرِ بْنِ مَلِكْشَاهٍ .

مَقَامُكَ يَا مِزْالَ الدِّينِ - أَحْسَنَ اللَّهُ حِيَاطَتَكَ وَكُلَّ مَوْهَبَتِهِ عِنْدَكَ - فِي خِدْمَةِ الدَّارِ
الْعَزِيزَةِ الَّتِي مَازَلْتَ لِجُهِدِكَ فِيهَا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَفِي جَلَابِيبِ الْمُنَاصَحَةِ رَافِعًا ؛ لَا يَقْبَضُكَ
أَنْ تُوَاصِلَ حَالًا خَالَا بِأَبْنَائِكَ ، وَتَسْتَدِيمَ مَا خُصِمْتُ بِهِ مِنْ شَرِيفِ الْأَدَابِ
الْمُؤَيَّةِ بِكَ عَلَى أَكْفَانِكَ . وَعُرِضَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًّا عَلَى طَاعَتِكَ
الْمَعْمُودَةِ ، وَبُؤَالَتِكَ الرَّاحَةِ الْمَشْهُودَةِ ؛ وَأَسْتَمِرُّ بِكَ عَلَى الْجَلَدِ وَالْمَهَبِ فِيمَا حَازَ الْمَرَاتِي

الشريفة الإمامية لك ، وَحَقَّقَ فِي الْفُوزِ بِجَمِيلِ الْآرَاءِ أَمْلَكَ . وَنَاطَقًا بِحَالِ فُلَانِ الْمَارِقِ عَنِ الدِّينِ ، الْمَجَاهِرِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا أَقْتَضَاهُ الرَّأْيُ الْمَعْرُوفُ بِحُسْنِ سِفَارَتِكَ ، وَسَدَادِ مَقْصِدِكَ فِي الْعِلَاقَةِ وَصَفَاءِ نِيَّتِكَ . وَأَحَاطَ طُلُمَا بِمَحْضَمُونِهِ الَّذِي لَا رَيْبَ أَنَّهُ ثَمَرَةُ مَنَاصِحَتِكَ ، وَنَتِيجَةُ سَعْيِكَ الْمَضَاهِي نَصِيحَةِ عَقِيدَتِكَ ؛ وَمَنْ أَوَّلَى مِنْكَ بِهَذِهِ الْحَالِ ؟ وَأَنْتَ الْحَوْلُ الْقَلْبُ ، ذُو الْحُكْمَةِ الْمَجْرَّبُ ، الَّذِي تَفُزِدُ فِي الْأَنَامِ بِكَلَاهِ ، وَقَصَّرَ أَكْفَاؤُهُ عَنْ دَرْكِ شَأْنِهِ فِي الْخَيْرِ وَمِثَالِهِ ، وَمَازَلْتَ حَدِيثًا وَقَدِيمًا مُوسِمًا ، بِهَذِهِ الْمَزِيَّةِ مَرْقُومًا ؛ وَبِغَيْرِ شَكٍّ أَنَّكَ تُرَاعَى مَا بَدَأْتَ بِهِ ، وَتُعْضِدُ مَقَالَكَ فِي مَوَارِدِهِ بِمَا تَعْمَلُهُ فِي مَصَادِرِهِ ، وَتُحْزَرُ مَا قَلَمْتَهُ مِنْ الْإِحْتِيَاطِ بِتَحْرِيرِكَ فِي أَوَانِهِ ؛ وَتُخَيِّضُ الْعَزِيمَةَ لِإِتِمَامِ مَا شَرَعْتَ فِيهِ ، كِفَاءً مَا يُوجِبُهُ دِينُكَ وَيَقْتَضِيهِ ؛ جَرِيًّا عَلَى وَيَرَتِكَ فِيمَا قَضَى لِلْأَحْوَالِ بِالْإِتِّظَامِ وَالْأَنَسَاقِ ، وَأَذَنَ لَشَمْسِ الصَّلَاحِ بِالْإِضَاعَةِ وَالْإِشْرَاقِ .

وَبَعْدُ قَدْ عَرَفْتَ مَا تَكْرُرُ إِلَيْكَ فِي أَمْرِ هَذِهِ الظَّالِمَةِ الْخَلِيفَةِ ، الْمَكَايِشَةِ بِمَذْهَبِ الْإِلْحَادِ الْمُبَازِرَةِ بِسُوءِ الْإِحْتِقَادِ ؛ بَعْدًا عَلَى جِهَادِهَا ، وَكَفٌّ ضَرَرِهَا عَنِ الْإِسْلَامِ وَقَسَادِهَا ؛ وَرَفْعِ سِتْرِ الْمُرَاقَبَةِ عَنْهَا ، وَالْإِنْتِقَامِ لِقَوْلِهِ لِرَسُولِهِ مِنْهَا ؛ وَمَا يُقْتَضَى مِنْ هِمَّةِ مَعْرِزِ الدَّوْلَةِ وَالِدِينِ - أَمَّتِ اللَّهُ بِبِقَائِهِ - وَمِنْ وَافِرِ حَقِّكَ وَدِينِكَ ، وَصِدْقِ يَقِينِكَ ؛ إِلَّا بِإِرْهَافِ الْعَزِيمَةِ فِي مَكَايَشَتِهَا ، وَخَوْضِ الْغِمَارِ فِي جَارِبَتِهَا ؛ وَالْقَصْدِ لِمَضَاقِقِهِ مِنْ أَحْتَصَمَ مِنْهَا بِالْفَلَاحِ ، وَقَتْلَ كُلِّ مَنْ يُظَلِّمُهُ فِي سَائِرِ الْبِقَاعِ ؛ حِمَاً وَأَمْتَا حُبًّا لِلدِّينِ ، وَأَنْفَاً بِمَا أَسْتَوْلَى عَلَيْهِ بِهَا مِنَ الضَّرَرِ الْمُتَمِينِ ؛ فَكُنْ مِنْ وَرَاءِ الْحُبِّ لِمَعْرِزِ الدُّنْيَا وَالِدِينِ عَلَى تَيْبَتِكَ هَذَا الْمَثَالِ ، وَالْأَذْكَارِ بِمَا تُحَوِّزُهُ مَعَ الْإِمْتِثَالِ لَهُ فِي الْمَثَالِ ، وَأَنْتَهَاضِ فِي تَفْهِيزِ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ فِي هَذَا الْبَابِ نَهْضَةً مِنْ أَثَرِ رِضَا اللَّهِ وَأَرَادِهِ ، وَبَدَلِ فِي صَلَاحِ مَعَادِهِ أَجْتِهَادِهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ لَا يَرْضَى مِنْكَ إِلَّا تَنْصَارَ لِدِينِهِ بِالتَّخْصِيرِ ،

وأمر المؤمنين أمرًا بالجد فيه والتشمير؛ وقد شرفك بحقة أمر بجملها إليك من بين
يدى سُدته، وأمر رب بها عن مكانك من حضرته؛ إناقة على الأمثال بقدرك،
واضفاء للملابس نفرك؛ فأعرف بمكان النعمة في ذلك، وأسلك في القيام بشكرها
أوضح للمسالك؛ وأدع المواصلات بمطامعك، وقدم التوقع من إجابتك، فخر من المراضى
الشرقة بالخط الأسنى، ويجمع لك منها الاسم والمعنى، إن شاء الله تعالى.

الطرف الرابع

(في الكتب الصادرة عن خفاء بنى العباس في الديار المصرية
بعد مصير الخلافة إليها)

وهي على ثلاثة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن يفتح الكتاب بلفظ «من فلان إلى فلان»)

والحكم فيها على ما كان الأمر عليه في خلافتهم ببغداد، إلا أنه زاد فيه لفظ
«ووليّه» بعد لفظ «عبد الله» في أول الكتاب فيقال في افتتاحه: «من عبد الله
ووليّه أبى فلان فلان الإمام الفلانى». ثم يقال: أما بعد حمد الله، ووفى على آخر
الخطبة، ثم يتخلص منها ويستم بالامر بامتثال ما أمر به. ويقال بعد ذلك: موقفا
إن شاء الله تعالى. والخطاب فيه بالكاف، وربما أفتح الكتاب بآية من القرآن الكريم
مناسبة للمنى.

وهذه نسخة كتاب كُتِبَ به عن الإمام المستكفي بالله «أبى الربيع سليمان أبى
الحاكم بأمر الله أحمد» إلى الملك المؤيد هزبر الدين داود أبى الملك المنقظ صلاح

الدين يوسف بن رسول في الدولة الناصرية « محمد بن قلاوون » في سنة سبع وسبعمائة ، حين منع صاحب اليمن الهدية ، التي جرت العادة بإرسالها إلى الأبواب الشريفة بالديار المصرية ، مفتحة بآية من القرآن ، وهو :

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ) .

من عبد الله وولَّيه أبي الربيع سليمان .

أما بعد حمد الله ما يمح القلوب السليمة هداها ، ومُرشد العقول إلى أمر معادها ومبدأها ، وموفق من أخذته إلى محجة صواب لا يضلُّ سالكها ، ولا تُظلم عند اختلاف الأمور العظام مسالكها ؛ ومُلمِّهم من أصفاه لاقتفاء آثار السُنن النبوية ، والعمل بموجبات القواعد الشرعية ، والانتظام في سلك من طوَّقته الخلافة عُقودها ، وأفاضت على سُدته الجليَّة برودها ؛ وملَّكته أفاضى البلاد ، وأناطت بأحكامه السليمة أمور العباد ؛ وسارت تحت خوافق أعلامه أعلام الملوك الأكاسرة ، وشيدت بأحكامه نتائج الدنيا ومصالح الآخرة ، وتحتَر كل منير من ذكره في ثوب من السيادة مُعلم ، وتهللت من ألقابه الشريفة أسارى كل دينار ودروهم .

يحمده أمير المؤمنين على أن جعل أمور الخلافة ببنى العباس منوطه ، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم القيامة منوطه ؛ ويصلى على ابن عمه عبد الله أحمد الله ببعثه متأرا من الفتن ، وأطفأ برسالته ما اضطرم من نار الإحترق ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين سحوا حمى الخلافة وفادوا عن مواردها ، وعمدوا إلى تهديم المعالم الدينية فأقاموها على قواعدِها ؛ صلاة دائمة الغنم والروح ، متصلا أولها بطرة الليل وآخرها بجبين الصباح .

هذا وإن الدين الذى فرض الله على الكافة الانضمام الى شعبه ، وأطلع فيه شمس هداية تشرق من مشرقه ولا تغرب في غربه ؛ جعل الله حكمه بأمرنا منوطا ، وفي سلك أحكامنا تحروطا ؛ وقلدنا من أمر الخلافة المعظمة سيفا طال نجادته ، وكثر أعوانه وأنجاده ؛ وقوض إلينا أمر الممالك الإسلامية وإلى حرمان نجبي ثمراتها ، ويرفع إلى ديواننا الميزان عظمها وإثباتها ؛ يخلف الأسد إن مضى في غايه شبلة ، ويثقل في الخيبر والخبر مثله .

ولما أفاض الله علينا حلة الخلافه ، وجعل علمنا الشريف عمل الرحمة والرافه ؛ وأقعدنا على سدة خلافة طالت أشرقت بالخلائف من آبائنا ، وأتهيجت بالسادة النظاريف من أسلافنا ؛ وألّسنا خلعة هي من سواد السؤدد مصبوغة ، ومن سواد العيون وسويداوات القلوب مصبوغه ؛ وأمضينا على سنتنا الشريفة أمر الانحاض والعام ، وقلدنا كل إقليم من عملنا من يصلح سياستها على النوام ؛ واستكفينا بالخفاة من عمالنا على أعمالنا ، واتخذنا مصر دار مقامنا وبها سدة مقامنا ، لما كانت في هذا العصر قمة الإسلام ، وقبة الإمام وثانية دار السلام ؛ تبين علينا أن نتصقح بجرائد عمالنا ، ونأمل نظام أعمالنا ؛ مكانا فكانا ، وزمانا فرمانا ؛ فتصقحتنا فوجدنا قطر اليمن خاليا من ولايتنا في هذا الزمن ؛ عرفنا هذا الأمر من أخذنا له الملك الإسلامية عينا وقلبا ، وصندرا ولبا ؛ وفوضنا إليه أمر الممالك الإسلامية فقام فيها مقامنا أقعد الأضداد ، وأحسن في ترتيب ممالكها نهاية الإصدار وغاية الإيراد ، وهو السلطان الأجل ، السيد الملك الناصر المبجل ؛ لازالت أسباب المصالح على يديه جارية ، وصحابة الإحسان من أئق راحته ساربه ؛ فلم يعد جوابا لما ذكرناه ، ولا صدرا عما ألبناه ، إلا بجهيز شريفة من بحافله المشهورة ، وتعين أناس من فوارسه المذكورة ؛

يَقْتَحِمُونَ الْأَهْوَالَ، وَلَا يَسْبُحُونَ بِتَغْيِيرَاتِ الْأَحْوَالِ؛ يَرَوْنَ الْمَوْتَ مَقْنَمًا إِنْ صَادَفُوهُ، وَشَبًّا مُرْهِفٍ مَكْتَسَبًا إِنْ صَافَحُوهُ؛ لَا يَشْرَبُونَ سِوَى الْمُدَامِ مُدَامَهُ، وَلَا يَلْبَسُونَ غَيْرَ التَّرَانِكِ عِمَامَهُ؛ وَلَا يَمْرُقُونَ طَرِيًّا إِلَّا مَا أُصْدِرَهُ صَلِيلُ الْحَسَامِ مِنْ غِنَا، وَلَا يَمْرُقُونَ قَفْرًا إِلَّا وَابَتْ سَاعَةٌ نَزُولٍ مِنْ قَنَا. وَلَمَّا وَفَّقْنَا مِنْهُ بِإِنْفَانِهِمْ رَاجِعًا رَأَيْنَا الشَّرِيفَ، فَأَقْتَضَى أَنْ يَكْتُبَ مَنْ بَسَطَ يَدَهُ فِي مَالِكِهَا، وَأَحْتَاطَ عَلَى جَمِيعِ مَسَالِكِهَا؛ وَأَتَّخَذَ أَهْلَهَا حَوَلًا، وَأَبْدَى فِي خِلَالِ دِيَارِهَا مِنْ عَدَمِ سِيَاسَتِهِ خَلًّا. بَرَزَ مَرْسُومُنَا الشَّرِيفَ النَّبَوِيَّ أَنْ يَكْتُبَ مَنْ قَعَدَ عَلَى تَحْتِ مَمْلَكَتِهَا، وَتَصَرَّفَ فِي جَمِيعِ أُمُورِ دَوْلَتِهَا؛ وَطَوَّلَ بِأَنَّهُ وَلَدُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ يَوْسُفَ بْنِ عَمْرِو الذِّي لَهُ شُبْهَةٌ تَمُشُّكَ بِأَذْيَالِ الْمَوَاقِفِ الْمُسْتَعْمِيعِيَّةِ وَهُوَ مُسْتَصْحِبُ الْحَالِ عَلَى زَعْمِهِ؛ أَوْ مَا عَلِمَ الْفَرْقَ بَيْنَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ؟ أَوْ مَا تَحَقَّقَ الْحَالُ الَّتِي بَيْنَ النُّفَى وَالْإِثْبَاتِ؟، أَصْدَرْنَاهَا إِلَى الرَّحَابِ التَّمِيزِيَّةِ، وَالْعَالَمِ الْإِمْنِيَّةِ تُشْعِرُ مَنْ تَوَلَّى عَنْهَا فَاسْتَبَدَّ، وَتَوَلَّى كِبَرُهُ فَلَمْ يَمْرُجْ عَلَى أَحَدٍ؛ أَنْ أَمَرَ الْإِمْنِ مَا بَرَحَتْ تَوَابُنَا تَحْكُمُ فِيهِ بِالْآيَةِ الصَّحِيحَةِ، وَالتَّقْوِيَّاتِ الَّتِي هِيَ غَيْرُ جَرِيحِهِ، وَمَا زَالَتْ تَحْمِلُ إِلَى بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ وَمَا تَمَشَّى بِهِ الْجَمَالُ مَشْيًا وَثِيْدًا، وَتَهْدِفُهُ بَطُونُ الْجَوَارِي إِلَى ظُهُورِ الْيَمَعَلَاتِ وَلَيْدَا، وَيُطَالِعُنَا بِأَمْرِ مَصَالِحِهِ وَمَفَاسِدِهِ، وَيَحَالِ دِيَارَهُ وَمَعَاهِدَهُ؛ وَلِكِ أَسْوَةِ بَوَالِيكَ فَلَانِ، هَلَّا أَقْتَضَيْتَ مَا سَنَّهُ مِنْ آفَارِهِ، وَقَلَّتْ مَا دَوَّشَتْهُ أَيْدِي الزَّمَنِ مِنْ أَخْبَارِهِ.

وَأَتَّصَلَ بِمَوَاقِفِنَا الشَّرِيفَةِ أُمُورٌ صَدَرَتْ مِنْكَ.

مِنْهَا - وَهِيَ الْعِظْمَى الَّتِي تَرْتَبُ عَلَيْهَا مَا تَرْتَبُ - قَطْعُ الْمِرَّةِ عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ؛ وَقَدْ حَلِمْتَ أَنَّهُ وَإِذْ غَيْرُ ذِي زَرْعٍ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ بِمَنْعٍ.

ومنها - انصبا بك إلى تفرغ مال بيت المال في شراء لمو الحديث ، وتفض المهود القديمة بما تبديه من حديث .

ومنها - تعطيل أجياد المتأبر من عقود اسمنا ، وخلو تلك الأماكن من أمور عقدا وحلنا ؛ ولو أومضنا لك ما اتصل بنا من أمرك لطل ، ولا تسعت فيه دائرة المقال ؛ رثمتا بها والسيف يود لو سبق القلم حله ، وألم المنصور يود لو فات العلم وأهتر بتلك الروابي قده ؛ والكاتب المنصورة تختار لو بدرت عنوان الكتاب ، وأهل العزم والحزم يودون إليك أعمال الركب ، والجواري المنشآت قد تكوئت من ليل ونهار ، وبرزت كصور الأقبلة ليكنها على وجه الماء كالأطيوار ؛ وما عمدنا إلى مكاتبك إلا للإنذار ، ولا أحتجنا إلى غاطبتك إلا للإمذار ؛ فأقلع عما أنت بصيده من الخيلاء والإعجاب ، وأنتظم في سلك من استخفناه فأخذ يمينه ما أعطى من كتاب ؛ وصن بالطاعة من زعمت أنهم مقيمون تحت لواء حكمك ، ومتظلمون في سلك أوامر كلك ، وداخلون تحت طاعة قلبك ؛ فلما نسن الفارات على من نطق بالشهادتين لسانه وقلبه ، وأمثل أوامر الله المطاعة عقله ولبه ؛ ودان بما يجب من الديانة ، وتقلد عقود الصلاح والتحف مطارف الأمانة ؛ ولما من يأمر بتجريد سيف إلا على من علمنا أنه خرج عن طاعتنا ، ورقص كتاب الله ونزع عن مبايعتنا . فأصدرنا منسوبنا هذا إليه نقص عليه من أنباء علمنا ما أطال مدة دولته ، وشيد قواعد صولته ؛ ونستدعي منه رسولا إلى موافقتنا الشريفة ، ورحاب ممالكنا المنيفة ؛ لينوب عنه في قبول الولاية متاب نفسه ، وليجن بعد ذلك نمار شفقتنا إن غرس تبحر طاعتنا . ومن سعادة المرء أن يجيئ نمار غرسه - بعد أن يصحبه من ذخائر الأموال ما كثر قيمة وخف حملا ، وتعالى رتبة وحسن مثلا ؛ وأشرط على نفسك في كل سنة قطعة ترفعها إلى بيت المال . وإياك ثم إياك ! أن تكون على هذا الأمر من مال ؛

ورثب جيشاً مقيماً تحت علم السلطان الأجل الملك الناصر لقاء العدو المغنول التار،
الحق الله أولهم بالهلاك وآخرهم بالبور . وقد علمت تفاصيل أحوالهم المشهورة ،
وتواريخ سيرهم المنكورة ، فأحرص على أن يحصك من هذا المشرب السائق أو فر
نصيب ، وأن تكون ممن جهز جيشاً في سبيل الله فرمى بسهم فله أجر كان مصيباً
أو [غير] مصيب ، ليعود رسولك من دار الخلافة بتقاليدها وتشاريفها حاملاً أهلة
أعلامنا المنصورة، شاكرًا وموافقنا المبرورة؛ وإن أبى حالك إلا أن أستمريت على
غيبك، وأستمريت مرعى بئيك؛ فقد منعتك التصرف في البلاد، والنظر في أحكام
العباد؛ حتى تطأ خيلنا العتائق مشمخرات حصونك، وتسجل حيلئذ ساعة متونك؛
وما علمناك غير ما علمه قلبك، ولا فهمناك غير ما فهمه لبك؛ ولا نكن كالصنير
يزيده كثرة التحريك نوماً، ولا ممن غزه الإمهال يوماً فيوماً . أطلبناك ذلك فاعمل
بمقتضاه، موفقاً إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكاتب بخطبة إما مصدرة بآية من القرآن الكريم أو دونها)

كما كتبت عن الإمام الحاكم بأمر الله أبي العباس « أحمد ابن المستكنى بالله أبي
الربيع سليمان » إلى السلطان الملك الناصر: أحمد ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون،
وهو بالكرك، يستدعي حضوره إلى قلعة الجبل بالقاهرة المحروسة لتقليد السلطنة
الشريفة، بعد خلع أخيه الملك الأشرف بكتك ابن الناصر محمد، وإمساك الأمير
قوصون ومن معه من الأمراء .

وقد ذكر صاحب «الذرائع» أنه كتبه في قطع البندادى الكامل بين يدي
الأمير قطلوبغا الفخرى كافي السلطنة الشريفة . وهذه نسخته :

(الْم تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَنْفَرُ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ) .

فالحمد لله الذي أسبغ نعمة الظاهرة والباطنة، وألف قلوب أوليائه المتفقة والمتباينة، وأخذ بنواصي أعدائه المراجعة والباتية، وأعلى جنته الدولة القاهرة، وأطلق في أسنة القواصي مجيئها الزاهرة، وحرك لها العزائم فلكت والأمور بحمد الله ساكنه، والبلاد - والمنة لله - آمنه، والرياء في مكانها قاطنة، والسيوف في أغمارها مثل النيران في قلوب حُسادها كامينة . وأقام أهل الطاعة بالقرض، وأستوفى بهم القرض، وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأودنا الأرض، وأعز أنصار المقام الشريف العالي وأعز نصرة، وأعد لعدوه حصره، وأتى بدولته الغراء تسمو ثموسها، وتثير غرورها، وتظهر في حلال الصباح المشرق مروسها، ونجى منه بغير راع للربة يسوسها، وبشره بالملك والدوام، وبسر بما أجمع له من طاعة الأنام، وأقدمه على كريمي ملكه نعله النعام، وأراه يوم أعدائه وكان لا يظن أن يرى في النعام، ولا يزال مؤيد الهيم، مؤكدا الذم، مجدد البيعة على رقاب الأمم، ولا يرحت أيامه المقبلة مقبلة بالنعم، خضر الأكلاف على رغم من كاد وغيظ من رغم، ولا قنئت عهد سلفه الشريفة تنشأ له كما كانت، ورعاياه تدن له بما دانت، وجنوده تئديه من النفوس بأعز ما دخرت وما صانت، ومعاودة سلطانه تكشف الغم، وتثني الذم، وتعيد إلى أنوف أهل الألفة الشتم، وتحفظ ما بقي لأوليائه من بياض الوجوه وسواد اللحم .

سطرها وأصدرها وقد حُفَّت بموائد الله الطنون، وصلحت الخواطر النيون، وأججز الله وعده، وأتم سعيه، وجمع على مقامه الكرم قلوب أوليائه :

وَفَرَّقَ فِرْقَ عُلُوِّهِ وَأَمَاتَهُ بِدَائِهِ ؛ وَوَطَّدَ لُرُقِيهِ الْمَنَارَ ، وَرَجَّلَ لَتَرْقِيهِ الْعَسَاكَرَ ، وَهَيَّا لِمَقَاتِلِ أَمْدَانِهِ فِي أَيْدِي أَوْلِيَاءِهِ السُّيُوفَ الْبَوَاتِرَ . وَأَخَذَ قُوصُونَ وَأَمْسِكَ ، وَنُهِبَ مَالُهُ وَأَسْتَهْلِكَ ؛ وَهَدِمَتْ أَيْبَتُهُ ، وَهُلَّتْ أَفْنِيَّتُهُ ؛ وَتَحَرَّبَتْ دِيَارُهُ ، وَقِلَعَتْ أَسَارُهُ ؛ وَأُخْلِيَتْ خَزَائِنُهُ ، وَأُتْرِجَتْ مِنْ طُحُونِ الْأَرْضِ دِفَائِنُهُ ، وَبِمَا مَنَعَتْ عَنْهُ تِلْكَ الرَّبَابِ الَّتِي ظَنَّنَا قَسَاوِيرَ ، وَلَا نَاضَلَتْ تِلْكَ التَّيْمِيَّ الَّتِي طَبَعَهَا أَسَاوِيرَ ؛ وَلَا أَغْنَى عَنْهُ ذَلِكَ الْمَسْأَلُ الَّذِي ذَهَبَ ، وَلَا ذَلِكَ الْجَوْهَرُ الَّذِي كَانَ عَرَضًا لِمَنْ تَهَبَ . وَأُخِيدَ إِلَى الْمَهْدِ ذَلِكَ الطِّفْلُ الَّذِي أَكَلَ الدُّنْيَا بِاسْمِهِ ، وَفَهَرَ أَبْنَاءُهَا بِحُكْمِهِ ، وَمَوَّهَ بِهِ عَلَى النَّاسِ ، وَأَخْلَى لَهُ الْغَابَ وَمَانَحَجَ مِنَ الْكِتَاسِ ؛ وَظَالَبَ بِهِ الْقَلْبَ حَتَّى وَطِئَ الرُّقَابَ ، وَدَاسَ الْأَعْقَابَ ؛ وَخَادَعَ وَهَلَا الشَّيْطَانُ بِفُرُورِهِ ، وَدَلَّسَ طَلِيهَ عَاقِبَةَ أُمُورِهِ ؛ فَاعْتَدَّ بِمَتَادِهِ ، وَاعْتَدَّ بِقِيَادِهِ ، وَاقْتَدَرَّ بِأَنَّ الْأَرْضَ لَهُ وَمَا عَلَيْهَا أَنَّ الْأَرْضَ لَهُ يُودِعُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ؛ فَأَمْسَكَ وَمَعَهُ رُيُوسُ أَشْيَاعِهِ ، وَحَصَرَتْ بِالْخُوفِ نُفُوسُ أَتْبَاعِهِ - وَمِنْهُمْ الطَّنِيفَا .

وَقَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ الشَّرِيفُ بِكَيْفِيَةِ وُصُولِهِ وَحَقِيقَةِ الْخَبَرِ ، وَمَا قَاسَاهُ فِي طَرِيقِهِ مِنَ الْعَيْبِ ، وَدَاسَ طَلِيهَ حَتَّى وَصَلَ مِنْ وَتَرِ الْإِبْرَةِ ؛ وَكَذَلِكَ مِنْ جَاءَ مَعَهُ ، وَخَلَّفَ وَرَاءَهُ الْخَلْقَ وَتَبِعَهُ ، بَعْدَ الْمُزِيْمَةِ الَّتِي أَلْجَأَهُمْ إِلَيْهَا خَوْفُ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ الَّتِي قَصَلَتْ لَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَأَخَذَتْ عَلَيْهِمْ بِمَدَارِجِ أَنْفَاسِهِمْ فِي فَمِ الْمَضِيقِ ؛ وَعَبَّئَتْ لَهُمْ صُفُوفَ الرِّجَالِ ، وَأَصْلَتْ لَهُمْ حُتُوفَ الْأَجَالِ ؛ وَحَدَرَتْهُمْ فِي مَسْعَةِ الْعِجَالِ ، وَأَرْتَبَهُمْ بِوَارِقِ الْمَوْتِ فِي نُحْبِ الْعِجَالِ ؛ ثُمَّ لَمْ يَصْلُوا إِلَّا وَهُمْ أَشْلَاءُ مَمْرُوقَةٍ ، وَأَعْضَاءُ مَفْرُوقَةٍ ؛ قَدْ تَنَى تَحْتَهُمُ الظُّلُومُ ، وَقَتَّى بِيَوْمِهِمُ النَّهْرُ ؛ وَسَاقَتْهُمْ سَعَادَةُ سُلْطَانِ الْمَقَامِ الْعَالِي إِلَى شَقَاوَتِهِمْ وَهُمْ رُقُودُ ، وَعَبَّئَتْ لَهُمُ الْخَلِيلَ وَالْخَلِّجَ إِلَّا أَنَّهَا مَلَأَتْ الدُّلَّ وَهِيَ الْقِيُودُ ؛ فَأَخْلَعُوا جَمِيعًا مِنْ كَانُوا عَلَى أُمُالِهِمْ ، وَفَارَقُوا الْجَمَاعَةَ لِمَوَاتِيهِمْ ؛ وَحِيلُوا إِلَى الْحَيْثُوسِ النَّائِي الْمَكَانِ ؛ وَأُودِعُوا أَحْيَاءَ فِي هُكْمِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ كَالْأَمْوَاتِ ، وَقَدْ تَالُوا الْمَقْصِدَ إِلَّا أَنَّهُمْ

مَا آمَنُوا الْقَوَاتِ ؛ وَكُلَّ بِحِفْظِهِمْ إِلَى أَنْ يُشْرِفَ سِرُّ الْمَلِكِ بِقَعْدِ مَقَامِهِ وَعُقُودِ
أَيَّامِهِ الْحَوَالِي ، وَسَعْدِ زَمَانِهِ الَّذِي لَا يَجْمَعُ بِالنَّجْمِ إِلَّا خَدَمَ الْيَالِي .

وَهَذَا النَّصْرُ إِنَّمَا تَهَيَّأَتْ - وَفِي الْحَمْدِ - أَسْبَابُهُ ، وَهَذَا الْفَتْحُ إِنَّمَا فَصَحَتْ بِمُشِيئَةِ اللَّهِ
أَبْوَابُهُ ؛ بِمِنَّةِ اللَّهِ وَنِيَّةِ الْمَقَامِ الْعَالِي لَا بِمِنَّةِ أَحَدٍ ، وَلَا بِمِنَّةِ بَأْسٍ مِنْ أَقْدَرٍ ، وَلَا بِأَسٍ
مِنْ حَجَرٍ ؛ وَمَا قَضَى اللَّهُ بِهِ مِنْ سَعَادَةِ هَذِهِ الْأَيَّامِ ، وَمَضَى بِهِ الْقَدَرُ السَّابِقُ وَعَلَى اللَّهِ
الْتِمَامُ ، وَبِعَظَمَةِ الْجَنَابِ الْكَرِيمِ السَّيْفِيِّ ، قَطْلُوْنَا الْفَخْرِيَّ السَّاقِي النَّاصِرِيَّ ؛ أَدَامَ اللَّهُ
نُصْرَتَهُ لِهَذِهِ الْعَصَابَةِ الْمُؤَيَّدَةِ ، وَبَعَضَاءِ صَرَائِمِهِ الَّتِي مَآوَتْ ، وَقَضَاءِ قَوَاضِيهِ الَّتِي
مَا أَتَشَفَّتْ ، وَبِمَوَازِرَةِ مَنْ أَلْفَ عَلَيْهِ مِنْ أَكْبَرِ الْأُمَرَاءِ ، وَبِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنْ مُطَافَرَةِ
الْآرَاءِ ، وَتَزَوُّطِهِ عَلَى النِّيَّةِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، وَلَا يُبَيِّتُهُمْ مَنْ بَذَلَهُمْ ، وَلَا يَبَالُغُونَ
بِسَاكِرِ دِمَشْقِ الْمَقْبِيَةِ عَلَى حَلْبٍ وَمِنْ مَالِ الْيَهُودِ ، وَمِمَّا لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ طَيْمَنٌ ، وَمِنْ أَنْصَافِ
الْيَهُودِ مِنْ جُنُودِ الْبِلَادِ ، وَجِيُوشِ الْعِنَادِ ؛ وَلَا تَوَاقُفٌ مَا كَانَ يَبْعَثُ إِلَيْهِمْ ذَلِكَ الْخَلْقُ مِنْ
وَعِيدِهِ ، وَلَا وَلاَهُمْ مَا كَادَ يُحْطَفُ أَبْصَارُهُمْ مِنْ تَهْدِيدِهِ ؛ وَلَا بَالُؤًا بِمَا أَلْبَسَ عَلَيْهِمْ مِنْ
جُنْدِ الشَّامِ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَصَبَّ عَلَيْهِمْ سُيُولُهُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ ؛ وَخَادَعَهُمْ بِالرِّسَالِ
الَّتِي مَا تَزِيدُهُمْ عَلَيْهِ إِلَّا إِيَّاءَ ، وَلَا تُسَكِّتُهُمْ أَنْ السَّيْفَ أَصْدَقَ مِنْهُ لِنَبَأِهِ ، حَتَّى وَلَّى
لَا تَنْفَعُهُ الْخِدْعُ ، وَلَا تَنْصُرُهُ الْيَدْعُ ؛ لَهَا أَسْعَدَتْهُ تِلْكَ الْجُمُوعُ الَّتِي جَمَعَهَا ، وَلَا أَجَابَتْهُ
تِلْكَ الْجُنُودُ الَّتِي سَارَ عَلَيْهَا إِلَى مُكْنَى أَجَلِهِ ، وَلَا وَقَّتْ تِلْكَ السُّيُوفُ الَّتِي لَمْ يَنْظُرْ لَهَا
مِنْ بَوَارِقِهَا إِلَّا حِمْرَةً أَتَجَمَّلُ ؛ حَتَّى أَخَذَ مَعَ طَافِئَتِهِ بِلِ طَافِئَتِهِ بِعَصْرِ ذَلِكَ الْأَخَذِ
الْوَيْبِلِ ، وَقُفِّدَ بِهِ إِلَى مَهْوِي هَلَكَةِ سَيْلِ ذَلِكَ السَّنِيلِ ؛ وَقَامَ مِنَ الْبُدَايَةِ الْمَصْرِيَةِ
قِيَامَ رَجُلٍ وَاحِدٍ ، وَتَنَظَّرُوا عَلَى إِزَالَةِ ذَلِكَ الْكَافِرِ النُّعْمَةِ الْجَاهِدِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْأُمَرَاءِ
إِلَّا مَنْ بَذَلَ الْجُهْدَ ، وَجَمَعَ قُلُوبَ الرِّعْيَةِ وَالْجُنْدِ ؛ وَفَعَلَ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ مَا لَمْ
يَكُنْ مِنْهُ بَدٌّ ، حَتَّى حُدِّدَ الْأَمْرُ وَحُدِّدَ الْجَمْرُ ؛ وَتَوَارَتْ الْكُتُبُ بِمَا عَمَّتْ بِهِ الْبَشَرِيَّةُ

من إقامة النِّعَةِ بِاسْمِهِ الْكَرِيمِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ أُعْطِيَ الْإِيمَانَ وَأُعْطِيَ الْإِيمَانَ ،
وَأَتَمَّ الْحَلِيفَ إِتْمَامًا لَا يُقَدَّرُ مَعَهُ ثَمَنٌ ؛ وَأَقِيمَتْ لَهُ السَّكَّةُ وَالْخَطْبَةُ فَرُفِعَ عَلَى الْمَنَابِرِ اسْمُهُ
وَتَهَلَّلَ بِهِ وَجْهُ الْقُصُودِ ، وَظَهَرَ عَلَى أَسَارِيرِ الْوُجُودِ ؛ وَضُرِبَتْ الْبَشَائِرُ ، وَنَهَبَتْ
الْمَسَرَّاتِ السَّرَائِرُ ؛ وَتَشَوَّفَتْ أَوْلِيَاءُ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ أَدَامَ اللَّهُ سُلْطَانَهَا إِلَى حُضُورِ
مَلِكِهَا ، وَسُقُورِ الصَّبَاحِ لِإِذْهَابِ مَا بَقِيَ مِنْ حَقَائِلِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ حُلُكُمَا . وَالْمَقَامُ الْعَالِي
مَا يَزِيدُ حِلْمًا ، وَلَا يَزِيدُ حَزَنًا ، وَهُوَ أَدْرَى بِمَا فِي التَّأخِيرِ ، وَبِمَا فِي الْبُعْدِ مِنَ الضَّرَرِ الْكَبِيرِ ؛
وَمِثْلُهُ لَا يَعْلَمُ ، وَمَنْهُ يُتَعَلَّمُ ؛ فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَحِبُّ مِنْ مَسَابَقَةِ قُدُومِهِ لِلْبَشِيرِ ، وَمَا سِعَى
مِنْ مَعَالِيهِ لَامْتِطَاءِ جَوَادِيهِ ظُهُرِ الْخَمَالِ وَبَطْنِ السَّرِيرِ ؛ فَاقَهُ اللَّهُ ! فِي تَسْجِيلِ حِفْظِ
هَذَا السَّوَامِ الْمَشْرُودِ ، وَضَمِّ هَذَا الشَّمْلِ الْمَشْتَتِ وَتَنْظِمِ هَذَا الْعَقْدِ الْمُبَدَّدِ ؛ وَجَمْعِ كَلِمَةِ
الْإِسْلَامِ الَّتِي طَالَمَا أَفْتَرَقَتْ ، وَاتِّحَاجِ طَارِضِ هَذِهِ النِّعَةِ الَّتِي أَرْبَقَتْ ؛ وَسِرَّةِ الْمَسِيرِ
فَإِنَّ صَبِيحَةَ الْيَوْمِ الْمُبَارَكِ الَّتِي يُسَرِّفُ مِنْ أَقْلِهِ قَدْ أَشْرَقَتْ ؛ فَسَاقِي مَا بِهِ يُقْتَدَرُ ،
وَلَا يَسُوئُ مَقْدَمَهُ السَّعِيدُ يُتَقَطَّرُ .

وَقَدْ كَتَبْنَاهَا وَيَدُنَا مَمْدُودَةٌ لِمَا يَحْتَقِرُ ، وَقُلُوبُ الْخَلْقِ كُلِّهَا مُسْتَعِدَّةٌ لِمَا يَحْتَقِرُ ؛ وَكَرْبَى
الْمُلْكُ قَدْ أَزْلَفَ لَهُ مَقْعَدَهُ ، وَمَوْءَلُ الظُّفْرِ قَدْ أُجْجِلَ مَوْعِدُهُ ؛ وَالْدهْرُ مَطَاوِعُهُ
وَالزَّمَانُ مُسْعِدُهُ ، وَطَوَائِفُ أَوْلِيَائِهِ لِيَوْمِ لِقَائِهِ تُرْصِدُهُ ؛ وَالْعَهْدُ لَهُ قَدْ كُتِبَ ،
وَلَوْ أَنَّ الْمُلْكَ عَلَيْهِ قَدْ نَصِبَ ؛ وَالْمَنْبَرُ بِاسْمِهِ عَلَيْهِ قَدْ خُطِبَ ، وَالِدِينَارُ وَالْدِرْهَمُ هَذَا
وَهَذَا لَهُ قَدْ ضُرِبَ ؛ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَقْتَرِبَ ، وَتَرَى الْعِيُونَ مِنْهُ مَا تَرْهَبُ ؛ وَيَحُلَسُ
عَلَى السَّرِيرِ ، وَيُزْمَعُ الْمُبَشِّرُ وَيُعْزَمُ عَلَى الْمَسِيرِ ؛ وَتُزَيَّنُ الْإِهْلَامُ ، وَيَبِينُ تَسْيِيرُ شَهَابِهِ
مَا كَانَ يُقَرَأُ لَهُ فِي التَّقَاوِيمِ ؛ لِأَزَالِ حَبِيبِ مُلْكِهِ عَلَى الْأَفْطَارِ مَزْدُورًا ، وَذِيلِ نَفَارِهِ
عَلَى السَّمَاءِ مَجْرُورًا ، وَحَبْلُ وَكَيْهِ مُتَصِلًا وَقَلْبُهُ مَسْرُورًا ، وَمَقْلَمُهُ يَحُوزُ لَهُ مِنْ إِرْثِ
آبَائِهِ نِعْمًا جَمْعًا وَمُلْكًا كَثِيرًا ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الأسلوب الثالث

(ما استقر عليه الحال في زماننا إلى خلافة الإمام

المتوكل على الله خليفة العصر)

وهو أن تفتتح المكتبة بالسلام، ويؤتى في ألقاب المكتوب إليه بما يكتب من الألقاب عن السلطان على ما سيأتى ذكره في المكتبات السلطانية في الباب الثانى من هذه المقالة، إن شاء الله تعالى .

مثال ذلك : أن تكون المكتبة إلى نائب الشام مثلا، فالذى يكتب إليه عن السلطان : « أعز الله تعالى أنصار المَقَرِّ الكريم العالى » إلى آخر الألقاب الآتى ذكرها هناك، ويكتب عن الخليفة « سلام الله تعالى ورحمته وبركاته يُخَصُّ المَقَرِّ الكريم العالى » إلى آخر الألقاب .

قلت : ولو سلكوا سبيل الخلفاء السابقين في المكتبات الصادرة عنهم : من الابتداء بلفظ « من عبده الله ووليه أبى فلان فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين إلى فلان على ما تقدم » وأتوا في ألقاب المكتوب إليه بالألقاب المستعملة في [ذلك] الزمان في المكتبات السلطانية : مثل أن يكتب عن الإمام المتوكل على الله محمد خليفة العصر إلى نائب الشام « من عبده الله ووليه أبى عبده الله محمد الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين ، إلى المَقَرِّ الكريم العالى الأميرى الكبيرى » إلى آخر الألقاب المقدم بيانها في المقالة الثالثة . ثم يقال : « وسلام على المَقَرِّ الكريم ، فإن أمير المؤمنين محمد إليه الله الذى لا إله إلا هو ويسأله أن يعصى على عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم » . ثم يقال : أما بعد، فإن كذا وكذا، ويؤتى على المقصد ويختم بالطاء وغيره لكان أذهب مع الصواب، وأوفق لمكتبة الخلفاء السابقين، وأقرب إلى أقتفاء سبيلهم .

الطرف الخامس

(في الكُتُب الصادرة عن الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية،
وفيه ثلاث جمل)

الجملة الأولى

(في الكُتُب الصادرة عنهم على سبيل الإجمال)

وقد ذكر صاحب "مواد البيان" وكان من كبار دولتهم في المكاتبات الصادرة عنهم نحو المكاتبات الصادرة عن خلفاء بني العباس ببغداد، فقال : وإن كانت المكاتب من الخليفة فيلبي للكتاب أن يفضل من الدرج قدر ذراع ثم يستفتح بسم الله الرحمن الرحيم في سطر أول : لأنها أولى ما يُستفتح به، ثم يكتب في سطر ثانٍ يلاصقها ويخرج سبواً «من عبد الله ووليه فلان بن فلان إلى فلان» ويبدأ بذكر نعمته إن كان الإمام شرفه بنت : «سلام عليك فإن أمير المؤمنين يمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصل على محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وصل الله على الأئمة المهديين ويسلم تسليماً». ويكون هذا التصدير في سطرين، يجعل بينهما فضاء قيس شبر، ولا يزيده عن ذلك ولا ينقصه فيخرجه عن حده، ثم يترك بعد هذين السطرين فضاء نصف الذي بينهما، ثم يقول : أما بعد، ويقتصص المعاني معنى معنى، فإن كان أمراً أسر به الإمام قال بعد آفضاء الكلام : وأمر أمير المؤمنين بكذا. ثم يقول بعد فصيل أوسع من الفصيل الأول «فاطم ذلك من أمير المؤمنين ورسمه وأعمل عليه بحسبه». ويقول للخطابين من الطبقة العالية : والسلام عليك ورحمة الله، ويفرد بالسلام من دونها.

وقد كانت العادة جارية أن يقال في آخر الكتب النافذة عن الإمام «وكتب فلان بن فلان» باسم الوزير وأسم أبيه، ثم بطل هذا الرسم في الدولة العلوية

ولا يكتب أحدٌ بالتصدير إلا الإمامُ ووليُّ عهده . وهذه المكتبة عامَّةٌ للناس جميعاً في الأمور السلطانية التي تُنشأ فيها الكُتُب من الدواوين ، ولا يخاطبُ أحدٌ من الخليفة إلا بالكاف .

الجملة الثانية

(في الكُتُب العامة ؛ وهي على أسلوبين)

الأسلوب الأول

(أن يفتَحَ الكتابُ بلفظ : « من عبد الله ووليه أبي فلان

فلان الإمام الفلاني » على ما تقدم ترتيبه)

وعلى هذا الأسلوب كان الحالُّ في ابتداء دولتهم وإلى أوساطها .

وهذه نسخة كتاب كتب به الإمام العزيز بالله زيار الفاطمي إلى حامله بمصر يشتره بالفتح حين خرج إلى قتال القرمطي بالشام في سنة سبع وستين وثلاثمائة ، مما أورده المسبحي في تاريخه :

من عبيد الله ووليِّه زيار أبي المنصور العزيز بالله أمير المؤمنين ، إلى حسين بن القاسم . سلام عليك ، فإن أمير المؤمنين يحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصليَّ على جده محمد بنه ورسوله صلى الله عليه ، وعلى الأئمة من عترته الأبرار ، الطاهرين المطهرين وسلم تسليمًا .

أما بعد ، فالحمد لله الملك العظيم ، العليم الحليم ، ذي الطول الكريم ، والعنّ الجسيم ، والعزّ الشديد ، والجمال الشديد ، ولى الحق ونصيره ، وماحق الباطل ومبيده ، المتكفل بالنصر والتمكين ، والتأييد والحصين ، لأوليائه المتقين ، وخلفائه المصطفين الذابين

عن دينه ، والقائمين بحَقِّه ، والدالين على توحيدِه ؛ الحاكم بإعلاء كلمتهم ، وإفلاج مُججهم وظهورهم على أعدائهِ المشاكين له ، الضالِّين عن سبيلهِ ، المُلحدين في آيائِهِ ، الجاحدين نِعَمِهِ ، المتزلِّزِ رِجْلُهُ ، وقوارع بأسِهِ على من عصاه خفادَهُ ، وصَدَّ عنه فناذِهِ ، القاضى بالعواقب الحُسنَى والفوز والنماء لمن أسلم وجهه له وتوكل عليه في أمرِهِ ، وفوض إليه حُكْمَهُ ؛ كُلُّ ذلك فضلاً منه وعدلاً ، وقضاءً فصيلاً ؛ وهو الحَكَمُ السَّدْلُ الذى لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ .
 فَبَارِكْ اللهُ الْغَالِبُ على أمرِهِ الْفَرْدُ فى مُلْكِهِ ؛ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عُلُوُّ كِبَرِهِ . والحمد لله الذى آتَمَتْ عَبْدَهُ الْمُصْطَفَى ، وَأَمِينَهُ الْمُرْتَضَى ؛ من أَكْرَمَ مَنَئِخٍ وَتَبِعَهُ ، وَأَظْهَرَ مِلَّةَ وَشَرَعِهِ فى أَفْضَلِ دَعْوَةٍ وَعَصْرٍ ؛ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَاباً مِنْ وَحْيِهِ حَكِماً غَيْرَ ذِى عِوَجٍ قِيَمًا بِدِيْعِ النِّظَامِ ، دَاخِلًا فى الْأَفْهَامِ ، خَارِجًا عَنْ جَمِيعِ الْكَلَامِ ، لَيْسَ كَسُجْعِ الْكُفَّانِ ، وَلَا كَتَحْيِيرِ ذَوَى اللِّسَنِ وَالْيَدَانِ ؛ وَقَدْ تَفَرَّقَتْ بِالْأَمَمِ أَهْوَاؤُهُمْ ، وَتَوَضَّعَتْ أَرَادُهُمْ ، فَفَسَلَتْ أَهْلَامُهُمْ وَعَمِيَتْ أَفْهَامُهُمْ وَاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ، فَبَسَّوْا الْأَصْنَامَ وَالْأَوْثَانَ ؛ جَهْلًا بِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ ، قُدَّامِهِ إِلَى الْإِقْرَارِ بِإِلَهِيَّتِهِمْ ، وَعَرَفَهُمْ وَحْدَانِيَّةَ رَبِّهِمْ وَكَانَ حَرِيصًا عَلَى إِرْشَادِهِمْ ، جَادًّا فى الْاجْتِهَادِ ، هَالِكًا لِلدَّعَةِ وَالْمِهَادِ ؛ صَابِرًا عَلَى تَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ ، وَتَهْنِئَةِ الْمُلْحِدِينَ ؛ يَنْصَحُ لَهُمْ فَيَسْتَكْبِرُونَ ، وَيَنْهَى لَهُمْ فَيَرْضَوْنَ ، وَيَعْدُّهُمْ فَيَسْتَبْزِلُونَ ؛ حَتَّى ظَهَرَ دِيْنُ اللهِ فَسَمَّا ، وَطَمِنَ الْكُفْرُ فَاتَّحَقَّ وَعَقَا ؛ وَعَمَّتْ بَرَكَتُهُ ، وَفُضِّلَتْ عَلَى الْأُمَمِ أُمَّتُهُ ، وَطَلَّتْ عَلَى الْمَلَلِ مِلَّتُهُ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ صَلَاةِ الْمُصَلِّينَ ، وَزَادَهُ شَرَفًا فى الْعَالَمِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

والحمد لله الذى حَبَّأَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاتَّخَذَهُ خَلِيفَتَهُ ، وَجَعَلَهُ صَفِيَّةً مِنْ خَلْقِهِ وَأَمِينَةً عَلَى عِبَادِهِ وَهَادِيًا إِلَى سَبِيلِهِ ، قَائِمًا بِحَقِّهِ ، مُقْسِطًا فى أَرْضِهِ ؛ ذَابًّا عَنْ دِينِهِ ؛ نَحِيًّا بِمَا أَمَاتَهُ أَهْلُ الْكُفْرِ مِنْ أَحْكَامِهِ ؛ وَأَيَّدَهُ بِنَصْرِهِ ، وَأَمَلَهُ بِقُوَّتِهِ ؛ وَتَكَفَّلَ لَهُ بِالنَّجْحِ

في مسعاه ، والظفر بمبتغاه ، ونيل طليته فيما أمه وآياته . وحكم بكنيت كل ملوئه
ونزيعهم ، ولإذلالهم وتحقيقهم وخذلهم ، ولإيهان كبريهم ، وضرب الذلة عليهم حيث
كانوا وأين كانوا ؛ فلا يتبع ناعق منهم يطلال ، أو يسعى فسق وخيال ؛ أو يدفع
إلى اقتراء على الله أو مروءة عن دينه أو إلهاب ما فرض الله عز وجل من طاعة
إلا اصطلمته وأخره ، وأكبه لوجهه وأزاده ، وقضى عليه بالشقوة في دنياه ، وعذاب
الآخرة في أخره .

والحمد لله الذي مسح فاجل ، وأعطى فاجز ، من نعمه السابعة ، والآية المتابعة ؛
التي لا يوازيها شكر ، ولا يدرك كنهها ذكر ؛ حمداً يوجب منه المزيد ، ويستدعي
المِنَّة والتجديد ؛ وإليه رغب أمير المؤمنين خاضعاً ويسأله راجعاً حُسن العون على
ما بلغ رضوانه ، وأمرت فضله وإحسانه . وتقدم أمير المؤمنين إليك بما هياه الله من
وُصوله إلى مدينة الرملة على أجل صنْع والطف كفاية ، وأتم أمن ، وأكل عز
وأوطد حال ، وأحسن انتظام ، وأبسط يد ، وأظهر قُدرة ، وأشمل هيئة ؛ وبما ألقى
الله أمير المؤمنين في حَلِّه وطمعته ، وأرتجاله وتوابعه : من نعمه العميمة ، ومواجهه
الجسيمه ؛ ومنحه الجليله ، ومنته الجزيله ؛ وأنه مما يستغرق الحمد والشكر ، ويفوت
الإحصاء والنشر ، وذكر أمير المؤمنين أمر العيين التركي وهربه من بين يديه ، وأنه لم
يلو على شيء إلى أن بلغ طبرية الذي تماخذه من الفرق ، وأستولى عليه من القلق ؛
ولما سكن قلبه من الرعب ، وحشاه من الرهب ؛ بقصد أمير المؤمنين لآه وإفذاذه
السرى طلبه ومواصلة الأمان ، ومتابعته الإكباب . ووصف أمير المؤمنين ما عليه
عزيمته في تبعمه واقتفاء أثره ، والحلول بمقوته حيث قصد وحل ، لثقت بالله ربه ،
وتوكله عليه ، وغوضه إليه . ولم يزل جل وعز يؤي أمير المؤمنين - بعد نقوذ

(١) القوة ماحول الفار والهة ، انظر القاموس ، ووقع في الأصول بالفاء بدل القاف وهو تصحيف .

كتابہ۔ من عزویدہ، وغلقر یؤکدہ، ونصر یوطئہ، والایہ یجئدہا، ومواہب یتابعہا،
وعذو یذلہ، ومتاو یقلہ، وشارید یصرفہ إلى طاعته، ومارق یعیدہ إلى موالاتہ، إلى
أن تم له من ذلك ما واصل به حمد الله عليه، وتبیا له ما تواتر شكره له جل وعز فيه
وكان مع ذلك مواصلاً إلى اللعين الإعذار، ومتابعا الإنذار، ومعدراً له ما يُعذر، ومستدعيه
إلى ما يُختار ويُؤثر، ومنيئا له مما يئس به مثله من الفجوة عنه، وتقدم ما جرى منه،
والإقالة لغفرته، والتجاوز عن حقوته، والامتنان عليه بما رغب فيه من تقليده ناحية
من نواحي الشام، وإدراي الأرزاق طيه وعل رجاله وأصحابه، وإشاره بالفضل
الجليل، واختصاصه بالعلول الجزيل. فما تنجح في الفاسق وعد، ولا تنجح فيه وعظ،
ولا وفق إلى قبول حفظ، ولا أضفى إلى قبول تذكرة، ولا أناب إلى تبصره. وما زال
جادا في شهرك، متاديا على تمهكه، جاريا على ضلالتہ، سالكا سبيل عميائه، مترددا
في غوايته، متلبدا في جهائته، مقتدا أن بأس الله لا يرهقه، وسطوته لا تلهقه،
ورجن لا يهقه، وذنوبه لا ترهقه، وأجرامه لا تؤيقه. وما زال اللعين في خلال ذلك
يسط آمال العرب ويرجيا، ويرغبا ويمنيا، بأقوال كاذبه، وآمال خائبه، ومواعيد
باطله، حتى أضفى أكثرها إلى غروره، وقبول إفيكه وزوره، وأجابته طائفة
طاغية، ووصلت إليه متابعيه، فتوفر جمعه، وكثر صدقه وأشدت طمعه، وقوى
أمله، وتمكن له باستدراج الله إياه وفضبه عليه أن يورط عصبته ومن آخذعه
ينيه وأستغزه معه جهله، ويوردهم جميعا ونفسه الرذلة موردا لا صدر له، ولا
علل يصد، تفرج من طيريه وحل يسان، عل الخزي والخوان، فسندها آتتهى
إلى أمير المؤمنين خبره وهو يومئذ في المنهل، الذي حصل فيه بعد رجيله
من الرملة وهو الموضع المعروف بالطواحين. فعند ما قرب أستجرا الفاسق
اللعين، وأعتمد ما يود بطاعه، أقام في الموضع أياما ناظرا فيما يحتاج إليه، مناهبا

لما يريد ، وكان ذلك هو السبب الذى أطعمه . فبعد ما طمع قاده الحين
 الغالب ، والقدر الجالب ؛ وما أراد الله عز وجل من استدراجه الى موضع نكاله ،
 ومنهل وباله ؛ ورحل من بيسان رحيل من استجلت له اليه ، واستدعته الرزية ؛
 فلما موضع يعرف بكفر سلام ، كافراً بمحدود الإسلام ، متجرباً على الله عارياً ليجل
 نيته عليه السلام ؛ وأقام بها متلداً في حيرته ، متردداً في سكرته ، ثم استجره شومه ،
 وقاده حينه ولومه ؛ الى أن رحل فترل بكفر سابا البريد ، فأنابه أسمها بما حل به من
 السبي الميسد والخرى الشديد ؛ ثم لم يلبث أن ضرب مضاربه الما شوكه ، ونصب
 أعلامه المقلولة ، وأقام صفوفه المقلولة ؛ وأظهر آلة الحرب إقداما ، و [أخفى]
 عن اللقاء إجماما .

فأمر أمير المؤمنين بترين العساكر المنصورة والجيوش المظفرة وتبينها على
 مراتبها ، وترتيبها على مواكبها ، وتجهت الى قوادها أن لا يمشوا إلا صفاً ،
 ولا يسيروا إلا زحفاً ، وعرفهم أنه سيسير بنفسه ، ويقصد المين بموكبه وجمهوره
 ومن معه من حمة رجاله ؛ وأنه لا يثنيه عن الفاسق ثاين ولا يصرفه عن الاكتحام
 صاير ؛ فبدأ من عزائمهم ، وشدة شكائهم ، وخلوص بصائرهم ، وسكون
 أفئدتهم ، وثبات أقدامهم ، ما كانت به دلائل النصر واضح ، وشواهد الفلج لائح ؛
 وعلامات الفتح ظاهره ، وآيات التفتح باهره ؛ فمشوا على ما أمروا ، وساروا على
 ما سيروا ؛ فمدا ما دتوا من علو الله أصابوه لجلاد مبيد ، وفي المحاربة مجتداً ،
 واستخاروا الله عز وجل وتدانوا للطلاق ، والأخذ بالنواصي والأغناق ؛ وقامت
 الحرب على ساق ، وتجرع منها أمر مداق ؛ فاستطار شرارها ، وتاججت نارها ؛
 وأزفع دخانها ، وعظم شأنها ؛ والتم الأقران بالأقران ، وأشدت الضرب والعذاب ؛

إلى أن مضى أمير المؤمنين بنفسه، وجمهور موكبِهِ؛ متوكِّلاً على الله، ماأنا إليه بيمِّدُه
 مجد صلَّى الله عليه وسلم، متوسِّلاً بتقلِّمِ وَدَّه، وسالِف إمامه عنده، وقصد اللعين
 غير متلَوِّم عن مصادمته، ولا معرِّج عن ملاحمته؛ فقويَّتْ قوُوسُ أوليائه وعبيده،
 ومن أشتملت عليه عساكرُه المنصورة، وجيوشُه المظفَّرة بما تبيَّنوه من إقدامه،
 وشاهدوه من اعتزامه؛ وجملوا على الفاسق وأحزابه؛ وقذف الله في قلوبهم الرعبَ
 فترزلت أقدامهم، وأرعشت أيدِهم ونجبت أفتلثُهم، وولَّو الدبرَ منزمين، ومنحوا
 ظُهُورَهم مؤلِّين؛ وأقربوا ثلاثَ فرقٍ: فرقةٌ قُتِلت في المعركة، وصُرِعت في الملحمة؛
 فاحترَّت رؤوسهم، وفرقةٌ أحسَّت وقعَ السيف وإرهاقَ الخُتوف؛ فاستأمنت تحتَ
 الذَّلَّة والصغار، والقلَّة والافتقار، فُبقيت عليهم الأرواح، وحُفنت منهم النِّماء .
 وفرقةٌ أسرت أسرا، وقُتِلت قتيلا؛ وهرب التركيُّ اللعين رئيسَ ضلالتهم، وعُميد
 كفرهم؛ في شُرَيْنمة من أصحابه، فظنَّ أن ذلك من بأسِ الله يُغييه؛ ومن الأخذ
 بَحْكْمِهِ يُوقيه، هِمَات! كما قال الله عز وجل: ﴿هِيَآتْ هِمَاتٍ لِمَا تُوعَدُونَ﴾:
 ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ فاتبعه سرطانُ الخيلِ
 وخِفَافُ الرِّجَالِ؛ مع مفرِّج بن دُخْفَل بن جراح، فأخذَه قبْضا وأتى به قودا أسيرا
 من غير هُند، وذليلاً من غير عُدَد؛ وأستولى أهلُ السَّاكر المنصورة، والجيوشُ
 المظفَّرة على مُناخه وسَوَادِه، وما كان فيه من مال وأثاثٍ وكُراع وقِنَاع؛ وقليل
 وكثير، وجليل وحضير؛ فحازوه وأَسْعَوْا به، وأكثروا من حمد الله، وأنصروا
 إلى مُعسَكْرهم سالمين، بالمغنم والظفر آمين؛ لم يُكَلِّم منهم أحد، ولم يتقصَّ لهم صدَد؛
 وكان جملة ما أتوا به معهم من رؤوس الفسقة زائداً على ألف رأس، ومن أسرارهم
 ثمانمائة أسير، غير من أسْتُؤِمن وقت الإيقاع بهم، ولم يُقِلَّت من النسقة إلا من هَرَبَ

(١) القناع صانعة كثيرة ومنها السلاح وهو المراد هنا .

بِحُشَاةٍ نَفْسَهُ مَعَ مَنْ لَأَمَ التُّرْكُ اللَّسِينَ، وَصَاحِبُ عَقْدِهِ وَمُورَطُهُ فِي هَلَاكَهٖ،
وَقَاتِلُهُ إِلَى هِمَامَتِهِ، وَسَاقِيهِ إِلَى مُوَقَّاتِهِ؛ وَهُوَ كَاتِبُ الْمَرْفُوفِ بَابِنِ الْحِمَارَةِ، فَلَحِقَ
بَطَبِيرِيَّةً تَقْتِيلُ هُوَ وَجُلٌّ مِنْ كَانَ مَعَهُ وَأَحْتَرَّ رَأْسَهُ وَأَتَى بِهِ؛ فَجُكَّتِ النِّعْمَةُ،
وَنَمَتِ الْمَوْهَبَةُ؛ وَتَجَدَّدَ حَمْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَاتَّصَلَ شُكْرُهُ، لَمَّا أَوْلَاهُ مِنْ جَلِيلِ عَطَايِهِ،
وَكَرِيمِ حِبَابَتِهِ، وَسَنَى آلَاةَهُ . وَكَانَ مَا آتَاهُ اللَّهُ مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ، وَأَكْبَرِ شَوَاهِدِهِ،
وَأَخْتِصَاصِ إِفْهَامِهِ وَأَتَقَنَّا بِهِ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ ! ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
عَلَى عَطَايِهِ الْهَنِيِّ، وَجِبَابَتِهِ السَّنِيِّ؛ وَمَا أَيْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَعَزَّ الدِّينِ، وَقَعَ الْمُشْرِكِينَ؛
إِذْ كَانَ الْفَاسِقُ اللَّسِينَ، التُّرْكُ الْقَوِيُّ الْمُبِينُ؛ ثَلَاثَةً مِنْ تُلَّهِمْ وَرُكَّازًا مِنْ أَرْكَانِهِمْ،
وَحِزْبًا مِنْ أَحْرَابِهِمْ، وَوَقْتًا مِنْ أَوْثَانِهِمْ، وَطَاقِيَّةً مِنْ طَوَاعِيهِمْ؛ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي بِلَدِ
الْمُسْلِمِينَ يَدٌ تَعَصَّدُ عَنْهُمْ بِأَمْسٍ غَيْرِهِمْ، وَلَا عَضْدٌ يَدْفَعُونَ بِهَا سِوَاهُ . وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
يُرِغِبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُوزِعَهُ الشُّكْرَ عَلَى مَا أَوْلَاهُ، وَيُوجِدَهُ سَبِيلًا إِلَى بُلُوغِ
مُبْتَغَاهُ؛ مِنْ إِعْزَازِ الْمَلَّةِ وَالْدِّينِ، وَإِحْيَاءِ شَرِيعَةِ جَدِّهِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ؛ وَمُجَاهَدَةِ التُّرْكِ
وَالْمُشْرِكِينَ، وَقَعَ الظَّالِمِينَ وَالْقَانَطِلِينَ وَالْمَارِقِينَ؛ حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَيَتَّحِمَ
الْقُلُوبُ عَلَى طَاعَتِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ .

أَمْرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِتَعْرِيفِكَ ذَلِكَ، وَتَلْخِصِ الْكُتُبَ إِلَيْكَ، لَتَقِفَ عَلَيْهِ وَتَذَيِّبَهُ،
وَتَشْتَهَرَهُ فَيَا قَبِيلَكَ؛ وَتَجَدَّدَ اللَّهُ عَلَى مَا مَتَّحَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النِّصْرِ، وَمَكَّنَهُ مِنَ الظَّفَرِ .
فَاعْلَمْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . وَكَتَبَ يَوْمَ الْخَمِيسِ
لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِيْنَ مِنَ الْحَزَرَمِ سَنَةِ سَبْعٍ وَسِتِّينَ وَثَلَاثَةَ .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بمُطَبَّعة مَفْتَحَة بالحمد لله)

وعليه كان الحال في أوامر دولتهم . وعليه جرى في "مواد البيان" في الأمثلة التي ذكرها .

وهذه نسخة كتاب مما أورده في "مواد البيان" بشارة بفتح، وهي :

الحمد لله مُدَبِّلُ الْحَقِّ وَمُنِيرُهُ ، وَمُذِلُّ الْبَاطِلِ وَمُبِيرُهُ ، مُؤَيِّدُ الْإِسْلَامِ بِبَاهِرِ
الْإِعْجَازِ ، وَقَسَمِ وَعِدِهِ فِي الْإِظْهَارِ بِوُثُوكِ الْإِنْجَازِ ؛ أَحْمَدُ كُلِّ دِينٍ وَأَعْلَاهُ ، وَرَقَصَ
كُلَّ شَرِّعٍ وَأَجْتَبَاهُ ؛ وَجَعَلَهُ نُورَهُ الْإِلَامِ ، وَظِلَّهُ الْمَسَامِحِ ؛ وَأَبْتَعَتْ بِهِ الْمِرْجَ الْمُنِيرَ ،
وَالْبَشِيرَ النَّذِيرَ ؛ فَأَوْصَحَ مَنَاجِيَهُ ، وَبَيَّنَ مَنَازِجَهُ ؛ وَأَنَارَ أَعْلَامَهُ ، وَقَصَلَ أَحْكَامَهُ ؛
وَمَنَّ حِلَالَهُ وَحَرَامَهُ ، وَبَيَّنَ خَاصَّهُ وَطَاقَهُ ؛ وَدَعَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ ، وَحَصَّنَ عَلَى التَّحْكُكِ
بِعَصَمِ دِينِهِ ؛ وَثَمَّرَ فِي نَعْمِهِ مَجَاهِدًا مَن تَدْعُن سَبِيلَهُ ، وَعِنْدَ عَنْ دَلِيلِهِ ؛ حَتَّى قَصَبَدَ
الْأَنْصَابَ وَالْأَصْنَافَ ، وَأَبْطَلَ الْمَيْسَرَ وَالْأَزْلَامَ ؛ وَكَشَفَ غِيَابَاتِ الْإِظْلَامِ ، وَأَتَمَّلَتْ
خَيْلُ اللَّهِ بِقِبَالِ الْهَامِ .^(١)

يَعْمَدُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ جَعَلَهُ مِنْ وَلَاةِ أَمْرِهِ ، وَوَقَّفَهُ لِاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِهِ وَأَقْفَاءِ
أَثَرِهِ ؛ وَأَطَاعَتِهِ عَلَى تَحْكِيمِ الدِّينِ ؛ وَتَوْهِيْدِ الْمُشْرِكِينَ ، وَشِفَاءِ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْهَضَهُ
بِالْمُرَاةَةِ عَنْ الْمَلَّةِ ، وَالْحَمَامَةِ عَنْ الْحَوَزَةِ ؛ وَاعْزَازِ أَهْلِ الْإِيمَانِ ، وَإِذْلَالِ حَرْبِ
الْكُفْرَانِ . وَبِسَائِلِهِ الصَّلَاةِ عَلَى خَيْرَتِهِ الْمَحْبِيِّ ، وَصَفْوَتِهِ الْمُتَّقِي ، عِدَّ أَفْضَلَ مِنْ ذَبِّ

(١) كذا في الأصول متبنيًا عليه بعلامة التوقف ولعله وهم وطبع الخ كما يفيد السج .

(٢) قبائل الرأس أطيافه وفي الأصول "قبائل" بالنون وهو تصحيف بإاء المعنى .

وكلّغ، وجاهد ونالغ؛ وحى النمار، وغزا الكفار. صلى الله عليه وصل أخيه وأبن عمه على بن أبى طالب مسنيه القاطع، وجمته النافع: ومعه الصارذ، وناصريه العاضد؛ فارس الوقائع، وموسى (؟) الجائع؛ مبيد الأقران، ومبيد الشجعان. وعلى الطهارة من صفة أمة الأزمان، وخالصة الله من الإنس والجنات. وإن أولى النعم بأن يرقل فى لباسها، ويتوصل بالشكر إلى لآبائها؛ ويتهدى طيب خبرها، ويتفاوض بحسن آتريها؛ نعمة الله تعالى فى التوفيق لمجاهدة أهل الإلحاد والشرك، وغزو أولى الباطل والإفك؛ والمهجوم عليهم فى غر دارهم، وأجثاث أصلهم وهذم منارهم؛ واستتارهم من معاقلهم، وتثريبهم عن منازلهم؛ وتقميض نواظرهم الشوس، وإلباسهم لباس البؤس؛ لما فى ذلك من ظهور التوحيد وعزّه، وعمود الإلحاد وعمره؛ وعلوامة المسلمين؛ وانخفاض دولة المشركين؛ ووضوح حجة الحق ومجته، وقضوح برهانه وآيته.

وكتب أمير المؤمنين هذا إليك، وقد أنكفأ عن ديار القلانيين والمشركين إلى دنت خلافته، ومقر إمامته؛ بعد أن غزاهم براً وبحرا، وشردهم سهلاً ووعراً، وجرحهم من عواقب كفرهم مرّاً؛ وفرق جماعتهم التى تطبق مهبوب القضاء خيلاً ورجلاً، وتضيق بها المهامة حرّاً وسهلاً؛ ومزق كتائبهم التى تلتحق الوهاد بالتجاد، وتختلف الأبصار بيوارق الأعناد؛ وسبى الدارارى والأطفال، وأسر البطاريق والأقبال؛ وأفتتح المعاقل والأعمال، وحاز الأسلاب والأموال؛ وأستولى من الحصون على حصن كذا وحصن كذا. ومحا منها رسوم الشرك وصفاها، وأثبت سنن التوحيد بها وأمضاها. وغيم أولياء أمير المؤمنين ومتطوعة المسلمين من الغنائم ما أقر العيون، وحقق الطنون؛ وأهصّلوا وقد زادت بصائرهم نقاداً فى الدين، وسراثرهم إخلاصاً فى طاعة أمير المؤمنين؛ بما أولاهم الله من النصر والإظفار، والإعزاز والإظهار؛ وفتح للشركين بما أنزله عليهم

من الخذلان، وأنهم آياه من المَوَان ؛ أنهم على مَصَلَّةٍ مِنَ النَّبِِّ وَالْعَمَى ، وَبَعْدُ
 مِنَ الرُّشْدِ وَالْهُدَى ؛ فَضَرَعُوا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي السَّلَامِ وَالْمَوَادَّةِ ، وَتَحَلَّوْا بِذَلَا بَذَلُوهُ
 تَخَادِيًا مِنَ الْكِفَاحِ وَالْمُقَارَعَةِ ؛ فَاجَانِبَهُمْ إِلَى ذَلِكَ مَتَوَكِّلًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِمِثْلِهِ يَقُولُهُ
 تَعَالَى إِذْ يَقُولُ : ﴿وَإِنْ جَعَلُوا السَّلَامَ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ .
 وَعَاقِدَ طَائِعِيَّتَهُمْ عَلَى كِتَابِ هَذِهِ كَتَبَهُ لَهُ ، وَأَقْرَهُ فِي يَدِهِ ؛ حُجَّةٌ مَضْمُونَةٌ .

أَشْعَرَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ لِتَأْخُذَ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ بِنَصِيبٍ مِثْلِكَ مِنَ الْخُلَاصَةِ ،
 وَتَعْرِفَ مَوْجِعَ مَا تَفَضَّلَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ؛ فَتُحَسِّنَ ظَنُّكَ ، وَتُحِزُّ
 عَيْنَكَ ؛ وَتُشْكِرَ اللَّهَ تَعَالَى شُكْرَ الْمُسْتَعِدِّ مِنْ فَضْلِهِ ، الْمَعْتَدِّ بِطَوْلِهِ ؛ وَتَتَلَوَّ كِتَابَ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، عَلَى كَافَّةٍ مِنْ قِبَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، لِيَعْلَمُوا مَا تَوَلَّاهُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ نَصْرِهِ
 وَتَحْكِيمَتِهِ ، وَإِذْلالِ حُدُودِهِمْ وَتَوْهِينِهِ ؛ فَاعْلَمْ ذَلِكَ وَأَعْمَلْ بِهِ .

الجملة الثالثة

(فِي الْكُتُبِ الْخَاصَّةِ ، كَالْمَكْتَابَةِ إِلَى الْوُزَيْرِ وَمِنْ فِي مَعْنَاهُ)

قَالَ فِي «مَوَادِّ الْبَيَانِ» بَعْدَ ذِكْرِ صُورَةِ الْمَكْتَابَاتِ الْعَامَّةِ عَنْهُمْ : وَقَدْ يُخَاطَبُ
 الْإِمَامُ وَزِيرُهُ فِي الْمَكْتَابَةِ الْخَاصَّةِ بِمَا يَرْفَعُهُ فِيهِ عَنْ خُطَابِ الْمَكْتَابَةِ الْعَامَّةِ الدِّيَوَانِيَّةِ ،
 وَيُتَصَرَّفُ فِي ذَلِكَ ، وَيَزَادُ وَيُنْقُصُ عَلَى حَسَبِ لُطَافَةِ مَحَلِّ الْوُزِيرِ وَمَنْزِلَتِهِ مِنَ الْفَضْلِ
 وَالْجَلَالَةِ . قَالَ : وَلَيْسَ لِهَذِهِ الْمَكْتَابَةِ الْخَاصَّةِ حُدُودٌ يَنْتَهِي إِلَيْهَا ، وَلَا قَوَائِينُ يَتِمَّدُ
 عَلَيْهَا ، وَطَرِيقُهَا مُسْتَفِيزَةٌ مَعْلُومَةٌ . وَقَدْ تَعَلَّمَ فِي الْمَكْتَابَاتِ الْخَاصَّةِ عَنْ خُلَفَاءِ
 بَنِي الْعَبَّاسِ أَنَّ مَكْتَابَةَ الْوُزِيرِ «أَمْتَعْنِي اللَّهُ بِكَ» فِي أَدْعِيَةِ أَنْعَرِي .

الطَّرَفُ السَّادِسُ

(في الكتب الصادرة عن خلفاء بني أمية بالأندلس)

ولم أَقِفْ على شيء من المكتبات الصادرة عنهم ، وإن ظَفِرْتُ بشيء منها بعد ذلك أَلَحَقْتَهُ إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ السَّابِعُ

(في الكتب الصادرة عن الخلفاء الموحَّدين ، أتباع المهديِّ بن تُوَمَرْتِ المستمرِّ بقاياهم الآن بَتُونَسَ وسائر بلاد أفريقيا ، وهي على أسلوبي)

الأسلوب الأول

(أن تُفَتِّحَ المكتبة بلفظ « من فلان إلى فلان ») .

وكان الرسم فيها أن يقال : « من أمير المؤمنين فلان » ويُدْعَى له بما يناسبه « إلى فلان » ويُدْعَى له بما يليق به ، ثم يُقَالُ بالسَّلام ، ثم يُقَالُ بالعِدية والتَّحْمِيدُ والصَّلَاةُ على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، والتَّرضِيَةُ عن الصَّحابة ، ثم عَنِ إِمَامِهِمُ الْمَهْدِيِّ ، ثم يُقَالُ على الْمَقْصُودِ ، وَيُخْتَمُّ بِالسَّلام . والخطاب فيه بَنُونُ الْجَمْعِ عن الخليفة ومِمَّ الْجَمْعُ عن المكتوب إليه .

كما كَتَبَ عن عبد المؤمن : خليفة المهديِّ إِمَامِهِمُ إلى الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ :

« من أمير المؤمنين أَيْلَهُ اللهُ بَنَصْرَهُ ، وَأَمَلَهُ بِمَعُونَتِهِ ؛ إلى الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعْدٍ وَفَّقَهُ اللهُ ، وَيَسِّرْهُ لِمَا يَرْضَاهُ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . »

أما بعدُ فالحمد لله الذى له الاختيار والاختيار، ومنه المَوْن لأوليائه والإفطار،
 وإليه يرجع الأمر كله فلا يمنع منه الاستبداد والاستئثار، والصلاة على عهد نبيّه
 الذى أبغثت ببعثته الأضواء والأنوار، وعمرت بدعوته الأنجاد والأغوار، وخصم
 بحجته الكُفْر والكُفَّار، وعلى آله وصحبه الذين هم الكرام الأبرار، والمهاجرين
 والأنصار، والرضا عن الإمام المصوم، المهديّ المعلوم، القائم بأمر الله حين خيَّته
 الأغيار، وتقدم الامتناع له والانتصار. وهذا كتابنا - كتب الله لكم نفلاً يريكم
 المنهج، ويُلقيكم الأبهج فالأبهج، وآتاكم الله من نعمة الإيمان، وعصمة الأقياد له
 والإذعان، ما تجدون به اليقين والتلج - من حضرة مرآة كشمسها الله تعالى،
 ولا استظهار إلا بقوته وحوله، ولا استكثار إلا من إحسانه وطوله .

ولما جعل الله هذا الأمر العظيم رحمةً لخلقهِ، ومطيّةً لقيه وقرارةً لإقامة حقّه،
 ومحلّ سخطه الدماء إليه، والدلالة به عليه، والترغيب في عظيم ما عنده وتيسير مآلئيه،
 وجعل الإنذار والإعذار من فصوله المستوحى، وأحكامه المرتبة، ومحتاجه المخلصة
 من المخطوب المهلكة والأحوال المضطربة - وأينا أن نحتاجكم بكتابنا هذا أخذنا
 بأمر الله تعالى لرسوله في المضياء إلى سبيله، والتحريض على اغتنام النجاة وتخصيله،
 وإقامة الحجّة في تبلغ القول وتوصيله، فاجيبوا - رضكم الله - داعي الله تسمّعوا،
 وتمسّكوا بأمر المهديّ - رضى الله عنه - في أتباع سبيله تهتدوا، وأمرؤوا أضنة
 العناية إلى النظر في المآل، والتفكر في تَوَاضُعِ التغير والزوال، وتدبروا جرى هذه
 الأمور وتصرف هذه الأحوال، وأعلموا أنه لا عزّة إلا بإعزاز الله تعالى فهو
 فوالعزّة والجلال، ولا يفرنكم بالله الفُرور، فالدنيا دار الفُرور، وسوق المآل، وليس
 لكم في قبول النصيحة، وأبتداء التوبة الصحيحة، والعمل بثبوت الإيمان في هذه
 العاجلة الفسيحة، إلا ما يحيونه في ذات الله تعالى من الأمانة واللدّة، والكرامة

المسعة والمكانة المرفعة، والتشتم بنعيم الراحة المتصلة والنفس الممتعة؛ فنحن لأثريد
لكم ولساترمن زجوا إنايته، ونستدعي قبوله وإجابته، إلا الصلاح الأتم، والنجاح
الأتم؛ وتاملوا - سددكم الله - من كان بتلك الجزيرة - حرمها الله - من أعيانها،
وزعماء شأنها؛ هل تخلص منهم إلى ما يودّه، وفاز بما يندره ويعدّه، إلا من تمسك
بهذه العروة الوثقى، وأستبق لنفسه من هذا الخير الأديم الأبقى، وتشم بما لقي من
هذا النعم المقيم ويلقى . وأما من أخذ إلى الأرض وأتبع هواه، ورغب بنفسه
عن هذا الأمر العزيز إلى ما سواه؛ فقد علم بضرورتي المشاهدة والاستفاضة سوء
مقابلة، وخسارة مذهبه ومطلبه، وتقل منه حادث الانتقام أخسر ما تنقل به؛
وحق عليكم - وفقكم الله ويسركم لما يرضاه - أن تحسبوا الاختيار، وتصلبوا الأدكار
والإختيار، وتبتدروا الابتدار؛ وما حق من أقطع إلى هذا الأمر الموصول الواصل،
وأزع ما يناله من خيره الفوز الحاصل؛ أن يناله منكم شاغل يسفله عن مقصوده،
ويحيط به ما يصرفه عن محبوه ومودوده؛ فقد كان منكم في أمر أهل بلنسية حين
إعلانهم بكلمة التوحيد، وتعلقهم بهذا الأمر السعيد ما كان، ثم كان منكم في عقب
ذلك ما أحتدمتموه في أمر أهل لوزقة - وفقهم الله - حين ظهر اختصاصهم،
وبأن إخلاصهم؛ وليس لذلك وأمثاله عاقبة محمد، فالخير خير ما يقصد، والنجاة فيما
يترشح من الشر ويعد؛ وإنا نرجو أن يذكركم عن ذلك وأشباهه إن شاء الله تعالى
نظر موقى، ومتاع عقق، ويحبذكم إلى موالاة هذه الطائفة المباركة جاذب يسعد،
وسائق يرشد؛ وإله ين عليكم بما يفيكم، ويمكن لكم في طاعته أسباب تأمليكم
وترجيكم، بمنه . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وكتب في السادس عشر من
جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وثمانمائة .

الأسلوب الثاني

(أن تُفتَح المكتبة بلفظ « أما بعد »)

والأمر فيه على نحو ما تَقْتَم في الأسلوب قبله بعد البعديّة ، كما كتب أبوالميمون عن المستنصر بالله : أحدِ خلفائهم إلى بعض نُوابه ، وقد قَضَى العهدُ على بعض المُهادِنين من النصارى .

« أما بعد حمد الله الأمر بالوفاء باليهود ، والصلاة على سيدنا محمد المصطفى الكريم سيّد الوجود ، وعلى آله وصحبه ليُوثِّ البأس ويُغيث الجُود ؛ والرِّضا عن الإمام المعصوم ، المُهتدى المعلوم ، الآتى بالنتّ الموجود ، في الزَّمن المحدود ، وعن خلفائه الواصلين بأمره إلى التَّمام والتَّجود ؛ والدعاء لسيدنا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين بسَعْدٍ يُنْذِلُ له النواصي ، ويُنْذِرُ الأقطار القواصي ؛ فكتبناه - كتبكم الله من إذا هم بأمر تدبَّر عواقبه ، وإذا عَزَم على رُكُوب غَرَر ألقى معاطبه - من فلانة كَلَامُها الله تعالى . وقد بلغنا ما كان منكم من اكتِساح النصارى ، والزيادة على ذلك باختطاف الأسارى ؛ ونعوذ بالله من شهوة تغلبُ عقلا ، ونخوة تُغيبُ هَوانا وذُلًّا ؛ وقد أخطأتم في فعلكم الشَّيء من ثلاثة أوجه : أحدها أنه خلاف ما أمر الله تعالى به من الوفاء بالمهد ، والوقوف مع العَقْد ، والثاني عصيانُ الأمر العزيز وفيه التفريرُ بالمُهْج ، وتركُ السَّعة للحرج ؛ والثالث أنكم يُثيرون على أنفسكم من شرِّ مدرك - قصمه الله - شرًّا يستعير ، وشرًّا يمتد في المتنصر ، فليكن لذكِّكم بالمشيِّب ، ورضيتُم العذر المحترَم في سائر الأديان ، فبِمِثْل المدرك إذا دهمكم ، ولقيتموه بالجانب القوي - متى زحمتكم ؛ بل تتدبرون له الفِرَار ، وتتركون في غَلَفِكُم وما آخَرْتُم ؛ وقد جرَّمتُم مرات أنكم لا ترزؤنهم ذرّه ، إلا رَزَهُم ألف بدره ؛ ولا تُصيبيونهم مرّه ، إلا أصابوكم ألف مرّه ؛ وإلى متى

تُبْهَوْنَ فَلَا تَبْهَوْنَ ؟ وَحَتَّامُ تَبْهَوْنَ فَلَا تَشْهَوْنَ ؟ فَإِذَا وَافَاكُمْ كَلْبُنَا هَذَا بِجَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ
فَأَدُّوا مَنْ أَمَرَكُمْ إِلَى مَأْمِنِهِ ، وَرُدُّوا مَا أَتَيْتُمْ إِلَى مَسْرَعِهِ ؛ وَلَا تُمْسِكُوا مِنَ الْأَسَارَى
بِشَعْرِهِ ، وَلَا مِنَ الْمَاشِيَةِ بِوَبَرِهِ ؛ وَمَنْ سَمِعْنَا عَنْهُ بَعْدَ وَصُولِ هَذَا الْكَتَابِ أَنَّهُ تَعَدَّى
هَذَا الرِّسْمَ ، وَخَالَفَ هَذَا الْحُكْمَ ؛ أَفْعُذْنَا عَلَيْهِ الْوَاجِبُ ، وَحَكْمُنَا فِيهِ الْمَهْدُ الْقَاضِبُ ؛
فَلْتَسْرِعْ مِنْ نَوْمَةِ الْغَفْلَةِ إِنْ أَقْبَضَكُمْ ، وَلَا تَتَمَرَّضُوا مِنَ الشَّرِّ مَا تَحِجُّزُ عَنْهُ طَائِفَتُكُمْ ؛ وَنَحْنُ
مَتَعْرِفُونَ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ مَنْ تَأَنُّ أَوْ يَنْدَارُ ، وَمُقَابِلُونَ لَكُمْ بِمَا يَصْدُرُ عَنْكُمْ مِنْ إِقْرَارٍ
وإنكارٍ ؛ وَهُوَ يُرِيدُكُمْ بِمَنَّةٍ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

قلت : ثم طرأ بعد ذلك الإكثارُ من ألقاب خفائهم في المكتبات الصادرة عنهم ؛
والمبالغة في مدحهم ، وإطرائهم على ما سيأتى ذكره في الكلام على المكتبات الواردة
من ملوك الأقطار إلى الأبواب السلطانية بالديار المصرية فيما بعدُ إن شاء الله تعالى .

الطَّرَفُ الثَّامِنُ

(في الأجوبة ، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يُضَاهِي الْأَجُوبَةَ فِي الْإِبْتِدَاءِ ، وَهُوَ عَلَى أُسْلُوبَيْنِ)

الأسلوب الأول

(أَنْ يُفْتَحَ الْجَوَابُ بِقِطْعَةٍ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ »)

مثل أن يكتب « من عبده ووليه أبى فلان فلان الإمام الفلانى أمير المؤمنين »
إلى آخر الصدر على ما تقدم في الابتداءات ؛ ثم يقال : أما بعدُ ، وينساق منه إلى
ذكر الكتاب الزائد وعرضه على الخليفة ، وما اقتضته آراء الخلافة فيه ، ويكمل

على نحو الابتداء . كما كتب عن المقتنى لأمر الله ، إلى غياث الدين مسعود بن ملكشاه السلجوقي في جواب كتابه الوارد عليه ، يخبره بأن بعض من كان خرج عن طاعته دخل فيها ، وأحاز إليه ، وهو :

”من عبد الله أبى عبدالله عمه الإمام المقتنى لأمر الله أمير المؤمنين ، إلى فلان بالقاه .

أما بعد - أطال الله بقاءك - فإن كتابك عُرض بحضرة أمير المؤمنين مُعرباً عن أخبار سعادتك ، وبحري الأمور على إرادتك ؛ وبكوبغ الأغراض من الوجهة التي توجّهت إليها ، والأطراف التي أشرقت سعادتك عليها ؛ بيمين ما يتق به من الطاعة الإمامية وتضميره ، وتمتدّه من الإخلاص وتُسْتَشِيره ؛ وأن ركن الدين محمداً ومن أنظم إلى جملة وأنظم في سلك موافقته لك ظفروا منك يندما أطمأنوا إليه وسكنوا ، وأمان وثقوا به وركنوا ، أبصروا الرشد فاتبعوه ، وأستجابوا الداعي إذ تبعوه ؛ وأذعنوا لطاعتك مشرعين ، وأتقنوا إلى متابعتك مُهْطِينَ ؛ على استقرار مسيرهم تحت لوائك إلى باب همدان ليكون تقرير القواعد الجامعة للصالح عند وصولها ، والتوفر على تحزى ما تخر به الخواطر مع حلولها ؛ والاقصا إلى من يقد إلى الأبواب العزيرة مؤتلساً بقرب الدار ، ومستسعيلاً بالخدمة الشريفة الإمامية المؤذنة بكوبغ الأوطار . ووقف عليه وعرف مضمونه ؛ وجلت ذلك لديه من الابتهاج ، والاعتباط الواضح المنهاج ، ما تهمضيه ثقته بجانبك واعتقاده ، وتعوّله على بحبل معتدك وأعتاده ؛ وأعضاده من طاعتك بحبل لا تنقض الأيام مبرمه ، وسكوته من ولاك إلى وزر لا تروّع المخاوف حرمة ؛ وواصل شكر الله تعالى على ما شهدته به هذه النعمة العظيمة ، والمؤوبة الجسيمة ، من إجابة الأدعية التي مازالت جنودها تحوكم مجهزه ، وعودته - جلّت عظمته - بقبول أمثاله مجهزه ؛ وإمدادك منها بأمداد تستدعي

لك النصر وتستزله ، وتستكمل الحظ من كل خير وتستعجزله ؛ وتبلغ الأمل منك
 فيمن هو العدة للبلات ، والحامي لتفري الأتس من روائع الشتات ، ومن يقاته تكف
 عن الامتداد أكف الخطوب ، وتطلق وجوه المسار من عقل القلوب ؛ وبإني الله
 العادل في حكمه وحكمته ، الرؤف بعباده وخليقته ؛ إلا إعلاء كلمة الحق بالهمم
 الإمامية ، والإجراء على عوائد صنيعة الحفيه ، الكافلة بصلاح العباد والرجية ؛
 وقد أقيمت أسواق التهئة بهذه البشري ، وأفادت جدلا تتابع وعوده تترى ؛ لاسميا
 مع الإشارة إلى قرب الأوبة التي تؤدي كل صلاح وتجلبه ، وتزيل كل خلل أتعب
 القلوب وتغيبه . وإلى الباري جل اسمه الرغبة في اختصاصك من عنايته بأحسن
 ما عهدته وأجله ، وصلة آخر وقتك في نفع المساعي بأوله ؛ وأن لا يخلي الدار
 العزيزة من إخلاصك في ولائها ، ورغبته في تحصيل مرضيها وشريف آرائها .

هذه مناجاة أمير المؤمنين - أدام الله تأييدك - أبتنى الله جزاك فيها على عادة
 تكميمه ، وأعرب بها عن اعتقاده فيك وطوبته ؛ ومكانك الأثيل في شريف
 حضرته ، وأبتهاجه بنعمة الله عندك وخبرته ؛ فأملا تأملا يشاكل طاعتك الصافية
 من الشوائب والأفداء ، وتلقها بصديق الاعتدال عليها وحسن الإصفاء ؛ تفز بالإصابة
 قدأحك ، ويقرن بالتوفيق مقداك ومرأحك ؛ إن شاء الله تعالى ، والسلام عليك
 ورحمة الله وبركاته .



وكما كتب بعض كتاب الفاطميين عن الحافظ لدين الله : أحد خلفائهم إلى خمس
 الدولة أبي منصور محمد بن ظهير الدين بن نوري بن طهتكين يبعثك جوابا عن
 كتابه الوارد عنه على الخليفة ، ويذكر أنه حسن لفخر الملك رواج وروده على الخليفة
 بالديار المصرية ، ويذكر نصرته على القرمج بطرابلس ، وقتله القومص ملكها .

«من عباده ووليّه عبد الحميد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ،
إلى الأمير فلان .

أما بعدُ ، فإنه عُرض بحضرة أمير المؤمنين كتابك من يدقته ووزيره ، وصفيّه
وظهيره ؛ السيد الأجل الأفضل ؛ الذي بلك نفسه في نصرته الدين تُقى وليّانا ، وأوضح
الله للدولة الحافظيّة بوزارته هُجّة وبرهانا ، وأسبغ النعمة على أهلها بأن جعله فيهم
ناظرا ولم سلطانا ؛ ووقفه في حُسن التدبير ، والعمل بما يقضى بمصالح الصغير والكبير ؛
وبما أعاد المملكة إلى أفضل ما كانت عليه من النضرة والبهجة ، ولم يخرج المادحون
لها إذا آخلفوا عن التحقيق وصديق اللهجه ؛ فقد ساوت سياسته بين البعيد
والقريب ، وأخذ كل منهما بأجزل حفظ وأوفر نصيب ؛ وسارت سبيله الفاضلة
في الآفاق مسير المثل ، وأستوجب من خالقه أجر من جمع في طاعته بين القول
والعمل ، وشفع عرضه من وصفك وشكرك ، والثناء عليك وإطابة ذكرك ؛ وأنهى
ما أنت عليه من الولاء ، وشكر الآلاء ؛ بما يُضاهى ما ذكرته فيه ما علم عند تلاوته ،
وأُصغى إليه عند قراءته . وقد أستقر بحضرة أمير المؤمنين مكانك من المشايخ ،
وموقعك من الخالصه ؛ وكوثك من ولاء الدولة على قضية كسبتك شرفا قضيات
ظلاله ، وأفاضت عليك ملكسا بحرّز أذياله ؛ وسمت بك إلى عمل لا يُباهى من
بلغه ولا يطاول من ناله ؛ وكنت في ذلك سالكا للمنهج القويم ، ومعتمدا ما أهل
ببتك عليه في القديم ؛ لا يجرم أنه عاد عليك من حُسن رأى أمير المؤمنين بما تقصّر
عنه كل أمنيّه ، ويشهد لك بخالصية جمعت فيها بين عمل ونية ؛ والله يضاعف

(١) في المصباح في مادة كسب "يريدنى بنفسه إلى مفعول لأن يقال كسبت زيدا مالا وطما أى الله .
قال ثعلب وكلهم يقول كسبك فلان خيرا إلا ابن الأعرابيّ قاله يقول أكسبك بالأنف " .

أجرَكَ عَلَى اعْتِمَادِكَ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، بِالْجَلِيلِ الْمُتَيْنِ ، وَيُؤَيِّدُكَ شُكْرُ مَا مَنَحَكَ
مِنَ الْإِسْتِغْنَاءِ بِتُورِ الْحَقِّ الْمُبِينِ .

فأما الأمير الأسفهلار نغر الملك رواج وبمَنَكَ لَهُ عَلَى الْوُصُولِ إِلَى الْبَابِ ،
وَحُضْرِكَ لِأَيَّاهِ عَلَى التَّلَاقِ مِنَ الْخِلْمَةِ بِمُخَصَّدِ الْأَسْبَابِ ؛ فَمَا كَانَ الْإِذْنُ لَهُ فِي ذَلِكَ
إِلَّا لِأَنَّ كِتَابَهُ وَصَلَ بِمَلْتَمِسِهِ ، وَصَرَّضَ فِيهِ نَفْسَهُ وَبَدَّلَ الْمُنَاحَةَ وَالْخِدْمَةَ ، وَيَسْأَلُ
سُؤَالَ مَنْ يَعْرِفُ قَدْرَ الْعَارِفَةِ بِالْإِجَابَةِ إِلَيْهِ وَمَوْقِعَ النِّعْمَةِ ؛ فَأُجِيبَ إِلَى ذَلِكَ إِسْعَافًا
لَهُ بِمِرَادِهِ ، وَعَمَلًا بِرَأْيِ الدَّوْلَةِ فِيمَنْ يَرْغَبُ إِلَى التَّصَيُّغِ إِلَيْهَا مِنْ أَقْطَارِهِ وَبِلَادِهِ ؛
وَالَا فَلَا حَاجَةَ لَهَا إِلَيْهِ وَلَا إِلَى غَيْرِهِ ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى - وَلَهُ الْحَمْدُ - وَفَرَحَظَهَا مِنْ
الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَشْيَاعِ ، وَالْأَنْصَارِ وَالْأَتْبَاعِ ؛ وَالْعَسَاكِرِ وَالْجُيُوشِ وَالْأَجْنَادِ وَالْأَنْجَادِ ،
وَالْأَحْوَانِ الْأَمْوِيَاءِ الشَّدَادِ ؛ وَعِيْدِ الطَّاعَةِ الَّذِينَ يَتَبَارَوْنَ فِي النُّصْحِ وَيَتَنَافَسُونَ
فِي الْإِجْتِهَادِ وَالْحِرْصِ ، وَسَعَةِ الْأَمْوَالِ ، وَعِمَارَةِ الْأَعْمَالِ ، وَجَمْعِ الرِّجَالِ فِي الْعِزَائِمِ
بَيْنَ الْأَعْمَالِ وَالْأَقْوَالِ ؛ وَلَوْ وَصَلَ الْمَذْكُورُ لَكَانَتْ الْمُنَّةُ لِلدَّوْلَةِ عَلَيْهِ ، وَالْحَاجَةُ لَهُ
فِي ذَلِكَ لَا إِلَيْهِ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ يَتَذَكَّرُونَ لَكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلُوبًا لَا يَمْنَعُهُمْ عَلَى
إِسْلَامِهِمْ بَلَى اللَّهُ يَمُنُّ بِكُمْ أَنْ هَذَا كُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

وَأَمَّا تَوَجُّهُهُ إِلَى طَرَابُلُسَ وَظَفَرَهُ بِقَوْمِهَا وَقَتْلَهُ لِأَيَّاهِ مَعَ مَنْ هِيَ ، وَعَظِيمُ أَمْرِهِ
فِيهَا ؛ فَالْقُدْرَةُ تَعَالَى يُعِزُّهُ الْإِسْلَامَ وَيَنْشُرُ لَوَاهُ ، وَيُعْلِي مَنَازِلَهُ وَيَحْدِلُ أَعْدَاءَهُ ؛ وَيَنْصُرُ
جِسَارَتَهُ وَأَجْنَادَهُ ، وَيُلْقِيهِ فِي أَحْزَابِ الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ مُرَادَهُ ؛ وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يَمُنُّ بِكَ
مِنْ الْوَلَاءِ بِمَا مَنَحَكَ ، وَيُنِيْلُكَ فِي دِينِكَ وَدُنْيَاكَ أَمْلَكَ وَمُقْتَرَحَكَ ؛ فَأَعْلَمْ هَذَا وَأَعْمَلْ
بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الأسلوب الثاني

(أن يُفْتَحَ الجواب بلفظ «أما بعد»)

كما كُتِبَ من المفتي إلى السلطان محمود بن محمد السَّلْجُوقِي جواباً عن كتابه الوارد بإخباره باجتماعه مع عمه سَجَرٍ، ونسخته :

أما بعدُ فإنَّ كتابك عُرضَ بمحضرة أمير المؤمنين ناطقاً بِدُرِّكَ الأوطار ، وحصول المقاصد على الآثار ، وما أُنِيتَه من الاجتماع بِرِّ الدُّنيا والدِّين جمع الله في طاعته تَمَلُّكاً ، ووصل بالآفة والتَّوَأْدَ حَبْلَكَا ، ومن إكرام الوفاة الذي أنتَ أهله ووليّه ، وحقيق أن يتَّبع وَثْمِيه لَدَيْكَ وَلِيْسِه ؛ والمواظفة على كل حال آذنت بِكُلُوبِ الأعراض وتيسرها ، وتجاوز المساعي على أتمِّ وفاق وتقرُّرها ؛ وانتظام الأمور على أجل معتاد وأكمل مُراد ، وأحسن آتساق وأطراد ؛ واستقرار القواعد على الوصف الجامع أَشْتَاتَ الخِطِّاق ، الدالُّ على صديق المحافظة بينكما وقُوطِ الإشفاق ؛ عفوفاً بالسعادة التي لا تزال مَأْزُك في الطامة الإمامية تملك قيادها ، وتُثَلِّك على الاتصال بِجَاحِهَا ، فتَهَلَّت بهذا النِّبَا المبهج أسرة البشرى ، وأصبح الجَدُّلُ بمكانه أفعم عَرَفَا وأذكَ نُشْرَا ، وقامت لأجله في حِرَاصِ الدار العزيرة مواسم ، أضحَّتِ المَسْرَةُ بها مُفَقَّرَة الثغور ضاحكة اللَّبَاسِ ؛ وجديرٌ بمن كان له من الهِمَمِ الشرففة مندُ واف ، ومُنْجِدٌ يذفَعُ في صدر كلِّ خَطْبِ مُواف ؛ أن تكتنِفَه الميَاكِينُ والسُّود ، ويَصُنِّقُ في كلِّ مَرَمَى يَحْوَهِ من النُّجَجِ الموعود ؛ ويتقدَّ له المصاحبُ ذُلَّالاً ، ويسودُّ بِئِنَّ قَبِيئَتَه كُلُّ عَافٍ من الصلاح جليداً مُقْتَبِلاً ؛ ولا يَنْقُصُكَ صُنْعُ الله جَلَّ اسمُه لطيفاً ، وِزْرَاحَه

(١) الوليُّ على ذيل المطرِبِدِ المطرُوقِ يخفف عن كراع أنظر السان ج ٢٠ مادة ول ي .

(٢) لله وإعداد النج .

مُحَدِّثًا مُطِيفًا ، وَالتَّوْفِيقُ مُصَاحِبُهُ أُنَى حَلٍّ وَوَلْوَى ، أَوْ تَحْتَ عِصَانِهِ إِلَى وَجْهِ وَلْوَى ؛
وَاللهُ يَمُنُّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْكَ بِالْعَقْدِ الَّذِي يُلْبَسُ عَنْ دَوْلَتِهِ وَيَحَاطِي ، وَيَبَاضِلُ دُونَهَا
بِجُنُودِ الْإِخْلَاصِ وَبِرَأْيٍ ؛ وَلَا يُجْلِيكَ مِنْ رِجَالِهِ الَّتِي لَا يَزَالُ يَسْتَعْرِفُ فِيهَا إِلَيْكَ ،
وَيَرْضَبُ إِلَيْهِ فِي إِسْبَاحِ لِبَاسِهَا عَلَيْكَ ، حَتَّى تَقْسُ لَكَ الْمَطَالِبَ مَعًا ، وَيَغْتُو الزَّمَانُ
فِيهَا يَنْشَأُ مَتَّبِعًا .

هَذِهِ مَفَاوِضُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْكَ ، أَدَامَ اللهُ تَائِيدَكَ ، أَجْرَكَ فِيهَا عَلَى مَا لَوْفَ
الْمَادَةِ ، وَجَدَّ لَكَ بِهَا بُرُودَ الْقَهَارِ وَالسَّعَادَةِ ؛ فَاجْرِ عَلَى وَتَعْرِكَ فِي انْخِافِ حَضْرَتِهِ
بَطَلَيْبِ أَخْبَارِكَ ، وَجَارِي الْأُمُورِ فِي إِيْرَادِكَ وَإِصْدَارِكَ ؛ تُهْدِي إِلَيْهَا آتِبَهَا جَا وَإِفْرًا ،
وَأَبْسَامًا يَظَلُّ لَتَأْمَهُ عَنْ حَمْدِ اللهِ الْمُسْتَدِّ بِهَا سَافِرًا ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الضرب الثاني

(أَنْ يَكُونَ الْاِكْتِسَاحُ فِي الْجَوَابِ مُصَدِّرًا بِمَا فِيهِ مَعْنَى وَصُولِ الْمَكَاتِبَةِ إِلَى الْخَلِيفَةِ)
لَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنَ الْكُلُوبِ فِي التَّعْيِيرِ عَنْ ذَلِكَ بِقَلْفِ «الْعَرْضِ عَلَى
الْخَلِيفَةِ» وَيُرْقَى فِيهِ عَلَى مَا تَضُمَّنُهُ الْكُتُبُ الْمَجَابُ عَنْهُ ، ثُمَّ يُخْتَمُ كَمَا تَحْتَمُّ الْاِبْتِدَآتُ .
كَأَنَّ كَتَبَ الْعِلَاءِ بَنَ مُوصِلًا عَنْ الْقَائِمِ بِأَمْرِ اللهِ إِلَى «أَنْزَر» عِنْدَ وَرُودِ كِتَابِهِ
عَلَى أَبْوَابِ الْخِلَافَةِ يَتَضَمَّنُ اَنْتِظَامَهُ فِي سِلْكِ الطَّاعَةِ وَظَلِيلَتِهِ الْأَعْدَاءِ ، وَهُوَ :

عُرِضَ بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَدَ مِنْكَ دَالًّا عَلَى تَمَسُّكِكَ مِنَ الطَّاعَةِ الْإِمَامِيَّةِ
بِمَا لَا يَزَالُ يُجَدُّ فِيهِ مَلَأَسَ التَّوْفِيقِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ ، وَنَجِدُ بِهِ مَرَارَاتِ السَّعْدِ مُخَصَّصَةً
فِي كُلِّ حَلٍّ وَتَرَحُّالٍ ؛ مُنِيبًا عَنْ تَوَفُّرِكَ عَلَى الْمَقَامَاتِ الَّتِي اَنْتَقَمْتَ بِهَا لِلْهُدَى مِنْ
الْقُبُلِ ، وَاسْتَقَمَّتْ فِيهَا حَتَّى أَجَلَّتْ عَنْ كُلِّ صَلَاحٍ مِمَّنَّ الظُّلُمُ ؛ شَاهِدًا بِمَا أَنْتَ

عليه من موالاة لا تألؤ جهدا في الالتزام شروطها بادئا عائدا ، ولا تخلو فيها من حسن
أثر يكون لدعائم الصواب عامدا ، وتري فيه قابلا لا اجتلاب الخير عائدا . ووقف
عليه وقوف من ارتضى ما يتوالى من قرباتك التي لا تزال في إعذاب ورودها ساعيا .
ولما يفيض إلى أعشاب مرطها في طلب الحمد مراعيًا ، وأتضى منك للخدمة بتلك
الأعمال حساما باترا آجال بقايا الكفر هناك ، ماضيا في كل ما يقضى بانفساح مجال
أمالك في الدهر ومبارك ، وأخذ لك بما أنهاء عنك رسول أمير المؤمنين العائد من
قبلك ، وأوضحه من زلفك التي شفع قولك فيها عملك ، ومطلع به الرسول الذي تقدمته
معه لقصد بابه ، والمتاب في تأكيد دواعي التفتح وتمهيد أسبابه . وحل كل ذلك
لديه المحل الذي ستجني ثمره كلما يلبب ويحلو ، ويسلم من كل الاستزادة ويخلو ،
ويبرز مهر الفوز به على غيرك ويخلو ، وتائل لك من الرتبة بحضرته ما يذني لك كل
مطلب إلى مرادك آمل ، ويلوى قلب كل منحرف عن وفائك مائل ، وصرت
من أعيان الخلفاء الذين وسمت الهدى أنصامهم بالحمد ، وسمت بالطاعة أمانهم
إلى توكل مضاب الهدى ، فما تنهم بك الغير إلا وتتقطع دونك أعناقها ، وترجع في جلباب
الخشية وحيصها إليك وإعناقها ، ولا تمتد نحوك يد ضد إلا ردها عنك بحيل الآراء
الشرقة فيك وظلها ، وأوجب نهكها عن موارد القصور وظلها ، وكيف لا يكون ذاك
ولك في الطاعة كل موقف أخذت يلبان الحمد ، وأحني باشتاره بلوغ الهدى
في وصفه والحمد ، فأحسن الله توفيقك فيما أنت بإزائه من إخماد لهب الباطل بتلك
الشعاب ، وإجهاذ النفس في إخماد المتأجب وإذلال الصعاب ، وأملكك بالهون
على ما بدأت له من جب فيا يليك ، وطلب أدواء القساد في نواحيك . ومع

(١) كذا في الأصول وله من خلل الاستزادة وفي المختار والهاموس "استزاده استقصه" .

(٢) ياض في الأصول هذا المقادير وله من جب أصول العناد الخ .

ماؤزت به من هذه المنحة التي قد جاز قدرها التقدير والظن ، وجاد لك الدهر فيها بما كان ينجح به على أمثالك وضن ؛ فيجب أن تستديهما ، وتحصن من النفل أديمها ، بمزيد من الخلمة تنمز القمص بالإصرار إليه والبدار ، وتتهيج أقوم الجند في مقابلة الإيراد منه بالإصدار ، وتنفذ وتسلك في كل مسعى يثنى إليك عنان الثناء معه ، وتثيق عمرك في كل أمر يجمع لك مرأى الرضا عنك ومسمعه ؛ لتجد من جدوى ذلك ما ينظم في السعادة تتملك ، ويضحي به القياد فيما يصدق أملاك أملاك ؛ وأن تجد السيرة في الرأيا الذين غدوا تحت كنفك ، وتجعل الاشتغال على مصالحهم مبررا عن فضل شفك بالخير وكلفك ؛ فإنهم ودائع الله تعالى يلزم أن تهمي من ضياع يتسلط عليها في حال ، ونحيا من دز الإحسان برضاج لا يضطر الطعام عنه ببال ، فلا تهفن عند غاية في إفاضة الفضل طيبهم وإسباغ ظله ، وأعتادهم بتغفيف ثقل الحيف عنهم أو إزالة كلفه ؛ ليكونوا في أفياء الأمن راتعين ، وتخرق كل ملجأ يحسن ملاحظتك رافعين ؛ فالذي يراه أمير المؤمنين في فرضك حتى يزداد بأحك طولا ، ولا يترك لك على الزمان أقتراحا ولا سولا ؛ يقتضى أن يثب على ساقى إليك من الإحسان بلا حق ، ويبرح جنان التعمي لديك عند ذكر كل شارق . وكذلك يرى أن يحدد لك من تشرفه المنور مطالع الفجر ، المنوّه بالذكر في الدهر ؛ الذي لا تزال الهمم العالية تصبوا إلى الفوز به وتميل ، وتهف عند حلاله والنايل ، ما أصحب رسولك المشار إليه لتدبر من خلاله ما الشرف الأكبر في طلّابه ، وتمتلي من صهوة العز فيه ما بعد على النظراء إدراك مرأيه . ويجب أن تلقى مقدم ذلك عليك بما يثني عن اقتران النعمة الغراء فيه ، واقف أهلة التوفيق عندك بما تهصد في المعنى وتنصحه ؛ وإذا عاد رسولك إلى باب أمير المؤمنين حسب ما ذكرت ، أصدر على يده من ضروب التشرفات ما يعجز

فِيكَ حَيَوْنَ مَنْ يُوَدُّكَ ، وَيَقْضِي مَقَانِيكَ كُلَّ سَعْدٍ يُورِي فِيهِ زَيْنُكَ ؛ فَاسْكُنْ إِلَى
جِبَالِكَ بِالْمَزِيدِ مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ أَهْلَتْ لَهَا ، وَكُنْ بِمِثْلِ الظَّنِّ فِيكَ تُؤَفِّرُ عَلَيْكَ أَنْفُسًا
الْجَدُّ كُلُّهَا ؛ وَتَقِي بِمُتَرَادِفِ آلَاءٍ يَنْضُمُ لَدَيْكَ شَمْلُهَا ، وَيُنْقِلُ كُلَّ كَاهِلٍ حَمْلُهَا ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الطرف التاسع

(فِي الْكُتُبِ الصَّادِرَةِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ بِالْخِلَافَةِ)

لَمْ أَقِفْ عَلَى مَكْتَبَةٍ صَرِيحَةِ التَّصْوِيرِ عَنْ وِلَاةِ الْعَهْدِ ، خِلافَ الْإِمَامِ أَبِي جَعْفَرٍ
النَّعَّاسِ فِي "صِنَاعَةِ الْكُتُبِ" بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ أَنَّ صُورَةَ الْمَكْتَبَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ : «مَنْ
عَبَدَ اللَّهَ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ الْإِمَامَ الْقَلَانِي إِلَى فَلَانٍ» أَتَّبَعَ ذَلِكَ بَأَن قَال : وَلَيْسَ أَحَدٌ
مِنَ الرُّؤَسَاءِ يُكَتِّبُ عَنْهُ بِالتَّصْدِيرِ إِلَّا الْإِمَامَ وَلِيُّ الْعَهْدِ ، وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ ، وَقَدْ فَسَّرَ
أَبْنُ حَاجِبٍ النَّهْانَ فِي "ذَخِيرَةِ الْكُتُبِ" التَّصْدِيرَ بِأَن قَال : يَكْتُبُ «مَنْ عَبَدَ اللَّهَ
أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ» بِاسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ وَنَعْتِهِ . وَيَقَال : أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي فَلَانٍ .
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَى آخِرِهِ ، عَلَى
مَا هَتَمَ بَيَانُهُ .

وَذَكَرَ النَّعَّاسُ فِي الْكَلَامِ عَلَى الْعُتُونِ مِنَ الرَّئِيسِ إِلَى الْمَرْعُوسِ أَنَّهُ يُخْتَلَفُ
مِنَ الْكُتُبِ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ لَفْظُ الْإِمَامِ ، وَلَفْظُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيُقَالُ فِيهِ : وَلِيُّ
الْعَهْدِ . وَظَاهِرُ ذَلِكَ أَنَّ الْمَكْتَبَةَ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ مُشَابِهَةٌ لِلْمَكْتَبَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ ،
وَأَنَّ لَفْظَ وَلِيِّ الْعَهْدِ فِي الْمَكْتَبَةِ عَنْهُ يَقُومُ مَقَامَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْمَكْتَبَةِ عَنِ الْخَلِيفَةِ
نَفْسِهِ ؛ وَحِينَئِذٍ فَيَتَجَدَّدُ أَنَّ تَكُونُ الْمَكْتَبَةُ عَنْهُ «مَنْ عَبَدَ اللَّهَ أَبِي فَلَانٍ فَلَانٍ الْمُعْتَصِدُ بِاللَّهِ
مِثْلًا وَلِيُّ عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ . سَلَامٌ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَصِلِّيَ عَلَىٰ عَجْدِ عَبْدِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَمَا بَعْدُ : فَإِنْ كَذَا وَكَذَا »
وَيُوقِي عَلَى الْمَقْصِدِ إِلَى آخِرِهِ . وَعَلَىٰ ذَلِكَ يَدُلُّ كَلَامُ صَاحِبِ « ذَخِيرَةِ الْكَتَابِ » .
فَإِنَّهُ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ الْمَكْتَابَةِ عَنْ الْخَلِيفَةِ : وَكَذَلِكَ الْمَكْتَابَةُ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ . عَلَىٰ أَنَّ
الْمَكْتَابَةَ عَنْ وَلِيِّ الْعَهْدِ قَدْ بَطَلَتْ فِي زَمَانِنَا بِحِلَّةٍ .

الطَّرْفُ الْعَاشِرُ

(من المكاتبات عن الخلفاء المكاتبات إلى أهل الكفر)

وَكَانَ الرَّيْثُ فِيهَا أَنْ يُكْتَبَ « مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ » . وَرَقَعَ الصَّلَاحُ فِيهَا
إِلَى الْمَقْصُودِ بِدَأْمٍ بَعْدُ . وَيَنْتَمِ الْكَاتِبُ بِقَطْبِ « وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتَى الْهَدْيُ » .
فَقَدْ حَكَى أَبُو هِلَالٍ السَّكْرِيُّ فِي كِتَابِهِ « الْأَوَائِلِ » أَنَّهُ كَانَ عَلَى الرُّومِ مَلِكَةٌ ،
وَكَانَتْ تَلَاظِفُ الرَّشِيدَ وَلَهَا ابْنٌ صَغِيرٌ ، فَلَمَّا نَشَأَ قَوَّضَتْ الْأَمْرَ إِلَيْهِ فَمَاتَ
وَأَفْسَدَ ، نَفَاثَتْ أُمُّهُ عَلَى مَلِكِ الرُّومِ فَتَقَتْنَاهُ ، نَفَرَ حَرْجٌ عَلَيْهَا فَتَفَوَّرَ مَلِكُ الرُّومِ فَقَتَلَهَا .
وَأَسْتَوْلَى عَلَى مُلْكِهَا وَكَتَبَ إِلَى الرَّشِيدِ :

« أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ هَذِهِ الْمَرْأَةَ وَضَعْتَكَ مَوْضِعَ الشَّاهِ ، وَوَضَعْتَ قَعْمَهَا مَوْضِعَ الرُّخِ ،
وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّي أَنَا الشَّاهُ وَأَنْتَ الرُّخُ . فَأَدِّ إِلَى مَا كَانَتْ الْمَرْأَةُ تُؤَدِّي إِلَيْكَ » .
فَلَمَّا قَرَأَ الْكَاتِبُ ، قَالَ لِكُتَّابِهِ أَجِيبُوا عَنْهُ ، فَكُتِّبُوا مَا لَمْ يَرْتَضِهِ ؛ فَكَتَبَ هُوَ إِلَيْهِ :

« مِنْ عَبْدِ اللَّهِ هَارُونَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَى تَهْفُورِ كَلْبِ الرُّومِ . أَمَا بَعْدُ فَقَدْ قَهَمْتُ
كَاتِبَكَ ، وَالْجَوَابُ مَا تَرَاهُ لَا مَا تَسْمَعُهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أَتَى الْهَدْيُ » .

وَيُقَالُ : إِنَّهُ كَتَبَ « الْجَوَابُ مَا تَرَاهُ لَا مَا تَسْمَعُهُ ، وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عَقِبِي
الِدَارَ » . وَلَا يَخْفَى مَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَعَ الْإِيحَازِ .

وكما كتب من الحافظ لدين الله : أحد خلفاء الفاطميين بمصر إلى صاحب صِقلية^(١) وما معها من ملوك القرَّنج :

« من عبدالله ووليه عبدالحميد أبي الميمون الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ، إلى الملك بجزيرة صِقلية ، وأنكورية وأطاليسة وقُلُورِيَّة وسترو وملف وما أنضاف إلى ذلك ، وفقه الله في مقاصده ، وأرشده إلى العمل بطاعته في مصادره وموارده ، سلام على من أتبع الهدى ، وأمير المؤمنين محمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ويسأله أن يصل على جدّه محمد خاتم النبيين ، وسيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ؛ الأئمة المهديين ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فإنه عرض بحضرة أمير المؤمنين الكاتب الواصل من جهتك ، فقصّ ختامه وأجّلي ، وقُرئ مضمونه وتلى ؛ ووقعت الإصاحة إلى قُصوله ، وحصلت الإحاطة بجلّه ومخاطبته ، والإجابة تأتي على أجمعه ، ولا تحلّ بشيء من مستودعه ؛ أما ما أفصحته به من حيد الله تعالى على نعمه ، وتوسيمك القول فيما أولاك من إحسانه وكرمه ؛ فإن مواهب الله تعالى ومنته التي جعل تواليها اختبار شكر العبد واجتماعه على أنه بخائنة الأئمين ومائتفي الصدور طيم ، وهو القائل فيمن أثنى عليهم : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ فُلُوبُهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ لا يزال مضاعفها ومزادها ، ومُتبعها سائقها آفها ؛ وهو يؤليها كلّاً من عيده بقدر منزلته عنده ، ويخصّ أصفياءه بأوفى مما تمنّاه الأمل المبالغ وودّه ؛ والله تبارك وتعالى يمجّد أمير المؤمنين ، وآباءه الأئمة الراشدين ؛ ما ظنّت مستقيمات الحمد والشكر عند لوازمه مستأنهه ، إذ كان أفردهم دون الخليفة بأن أعطاهم الدنيا ثم أعطاهم معها

(١) في التعبير تساهل والغرض معلوم .

الآخِر ؛ وأخصَّهم من حَبَّاته بما لا يُحصيه عدد ، وخَوَّلهم من آلائه بما لا يُقوَّم
بُشْرُه أحد .

وأما ما ذكرته من أفتتاحك الجزيرة المعروفة بِبَيْرَة لما شرحته من عُنوان أهلها ،
وعُدوهم عن طُرُق الخيرات وسُبُلها ، وأجترائهم في الطغيان على أسباب لا يجوز
التنازل عن مثلها ؛ واستعالم الظلم تمرداً ، وتصاديمهم في النقي تباهياً في الباطل وعُلوّاً ،
يأساً من الجزاء لك استبطلوه ، فإن من كانت هذه حاله حقيقة أن تكون الرحمة
عنه نائية ، وخليق أن يأخذه الله من مأمنيه أخذة راييه ؛ كما أنه من كان من أهل
السلامه ، وسالك سبيل الاستقامة ؛ ومُقِيلاً على صلاح شأنه ، وفير متعدي للواجب
في سره وإعلانه ؛ تعين أن نوفر من الرعاية سَهْمه ، ونُجْزِل من العناية نصيبه وقِسْمه ؛
ويؤمن مما يُقلقه ويرتجعه ، ويُقصد بما يسره ويُبْهجه ؛ ويُصان عن أن يناله مكروه ،
ويُحْمَى من أذى يُلْم به ويعروه .

وأما سُكْرُك لوزيرك الأمير تأسيد الدولة وعَضْلها عن الملك وفخْرِه نظام
الرئاسة ، أمير الأُمراء ، فإن من تهَلَّب بِهَنيئِكَ ، وتخلَّق بِأخلاقك وتادَّب بِتأديبك ؛
لا يُنْكَر منه إصَابَةُ المَرَامَى ، ولا يُسْتَقَرَّب عنده مُنْجَحُ المَسَاعَى ؛ وواجبُ عليه أن
لا يعمل قلبه إلا متَوَّيًّا للنصائح ، وأن لا يزال عُمره بين غاي في المخالصة ورائح .

وأما المركب العروس ووصول كتاب وِكَله ذا كراما أعتمده مقننم أسطورك
من صُوْنِه وحمايته ، وحِفْظُه ورعايته ؛ وإعادة ما كان أخذ منه قبل المعرفة بأنه
جاري في الديوان الخالص الحافظي ، ففعل يَعمَلُ عنك صَدْرُه ، ويليَقُ بك أن يُنسَب
إليك ذِكْرُه ونُصْرُه ؛ ويدلُّ على علم أصحابك بِرأيك وإحكام مُعاقلة المودَّة ، ويُعْرِب
عن إشتراك إِبْرَازها كَمَا تَهادِم نَهْجُها في مَلَأَس بهجة مستجده ؛ وهذا الفعل من

خلافتك الرضية غير مستبدع، وقد ذخرت منه عند أمير المؤمنين ما حصل في أعز مقراً وأكرم مستودع؛ لأجرم أن أوامره نرجت إلى مقدى أساطيله المظفرة بما يُجنيك ثمة ما فرستته، ويعلّي منار ثنائك الذي تفرته على أقوى أصبل وأمسستة؛ وقد هذنت مراسيمه بإجرائك على غلاتك المستمرة في المساعة بما وجب للديوان عما وصل برسمك على مرايكك، وبرسم الأمير تأيد الدولة وزيرك، والرسولين الواردين عن حق الوُروء إلى نعر الإسكندرية حماه الله تعالى، ثم إلى مصر حرمها الله بحق الصدور عنهما، وكل ما يصل من جهتك فعل هذه التفضية .

وأما شكرك على الأسرى الذين أمر أمير المؤمنين بإطلاقهم إجابة لرغبتك، ورسم بتسييرهم إليك عاقلة على مرادك وبقيتك؛ فأوزعنا شعارهم أنهم عتقاء شفاعتك، وأرقامك منك؛ فذلك من الدلائل على ما ينطوى عليه من جميل الرأي وكريم التبع، ومن الشواهد بأنه يوجب لك مالا يوجب لأحد من ملوك التصرانين .

وأما نؤالك الآن في إطلاق من تجدد أسره، وإنهاؤك أن ذلك مما يُمكنك أمره؛ فقد شفعك أمير المؤمنين بالإجابة إليه على ما ألفت من كريم شيمته، وسير إليك مع رسولك من تضمن التثبث ذكر عهده، وقد طمت ما كان من أمر بهرام ووصوله إلى الدولة القاطمية خلف الله ملكها شريفاً طريفاً؛ قد تبث به أوطائه، وقدنقته دياره؛ لا مالاً له ولا حال، ولا عشيرة ولا رجال؛ ققبلته أحسن قبول، وبلغت به في الإحسان ما يزيد على السؤل؛ وغمرته من الإتمام ما يقصر عن اقتراحه كل أمل، وجعلته فاضلاً يقبَل الطرف بين التحليل والتحول؛ وكانت أموره كل يوم في نمو وزياده، وأحواله توفى على البقية والإرادة، إلى أن جرت نوبة اقتضى التدبير في وقتها أن صدقت به الوزارة، ونيطت به السفاره؛ فوسوس له خاطره ما زخرقه

البَطَرُ وَزَيْنَةُ ، وَصُورَةُ الشَّيْطَانِ وَحَسَنَةُ ؛ وَأَظْهَرَ مَا ظَهَرَتْ أَمَارَاتُهُ ، وَوَضَحَتْ آدِلَتُهُ
وَعَلَامَاتُهُ ؛ فَاسْتَدْعَى قَبِيلَهُ وَأَثَرِيَّةَ ، وَجَلَسَهُ وَشِيرِيَّةَ ؛ بِمَكَاتِبَاتٍ مِنْهُ سِرِّيَّةَ ،
وَخُطُوطَ عَمَرِهَا بِالْأَرْمَنِیَّةِ ؛ فَكَانُوا يَصْلُونُ أَوَّلَ أَوَّلٍ ، إِلَى أَنْ أَجْتَمَعَ مِنْهُمْ عَشْرُونَ
أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ ، وَمِنْ جَلَّتْهُمْ أَبْنَا أَخِيهِ وَضَرَمَا مِنْ أَهْلِهِ ، فَذَلُّهُ
بِالْقُرُورِ ، وَحَمَلُوهُ عَلَى مَا قَضَى بِالْاِسْتِحْشَاشِ مِنْهُ وَالنُّشُورِ ؛ وَقَوَّوْا عِزَمَهُ فَمَا يُوَدَّى
إِلَى أَضْطِرَابِ الْأَحْوَالِ وَأَخْطَلَالِ الْأُمُورِ ، فَامْتَضَى الْعَسَاكِرُ الْمَنْصُورَةُ بِمَا أَسَاءَ بِهِ
سِيَاسَتَهُمْ ، وَأَيُّوا الصَّبْرَ عَلَى مَا غَيَّرَ بِهِ رَسْمَهُمْ وَهَادَتْهُمْ ؛ فَلَمَّا رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ
اسْتَعْظَمَ الْحَالَ فِيهِ ، وَتَيَقَّنَ أَنَّ التَّنَاقُلَ عَنْهُ يَقْضِي بِمَا يُعْسِرُ اسْتِدْرَاكَهُ وَتَلَافِيهِ ؛
فَكَتَبَ وَلِيَّهُ وَصَفِيَّهُ الَّذِي رُبِّيَ فِي سَجَرِ الْخِلَافَةِ ، وَسَمَّا بِهِ اسْتَحْقَاقَهُ إِلَى أَعْلَى دَرَجِ
الْإِثَانَةِ ؛ وَحَصَلَتْ لَهُ الرِّيَاسَةُ بِاِكْتِسَابِهِ وَأَنْتَابِهِ ، وَغَذَا النِّظَرُ فِي أُمُورِ الْمَمْلُوكَةِ
لَا يَصْلُحُ لغيرِهِ وَلَا يَلِيْقُ إِلَّا بِهِ ؛ السَّيِّدُ الْأَجَلُ الْأَفْضَلُ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ وَالِى الْأَعْمَالِ
الْغَرِيبَةِ ، وَصَدْرَتْ كُتُبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ تُشِيرُهُ بِهَذَا الْأَمْرِ الصَّعْبِ ، وَتَسْتَكْشِفُ بِهِ
مَا عَمَّرَا الدَّوْلَةَ مِنْ هَذَا انْخِلَاطٍ ؛ فَاجَابَ دُعَاةَ ، وَلَبَّى نِدَاءَهُ ؛ وَقَامَ قِيَامَ مِثْلِهِ مِنْ
أَجَلِ اللَّهِ حِفْظَهُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَجَعَلَهُ جُلُوعَ عِزِّ حَسَنَةِ هَذَا الزَّمَانِ ؛ وَأَخْتَصَّ بِعِنَايَةِ
قُوِيَّةٍ ، وَأَمَدَهُ بِمَوَادِّ طَوِيَّةٍ ؛ وَأَيْدَهُ بِأَعَانَةِ تَمَاوِيَّةٍ ، تَخْرُجُ عَنْ اِلِسْتِعَاةِ الْبَشَرِيَّةِ ؛
بِجَمْعِ النَّاسِ وَقَامَ خَطِيئًا فِيهِمْ ، وَبَاعَاثَ لَهُمْ عَلَى مَا يُزِلُّهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَيُخْطِئُهُمْ ؛ وَمَوْضَعًا لَهُمْ
مَا يُضَيِّقُ عَلَى الدَّوْلَةِ مِنَ الْأَمْرِ الْمُنْكَرِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ كَاجْتِمَاعِهِمْ يَوْمَ الْحَشْرِ ، وَغَضَّتْ
الْجُودُ وَالْأَغْوَارُ ، وَأَمْلَأَتِ السُّهُولُ وَالْأَوَارُ ؛ وَضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى سَعَتِهَا
بِالْخِلَاقِ ، وَارْتَهَمَتْ فِي تَوْجُوهِهِمْ لَطَلَبِ الْمَذْكُورِ الْأَمْنَارِ وَالْعَوَاقِقِ ؛ وَلَمْ يَبْقَ فِضَاءٌ
إِلَّا وَهُوَ بِهِمْ شَرِيقٌ ، وَلَا أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مَرْتَضِجٌ بِقَضْدِهِ وَعَلَى تَأَثُّرِ ذَلِكَ قَلْبِ . وَكَانَ
بِهَرَامٍ وَأَصْحَابُهُ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهِمْ كَالشَّامَةِ فِي الْوَلَوِّ الْبَسِيطِ ، وَكَالْقَطْرَةِ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ؛

وسأروا مع السيد الأجل الأفضّل نحوه مُسارِعِينَ ، وعلى الأفضاض طعيم
متهافين ؛ فلما شعر بذلك لم يبق له قرار ، ولأدّ بالحرب والفرار ، بهجر المناهل ،
ويطوى المراحل ؛ ويرى الشroud غنما ، ويعدّ السلامة حلما ؛ واستقرت وزارة
أمير المؤمنين لهذا السيد الأجل الأفضّل الذي لم تزل فيه رغبة ، وله خاطبة ؛
ونحو توليه إياها متطلّعه ، وإلى نظره فيها مبادرة متسرّعه ، ولم تنفكّ لزيّنة دسّتها
مستبطنه ، وفي التلّيف على تأثر ذلك مُبيدة مُبيدته ؛ فاحسن إلى الكافة قولا
وفلا ، وعمل في حقّ الدولة ما لم يحصل له في الوزراء شيئا ولا في الملوك العظماء
شيئا ؛ وزدا للّه الحنيفيّة محبة وبرهانا ، وأولى الأولياء إعزازا وتكريما والأعداء
إذلالا وإخوانا ؛ وصان الخلافة عن تقاذيله ، وتام غيلة ؛ ومخادعة ماكر ، ومخاتلة
غادر ؛ فلذلك آتضاه أمير المؤمنين حساما باترا ماضى الفرار ، وأجابه هماما
في المصالح لا يعلم جفنه غير الفرار ؛ وأصطفاه خليلا وطهيرا لتساوى باطنه
وظاهره في الصفاء ، وأستخلصه لنفسه لمقاتره البجمة التي ليس بها من خفاء ،
وآتظمت الأمور بكفّالته في سلك الوفاق ، وعمت الخيرات برؤارته عموم الشمس
بأنوارها جميع الآفاق ؛ فسمعت بنظره الجلود ، وتظاهرت بركاته الميامن والسعود ؛
وأصبح غصن المعالي يُمّنه مورقا ، وعلى الملة من يمين آرائه تمائم من مسّ الحوادث
ودنى ، فآثاره توفى على ضياء الصباح ، وعزماته تُرى بمضاه المهندسة الصّفاح ، ومآثره
تفوت شأوالثناء وغاية الإمتداح . فأنه تعالى يحفظ النعمة على الخلافة الحافظيّة ،
ويوزع شكره على سُبُوغها كافة البريّة ؛ بكرمه وفضله ، ومنّه وطوله .

ولما آمنَ بهرام في الهرب ، وجئت المسافر المتصورة وراءه في الطلب ؛
وضاقت عليه المسالك ، وتيقن أنه في كل وجهة يقصدها هالك ؛ عاد لمكارم الدولة .

وعواطفها ، وسأل أماناً على نفسه من متاعها ؛ فشملت الرحمة ، وكتب له الأمان
نفساً ودينه النعمة ؛ واختلط برجال العساكر المنصورية ، وصار حظه بعد أن كان
مبخوساً من المخطوط الموقورة .

وأما اعتذار الكاتب عما وجه إليه بأن من الكلام ما إذا نُقِلَ من لغةٍ إلى لغةٍ
أخرى اضطرب مَبْنَاهُ فَاخْتَلَّ معناه ، ولا سيما إن غُيِّرَ فيه لَفْظٌ ليس في إحدى
اللغتين سواء ؛ فقد أبان فيما تُسبب إليه السهو فيه عن وُضُوح سببه ، وقد قيلَ عنده
ولم تُفَكِّ يَدُهُ عن التمسك به .

وأما ما سبَّته إلى خزان أمير المؤمنين تُحْفَةً وَهْدِيَّةً ، وأثبت به عن همة بدوإعي
الحمد مليه ؛ فإنه وصل وتسلم كلِّ صنفٍ منه متولَّى الخزان المختصة به بعد عَرْضِهِ
على أَلْبَتِ المخطوط كتابك عليه وموافقته ، وقد أجري رسولك في إكرامه وملاحظته
على أفضل ما يستمدُّ مع مثله بمنزلة مَنْ ورد من جهته ، وعلى قدر مَنْ وصل برسائه ؛
وقد سبَّ أمير المؤمنين من أحرار دولته ، ووجوه المتقدمين بحضرته ؛ الأمير المؤمن ،
المنصور ، المتَّخَب ، مجد الخلافة ، تاج المعالي ، نحر الملك ، مؤلِّي الدولة ومُجَاعِهَا ،
ذا النجابتين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبا منصور جعفراً الحافظي رسولاً بهذه الإجابة ،
لما هو معروف من سَدَادِهِ ، وموصوفٍ من مستوفٍ قَصْدِهِ ومستصوبٍ أَعْيَادِهِ ،
وَأَلْقَى إِلَيْهِ ما يذكُّره ويشرحُه ، ومولٍ عليه فيما يُشَافُهُ به ويُوَحِّمُهُ ؛ وأجابه من بجاياه
والطافه ، ما تضمنته التَّهَيُّت الواصل على يده ، إِيَّانَهُ تَحَلَّكَ عنده ، وموقِفَكَ منه ، ومكانَكَ
لديه . وأمير المؤمنين متعلِّع إلى ورود كُتُبِكَ متضمنةً من سائر أنباءك وطيب أخبارك
ما يُسَكِّنُ إلى معرفته ، ورتُّى بعلم حقيقته ؛ فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى .

الفصل الثالث

من الباب الثاني من المقالة الرابعة

(في المكتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم مما الجارى عليه الحال
في زماننا ، وهو على قسمين)

القسم الأول

(المكتبات الصادرة عن الملوك إلى أهل الإسلام ، وفيه أطراف)

الطرف الأول

(في مكتباتهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه ثلاث مجلد)

الجملة الأولى

(في ترتيب كتبهم إليه صلى الله عليه وسلم على سبيل الإجمال)

كانت أمراء مراءاه صلى الله عليه وسلم ومن أسلم من الملوك تفتح المكتبة إليه
صلى الله عليه وسلم باسمه صلى الله عليه وسلم ، ويقتنون بأقضيةهم ، ويأتون بالتحديد
والسلام عليه صلى الله عليه وسلم ، ويقتضون إلى المقصود بأما بعد أو غيرها ،
ويحتمون بالسلام . وملوك الكفرة يذنون بأقضيةهم ؛ وربما بدعوا باسمه صلى الله
عليه وسلم . وكان المكتوب عنه منهم يبر عن نفسه بلفظ الأفراد . مثل : أنا ، ولى ،
وقلت ، وفعلت . وربما صبر بعض الملوك عن نفسه بنون الجمع . ثم إن كان المكتوب
عنه مساميا ، خاطبه صلى الله عليه وسلم بلفظ الرسالة والنبوة مع كاف الخطاب
وتاء المخاطب ؛ وإن كان كافرا ، خاطبه بالكاف والتاء المذكورين ، وربما خاطبه
باسمه . فإن كان المكتوب عنه مساميا ختم الكتاب بالسلام عليه صلى الله عليه وسلم .

أما عُنُونُهُ هَذِهِ الْكُتُبُ، فيُظْهِرُ أَنَّهَا إِنِ اقْتِصَحَتْ بِاسْمِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُحَى بِاسْمِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ عُنُونَتْ كَذَلِكَ، فَيَكْتُبُ فِي الْجَانِبِ الْأَيْمَنِ «لِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ» أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَفِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ «مَنْ فُلَانٌ» وَإِنْ كَانَتْ مِنْ يَفْتَحِ الْمَكْتُبَةَ بِاسْمِ نَفْسِهِ عُنُونَتْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ .

الجملة الثانية

(فِي صُورَةِ مَكَاتِبِهِمْ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)

[وَفِيهِ أَسْلُوبَاتٌ :

الأسلوب الأول

(أَنْ تَفْتَحَ الْمَكْتُبَةَ بِاسْمِ الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ^(١))

كَمَا كَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِسْلَامِ بَنِي الْحَارِثِ، بِالْكَتَابِ الَّذِي تَهَدَّمَتْ لِجَابَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ، وَهُوَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ هِشَامٍ فِي «السِّيَرَةِ» .

«لِ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ :

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ، فَأَنْتَ بَعَثْتَنِي إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَسْبٍ ، وَأَمَرْتَنِي إِذَا أُتَيْتُمْ أَنْ لَا أَقَاتِلَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَنْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَإِنْ أَسَاءُوا قَبِلْتُ مِنْهُمْ وَعَاسَتُهُمْ مَعَ أَلَمِ الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَكَلَبَ اللَّهُ وَسْئَةَ نَبِيهِ ، وَإِنْ لَمْ يُسَلِّمُوا

(١) الزيادة ساقطة من الأصول وهي لازمة لتنظيم الكلام واتساقه كما يظهر من الأسلوب الثاني الآتي .

فَاتَّبَعْتُهُمْ . وَإِنِّي قَدِمْتُ إِلَيْهِمْ فَدَعَوْتُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبَعَثْتُ فِيهِمْ رَسُولًا : يَا بَنِي الْحَارِثِ أَتَسْلِمُوا قَسَلًا . فَاَسْلَمُوا وَلَمْ يُخَالِفُوا وَإِنَّا مَقِيمٌ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، أَمَرُهُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنَّهُمْ عَمَّا نَهَاهُمْ اللَّهُ عَنْهُ ، وَأَعْلَمُهُمْ مَعَ أَلَمِ الْإِسْلَامِ وَسَنَةِ النَّبِيِّ حَتَّى يَكْتُبَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ! ” .



وَكَمَا كَتَبَ النَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَوَابِ كِتَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ .

وَنَسَخْتُهُ عَلَى مَا ذَكَرَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ :

” إِلَى عِدْرِ رَسُولِ اللَّهِ ، مِنَ النَّجَاشِيِّ أَحْمَمَةَ ،

سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، الَّذِي هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى فُورَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ تُعْرِفُوا ، إِنَّهُ لَكَأَقْلَمَتْ ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بَعَثْتَ بِهِ إِلَيْنَا ، وَقَدِمَ ابْنُ عَمِّكَ وَأَصْحَابُهُ (وَفِي رِوَايَةٍ : وَقَدْ قَرَّبْنَا ابْنَ عَمِّكَ وَأَصْحَابَهُ) وَاشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ [صَادِقًا مَصْدَقًا] ، وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ ، وَأَسَلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِأُنْثَى ، وَإِن شِئْتَ

(١) فِي ” مِفْتَاحِ الْإِذْكَارِ ” ص ٦٦ وَبَعَثْتُ فِيهِمْ رَسُولًا كَمَا قَالَ ابْنُ الْحَارِثِ . وَازِيدَةُ الَّتِي فِي آخِرِ الصِّحْفَةِ .

أَتَيْكَ [بِنَفْسِي] ^(١) فَلَمْ يَأْسُؤْ لِي بِأَرْسُولِ اللَّهِ ، فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا قَوْلُهُ حَقٌّ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .



وَكَمَا كَتَبَ الْمُقَوِّسُ صَاحِبُ مَصْرَالَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَابَ كِتَابِهِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ مِنْهُ فِي رِوَايَةِ ذِكْرِهَا أَبْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ ، وَهُوَ :

”لِلْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، مِنَ الْمُقَوِّسِ عَظِيمِ الْقَبِيضِ . سَلَامٌ عَلَيْكَ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ وَبَاتَدُّوْا إِلَيْهِ . وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيَّا قَدْ بَقِيَ وَكَنتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِالنَّشَامِ ، وَقَدْ أَكْرَمْتُ رِسَالَتَكَ وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لِمَا مَكَانٌ فِي الْقَبِيضِ عَظِيمٍ وَكِسْوَةٍ ، وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَغْلَةً لَتَرْكَبَهَا ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .“

وَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ هَذَا . وَزَادَ غَيْرُهُ أَنَّ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَذَكَرَ الْوَاقِدِيُّ : أَنَّ فِي كِتَابِهِ إِلَيْهِ :

بِسْمِكَ اللَّهُمَّ ، مِنَ الْمُقَوِّسِ إِلَى عَمْدٍ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ وَفَهِمْتُهُ وَأَمْتُ قَوْلُ إِنْ أَنْتَ أَرْسَلْتَ رَسُولًا ، وَفَضَّلْتَ قَضِيصًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيْكَ قُرْآنًا مُبِينًا ، فَكُنْتُمْ عَنْ خَبْرِكَ فَوْجَدْنَاكَ أَقْرَبَ دَاجٍ دَعَا إِلَى اللَّهِ ، وَأَصْلَقَ مَنْ تَكَلَّمَ بِالصَّنَقِ ، وَلَوْلَا أَنِّي مَلَكَتُ مُلْكًا عَظِيمًا ، لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِكَ ، لِعِلْمِي أَنَّكَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَإِمَامُ الْمُرْسَلِينَ . وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ مِنِّْي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

(١) الزيادة من رواية المواهب ج ٣ ص ٣٩٥ وروايته أتيك . قال شارحه : في موضع المقبول

الأسلوب الثاني

(أن تفتح المكتبة باسم المكتوب عنه)

كما كتب مسيئة الكذاب إليه صلى الله عليه وسلم الكتاب الذي تقدمت إجابته
صلى الله عليه وسلم في المكتبات الصادرة عنه، وهو :
« من مسيئة رسول الله إلى عهد رسول الله .

أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك، إن لنا نصف الأرض ولقریش نصف
الأرض، ولكن قریشاً قوم يعتنون .

الجملة الثالثة

(في المكتبات التي كتبت إليه قبل ظهوره صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته)

أما الكتب التي كتبت إليه صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره، فقد حكى صاحب
الهناء الدائم بمولد أبي القاسم " أن ثبما الأول حين مر بموضع المدينة النبوية، على
ساكنها أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام، أخبره من معه من علماء أهل
الكتاب أن هذا الموضع مهاجر بني يمحج في آخر الزمان، فعمر هناك مدينة وأسكن
فيها جماعة من العلماء، وكتب إليه كتاباً فيه :

« أما بعد، يا عهد فإني آمنت بك وبربك ورب كل شيء، وبكتابك الذي يؤتله
عليك وأنا على دينك وسنتك . آمنت بربك ورب كل شيء، وبكل ما جاء من ربك
من شرائع الإسلام والإيمان . وإني قلت ذلك، فإن أدركتك فيها ونعمت، وإن لم

أَدْرِكَكَ فَاشْفَعْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا تَنْسِنِي ، فَإِنِّي مِنْ أُمَّتِكَ الْأَوَّلِينَ ، وَتَابِعْتُكَ قَبْلَ
مُحِبَّتِكَ وَقَبْلَ أَنْ يُرْسَلَكَ اللَّهُ ، وَأَنَا عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ ^(١) .
وَقَتْلَ الْكَاتِبِ . وَقَتْلَ عَلَيْهِ « اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ فَرَحَ الْمُؤْمِنُونَ
بِنَصْرِ اللَّهِ » .

وَكُتِبَ عَنَانُهُ : «إِلَى عَهْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ ، مِنْ تَبِيعِ الْأَوَّلِ حَمِيرٍ ، أَمَانَةُ اللَّهِ فِي يَدٍ مَنْ وَقَعَ إِلَيْهِ أَنْ يَنْقُصَهُ إِلَى صَاحِبِهِ » .
وَدَفَعَهُ إِلَى رَئِيسِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ رَتَّبَهُ بِالْمَدِينَةِ ، فَبَقِيَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ بَنِيهِ يَتَدَلَّوْنَ لَهُ
وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، حَتَّى هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَبِلَهُ الَّذِي صَارَ
الْكَاتِبُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ مِنْ بَنِي ذَلِكَ الْعَالَمِ فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ الْكَاتِبَ .



وَأَمَّا الْكُتُبُ الَّتِي تُكْتَبُ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، فَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ
الْأُمَّةِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ بِكَاتِبَةِ الرِّسَالِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِالسَّلَامِ
وَالْحَيَّةِ وَالتَّوَسُّلِ وَالتَّشْفَعِ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَقَاصِدِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ ،
وَتَسْيِيرِهَا إِلَى تَرْبَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَكَثُرَ النَّاسُ مَعَاطَاةً لِنَاكَ أَهْلُ الْمَغْرِبِ
لِبَعْدِ بِلَادِهِمْ ، وَتَزُوجُ أَقْطَارِهِمْ .

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا رَأَيْتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَا كَتَبَ بِهِ أَبُو الْخَلِيطِ وَزِيرُ أَبِي الْأَحْمَرِ
بِالْأَنْدَلُسِ ، وَصَاحِبُ دِيْوَانِ إِثْمَانَةَ عَنْ سُلْطَانِهِ يُوسُفَ بْنِ قَرْجَ بْنِ نَصْرٍ :
إِذَا فَاتَنِي ظِلُّ الْحَيِّ وَنَعِيمُهُ ، * كَفَانِي وَحْسِي أَنْ يَهَبَ نَسِيمُهُ !

وَيُعِينِي أَنِّي بِهِ مَكِينٌ : * قَزَمَ مَدْمَعِي، وَجَسَمِي حَلِيمُهُ !
يَسُودُ قُوَادِي ذِكْرُ مَنْ سَكَنَ الْغَنَى * يُقْبِلُهُ فَوْقَ الْغَنَى وَيُقْبِلُهُ !
وَلَمْ أَرِ شَيْئًا كَالنَّاسِمِ إِذَا سَرَى، * شَفَى سَقَمَ الْقَلْبِ الْمَشُوقِ سَقِيمُهُ !
نُعَلُّ بِالتَّدْكَارِ نَفْسًا مَشُوقَةً * نُدِيرُ عَلَيْهَا كَأْسَهُ وَنُدِيمُهُ !
وَمَا شَفَنِي بِالْقَوْدِ رَنْدٌ مَرْمُوحٌ، * وَلَا شَاقَنِي مِنْ وَحْشٍ وَبَجَرَةٍ رِيمُهُ،
وَلَا سَهَرَتْ عَيْنِي لِبَرْقِ تَلِيَّةٍ * مِنْ التَّفَرِّي سُدُو مَوْهِنًا فَأَشِيمُهُ .
بَرَانِي شَوْقٌ لِلنَّبِيِّ عَجِيدٍ * يَسُومُ قُوَادِي بَرْمَهُ مَا يَسُومُهُ !
أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ نَادَاكَ ضَارِعٌ * عَلَى الْبَعْدِ مَحْفُوظُ الْوَدَادِ سَلِيمُهُ
مَشُوقٌ إِذَا مَا أَلْبَلُ مَدْرُوقَهُ * تَهْمُ بِهِ نَحْتِ الظَّلَامِ مُهْمُهُ
إِذَا مَا حَدِيثُكَ جَاءَتْ بِهِ الْعَبَا، * نَحْنَاهُ مِنَ الشَّوْقِ الْحَدِيثِ قَدِيمُهُ
أَيُّهَرُ النَّجْوَى، وَأَنْتَ سَمِيعُهَا ! * وَيُسْرَحُ مَا يَنْفَى، وَأَنْتَ عَلِيمُهَا !
وَتُغَوِّرُهُ السُّقْيَا، وَأَنْتَ غِيَاةُهَا ! * وَتُثْلِقُهُ الْبَلَاؤُ، وَأَنْتَ رَحِيمُهَا !
يُنَوِّدُكَ نُورُ اللَّهِ قَدْ أَشْرَقَ الْمَدْنَى * فَالْأَرُءُ وَضَاحَةً وَنُجُومَهُ !
بِكَ أَتَهَلَّلُ فَضْلُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ سَابِكَا * فَانْوَاهُ مُتَقَنَّةٌ وَغِيومَهُ !
وَمِنْ فَوْقِ أَطْبَاقِ السَّمَاءِ بِكَ أَقْدَى * خَلِيلُ الَّذِي أَوْطَاكَهَا وَكَلِيمُهُ !
لَكَ الْخَلْقُ الْأَرْضِيُّ الَّذِي بَانَ فَضْلُهُ * وَجُدَ فِي الذِّكْرِ الْعَظِيمِ حَلِيمُهُ !
يَحْسِلُ مَدَى حَلَاكَ عَنْ مَدْحٍ مَادِحٍ * قُوْمِرُ دَرْ الْقَوْلِ فِيكَ عَدِيمُهُ !
وَلِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيكَ رَأَاةُهَا ! * وَبِحَلَاكَ لَا يَنْسَى الدَّمَامُ كَرِيمُهُ،

(١) في فتح الطيب ج ٤ ص ١٦٠ ، ودرجاة الكتاب "قد" وهو الواضح .

وَعِنْدِي إِلَى أَنْصَارِ دِيكَ نِسْبَةٌ * هِيَ الْفَخْرُ لَا يَحْتَنِي 'انتقلاً مُقِيمَةً!
وَكأنْ يُوَدِّي أَنْتَ أَزُورَ مُبْسُومًا * بِكَ أَفْخَرْتُ أَطْلَالَهُ وَرُسُومَهُ!
وَقَدْ يُجْهِدُ الْإِنْسَانُ طَرْفَ أَهْتِرَامِهِ * وَيُؤَوِّدُهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ مَرُومُهُ،
وَعُدْرِي فِي تَسْوِيفِ عَزَمِي ظَاهِرٌ * إِذَا ضَاقَ عُذْرُ الْعَزَمِ عَنْ يَلُومِهِ،
عَدَتْنِي بِأَقْصَى الْغَرْبِ عَنْ تَرْكِ الْعِلَا ، * جَلَالَتُهُ التَّنْفَرِ الْغَرِيبِ رُؤُومُهُ،
أَجْلَعْتُ مِنْهُمْ فِي سَبِيلِكَ أُمَّةً * هِيَ الْبَحْرُ يَمِي أَمْرُهَا مِنْ يَرُومِهِ!
فَلَوْلَا أَهْتِنَاءُ مَيْكَ يَا مَلْجَأَ السُّورَى ! * لَرَجَحَ حِمَاهُ ، وَاسْتَبِيحَ حَرِيْمُهُ!
فَلَا تَقْطَعْ الْحَبْلَ الَّذِي قَدْ وَصَلْتُهُ ، * فَمِنْكَ مَوْفُورُ النِّوَالِ عَمِيمُهُ!
وَأَنْتَ لَنَا الْيَتِيمُ الَّذِي نَسْتَدِيرُهُ ، * وَأَنْتَ لَنَا الْقَلْبُ الَّذِي نَسْتَدِيرُهُ!
وَمَا نَأَتْ دَارِي وَأَعُوذَ مَطْمَعِي * وَاقْتَضَى شَوْقِي تُسَبِّحُ جَيْمُهُ،
بَعَثْتُ بِهَا جُهْدَ الْمُقِلِّ مُعَوَّلًا * عَلَى جَنْبِكَ الْأَعْلَى الَّذِي جَلَّ خِيَمُهُ!
[وَكَلْتُ بِهَا هَمِّي وَصَدَّقْتُ قَرِيْبِي * فَمَا صَدَّقَنِي هَاهُ الْرُؤْيَى وَمِيمُهُ ^(١)]
فَلَا تَتَسَنَّى بِأَخِيرِ مَنْ وَعِلَى الرُّؤْيَى * فَمِنْكَ لَا يُنْفَى لَدَيْهِ خَدِيمُهُ!
عَلَيْكَ صَلَاةُ اللَّهِ مَانَّةٌ شَارِقَةٌ * وَمَا رَأَى مِنْ وَجْهِ الصَّبَاحِ وَسِيمُهُ!

إِلَى رَسُولِ الْحَقِّ، إِلَى كَلِمَةِ الْخَلْقِ، وَغَمَامِ الرَّحْمَةِ الصَّادِقِ الْبَرِّقِ، وَالْحَاطِرِ فِي مَيْدَانِ
أَصْطَفَاءِ الرَّحْمَنِ قَصَبِ السَّبْقِ، خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامِ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ، وَمِنْ وَجِبَتِهِ
النُّبُوَّةِ وَأَدَمُ بَيْنَ الْعَالَمِينَ وَالْمَاءِ؛ شَفِيعِ أَرْبَابِ الذُّنُوبِ، وَطَبِيبِ أَدْوَاءِ الْقُلُوبِ،
وَسُيْلَةِ الْخَلْقِ إِلَى مَلَامِ النُّيُوبِ؛ نَحْيِ الْهَدْيِ الَّذِي طَهَّرَ قَلْبَهُ، وَغَفَرَ ذَنْبَهُ، وَخَمَّ بِهِ

(١) الزيادة من فتح الطيب "ج ٤ ص ١٧ هـ" وكذا هو في ريمانة الكتاب

الرسالة ربه، وجرى في الثغوس تجرى الأنفاس حبه، [الشفع^(١)] المشفع يوم العرض،
المحمود في مَلَأَ السماء والأرض؛ صاحب اللواء المنشور يوم النشور، والمؤمن على
سر الكتاب المسطور، ومخرج الناس من الظلمات إلى النور؛ المؤيد بكفاية الله
وعصمته، الموفور حظه من عنايته وحرمته، القلل انخفاق على أمته؛ من لوازم
الشمس بعض كماله ما علمت إشراقا، أو كان للآباء رحمة عليه ذابت نفوسهم
إشفاقا؛ فائدة الكون ومماته، وسر الوجود الذي به الوجود سناه، وصفي حضرة
القدس الذي لا ينأى قلبه إذا نامت عيناه؛ البشير الذي سبق له البشري، ورأى
من آيات ربه الكبرى، ونزل فيه سبعان الذي أسرى؛ من الأنوار من عنصر نوره
مستتمه، والآثار تخلق وأثاره مستجده؛ من طوى بساط الوحي لفقده، وسد باب
الرسالة والنوثة من بعده، وأوتي جوامع الكلم فوقفت البلغاء حشرى دون حده؛
الذي أنتقل في الضرر الكريمة نوره، وأضاعت ميلاده مصابيح الشام وقصوره،
وطقت الملايكة تحية وفودها وتزوره؛ وأخبرت الكتب المنزلة على الأنبياء باسمائه
وصفاته، وأخذ عهد الأنبياء^(٢) به على من اتصلت بجمعه منهم أيام حياته؛ المفزع
الأمج يوم الفزع الأكبر، والسند المعتمد عليه في أهوال المحشر. ذى المعجزات
التي أثبتتها المشاهدة والحس، وأقر بها الجن والإنس؛ من حماد يتكلم، وجذع لفراقه
يتألم، وقبره يشق، وشجر يشهد أن ماجاه به هو الحق؛ وشمس بدعائه عن مسيرها
ثميس، وماء من بين أصابعه يتيجس؛ وغمام باستسقائه يصوب، وطوى بصق
في أجاجها فأصبح مأواها وهو العذب المشروب. المخصوص بمناب الكمال وكلال
المناقب، المسمى بالهاشم العاقب، ذى التجيد البعيد المرأى والمراقب؛ أكرم من

(١) الزيادة من قص الطيب (ص ٥١٧، ج ٤) المطبوع بالمطبعة الأميرية يولاق سنة ١٢٧٩ هـ.
وكذا هو في الرحمة.

(٢) في النسخ "الإيمان به" وكذا هو في رحمة الكتاب.

رُفِعَتْ إِلَيْهِ وَسِيلَةُ الْمُعْتَرِفِ الْمُخْتَرِبِ، وَبَجَحَتْ لَدَيْهِ قَرْبُهُ الْبَعِيدُ وَالْمُقَرَّبُ ، سَيِّدُ الرُّسُلِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؛ الَّذِي فَازَ بِطَاعَتِهِ الْمُحْسِنُونَ ، وَاسْتَنْقَذَ بِشَفَاعَتِهِ الْمُذْنِبُونَ ، وَسَعِدَ بِاتِّبَاعِهِ الَّذِينَ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَرْقُ ، وَهَمَّعَ وَدَّقَ ؛ وَطَلَعَتْ شَمْسُ ، وَنَسَخَ الْيَوْمُ أَمْسَ .

من عتيق شفاعته ، وعبد طاعته ؛ للمتعصم بسببه ، المؤمن بالله ثم به ؛ المستشفئ بذكره كلما تألم ، المفتيح بالصلاة عليه كلما تكلم ؛ الذي إن دُكِرَ تَمَلَّ طُلوْهُ بين أصحابه وآله ، وإن هَبَّ النَّسيمُ العاطرُ وجد فيه طيبَ خِلَالِهِ ؛ وإن تَمِيعَ الْأَذَانُ تَذَكُّرَ صَوْتِ بِلَالِهِ . وإن دُكِرَ الْقُرْآنُ اسْتَشْفَرَ تَرَدُّدَ جَبْرِيلَ بَيْنَ مَعَاهِدِهِ وَحِلَالِهِ ؛ [لَا يُرْمَى تَرْبُهُ وَمَوْمِلُ قُرْبِهِ ، وَرَهِينُ طَاعَتِهِ وَحُبِّهِ] ^(١) التَّوَسُّلِ بِهِ إِلَى رِضَا رَبِّهِ ؛ « يَوْسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ نَصْرِ » .

كتبته [إليك] يَا رَسُولَ اللَّهِ وَالنَّبِيَّ مَاحَ ، وَخَيْلُ الْوَجْدِ ذَاتُ جَمَاحَ ؛ عَنْ شَوْقِ يَزْدَادٍ كُلَّمَا قَصَّ الصَّبْرَ ، وَأَنْكَسَارِ لَا يُتَاحُ لَهُ إِلَّا بِدُخَانِ مَزَارِكِ الْجَهْرِ ؛ وَكَيْفَ لَا يُفْنَى مَشْوَقُكَ بِالْأَمْرِ ، وَيُوطِئُ عَلَى كَيْسِهِ الْجَمْرَ ، وَقَدْ مَطَّلَتِ الْأَيَّامُ بِالْقُدُومِ عَلَى تَرْبَتِكَ الْمُقْلَسَةِ الْقَدِّ ، وَوَعَدَتِ الْأَمَالَ وَدَانَتْ بِإِخْلَافِ الْوَعْدِ ؛ وَأَنْصَرَفَتِ الرِّفَاقُ وَالْعَيْنُ بِنُورِ خَيْرِ بَحْكِ مَا أَكْتَحَطْتُ ، وَالرَّكَائِبُ إِلَيْكَ مَا رِحِلْتُ ، وَالْعَزَائِمُ قَالَتْ وَمَا فَعَلْتُ ؛ وَالتَّوَاضُّعُ فِي تِلْكَ الْمَشَاهِدِ الْكَرِيمَةِ لَمْ تَنْسَحْ ، وَطُيُورُ الْأَمَالِ عَنْ وَكُورِ الْعُجْزِ لَمْ تَبْرَحْ ؛ فَيَالِهَا مِنْ مَعَاهِدَ فَازَ مَنْ حَيَّاهَا ، وَمَشَاهِدَ مَا أَعْطَرَ رِيَّاهَا ؛ بِلَادُ نَيْبَتِكَ بِهَا حَلِيكَ الْقَائِمُ ، وَأَشْرَقَتْ بُنُورُكَ مِنْهَا التَّجُودُ وَالتَّهَامُ ؛ وَنَزَلَ فِي مُجَرَّاتِهَا حَلِيكَ الْمَلِكُ ، وَأَنْجَلُ بَضِيَاءِ فُرْقَانِكَ فِيهَا الْحَلَكُ ؛ مَدَارِسُ الْآيَاتِ وَالسُّورِ ، وَمَطَالِبُ الْمُعْجَزَاتِ السَّافِرَةِ

الْقُرْبَ ؛ حَيْثُ قُضِيَتِ الْفُرُوضُ وَحُجِّتْ ، وَأُتِّحَتْ سُورَةُ الْوَحْيِ وَخُجِّتْ ؛
وَأُبْشِدَتِ الْمَلَّةُ الْحَنِيفِيَّةُ وَتَمَّتْ ، وَكُتِبَتِ الْآيَاتُ وَأُحْكِمَتْ . أَمَا وَالَّذِي بَعَثَكَ
بِالْحَقِّ هَادِيًا ، وَأَطْلَعَكَ فَخْلًا نُورًا بَادِيًا ؛ لَا يُطْفِئُ غُلِّي إِلَّا شَرُّكَ ، وَلَا يُسْكِنُ لَوْحِي
إِلَّا قُرْبُكَ ؛ لِمَا أَسْعَدَ مِنْ أَفَاضٍ مِنْ حَرَمِ اللَّهِ إِلَى حَرَمِكَ ، وَأَصْبَحَ بَعْدَ آدَاءِ
مَا فُرِضَتْ عَنْ اللَّهِ ضَيْفَ كَرَمِكَ ؛ وَفَرَّخْتَ فِي مَعَاهِدِكَ وَمَعَاهِدِ أَسْرَتِكَ ، وَتَرَدَّدَ
مَا بَيْنَ دَارِي بِحُتِّكَ وَهَجْرَتِكَ !

وَلَا أُقْنِي لِمَا عَاقَبَنِي عَنْ زِيَارَتِكَ الْعَوَاقِقِ وَإِنْ كَانَ شُغْلِي عَنْكَ بِكَ ، وَصَدَّتْنِي الْأَعْدَاءُ
فِيكَ عَنْ وَصْلِ سَبِيٍّ بِسَبِيِّكَ ، وَأَصْبَحْتُ مَا بَيْنَ بَحْرِ تِلَاحِمِ أَمْوَاجِهِ ، وَصَدَّكَ تَكَافُفُ
أَمْوَاجِهِ ، وَيَجْجِبُ الشَّمْسُ عِنْدَ الظُّهْرِ عَجَاجَهُ ؛ فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَ وَطَنُوا
عَلَى الصَّبْرِ فُقُومَهُمْ ، وَجَعَلُوا التَّوَكُّلَ عَلَى اللَّهِ وَعَلَيْكَ لُبُومَهُمْ ؛ وَرَفَعُوا إِلَى مُصَارَحَتِكَ
رُءُوسَهُمْ ، وَاسْتَعْدَبُوا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَرْضَاتِكَ بُوسَهُمْ ؛ يَطِيرُونَ مِنْ هَيْعَةٍ
إِلَى أُخْرَى ، وَيَتَلَقَّوْنَ وَالْخَافِئُ يُنْمَى وَيُسْرَى ، وَيَقَارِعُونَ - وَهَمَّ الْفَتْنَةُ الْقَلِيلَةُ -
بِحَوْكٍ بِحَمُوحٍ قِصَرٍ وَكُسْرَى ؛ لَا يَيْلُونَ مِنْ مَدَّوْكَالٍ دَرَّ عِنْدَ انْفِشَارِهِ ، مِشَارَ مِشَارِهِ ؛
قَدْ بَاحُوا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، لِأَنَّ تَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعُلْيَا ؛ قِيَالَهُ مِنْ
سِرْبِ مَرْوَعٍ ، وَصَرِيحٍ إِلَّا عَنْكَ مَمْنُوعٍ ، وَدَمَاءُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ مَرْفُوعٍ ؛ وَصِبْنِي حُمُرَ
الْحَوَاصِلِ ، تَحْقِيقُ فَوْقَ أَوْكَارِهَا أَجْنَعَةُ الْمَنَاصِلِ ؛ وَالصَّلِيبُ قَدْ تَعَطَّى وَمَدَّ ذِرَاعِيهِ ،
وَرَقَّتِ الْأَطْلَاعُ بِضَبْعِيهِ ؛ وَقَدْ مُجِبَتْ بِالْقَتَامِ السَّمَاءُ ، وَتَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُ الْحَسِيدِ
وَالْبَائِسِ الشَّدِيدِ فَاتَّقَى الْمَاءَ ؛ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا اللَّمَاءُ ، وَعَلَى ذَلِكَ فَمَا ضَعُفَتِ الْبَصَائِرُ
وَلَا سَامَتْ الظُّنُونُ ، وَمَا وُعِدَ بِهِ الشُّهَدَاءُ تَمَتُّعُهُ الْقُلُوبُ حَتَّى تَكَادَ تَرَاهُ الْيُونُ ،
إِلَى أَنْ تَقْلَكَ غَدَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدْ أَهْلَيْنَا الْعُدْرَ ، وَأَرْغَمْنَا الْكُفْرَ ، وَأَعْمَلْنَا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمِصْلِكَ الْبَيْضِ وَالسَّمَرِ .

استنبت رُفْعِي هذه لَطِيفَ إِلِك [من شوقى] ييجاج خافق، وُسْعَد من نَيْيِّ التى
تصحبها برفيق موافق، فتؤدى عن عَبْدك وتبلغ، وتَعْرِ الخَد فى تَرْبَتك وتَمْرغ،
وتطيب بَرَّاً مَعَاهِلِك الطاهرة وُيُوتِك، وتَهْفُ وقُوف الخُشُوع والخُضُوع نِجَاهاً بَأُوبِك،
وتقول بلسان التملق، عند التَشَهُّد بأسبابك والتعلّق، منكسرة الطرف، حَذراً بهرجها
من علم الصُرف : ياغيات الأُمّه، وعِمام الرحمة؛ ارسَم خُرْبِى وأقطاعى، وتَمْنَدُ
بَلُوكِ قِصَرِ باعى، وقو على هَيْبَتك خَوَرِ طِباعى، فكم جُزْتُ من بَلْ مَهول، وجُتُّ
من حُزْن ومُهول، وقابل بالقبول نِساى، وتَجَل بالرضا لجاى. ومعلوم من كمال
تلك الشيم، وتجايا تيك الديم، أن لا تُحِبَّ قِصْدَ مَنْ حَطَّ بِفَنائها، ولا يظلمأ
وارد أكب على لائها.

اللهم يامن جعلته أول الأنبياء بالمعنى وأخرم بالصورة، وأعطيته لواء الحمد يسير
آدم فمن دونه تحت ظلاله المنشورة، وملكت أمته ما زوى له من زوايا الهسيطة
المعمورة، وجعلني من أمته المحبولة على حبة المقطورة، وشوقني إلى معاهله المبورة،
ومشاهله المزورة، ووكلت لسانى بالصلاة عليه، وقلبي بالحنين إليه، ورغبتي
بالتبس ما لديه، فلا تقطع عنه أسبابى، ولا تحرمني في حبه أجر توابى، وتباركني
بشفاعته يوم أخذ كفاي.

هذه يا رسول الله وسيلة من بادت دأره، وشط مزأره، ولم يحصل بيده اختياره،
فإن لم يكن للقبول أهلاً فانت للإغضاء والملاح أهل، وإن كانت ألقاؤها وعرة فجنابك
للقاصدين سهل، وإذا كان الحب يتوارث كما أخبرت، والعروق تدس حسب ما
إليه أشرت، فلي بانساي إلى (سعيد) عميد أنصارك مزياه، ووسيلة أثيره حقيه،
وإن لم يكن لي عمل ترقيضه فلي نيه، فلا تلسني ومن بهذه الجزيرة المفتحة بسيف

كلبتك، على أيدى خيَار أمتك؛ فإنما نحنُ بها وديعةٌ تحتَ بعضِ أفضالك، نعوذُ بوجه ربِّك من إغفالك؛ ولَسْتَشِقْ من رِيحِ عَنَاتِكَ نَفْسَهُ، وَتَرْجِبُ من نُورِ عَمَّا قَبُولِكَ نَحْمَهُ؛ نُدَافِعُ بها عَدُوًّا طَغَى وَبَنَى، وَبَلِّغُ من مُضَايَقَتِنَا مَا أَبْتَغَى؛ فَوَاقِفُ التَّحْيِصِ قَدْ أَعْيَتْ مِنْ كَتَبِ وَرَخٍ، وَالْبَحْرُ قَدْ أَصَمَّتْ مِنْ أَسْتَصْرَخٍ؛ وَالطَّاعِيَةُ فِي الْمَدُونِ مَسْتَبْصِرٌ، وَالْعَدُوُّ عَمَلَى وَالْوَلِيُّ مَقْصَرٌ. وَيَجَاهُكَ تَذْفَعُ مَا لَا تُطِيقُ، وَبِعَنَاتِكَ تُعَالِجُ سَقِيمَ الَّذِينَ قُبُحٌ؛ فَلَا تُفَرِّدُنَا وَلَا تُهْمِلُنَا، وَنَادِ رَبِّكَ فِينَا: رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلُنَا؛ وَطَوَائِفِ أَمْتِكَ حَيْثُ كَانُوا حَنَائِيَةً مِنْكَ تَكْفِيهِمْ، وَرَبُّكَ يَقُولُ لَكَ وَقَوْلُهُ الْحَقُّ: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ .

وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ طَافَ وَسَعَى، وَأَجَابَ دَاعِيًا إِذَا دَعَا؛ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى جَمِيعِ أَحْزَابِكَ وَأَئِكَ، صَلَاةً تُلْقِي بِجَلَالِكَ وَيُحَقِّقُ لِكَمَالِكَ؛ وَهَلْ جَمِيعِيكَ وَصِدِّيقِيكَ، وَحَبِيبِيكَ وَرَفِيقِيكَ: خَلِيفَتِكَ فِي أَمْتِكَ، وَفَارُوقِكَ الْمُسْتَخْلَفِ بَعْدَهُ عَلَى جَلَّتِكَ، وَصِهْرِكَ ذِي الثَّوَرَيْنِ الْمُخْصُوصِ بِرِّكَ وَبِحُضْرَتِكَ، وَأَبْنِ عَمَلِكَ سَيْفِكَ الْمَسْلُوبِ عَلَى حَتْلِكَ، بِدِرِّ سَمَائِكَ وَوَالِدِ أَهْلَتِكَ؛ وَالسَّلَامُ الْكَرِيمُ عَلَيْكَ وَطَيْبُهُمْ [كثيراً بشيراً^(١) وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ .

من حضرة جزيرة الأندلس غُرْنَاطَةَ صَانَهَا اللَّهُ وَوَقَّأَهَا، وَدَفَعَ عَنْهَا بِرُكْنِكَ كَيْدَ عَدَاهَا .

الطرف الثاني

(في المكاتبات الصادرة عن الأمراء من العمال وأمرأ السرايا، إلى الخلفاء
من الصعابة رضوان الله عليهم، وفيه جملتان)

الجملة الأولى

(في ترتيب هذه المكاتبات على سبيل الإجمال)

كانت المكاتبه إليهم تُصَنِّعُ تارةً بلفظ « من فلان إلى فلان » ويؤتى في الصدر
بالسلام والتحميد على نحو ما تقدم في المكاتبه عن الخلفاء . ويقع التخلُّص
إلى المقصود بـ « أما بعد » وتارةً يقع الاكتئاح بـ « أما بعد » ويؤتى بالمقصود بتلك ؛
ويعبّر المكتوب عنه فيها عن نفسه بلفظ الإفراد ، وعن الخليفة بأمر المؤمنين ،
وتُختمُ بالسلام على أمير المؤمنين .

الجملة الثانية

(في صورة هذه المكاتبات، وهي على أسلوبين كما تهتمت الإشارة إليه)

الأسلوب الأول

(أن تُصَنِّعُ المكاتبه بلفظ « لفلان من فلان »)

وكان الرسم فيها أن يُكْتَبَ : « لعبد الله فلان أمير المؤمنين ، سلام عليك فأني
أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإني كذا » .

كما كتب عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه
في جواب الكتاب منه إليه المقدم ذكره في المكاتبه عن الخلفاء من الصعابة، وهو:
« لعبد الله عمر أمير المؤمنين ، سلام عليك فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .
أما بعد، فإنه أتاني كتاب أمير المؤمنين يذكر فيه فاشية مال قشالي ، وأنه يعرفني قبل

ذَلِكَ وَلَا مَالَ لِي ، وَإِنِّي أَعْلِمُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي بَيْلِدُ السَّعْرِ فِيهِ رَخِيسٌ ، وَإِنِّي أَطْلُجُ
مِنَ الزَّرَاعَةِ مَا يَبَاحِلُهُ النَّاسُ ، وَفِي رِزْقِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَعَةً . وَوَأَقْتِهِ لَوَرَأَيْتُ خِيَانَتَكَ
حَلَالًا مَا خُتِنْتُكَ ، فَأَقْصِرْ أَيْهَا الرَّجُلُ فَإِنَّ لَنَا أَحْسَابًا هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ لَكَ ، إِنْ
رَجَعْنَا إِلَيْهَا عَشْنَا بِهَا ! . وَلَعَمْرِي إِنْ عِنْدَكَ مَنْ لَا يَلْذُمُ مَعْشِيَةً وَلَا تَكْذِبُ لَهُ ، فَإِنْ
كَانَ ذَلِكَ فَلَمْ يَفْتَحْ قُفْلَكَ وَلَمْ يَشْرَكَكَ فِي عَمَلِكَ ؟

الأسلوب الثاني

(أن تَفْتَحَ المَكْتَابَةَ بلفظ «أما بعد» ويتوصل منه إلى المقصود)
كما كتب الخليفة بْنُ شُعْبَةَ إِلَى معاوية - وهو على بعض أعماله - يستغفیه
عن العمل .
أما بعد ، قد كَرِهْتَنِي وَرَقَّ عَظْمِي وَأَقْتَرَبَ آجَلِي وَسَقَمَتِ سَفَهَاءُ قُرَيْشٍ ، قَرَأْتُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي عَمَلِهِ .

الطرف الثالث

(في المَكْتَابَاتِ الصَّادِرَةِ عن الأُمَرَاءِ مِنَ الْعِيَالِ ، وَأَصْرَاءِ الْمَرَايَا أَيْضًا
إِلَى خُلَفَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَهِيَ فِي تَرْتِيبِهَا عَلَى مَا تَهْتَمُّ فِي المَكْتَابَاتِ إِلَى الخُلَفَاءِ
مِنَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . وَهِيَ عَلَى أَسْلُوبَيْنِ)

الأسلوب الأول

(أن تَفْتَحَ المَكْتَابَةَ بلفظ «من فلان إلى فلان» على نحو ما تهتم في المَكْتَابَةِ
عَنْهُمْ إِلَى الخُلَفَاءِ مِنَ الصَّحَابَةِ مَعَ زِيَادَةِ السَّعَاءِ بِكُلِّ الْبَقَاءِ)
كما كتب الحجاج بْنُ يُوْسُفَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فِي جَوَابِ تَخَالِيفِهِ الْوَارِدِ عَلَيْهِ
مِنْهُ ، فِي تَوْبِيخِهِ لَهُ بِسَبَبِ تَعْرِضِهِ لَأَنْسَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى مَا تَهْتَمُّ ذِكْرُهُ .

«لعباد الله عبد الملك أمير المؤمنين» ^(١) [أصلح الله] أمير المؤمنين وأباه، وسهل حظه وحاطه ولا عذمتاه؛ فقد وصاني كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وجعلني من كل مكروه فداء؛ يذكر شئني وتوبيخي بأبائي، وتبديري بما كان قبل [نزول النعمة بي] ^(٢) من عند أمير المؤمنين أمم الله نعمته عليه، وإحسانه إليه. ويذكر أمير المؤمنين استطلائي على أنس بن مالك، وأمير المؤمنين أحق من أقال عثري، وعفا عن ذنبي وأمهلي ولم ينجلي عند هفوتي؛ للذي جيل عليه من كريم طبائمه، وما قلده الله من أمور عباده؛ فرأى أمير المؤمنين - أصلحه الله - في تسكين روضي، وإفراج كرتي، فقد ملئت رعباً وفرقا من سطواته، وبغات نجاته؛ وأمير المؤمنين - أقاله الله العثرات، وتجاوز له عن السيئات؛ وضاعف له الحسنات، وأعلى له الدرجات - أحق من صنع عفا، وتعمد وأبى؛ ولم يُسمِت بي عدواً ميكاً، ولا حسوداً مضباً؛ ولم يُعرضني غصصاً، والذي وصف أمير المؤمنين من صليته إلى، وتوسيدي بما أسند إلى من عمله؛ وأوطاني من رقاب رعيته، فصادق في تجزئتي عليه بالشكر، والثوميل مني إليه بالولاية، والتعزب له بالكفاية؛ وقد خضعت عند كتاب أمير المؤمنين، فإن رأى [أمير المؤمنين] ^(٣) - طوفى الله بشكرك، وأعانني على تادية حقّه، وبلغني إلى ما فيه موافقة مرضاته، ومثل في أجله - أن يصر بالكلب إلى من رضاه، وسلامة صدره، ما يؤمنني به من سفك دمي، ويرد ما شرد من نومي، ويطمئن به قلبي فعل، فقد ورد

(١) في الأصل "سلام على أمير الخ" والصحيح من مفتاح الأفكار (ص ١٨٢) .

(٢) يابض بالاصول، والصحيح من مفتاح الأفكار . وفيه بعد فقط أنس بن مالك ما فيه .

"خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جراً على أمير المؤمنين وخبرة بمعرفة خبره وقبائه وسلطانه من خلف صلبه وعمد إلى غير محبة ونزل عند خطته، وأمير المؤمنين أصلحه الله من قرابته من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الهدى وخاتم النبيين أحق الخ" .

(٣) الزيادة من مفتاح الأفكار .

على أمر جليل خطبه، عظيم أمره، شديد كربه . أسأل الله أن لا يسخط أمير المؤمنين على، وأن يثله في حزنه، وعزيمه، وسياسته، وفراسته، ومواليه، وحشمه، وعمله، وصنائه، ما يحمد به حسن رأيه، إنه ولي أمير المؤمنين والذاب عن سلطانه، والصانع له في أمره، والسلام .

الأسلوب الثاني

(أن يفتح الكتاب بلفظ «أما بعد» ويتوصل منه إلى المقصود)

كما كتب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إلى عبد الملك بن مروان في خلافته :
أما بعد، لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر . سلام عليك إني
أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأمرني بالسمع والطاعة على كتاب الله وسنة
نبيه فيما استطعت .

الطرف الرابع

(في المكتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم إلى خلفاء
بنى العباس، وفيها جملة)

الجملة الأولى

(في المكتبات العامة من الملوك إلى الخلفاء، ولها حالتان)

الحالة الأولى

(ما كان الأمر عليه في ابتداء دولة بنى العباس وأوساطها)

أما ابتداء دولتهم، فكان الأمر فيه على ما هم في مكتبات أهل ونحوهم إلى خلفاء
بنى أمية، وقد تقدم تمثيله . إلا أنه زيد فيه في صدور المكتبات سؤال الصلاة

على النبي صلى الله عليه وسلم من حين رتبته المأمون في صدور الكتب، وتكنية الخليفة من حين أحده الأمين في كتبه على ما تقدم بيانه في المكاتبات عن الخلفاء فيما سلف .



وأما أوساط دولتهم من حين ظهور ملوك بني بويه وعليتهم على الأمر ، فللكتاب فيه أسلوبان :

الأسلوب الأول

(أن تفتتح المكاتبه بلفظ «فلان من فلان» وتصدّر بالسلام والتحميد وسؤال الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ويتخلص إلى المقصود إما بعد والرسم فيه على ما ذكره قدامه في كتاب الخراج أن يكتب : «لعبد الله فلان أبي فلان - بأسمه وكنيته ونعته - أمير المؤمنين، سلام على أمير المؤمنين، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم . أما بعد، أطال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام حيزه وتأييده وكرامته وجرأته، وأتم نعمته عليه ، وزاد في إحصائه إليه، وقضيه عنده وبجمل بلائه لديه ، وبجزيل عطائه له » .

وزاد في صناعة الكتاب : « في السلام «ورحمة الله وبركاته» . قال في صناعة الكتاب : « ثم يقال : أما بعد فقد كان كذا وكذا ، حتى يأتي على المعاني التي يحتاج إليها . وتكون المكاتبه : - وقد فعل عبد أمير المؤمنين كذا - فإن زادت حاله لم يقل عبد أمير المؤمنين ، فإذا بلغ إلى البهاء ترك فضاء وكتب : أتم الله على أمير المؤمنين نعمته وهنأه وكرامته ، وألبسه عفوّه وعافيته وأمنه وسلامته : . والسلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته . وكتب يوم كذا وكذا من شهر كذا من سنة كذا .

وقال الفضل بن سهل : يُدعى للخليفة :

أما بعدُ ، أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين ، وأدام عزَّه وتأييده ، وأتمَّ نعمته وسعاده وتوفيقه ؛ وزاد في إحسانه إليه ومواريه له . ولا يكتب إليه « وجعلني فداه » ويكون أولُ فصوله : أخبر أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - أن كذا وكذا . ثم يوالى القبول بتأييده الله وأدام عزه . ونحو هذا .

وإن شئتَ كتبت : أما بعدُ أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين ، وأدام عزَّه وتأييده وكرامته ، وأتمَّ نعمته عليه ، وزاد فيها عنده وحاطة وكفاه ، وتولى له ما ولَّاه .

وإن شئتَ كتبت : أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين في العزِّ والسلامة ، وأدام كرامته في السَّعادة والزيادة ؛ وأتمَّ نعمته في السُّبُوح والنبطة ، وأصلحه وأصلح على يديه ونصره ؛ وكان له في الأمور كلها ولياً وحافظاً .

وإن شئتَ كتبت : أطال الله بقاءَ أمير المؤمنين في أعزِّ العزِّ ، وأدوم الكرامة والسُّرور والنبطة ، وأتمَّ نعمه في كلِّ من الدرجة ، وشرف من الفضيلة ، ومتابع من العائدة ؛ ووجه له السلامة والعافية في الدنيا والآخرة .

والذي كانت عليه قاعدة ملوك بني بويه فنَّ بعضهم إن كان الكتاب في معنى حدوثِ نعمة من نصح ونحوه ، أتى بعد ذلك بالتحديد ما بين سرِّية واحدة إلى ثلاث مرَّات . ويعبرُ المكتوبُ عنه عن نفسه بلفظ الإفراد ، وعن الخليفة بأمر المؤمنين ، ويُتَّخَذُ الكتابُ بالإِنْهاء وما في معناه .

وهذه نسخةُ كتابٍ كتب به أبو إسحاق الصَّابي عن عزِّ الدولة بن بويه إلى المُطيع لله عند فتحه الموصل ، وهزيمة أبي تَغْلِبَ بن حَمْدَانَ صاحب حلب في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، وهي :

لعبد الله الفضل [الإمام] المطيع لله أمير المؤمنين، من عبده وصديقه عر الدولة
أبن مِعز الدولة مؤنّى أمير المؤمنين . سلامٌ على أمير المؤمنين ورحمة الله، فإني أحمّد
إلى أمير المؤمنين الله الذى لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلى على محمد عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم .

أما بعد - أحال الله بقاء أمير المؤمنين وأدام له العزّ والتأييد، والتوفيق والتسديد؛
والثّلوث والقدرة، والظهور والنصرة - فالحمد لله العلىّ العظيم، الأزلّى القديم؛ المتقرّد
بالكبرياء والمكشوّت، المتوحّد بالعظمة والجبروت؛ الذى لا تحسّد الصفات،
ولا تحوزّه الجهات؛ ولا تحصره قرارة مكان، ولا يغيّره مرور زمان؛ ولا تفتله العيون
بنواظرها، ولا تحسّله القلوب بجواظرها . فاطر السموات وما تظّل، وخالق الأرض
وما تهلّ؛ الذى دلّ بلطف صنّته، على جليل حكّمته، وبين بحليّ برهانه، عن
خفى وجدانه، واستغنى بالقُدرة عن الأعوان، وأستعمل بالعزة عن الأقوان . البعيد
عن كلّ معاديل ومضارح، الممتنع على كلّ مطلوب ومقارح؛ الدائم الذى لا يزول
ولا يمحول، العادل الذى لا يظلم ولا يثور؛ الكريم الذى لا يرضن ولا يفضّل، الحليم الذى
لا يتجمل ولا يهمل؛ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين، منزل
الرحمة على كلّ ولّى توكلّ عليه، وفوض إليه؛ وأمر لأوامره، وأزدرج بآياته،
ومحلّ الثّمة بكلّ صدّ من سبيله وسنّه، وصدّف عن فراضه وسنّه، وحاده
فى مكسب يده ومسعاة قدسه، وخائنة عينه وخافية صدره؛ وهو رافع رتبة النّعم
السّامية، فى أشكال النّعم السّابغة؛ وجاهل جهلها بشكر آلائها، ذاهل ذهولها عن
طرق أسبقائها؛ فلا يلبث أن يترجّع مرابيحها صاغراً، ويتعزّى منها حاسراً؛ ويصل

الله كَيْتَهُ فِي قَضِيلٍ ، وَيُورِدُهُ شَرَّ الْمَوْرِدِ الْوَبِيلِ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ،
وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ .

والحمد لله الذي أصطفى للنُّبُوَّةِ أَحَقَّ عِبَادِهِ بِجَمَلِ أَمِيَّتِهَا ، وَأَرْتَدَاءِ رِدَائِهَا ؛ «عِندَهُ»
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَظَّمَ حَقْلَهُ وَكَرَّمْ ، فَصَدَعَ بِالرَّسَالَةِ ، وَبَالَغَ فِي الدَّلَالَةِ ؛
وَدَعَا إِلَى الْهِدَايَةِ ، وَنَجَّى مِنَ الْغَوَايَةِ ؛ وَهَمَلَ النَّاسَ عَنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، إِلَى
طَاعَةِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؛ وَأَعْلَقَهُمْ بِجِبَالِ خَالِقِهِمْ وَرَازِقِهِمْ ، وَعَصَمَهُمْ عَنْهُمْ وَنَجَّيَهُمْ ؛
بَعْدَ اتِّحَالِ الْأَكَاذِبِ وَالْأَبَاطِيلِ ، وَأَسْتِشْمارِ الْمُحَالَاتِ وَالْأَصْنَافِ ، وَالتَّهْوُكِ
فِي الْأَعْتِقَاتِ الْفَائِدَةِ عَنِ النَّعِيمِ ، السَّائِقَةِ إِلَى الْمَذَابِ الْأَكْرَمِ ؛ فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
مِنْ نَاطِقِي الْحَقِّ ، وَمُتَّقِي الْخَلْقِ ؛ وَنَاصِحِ لِلرَّبِّ ، وَمُؤَدِّ لِلْفَرَضِ ؛ صَلَاةً زَاكِيَةً نَابِيَةً ،
رَاضِيَةً غَالِيَةً ؛ تَزِيدُ عَلَى اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَعَاقِبِ الْأَوْحَامِ وَالْأَدْوَارِ .

والحمد لله الذي آتَجَبَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ [أَطَالَ اللَّهُ بِقَامِهِ] ^(١) مِنْ ذَلِكَ السَّنَخِ الشَّرِيفِ ،
وَالْعُنْصُرِ الْمُتَيْنِفِ ؛ وَالْعِمْرَةِ الثَّابِتِ أَصْلُهَا ، الْمُتَدَدِ ظِلُّهَا ؛ الطَّيِّبِ جَنَاهَا ؛ الْمُنُوعِ حِمَاهَا ؛
وَحَازِلِهِ مَوَارِيثَ آبَائِهِ الطَّاهِرِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ؛ وَأَخْتَصَّهُ مِنْ بَيْنِهِمْ
بِتَطَاوُلِ أَمَدِ الْخِلَافَةِ وَأَسْتَحْصَافِ حَبْلِهَا فِي يَدِهِ ؛ وَوَقَّعَهُ لِإِصَابَةِ الْقَرْضِ مِنْ كُلِّ
مَرْمَى يَرِيهِ ، وَمَقْصِدِ يَتَحَيَّهِ ؛ وَهُوَ - جَلَّ شَأْنُهُ - الْحَقِيقِيُّ بِإِتِّمَامِ ذَلِكَ عَلَيْهِ ،
وَالزَّيَادَةُ فِيهِ لَدَيْهِ . وَأَحْمَدُهُ سَبْحَانَهُ حَمْدًا أَبَدِيًّا ثُمَّ أُعِيدَ ، وَأُكْرِرَهُ وَاسْتَرِيدَهُ ؛
عَلَى أَنَّ أَهْلَ رُكْنِ الدَّوْلَةِ أَبَا عَلِيٍّ ، وَعَضْبَةُ الدَّوْلَةِ أَبَا عَجَّاجٍ مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَهْلَقِي
لِلْأَثَرَةِ عِنْدَهُ الَّتِي بَلَدْنَا فِيهَا الْأَكْفَاءَ ، وَفُتْنَا فِيهَا الْقُرْنَاءَ ؛ وَتَقَطَّعَتْ دُونُنَا أَنْفُسُ
الْمُتَنَافِسِينَ ، وَتَضَرَّعَتْ عَلَيْهَا أَحْشَاءُ الْحَاسِدِينَ . وَأَنَّ أَوْلَانِي فِي كُلِّ مَغْرَبٍ فِي خِدْمَةِ

أمير المؤمنين أغزوه، ومنحى النحر، وثأى أربابه، وشعت أئمه؛ وعلواً رغبه، وزائع أقومه؛ أفضل ما أولاه عباده السليمة غيوبهم، النقية جُيوبهم؛ المأمونة ضمائرهم، المشحونة بصائرهم؛ من تمكن يده، وتثبت قدمه؛ ونصرة رايته، وإعلاء كلمته؛ وتحريب بُنية، وإزالة أُمينة؛ وكذلك يكون من إلى [ولاه] أمير المؤمنين أعزاه، وبشماره أعزاه؛ وعن زكاه قدسه، وفي طاعته كدسه؛ والله ولي [بلادامة] ماخوليه من هذه المنقبه، وسوغيه من هذه المؤهيه؛ وأن يتوجه أمير المؤمنين في جميع خدمه النائيين من حوزته، الملتئمين إلى دعوته؛ يُمجّن الطائر، وسادة الطالع، وتجلح المطلب، وإدراك الأرب؛ وفي أصدائه الناطقين ليعتمه، النافضين مواثيق بيعته؛ بإضرع الخلد، وإعصاف الجلد؛ وإخفاف الأمل، وإحباط العمل، بقدرته .

ولم يزل مولانا أمير المؤمنين [أطال الله بقاءه] ينكر قديماً من "فضل الله" بن ناصر الدولة أحوالاً حقيقاً مثلها بالإنكار، مستحقاً من أتركها الإعراض؛ وأنا أذهب في حفظ غيبه، وإجمال محضه؛ وتمحل مُججبه وتلقيها، وتأليف معاذيره وتلقيها؛ مدعي الذي أعظم به كل من جرى بجره من ناشئ في دولته، ومُقتد بنعمته؛ ومنسب إلى ولايته، ومُشتهر بصليته؛ وأقدر أن استصلحه لأمر المؤمنين - أطال الله بقاءه - وأصلحه لنفسه بالتوقيف على مسالك الرُشاد، ومُتاج السداد؛ وهو يُريني أن قد قيل وأزعوئ، وأبصر وأهتدئ؛ حتى رَغِبْتُ إلى أمير المؤمنين فيما شَغَنِي متفضلاً فيه، من تَهْلِيلِه أعمال أبيه، والقناعة منه في الضمان بمُسَوْرَئِلِه، وإثارة به على من هو فوقه من كبراء إخوته وأهله .

فلما بَلَغَ هذه الحال، أَلَطَّ بِالْمَالِ، وَخَاسَ بِالْمَهْدِ، وَطَرَّقَ لَفْسَخَ الْعَقْدِ، وَأَجْرَى
إِلَى أُمُورِ كَرِهَتِهَا، وَفَدَّ الصَّبْرُ مَنَى عَلَيْهَا، وَخِفَتْ أَنْ أَسْتَمِرَّ عَلَى الْإِغْضَاءِ عَنْهَا
وَالْمَسَامَحَةِ فِيهَا، فَيُطْلِعَ اللَّهُ مَنَى عَلَى إِضَاعَةِ الْإِحْتِيَاظِ فِي أَمْرِ قُلْدَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
زِيَادَةَ، وَصَمْنَى دَرَكَهُ، وَإِرْخَاءَ لَبِيبِ رَجُلٍ قَبِيلٍ فِي الْإِعْتِمَادِ عَلَيْهِ رَأْيِي، وَعَوَّلَ
فِي اخْتِيهِ بِمَا يَلْزِمُهُ عَلَى نَفْثَرَى وَأَسْتِغْنَايَ - فَنَتَاوَلْتُهُ بِأَطْرَافِ الْعَدْلِ مُلَوَّحًا، ثُمَّ بَأْتَبَاجَهُ
مُفَصِّصًا مُصَرَّحًا .

وَرَمَمْتُ لَعِبْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاسِجِ أَبِي طَاهِرٍ أَنْ يُجِدَّ بِهِ وَبُوسَطَاتِهِ وَسُفَرَاتِهِ
فِي حَالٍ، وَيَدْخُلَ عَلَيْهِ مِنْ طَرِيقِ الْمَشْوَرَةِ وَالرُّفْقِ فِي أُثْرَى، وَيَتَقَلَّلَ مَعَهُ بَيْنَ الْخُشُونَةِ
الَّتِي يَقْفُو فِيهَا أُثْرَى، وَاللَّيْنِ الَّذِي لَا يَمُوزُ أَنْ يُحْسِسَهُ مَنَى، تَهْدِيرًا لِكَثْنَانِهِ، وَزَوَالَ
أَثْوَانِهِ، فَعَمِلَ ذَلِكَ عَلَى رَمْنِهِ فِي الثَّأْنِ لِكُلِّ فَاسِدٍ حَتَّى يَصْلُحَ، وَلِكُلِّ آبٍ حَتَّى
يَسْمَحَ، وَلَمْ يَدِجِ التَّنَاهِي فِي وَعْظِهِ، وَالتَّمَادِي فِي نَصَحِهِ، وَتَعْرِيفِهِ سُوءَ طَاقِبَةِ
الْجَلَسَاجِ، وَمَقْبَلَةِ الْإِخْرَاجِ، وَهُوَ يَزِيدُ طَمَعًا فِي الْأَمْوَالِ وَشَرًّا، وَعَمَى فِي الرَّأْيِ
وَعَمَهَا، إِلَى أَنْ كَادَ أَمْرُنَا مَعَهُ يَخْرُجُ عَنْ حَدِّ الْإِنْتِظَارِ، إِلَى حَدِّ الرِّضَا بِالْإِصْرَارِ،
فَاسْتَأْنَقْتُ أَدْرَاعَ الْحَزْمِ، وَأَمْتَطَاءَ الْعَزْمِ، وَنَهَضْتُ إِلَى أَعْمَالِ الْمَوْصِلِ وَصِنْدِي
أَنَّهُ يُغْنِيَنِي عَنِ الْإِتِمَامِ، وَيَتَقَلَّانِي بِالْإِحْشَابِ وَيَتَقَادُ إِلَى الْمُرَادِ، وَيَتَجَنَّبُ
طَرِيقَ الْعِنَادِ .

لَخِينِ حَرَفَ خَبَرِ مَسِيرِي، وَجَدْنِي فِيهِ وَتَشْمِيرِي، بَرَزَ بَرُودُ الْخِلَافِ الْمَكَاشِفِ،
وَتَجَمَّزَ تَجَمُّدُ الْمَوَاقِفِ الْمَوَاقِفِ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ إِذَا أَرَدَدْتُ مِنْهُ قُرْبًا، أَرَدَادُ مَنَى رُحْبًا،
وَإِذَا دَلَقْتُ إِلَيْهِ ذُرَاعًا، نَكَّصَ عَنِّي بِأَمَّا .

وتوافَتْ إلى حضرق وجوهُ التباثل من عُقِيلٍ وشَيْدَانٍ وغيرهما في الجمع الكثيف من صَعَالِكهما ، والسند الكثير من صَنَادِيدهما ؛ داخِلين في الطاعة ، متصرِّفين في حَوَارِض الخِلْمَة .

فلما شارفتُ الحَدِيثَة ، استقصتُ عزائمُ صَبْرِهِ ، وتوضعتُ دعائمُ أمرِهِ ؛ وبطلتُ أمانِيهِ ووساوسُهُ ، وأضمحلَّتْ خَوَاطِرُهُ وهَوَاجِسُهُ ؛ واضطربَ عليه من حِمَايِهِ وغلْظَانِهِ مَنْ كان بهم يَتَّصِدُ ، وطليم يَتَّعِدُ ، وبلدوا بخذلَانِهِ والأخذُ لِنُفُوسِهِمْ ، ومُفَارَقَتِهِ والطَّلِبُ بِمَحْظُوظِهِمْ ؛ وحصلَ منهم بحضرق إلى هذه النايَةِ زُهْلَةُ نَحْمَانَةِ رجل ذَوِي حَيْلٍ مختارة ، وأسلحة شاكِيَةٍ ؛ فصَادَقُوا عِنْدِي مَا أَمَلُوا من فائِضِ الإحسان ، وغامِرِ الاِثْنانِ ؛ وذَكَّرُوا عَمَّنْ ورائِهِمْ من نُظَرَائِهِم التَّتَرَّى إلى الاِثْمِجْذَابِ ، والحِرْصِ على الاِستِثْنانِ ؛ وأنهم يَرُدُّونَ ولا يَتَأَخَّرُونَ ، ويُبَادِرُونَ ولا يَتَوَقَّؤْنَ .

ولَمَّا رَأَى ذاك ، لم يملك نَفْسَهُ أَنْ مضى هارباً على طريقي سِنْجَارٍ ، منكشفاً عن هذه الدِّيارِ ؛ فانما من تلك الآمالِ الخائِبَةِ ، والظُّنونِ الكاذِبَةِ ؛ بِسَلَامَةِ حُشَاشَةٍ هِيَ رَهِينَةٌ خَبِيْثَةٌ ، وصَرِيحَةٌ بَقِيَّتُهَا .

وكان أَنهزأهُ بعدُ أَنْ فعلَ الفِعْلَ السَّخِيفَ ، وكادَنَا الكَيْدَ الضَّرِيفَ ؛ بِأَنْ أغرقَ سُنُنُ المَوْصِلِ وعروِبَتَا ، وأُحْرِقَ جَسْرُهَا واستَنَمَّ^(١) إلى أهلِهَا ؛ وَزَوَّدَ منهم النِّعَنَ المُطِيفَ به أينَ يَمُ ، الكائِنَ معه حيثُ خِيَمَ .

ودخلتْهُ يومى هذا - أَيْدُ اللهَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - دُخُولَ النِّسَامِ الطَّافِرِ ، المستَعْبِلِ الظَّاهِرِ ؛ فَسَكَنْتُ نُفُوسَ سُكَّانِهَا ، وَشَرَحْتُ صُدُورَ قُطَّانِهَا ؛ وَأَعَادَيْتُهُمْ مَا أَسْرَفِي

(١) نوع من السفن الروادكة كان في دجلة ولكنه حرقها في القاموس بالمرات . أى نواصدها

مرية بالتحريك .

(٢) أى فعل ما يلزم عليه .

به أمير المؤمنين - [أدام الله عزه] وأعلى الله أمره - من تأئيس وحشتم، ونظم
ألقبهم، وصمّ قشّيرهم، ولمّ شعّهم؛ وإجمال السيرة فيهم في ضروب معاملاتهم وعقبتهم،
وصنوف متصرفاتهم ومعايشهم؛ فكثّر منهم الثناء والدعاء؛ والله سامع ما رفعوا،
ويجيب ما سألوا.

وأجلت حال هذا الجاهل - أيد الله أمير المؤمنين - عن أقبح هزيمه، وأذل
هزيمة، وأسوأ رأى، وأتكر اختيار؛ لأنه لم يفتي لقاء البايع بالطاعة، المستنير
من سالف التفرط والإضاعة؛ ولا لقاء المصدق لنحوه في الاستقلال بالمقارعة،
المحقق لزمته في الثبات للدافسه؛ ولا كان في هذين الأمرين بالبرّاني، ولا الفاجر
الغوي؛ بل جمع بين تقيصة شقاقه وضدّه، وقضيعة جبنه وخوره؛ منتجاً الصلاح،
عادلاً عن الصواب؛ قد ذهب عنه الرشاد، وضربت يده ودينه الأسناد، وأزله
الله منزلة مثله من أساء حفظ الوديعه، وجوار الصليعه، وأستوجب تزعمها منه
وتحويلهما عنه.

وأملت - أيد الله مولانا أمير المؤمنين - أمره بالتجريب، وتصفّحه على التقلب؛
فلذا هو الرجل الذي أطلع أبوه فيه هوى أمه^(١)، وعصى دواعي رأيه وحزبه؛ وقدمه
من ولده على من هو أكس رُشداً، وأكبر سناً، وأثبت جأشاً، وأجرأ جناناً؛ وأصبح
قلبا، وأوسع صدرا؛ وأجدر بخايل التجابه، وشمايل اللبابة.

فلما اجتمعت له أسباب القدرة والثروة، وأمكنته مناهير الغزاة والغرصة، وثب
عليه وثبة الشرحان، في ثلة الضان؛ وجرّاه جزاء أم حامي لمجيدها، إذ قرّته بأنبياءها
وأظافيرها، واجتمع [هو] وأخوه من الأئم، المرتضيع معه ليان الإئم؛ المكفّي

(١) هي طامة بنت أحمد الكردية وكانت مالكة أمر ناصر الدولة. من هاشم خنذرات الصافي المبطونة.

أبا البركات - وليس باب لها ، ولا حري بشيء منها - على أن تترأ عنه وعقاه ، وقبضا عليه وأوقاه ، وأقرأه من قلميها بحيث تهر المتاه ، وتماقب الحناه ؛ ثم أتبعها ذلك باستحلال دمه ، وإفاضة مهجته ، غير راعين فيه حق الأئوه ، ولا حايين عليه حق البئوه ؛ ولا متذمين من الإقدام على مثله ممن تعلمت عند سلطانه قلعه ، وتوكدت أوامرهم وعرضه ؛ ولا رامين له من ضعف شيخوخته ، ودهل كبره ؛ ولا مضفين إلى وصية الله لإمامها ، التي نصها في حكم كتابه ؛ وكررها في آيه وديناته إذ يقول : ﴿ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ وإذ يقول : ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا لِيَاءَهُ وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْتُنَّ عَنْكَ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِمَا أُنْفِ لَا تَهْرُمًا وَلَقَدْ قُلْنَا كَرِمْ وَأَخْفِضْ لَهَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴾ .

فبأي وجه يلقى الله قاتل والد حبيب قد أسر أن لا ينهره ؟ وبأي لسان يتعلق يوم يُسأل عما استجازه فيه وقمله ؟ والله ! لو أن بكائه مددوا لها قد قارضاها الدُّحُول ، وقارصها عن النفوس ؛ فليج بها أن يلوما ذلك اللوم عند الظفر به ، وأن يركبا تلك الخلطة الشنعاء في الأخذ بناصيته ؛ ولم يرع « فضل الله » بما أتاه إليه حتى استوفى حدود قطع الرحم ، بأن تتبع أكابر إخوته السالكين خلاف

(١) في سنة ست وتسعين وثلاثة مئآت أبو تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان على آية وجبه في قلعة وذلك لأنه كان قد بلغ من الكبر حيا وسامت أخلاجه وضيق على أولاده وخالفهم في أمورهم فغضبوا منه وكان من جملة ما خالفهم فيه أنه عند وفاة مزار الدولة وولاية أبيه بختيار من موالي على قصد العراق فنعهم قائلا ان مزار الدولة قد خلف ولده من المال ما يتمكن منه من الظهور فاصبروا حتى يفرق ماله فوثب عليه أبو تغلب ووضعه في محبس فغضب بعض إخوته ووقع اختلاف بينهم وانخرأ أمرهم . وكان ناصر الدولة يستعصر بأبيه حمدان على أبي تغلب وأبي بركات فغلاهما إلى قلعة كراشي وقرنى في الاحتفال في ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثة مئآت من هاشم المختارات المطبوعة .

سَبِيلَهُ ، الْمُتَّبِعِينَ إِلَى اللَّهِ مِنْ عَظِيمِ مَا اكْتَسَبَ ، وَوَرَحِمَ مَا أَحَقَّ بِهٖ لَمَّا غَضَبُوا
لَهُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ مِنَ الْمَسْتَحِيلِ فِيهِ وَفِيهِمْ : فَقَبِضَ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ حِيلَةً
وَعِصْلَةً ، وَقَدَّرَا وَمَكِيدَةً ؛ وَنَابَذَ حَمْدَانَ بْنَ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ مُتَابِلَةً خَارَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا ، بَانَ
أَصَارُهُ مِنْ فِتْنَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْجَانِبِ الْعَزِيزِ ، وَالْحُرْزِ الْحَرِيِّزِ ؛ وَأَنْ أُجْرِيَ اللَّهُ عَلَى
يَدِهِ الْحَرْبَ الْوَاقِعَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْرُوفِ بِكُنْهَتِهِ أَبِي الْبَرَكَاتِ ، الَّتِي لَقَّاهُ اللَّهُ فِيهَا تَحْسَهُ ،
وَأَلْغَى نَفْسَهُ ؛ وَصَرَّمَهُ بِعُقُوقِهِ وَبَنِيهِ ، وَقَتَمَهُ بِمَارِهِ وَخَزِيهِ ؛ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَتَعِظُ ،
وَلَا يَتَزَعُّ وَلَا يَقْلَعُ وَلَا يَزْدَحِرُ ؛ لِأَصْرَارِهِ عَلَى الْخِرَارِ الَّتِي اللَّهُ عَنْهَا حَسِيئُهُ ، وَبِهَا طَلِيئُهُ ؛
وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ مُرْصَدَتَانِ لَهُ بِالْجَزَاءِ الْمُحَقَّقِ عَلَيْهِ ، وَالْعِقَابِ الْمُسَوِّقِ إِلَيْهِ .

وَأَعْظَمُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ - أَيْدِ اللَّهِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - خَطْبُهُ ، وَأَوْعَرُ مَسَلِكَا وَلِيَّيَا ، أَنْ
مِنْ شَرَائِطِ الْعَهْدِ الَّذِي كَانَ عَهْدَ إِلَيْهِ ، وَالْعَقْدِ الَّذِي عُقِدَ لَهُ ؛ وَالضَّمَانِ الْخَفِيفِ
مِثْلُهُ عَنْهُ ، الْمَأْخُوضِ عَنْهُ مِنْهُ ؛ أَنْ يَتَنَاهَى فِي ضَبْطِ النُّفُورِ وَجِهَادِ الرُّومِ وَحِفْظِ
الْأَطْرَافِ ، وَدَمِّ الْأَكْثَفِ ؛ فَمَا وَفَى بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ حَدَلَ عَنْهُ إِلَى الْإِسْتِثْنَاءِ
بِالْأَمْوَالِ وَأَقْطَاعِهَا ، وَإِحْرَازِهَا فِي مَكَائِنِهَا وَقِلَاعِهَا ؛ وَالضَّمْنَ بِهَا دُونَ الْإِنْجِرَاجِ
فِي وَجُوهِهَا ، وَالْوَضْعَ لَهَا فِي حُقُوقِهَا ؛ وَأَنْ تَرَانِخَ فِي أَمْرِ عَظِيمِ الرُّومِ مُهْمَلًا ، وَأَطْرَحَ
الْفِكْرَ فِيهِ مُغْفَلًا ؛ حَتَّى هَجَمَ فِي الدِّيَارِ ، وَأَثَرَ الْأَكْمَارِ ؛ وَنَكَبَ الْقُلُوبَ ، وَأَبْكَى السُّيُوفَ ؛
وَصَدَعَ الْأَجَادَ ، وَأَحْرَّ الصُّدُورَ ؛ فَمَا كَانَ عَنْدهُ فِيهِ مَا يَكُونُ عِنْدَ الْمُسْلِمِ الْقَارِئِ لِكِتَابِ
اللَّهِ إِذْ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَمَنْ عَظِمَ عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى
بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَشِيرُوا بِرَأْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ) بَلْ صَدَفَ
عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ لِأَهْيَا ، وَحَدَلَ عَنْ تَحَايِهِ سَاهِيًا ؛ وَأَسْتَفْسَحَهُ ذَلِكَ الْبَيْعُ وَالْعَقْدُ ، وَتَهَجَّرَهُ
الْوَعْدُ لَا الْوَعْدَ ، وَلَا حَلَفَ طَائِفَةُ الرُّومِ وَهَادَاهُ ، وَمَارَهُ وَأَعْطَاهُ ؛ وَصَانَمَهُ بِمَالِ

المسلمين الذي يكرمه - إن سلم دينه وصحَّ يقينه - أن يتفقه في مآبطهم ، ويذنب به عن حريمهم ؛ لا أن يتركه عن جهته ، ويُلقته عن وجهته ؛ بالنقل إلى علوهم ، وإدخال الوهن بذلك عليهم . وقاد إليه من الخليل العتاق ما هو الآن عون للكفر على الإيمان ، وتجدد للطاعة على السلطان ؛ وكان فيما اتفق به الخمر التي حفر الله عليه أن يشربها ويسقيها ، وتعبده بأن يحثيها ويحتويها ؛ وصليان ذهب صافها له وتقرب بها إليه تهرباً قد باعد الله فيه عن الإصابة والأصالة ، وأدناه من الجهالة والضلالة ؛ حتى كأنه عامل من عماله ، أو بطريق من بطارقه .

فأما فشله عن مكافئته ، ولجئه بملاطفته ، فيضد الذي أمره الله به في قوله تعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) .

وأما ثقله ما ثقل من الخليل من ديار المسلمين إلى ديار أعدائهم ، فمقيص قوله عز وجل :
(وَأَعْلَمُوا لَمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَلِيلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ) .
وأما إهداؤه الخمر والصُّلْبَان ، فغلاف عليه تبارك اسمه ، إذ يقول : (إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) .

كل ذلك عناداً لرب العالمين ، وطعناً لأعلام الدين ؛ وضناً بما يُحايى عليه من ذلك الحطام ، المجموع من الحرام ، المتتر من الآثام ؛ المقتطع من قه الإسلام ؛ وقد فعل الآن بي وبالساکرة التي مَيَّي ومن نضم من أولياء أمير المؤمنين الذين هم إخوته وصحبته - إن كان مؤمناً ، وأصباره وحزبه - إن كان مؤلفاً ؛ من توصير المسالك وتفريق الرؤب ، وتضييق الأفوات ، واستهلاك الأرزاق ؛ ليوصل إلينا الضرر ، ويلحق بنا الجهد ؛ فسل المذوم المين ، المخالف في الدين ، فهل يسمع

[ف] أحد من المَسَاوِي - أَيُّد الله أمير المؤمنين - ما اجتمع^(١) في هذا التأد العائد ،
والشاذ الشارد ؟ ، وهل يُطَمَع من مثله في حق يقضيه ، أو قرض يوديه ؛ أو عهد
يرطاه ، أو ذمام يحفظه ؛ وهو لله عاص ، وإمامه مخالف ، ولوالده قاتل ،
ولرحمه قاطع ؟ كلا والله ! بل هو الحقيق بأن تُثْقَى إليه الأئمة ، وتُسَرَّع نحوه الأئمة ؛
وتُصَّيَّب له الأرصاء ، وتُسَحِّذ له السيوف الحِداد ؛ ليقطع الله بها دأره ، ويحبب
غايته ؛ ويَصْرَعه مَصْرَع الأئمة المكيِّم ، المستحق للعذاب الأليم ، أو يُخَيَّر إلى الحق ،
لإفادة الداخل فيه بعد تروجه ، المائد إليه بعد مروقه ، التائب المُنِيب ، النازع
المستقبل ، فيكون حكمه شبيهاً بحكم الراجع من الردة ، المضمول على ظاهر الشريعة ؛
والله ينهى مَنْ يَشَاء إلى صراط مستقيم .

فالحمد لله الذي هدانا لهذا لم كنا لنهتدي لَهَذَا السبيل المُنْجِي لنا ؛ والمقاصد
المُقْضِيَة إلى رِضا ، البعيدة من سَطَا .

والحمد لله الذي أحز أمير المؤمنين بالنصر ، وأعطاه لواء القهر ؛ وجعل أوليائه
المالين الظاهرين ، وأعداءه السافلين المباطلين ؛ وهنأ الله هذا الفتح ولا أخلاه من
أشكال له تقفوه وتبغوه ، وأمثال تتلوه وتشفعه ؛ وأصلها فيها إلى ما وصل فيه إليه من
جِازِيته مُهَمًّا ؛ لم يُسَفَك فيه دم ، ولم يُتْهَك عَرم ، ولم يُنَلَّ جَهد ، ولم يَمَسَّ نَصَب .
أنهت إلى أمير المؤمنين ذلك ، ليُضَيَّف صُنْع الله له فيه ، إلى السالف من عَوَارِفه
عنده وأبَادِيه ، وليجلِّد من شكره جَلَّ وعلا ما يكون داعياً إلى الإدامة والمزيد ،
مقتضياً للثبوت والتأييد ؛ إن شاء الله تعالى .

(٢)
[وكتب يوم الجمعة لتسع ليل خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وثلاثمائة]

(١) الزيادة من مختارات رسائل الصافي المخطوطة (ج ١ ، ص ٩١) وهي لازمة لانتظام الكلام .

(٢) الزيادة من مختارات رسائل الصافي .

الأسلوب الثاني

(أن يختص المكتبة بلفظ «كتابي للخليفة والحال على كذا وكذا» ويدعى للخليفة

بطول البقاء في أثناء ذلك ، ويعبر الملك المكتوب عنه عن نفسه

بلفظ الأفراد مع التصدير بالسبودية ، ويخاطب الخليفة

بأمير المؤمنين ويختم بالدعاء ونحوه)

كما كتب أبو الفرج البيهقي عن السلطان أبي تغلب بن ناصر الدولة أحد ملوك بني
تمنجان بحلب وما معها ، جواباً للكتاب الوارد عليه من الطائع أو المطيع بالكنية
والخلق مأموره :

«كتابي - أطال الله بقاء أمير المؤمنين - وصلى الله على أمير المؤمنين مستديم بركاته تعالى
مدد اللهم المظاهرة عليه ، والفتح المتناصرة لدينه ، ويجعل رايه أدام الله طوؤه
وتعديته - معترف بما طوَّقته به السعادة من عواريف تشريفه ، متمسك من الطاعة
بما أحله كف إحسانه ، متوصل بالطرف إلى الاستزادة من طوؤه وأمتانه .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد المرسلين ، محمد وآله الطاهرين .

ووصل كتاب أمير المؤمنين - أدام الله نصره - مشتملاً على فوائد الإرشاد
والتوقيف ، مقتراً بجصائص التكرمة والتشريف ، فالتفتت من أوابره - أعلماها
الله تعالى ! - بأهدى دليل ، وسلكت في شكر ما اعتمدت من إيثاره أوتج سبيل ؛
وبرزت لسائر من اختارني - ألبه الله - لسياسة من الخاصة والعامة في الحلال
الحالية يسمات تشريفه وإكرامه ، متدرجاً قوياً هديه وسكينة ، ومختلاً بينهما من كنف
دفاعه وموتته ؛ ومظلياً عصبه الذي هز النصر غراره ، وأطلق المضاء شفاؤه ؛

وعالياً على حُتى الزمان، بامتطاء ما حَيَّاهُ به من الحملان؛ مسترِق النية بالرَّغبة إليه،
ومستخلم النطق بالثناء عليه؛ ومقتصاً أثر أسلافه في خِدْمته وخِدمة آبائه المؤمنين،
من انخلاء الراشدين، صلوات الله عليهم أجمعين؛ واقتفاء مَنبهِم في الذَّب عن فِتنة
الخِلافة والمُرامة دون الله، والاجتهاد في طاعة الأئمة .

فالْحمد لله الذى جعل صنائع أمير المؤمنين مستقرةً عند مَنْ يَرْتبطها بملائق الشكر،
ويُحرُسها بالتوفُّر على ما أفاد الإجماعَ وجميل الذِّكر؛ وأدام علو أمير المؤمنين ! وأيدنا
بِمِز دولته، وبَسَط بالتحكين قُدْرته، وحَرَس من الغير سُلْطانه، وقرَن بِنَفَاز الأمر يَدَه
ولسانه؛ ولا أخلاه من ولى ينشبه ويصنعه، وشكَّور يُعليه ويرفعه؛ وعزَّم يحمده أثرَه
ويرتضيه، ورأى بالتوفيق يُبرمه ويُفضيه . ووقفى من القيام بحقوق خِدْمته،
والتمسك بفرائض طابعته والمعرفة بمواقع أصطناعه وتفضله، والاحتداد بمنع إضامه
وتطوُّله؛ لما يستريذنى من أياديه وآلائه، ويحرُس على مَكَانى من جميل آرائه،
لأنه جواد كريم .

وقد آذنتُ مَنْ بَعْد وقربَ برفع أمير المؤمنين - أدام الله بَسْطته - ذِكْرِي عن
تعريف الاسم بنباهة الكُنية، وإصدار ذلك إلى الإسماع من شريف عبارته،
والإذن فيه لسائر مَنْ يذكُرني بحضرته، زاد الله في جلالها . وتقدَّمتُ بإثبات ذلك
على حُتوات الكُتب استئلاً لأمره، وأخذنا بإذنه، ووقُوفاً عند رِسمه؛ عارفاً قُدْرَ
النعمة والمُوجبة فيه . وأعتلختُ بما أطمنيه أمير المؤمنين من نيابة فلان عبيده
وما تورَّاه من محمود السَّفارة، وحُسن الوَساطة، ووجدتُ ما يجمعني ولِياه من
الإخلاص في ولاء أمير المؤمنين أقرب الأنساب، وأوَكِّد الأسباب؛ في تأكُّد
الألفة، وتثبيت قواعد الطاعة؛ واللهُ يحرُس أمير المؤمنين في كافَّة رعيته، وخاصَّة
أوليائه وصنائع دولته؛ من اختلاف الآراء، وتشبُّب الأهواء؛ ويُعيني من النهوض

بمقتضىات أياديه ، وإيجابات ما يُسديه إلى ويؤليه ؛ [على] ما قُرب منه وإليه ،
وأزَلَفَ عنده ولَدَيْهِ ؛ بمنه ومَشِيئته ، وحوله وقُوته .



الحالة الثانية — من مكاتبات الملوك إلى خُفَاءِ بنى العباس ما كان طيه الأمرُ
في آخر دولتهم ببغداد .

والحال فيه مختلف : فارةٌ يفتحُ بالدعاء للديوان العزيز ، وتارةٌ بالدعاء لما يعود
عليه ، وتارةٌ بالصلاة ، وتارةٌ بالسلام . وربما أفتُحت المكتبةُ بآية من القرآن
الكريم مناسبةً للحال .

قال المقرئ الشهابيُّ بنُ فضل الله في كتابه " التعريف " : والصدْرُ نحو العبد
أو الملوك أو الخِلاص يُقْبَلُ الأرض ، أو التبت ، أو مواعظُ المواظف أو غير ذلك .
ويخاطبُ الخليفة في أثناء الكتاب بالديوان العزيز ، وبالمواقف المقدسة أو المشرفة ،
والأبواب الشريفة ، والباب العزيز ، والمقام الأشرف ، والجانب الأعلى أو الشريف ،
وبأمر المؤمنين بحجود عن سيدنا وولائنا ، ومرة غير مجودة مع مراعاة المناسبه
والتسديد والمقاربه . ويضم الكتابُ تارةً بالدعاء ، وتارةً بطالع أو أنهى أو غيرهما مما
فيه معنى الإنهاء .

قال : وأخْتَلِفَ فيما يخاطبُ به المكتوب عنه عن نفسه : فكتب صلاح الدين
أبن أيوب « الخادم » وكتب بَنُوهُ والعاذل أخُوهُ « الملوك » وكتب الكامل بن العادل
« العبد » وجرى على هذا أبْنُهُ الصالح . وكتب الناصر بن العزيز « أقل المالك »
وكتب الناصر داود « أقل العبد » ، وكان علاء الدين خوارزم شاه يكتب « الخادم
المطواع » وتبعه على ذلك أبْنُهُ جلال الدين ، وكانت أمُّ جلال الدين تكتب
« الأُمّة الداعية » . هذا على شَمِّ أنوف الخوارزمية وطُوشانهم .

وعنوان هذه المخطبات على اختلافها « الديوان العزيز، العالى، المولوى، السيدى، النبوى، الإمامى، الفلانى (لقب الخلافة) أدام الله أيامه، أو خلد الله أيامه، أو أدام الله سلطانه » على مناسبة ما فى صدر الكتاب .
ثم هو على ستة أساليب :

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بالدعاء للديوان العزيز)

قال فى « التعريف » : والمراد بالديوان ديوان الإنشاء، لأن المكتبات عنه صادرة وإليه واردة . قال : وسبب مخاطبتهم بالديوان الخضعان عن مخاطبة الخليفة نفسه ، ويكون الدعاء للديوان بما فيه معنى دوام العز والسلطان وبسط القل و ما أشبه ذلك . مثل : أدام الله أيام الديوان العزيز، أو أدام الله سلطان الديوان العزيز، أو خلد الله أيام الديوان العزيز، أو خلد الله سلطان الديوان العزيز، وأدام الله ظل الديوان العزيز، وخلد الله ظل الديوان العزيز، وبسط الله ظل الديوان العزيز، وما أشبه ذلك .

وهذه نسخة كتاب كتب به القاضى الفاضل عن السلطان « صلاح الدين يوسف ابن أيوب » صاحب الديار المصرية ، إلى الناصر لدين الله الخليفة يومئذ ببغداد ، بفتح القدس وما معه ، وأقتلح ذلك من أيدي الفرنج وإعادته إلى ما كان عليه من الإسلام، وهى :

« أدام الله أيام الديوان العزيز النبوى الناصرى ، ولا زال مظفر الجند بكل جاحد ، [غنى] التوفيق عن رأى كل رائد ، موقوف المسامح على اقتناء مطلقات

المحامد، مستيقظ النصر والسيف في جفنه راقدا، وارد الجود والسحاب على الأرض غير وارد، متعمد مساعي الفضل وإن كان لا يلقى إلا بشكر واحد، [ماضي حكم القول بعزم لا يمضي إلا بنسل غوي وريش راشد] ولا زالت غيوت فضله [إلى الأولياء] أنواء إلى المراج وأنوارا إلى المساجد، وبُعث رُعبه إلى الأعداء خيلا إلى المراقب وخيالا إلى المراقد .

كتب الخادم هذه الخدمة يلوامصدر عنه مما كان يجري تجري التباشير بصبح هذه الخدمة، والعنوان لكاتب وصف هذه النعمة؛ فإنها بحر للأفلام فيه سبع طویل، ولطف الحق للشكر فيه عبء ثقيل، وبُشرى للقواطر في شريحها ما يرب، ويُسرى للأمرار في إظهارها مسارب، وفيه فإطدة شكره رضا، وللنعمة الراحنة به دوام لا يُقال معه هذا مضي . وقد صارت أمور الإسلام إلى أحسن مصابرها، وأستبنت عقائد أهله على بصائرهما، وتقلص ظل رجا الكافر المهسوط، وصلى الله أهل دينه فلما وقع الشرط حصل المشروط؛ وكان الدين غربيا فهو الآن في وطنه، والقور معروضا فقد بذلت الأنفس في منته، وأمر أمر الحق وكان مستضعفا، وأهل ربه وكان قد عيف حين عفا؛ [وجاء أمر الله وأتوف أهل الشرك راغمة] فاذلجت السيوف إلى الآجال وهي نائمة، وصلى وعد الله في إظهار دينه على كل دين، واستطارت له أنوار أبانت أن الصباح عندها حيان الحين؛ وأسترد المسامون ثراها كان عنهم آثما، وظفروا بقطعة بما لم يصدقوا أنهم يظفرون به طبقا على النأي طارفا؛ وأستقرت على الأعلى أقدامهم، وحققت على الأقصى أعلامهم، وتلاقت على الصخرة قلوبهم، وشفيت بها وإن كانت صخرة كما تشفى بالماء ظلمهم .

(١) الزيادة من رسائل القاض القوتلخرافية المحفوظة بدار الكتب الخديوية سنة ١٢٩٤ ٢٢٩٤ أدب ص ٣٥٠

ولما قَدِمَ الدينُ عليها عرف منها سَوِيْدَاءَ قلبه ، وَهَذَا كَفَرُهَا الجهرُ الْأَسْوَدُ بَيَّتْ
عِصْمَتَهَا مِنَ الْكَافِرِ بِحَرْبِهِ ؛ وَكَانَ الْخَادِمُ لَا يَسْعَى سَعِيَهُ إِلَّا لِهَذِهِ الْعُقْمَى ، وَلَا يُقَامِسِي
تِلْكَ الْبُؤْسَى إِلَّا رَجَاءَ هَذِهِ التَّعْمَى ؛ وَلَا يُنَاجِزُ مِنْ أَسْتَعْلَلَهُ فِي حَرْبِهِ ، وَلَا يُعَاتِبُ بِأَطْرَافِ
الْقَنَاءِ مِنْ تَمَادَى فِي عَذْبِهِ ؛ إِلَّا لَتَكُونَ الْكَلِمَةُ بِمَجْمُوعِهِ ، وَالِدَعْوَةُ إِلَى سَامِعِهَا مَرْفُوعَةً ؛
فَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ، وَلِيُغَوِّزَ بِجَوْهَرِ الْآخِرَةِ لَا بِالْعَرَضِ الْأَدْنَى مِنَ الدُّنْيَا ؛
وَكَانَتْ الْأَلْسَنَةُ رُبَّمَا سَلَقَتْهُ فَانْضَجَّ قُلُوبُهَا بِالْإِحْقَارِ ، وَكَانَتْ الْخَوَاطِرُ رُبَّمَا غَلَتْ
عَلَيْهِ مَرَاجِلُهَا فَاطْفَأَهَا بِالْإِحْتِمَالِ وَالْأَصْطِيبَارِ ؛ وَمِنْ طَلَبِ خَطِيئَةٍ خَاطِرٌ ، وَمِنْ رَامِ
صَفَقَةٍ رَاجِحَةٌ تَجَاسَّرُ ، وَمِنْ سَمَا لِأَنْ يُحْمَلَ عَثْرَةٌ غَامِرٌ ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ التَّعُودَ يُكَلِّمُ تَحْتَ نِيُوبِ
الْأَعْدَاءِ الْمَسَاحِمِ فَتَعَضُّهَا ، وَيُضْعِفُ فِي أَيْدِيهَا مَهْرَ الْقَوَائِمِ فَتَقْضُهَا ؛ هَذَا إِلَى
كَوْنِ التَّعُودِ لَا يَقْضِي فَرْضَ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ ، وَلَا يُرْعَى بِهِ حَقُّ اللَّهِ فِي الْعِبَادِ ، وَلَا يُؤْفَى
بِهِ وَاجِبُ التَّقْلِيدِ الَّذِي تَطْلُوقُهُ الْخَادِمُ مِنْ أَمْنِيَّةٍ قَضَا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ،
وَحِفَاءُ اللَّهِ كَانُوا فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ قَدْ يَسْأَلُونَ ؛ لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ أَوْرَثُوا سُورَهُمْ وَسِرَرَهُمْ
خَلْفَهُمُ الْأَطْهَرُ ، وَجَلَّاهُمُ الْأَكْبَرُ ؛ وَبَقِيَّتُهُمُ الشَّرِيفُ ، وَطَلَعَتُهُمُ الْمُتْنِيفُ ، وَعُلُوانَ صَحِيفَةِ
فَضْلِهِمْ لَأَعْدِمَ سَوَادَ الْعِلْمِ وَبَيَاضَ الصَّحِيفَةِ ؛ فَمَا غَابُوا لِمَا حَضَرَ ، [وَلَا غَضُوا^(١) لِمَا
نَظَرَ ، بَلْ وَصَلَهُمُ الْأَجْرُ لِمَا كَانَ بِهِ مَوْصُولًا ، وَشَاطَرُوهُ الْعَمَلُ لِمَا كَانَ عَنْهُ مَقُولًا
وَمِنْهُ مَقْبُولًا ؛ وَخَلَّصَ إِلَيْهِمْ إِلَى الْمَضَاجِعِ مَا أَطْمَأْنَنْتَ بِهِ جُنُوبَهَا] [وَالِى الصَّفَاحِ
مَاعَبَقَتْ بِهِ جُيُوبَهَا^(١)] وَفَازَ مِنْهَا بِذِكْرِ لَا يَزَالُ اللَّيْلُ بِهِ سَمِيرًا ، وَالنَّهَارُ بِهِ صَبِيرًا ؛ وَالشَّرْقُ
يَهْتَدِي بِأَنْوَارِهِ ، بَلْ إِنْ أَبْدَى نُورًا مِنْ ذَاتِهِ هَتَفَ بِهِ الْقَرِيبُ بِأَنْ وَارِهِ ؛ فَإِنَّهُ نُوْرٌ
لَا تُكِنُّهُ أَغْصَاقُ السُّدُفِ ، وَذَكَرَ لَأَنْوَارِهِ أَوْرَاقُ الصُّبْحِ .

(١) الزيادة من رسائل القضاة المتوفرة في دار الكتب الخديوية مرة ٢٢٩٤ أدب ص ٣٥٠

وهي لازمة كما لا يخفى .

وكتب الخادم هذا وقد أظفر الله بالعدو الذى تشبعت قناته شققا، وطارث فرقه
 فرقا، وقُل سيفه فصار عصا، وصيحت حصاته وكان الأكره مددا وحصا، فكَلَّت
 حملاته وكانت قدرة الله تُصرف فيه العنان بالبيان، عقوبة من الله ليس لصاحب يديها
 يذَن؛ وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفه، وغضبت عينه وكانت حيون السيوف
 دونها كسيفه؛ ونام جفن سيفه وكانت يقطعه تريق نطف الكرى من الجفون، وجذحت
 أنوف رماحه وطالما كانت شاحنة بالمنى أو راضعة بالمتون؛ وأخضت الأرض المقدسة
 الطاهرة وكانت الطامس، والرُب المعبود الواحد وكان عندهم الثالث؛ فبيوت
 الشرك مهذومه، ونيوب الكفر مهتومه؛ وطوائفه الحامية، مجتمعة على تسليم البلاد
 الحامية، وتجباه التواقي، مُدعنة ببذل المطامع الوافية؛ لا يرون فى ماء الحديد
 لم حصره، ولا فى فناء الألفية لم نُصره؛ وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة،
 وبذل الله مكان السبيته الحسنه، وقيل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشامية إلى
 أيدي أصحاب التيمنه .

وقد كان الخادم لقيهم اللقاة الأولى فامله الله بداركنه، وأتجده بلاكته؛
 فكسروهم كسرة ما بعدلها جبر، وصرحهم صرعة لا يعيش معها بمشقة الله كُفر؛
 وأسروهم من أسرت به السلاسل، وقتل منهم من فتكت به المناصب؛
 وأجلت المعركة من صرعى من الخليل والسلاح [والكفار، ومن أنصاف محبل
 فانه قتلهم بالسيف الأفلاق والرماح الأكسار، فيسلوا بنار من السلاح ونالوه
 أيضا بشار]؛ فكم أهلة سيوف تقارض الضراب بها حتى طادت كالمراجين،
 وتم أنجم رماح تبادلت الطمان حتى صارت كالمطامين؛ وكم فارسية ركض عليها
 فارسها السهم إلى اجل فاختلصه، وفترت تلك القوس فاما فلذا فوها قدنش القرن

على بُعد المسافة فاقترسه ؛ وكان اليوم مشهودا ، وكانت الملائكة شهودا ؛ وكان الكفر مفقودا ، والإسلام مولودا ، وجعل الله ضلوع الكفار لئلا رجعت رقودا ؛ وأسير الملك وبيده أوثق وثاقه ، وأكد وصله بالدين وعلاجه : وهو صليب الصليوت ، وقائد أهل الجبروت ؛ وما دهموا قط بأمر إلا وقام بين دعائمهم يتسط لهم باعه ، ويحترضهم وكان مد الدين في هذه الدفعة وداعه ؛ لا جرم أنهم تهاقت على نارهم فرأيتهم ، وتجمع في ظل ظلامه خشايتهم ؛ فيقاتلون تحت ذلك الصليب أصلب قتال وأصدق ، ويرونه ميثاقا يبنون عليه أشد حقد وأوثق ؛ ويدونه سورا تحفر حوافر الخيل خندقه .

وفي هذا اليوم أمرت مرائيم ، وذهبت دعائمهم ؛ ولم يفلت معروف إلا القومص وكان لآمنه الله مليا يوم الظفر بالقتال ، ويوم الخذلان بالاحتيا ، فتبا ولكن كيف ، وطار خوفا من أن يلحقه مفسر الرخ وجناح السيف ، ثم أخذه الله بعد أيام بيده ، وأهلكه لموعده ؛ فكان لميتهم قذالك ؛ وانتقل من ملك الموت إلى مالك .

وبعد الكثرة مر الخادم على البلاد فطواها بما نشر عليها من الراية النبائية السوداء صبغا ، البيضاء صبغا ، الخاقية هي وقلوب أعلائها ، التالية هي [وعزائم أولياتها] المستضاه بأوارها إذا فص عينها البشر ، وأشارت بأنامل العذبات إلى وجه النصر ، فافتتح بلد كذا وكذا وهذه أمصار ومدن ، وقد تسمى البلاد بلادا وهي مزارع وقدن ؛ وكل هذه ذوات معاقل ومعاقر ، وبحار وجزائر ، وجوامع ومناير ، ومجموع وصاير ، يتجاوزها الخادم بعد أن يحريزها ، ويتركها ورآه بعد أن يتتجزها ، ويتحصد منها كفرا ويذرع إيمانا ، ويحط من منائر جوامعها صلبانا ويرفع أذانا ؛ ويبدل الملائح

منابر الكنائس مساجد، ويؤى بعد أهل الصلبان أهل القرمان للذئب عن دين الله
مقاعده؛ ويؤى عينه ويعون أهل الإسلام أن تملق النصر منه ومن عسكره بيار
وبحرور، وأن ظفر بكل سور ما كان يخاف زلزاله وزلاله إلى يوم النخ في الصور.
ولما لم يبق إلا القدس وقد اجتمع إليها كل شريد منهم وطريد، وأحصم بمنحتها
كل قريب منهم ويعد، وظنوا أنها من الله ما نصبتهم، وأن كنيسة إلى الله شافيتهم؛
فلبس نازما الخادم رأى بلدا كبلاد، وجمعا كرم التناد، وعزائم قد تألفت وتآلفت
على الموت فزلت برصته، وهان عليها مورد السيف وأن تموت بفصته؛ فزاول البلدة
من جانب فإذا أودية عميقة، ولحج وعرة غريبة، وسور قد أنطف عطف السوار،
وأبرجة قد نزلت مكان الواسطة من عقد الدار؛ فعدل إلى جهة أخرى كان الطامع
عليها معرج، ولحيل فيها متوج؛ فزحل عليها، وأحاط بها وقرب منها؛ وضربت
خيمته بحيث يناله السلاح بأطرافه، ويزاحه السور بكافه؛ وقابلها ثم قاطها،
وتركها ثم نازها؛ وبرز إليها ثم بارزها، وحاجزها ثم ناجزها، فضمها صمة أرتقب
بعدها الفتح، وصدع أهلها فإذا هم لا يصبرون على عبودية الجذ عن حق الصفع؛
فراسكوه ببذل قطيمة إلى مده، وقصدوا نظرة من شسلة وانتظارا لتجده؛ فعرفهم
في لحن القول، وأجابهم بلسان الطول؛ وقدم المتجنقات التي تتولى حقوبات
الحصون عصيها وحبالها، وأوترلم قسيها التي تضرب فلا تخارقها سهاؤها ولا يبارق
سهاؤها نصالها؛ فصاحت السور بكافه فإذا منهم في شيا كثر فاتها سواك،
وقدم النصر قسرا من المتجنق يخلد إخلاده إلى الأرض ويملو طوه إلى السماء؛
فشج مرادع أبراجها، وأسمع صوت عيجها؛ ورفع منار عجاجها، فأخلى السور من
السيار، وأحرب من النظار؛ فامكن الثقاب، أن يسفر للهرب الثقاب، وأن يُعيد

البحر إلى مدينته من التراب؛ فتقدم إلى الصخر فضع سرده، بأنياب مموه، وحل حقه، بقرنيه الأخرى الدال على لطافة أئمه، وأسمع الصخرة الشريفة حنينه واستغاثته إلى أن كادت ترق لمقيله، وتبرأ بعض الحجارة من بعض، وأخذ الخراب طليها موثقاً فلن تترج الأرض؛ وفتح في السور باب سد من نجاتهم أبواباً، وأخذ ثقب في حجره قال عنده الكافر: ياليتني كنت ثراباً؛ فليخذ يلس الكفار من أصحاب الدور، كما يلس الكفار من أصحاب القبور، وجاء أمر الله وقرهم بالله الغرور.

وفي الحال خرج طائفة كُفروهم وزمأم أمرهم ابن بارزان ساعلاً أن يؤخذ البلد بالسلم بالأمنوه، وبالأمان لا بالسطوه؛ وألقى بيده إلى التهلكة، وعلاه ثل الملكة بعد عز الملكة، وطرح جبينه في التراب وكان حياً لا يتماطأ طريح، وبذل مبلغاً من القطيعة لا يطمح إليه طرف آمل طامح؛ وقال: ها هنا أسارى مؤمنون يتجاوزون الأكوف وقد تعاقد الفريق على أنهم إن هُجمت عليهم النار، وحملت الحرب على ظهورهم الأوزار؛ يبدئ بهم فمجلوا، وثقى بنساء الفريق وأطفالهم فقتلوا، ثم استمكتلوا بعد ذلك فلم يقتل خصم إلا بعد أن يتصف، ولم يسئل سيف من يده إلا بعد أن تنقطع أو يتصف؛ وأشار الأمراء بالأخذ بالميسور، من البلد المأسور؛ فإنه إن أخذ حرباً فلا بد أن تقيم الرجال الأتجاد، وتبذل أقمصها في آخر أمر قد نيل من أوله المراد. وكانت الجراح في المساكر قد تقدم منها ما احتقل الفتكات، واعتاق الحركات، فقيل منهم المبلول عن يده وهم صاغرون، وأنصرف أهل الحرب عن قدرة وهم ظاهرون، وملك الإسلام خطة كان عهد بها دمنة سكان، فغلبها الكفر إلى أن صارت روضة جنان؛ لا جرم أن الله أخرجهم منها وأهبطهم، وأرضى أهل الحق

وَأُخْطِطَ لَهُمْ، فَأُتِيَهُمْ - خَنَظَمَ اللَّهُ - حَمُوهَا بِالْأَسَلِ وَالصَّفَاحِ [وَبَنُوها بِالْمَدِّ وَالصَّفَاحِ] ^(١١)
وَأُودِعُوا الْكَفَّاسَ بِهَا وَبُيُوتَ الدِّيُوبَةِ وَالْإِسْتَبَارِيَةِ مِنْهَا كُلِّ غَرِيبَةٍ مِنَ الرُّحَامِ الَّذِي
يَطْرُدُ مَأْوَهُ، وَلَا يُطْرَدُ لِأَلَاؤِهِ، قَدْ لَطَفَ الْحَدِيدُ فِي تَجْزِيعِهِ، وَتَخَفَّنَ فِي تَوْشِيعِهِ،
إِلَى أَنْ صَارَ الْحَدِيدُ، الَّذِي فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ، كَالنَّهَبِ الَّذِي فِيهِ نَعِيمٌ عَتِيدٌ، فَمَا تَرَى
إِلَّا مَقَاعِدَ [الرِّيَاضِ لَهَا مِنْ بِيَاضِ الْفَرَحِمْ رَقْرَاقٍ، وَعَمَدًا كَالْأَشْجَارِ لَهَا مِنْ
التَّنْبِيهِتِ أَوْ رَاقٍ] ^(١٢).

وَأَوْزَعَ الْخِلَادِمُ بَرْدَ الْأَفْصَى إِلَى عَهْدِهِ الْمَعْهُودِ، وَأَقَامَ لَهُ مِنَ الْأَعْمَةِ مِنْ يُوقِيهِ
وَرَدَّهُ الْمُرُودِ، وَأُقِيمَتِ الْخُلُطَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ رَابِعَ شَهْرِ شَعْبَانَ، فَكَادَتِ السَّمَاوَاتُ
يَنْفَطِرُنَ لِلْجُجُومِ لَا لِلْجُجُومِ، وَالْكَوَاكِبُ يَنْتَثِرُنَ لِلطُّرَبِ لَا لِلرُّجُومِ، وَرُفِعَتْ إِلَى اللَّهِ
كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَكَانَتْ طَرَاتُهَا مَسْنُونَةً، وَظَهَرَتْ قُبُورُ الْأَنْبِيَاءِ وَكَانَتْ بَيْنَهُمُ بِالْبَعِاسَاتِ
مَكْنُونَةً؛ وَأُقِيمَتِ الْخَمْسُ وَكَانَ التَّنْثِيثُ يَقْعِدُهَا [وَجَهَرَتِ الْأَلْسُنُ بِاللَّهِ أَكْبَرُ وَكَانَ
مِصْرُ الْكُفْرِ يَقْعِدُهَا] ^(١٣) وَجَهَرَ بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي قُطْبِهِ الْأَقْرَبِ مِنَ الْمَيْمَنِ، فَرُحِبَ بِهِ
تَرْجِيِبَ مَنْ بَرَّ بَرًّا، وَخَفَّقَ حَلْمَاهُ فِي حِفَافِهِ، فَلَوْ طَارَ بِهِ سُورُوا لَطَارَ بِمَنَاجِيهِ.

وَكُنَّ الْخِلَادِمُ وَهُوَ يُجِدُّ فِي اسْتِفْتَاحِ جَيْشِ الثَّقُورِ، وَأَسْتِشْرَاحِ مَا ضَاقَ بِمَآذِي
الْحَرْبِ مِنَ الْعُدُورِ، فَإِنَّ قُوَى الْعَسَاكِ قَدْ اسْتَنْقَدَتْ مَوَارِدُهَا، وَأَيَّامُ الشِّتَاءِ
قَدْ مَرَدَّتْ مَوَارِدُهَا، وَالْبِلَادُ الْمَأْخُذَةُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا قَدْ جَاسَتْ السَّائِرُ خِلَالَهَا،
وَبَهَّتْ ذَخَائِرُهَا وَأَكَلَتْ غِلَالَهَا. فَهِيَ بِلَادٌ تُرْفَدُ وَلَا تُسْقَدُ، وَتُجْمُ وَلَا تُسْتَقْدُ،
وَيُنْفَقُ عَلَيْهَا وَلَا يُنْفَقُ مِنْهَا، وَتُجْمَزُ الْأَسَاطِيلُ لِبَحْرِهَا، وَتَهَامُ الْمَرَايِدُ لِبَرْقِهَا، وَيُدَابُّ
فِي عِمَارَةِ أَسْوَارِهَا وَمَرَمَاتِ مَعَاقِلِهَا، وَكُلُّ مَشَقَّةٍ فَهِيَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى نِعْمَةِ الْفَتْحِ

مُحْتَمَلَةٌ ، وَأُطْلِعُ الْفَرَجَ فَيَا بَعْدَ ذَلِكَ مَنَاهِبُهَا غَيْرُ مُرْجِيَّةٍ وَلَا مُعْتَرِلَةٍ ، فَلَنْ يَدْعُوا دَحْوَةً
يَرْجُو الْخِلَامَ مِنْ اللَّهِ أَنَّهُ لَا تَسْمَعُ ، وَلَنْ تَزُولَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَطْوَاقِ الْبِلَادِ حَتَّى تُقَطَّعَ .
وهذه البشائر لها تفاصيل لا تكاد من غير الألسنة تتشخص ، ولا بما سوى
المشاهدة تتلخص . فلذلك نقضنا لسانا شارحا ، ومبشرا صادحا ، ينشر الخبر على
سياقه ، ويعرض جيش الممرة من طليعته إلى ساقته .

الأسلوب الثاني

(أن يفتتح الكتاب بالدعاء لغير الديوان بما فيه تعظيم الخليفة)

كما كتب القاضي الفاضل عن الملك الناصر « صلاح الدين يوسف بن أيوب »
إلى ديوان الخلافة ببغداد .

أَسْعَدَ اللَّهُ عِظَاءَ الْأَمْلَاقِ بِالْإِتِّسَابِ إِلَى الْخِلْمَةِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ ، وَأَوْزَعَهُمْ
مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ طَاعَتِهِ . وَخَلَّدَ مُلْكَ الدِّيَّانِ الْعَزِيزِ النَّبَوِيِّ مَا دَامَتِ الْأَفْلاكُ قَائِمَةً ،
وَالشُّجُومُ نَاجِحَةً ، وَتَقَعُ بِنَمَائِهَا ^(١) ظِلُّ الْأَمَالِ الْحَاسِمَةِ ، وَفَسَّرَ بِكَارِمِهَا حُلْمَ الْأُمَانِيِّ
الْحَالِمِ ، وَرَتَّقَ بِتَدِيرَاتِهَا الْمَعْصُومَةَ فَتَوَقَّ التُّوبَ الْمُتَعَاظِمَةَ ، وَأَظْهَرَ عَلَى أَيْدِي
أَوْلِيَائِهَا مَعْجَزَاتِ نَفْسِهَا ، وَصَرَّفَ الْآيَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ بَيْنَ الْمُرْضِيِّينَ قَهْ نَهْيِهَا وَأَمْرِهَا ،
وَأَوْدَعَ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِمُودَعِهَا وَمُسْتَقَرِّهَا .

الملوك - وإن كان قد يسر الله له منذ أُطْلِقَتْ حَذْبَةُ لِسَانِهِ خِدْمَةُ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ،
فَتَضَحَّى فِي وَسْطِ مَا يَرِيهَا ، وَتَخَيَّرَ مِنْ بَدِيعِ جَوَاهِرِهَا ، وَامْتَنَحَ مِنْ نَمِيرِ زَوَاجِرِهَا .
فَإِنَّهُ لَا يَتَذَكَّرُ مِنَ الْحَصْرِ الَّذِي اعْتَرَاهُ فِي وَصْفِ الْمُنْعَمِ عَلَيْهِ بِهِ مِنَ الْخِلَاطِ الشَّرِيفِ ،

(١) أى الخيمة النبوية والمراد بها الخلافة .

الذى لولا أن عِصْمَةَ المِوَالاةِ تُثَبِّتُ قُوَادَهُ الخَلاِيقَ، وتَسَدُّ لِسَانَهُ النَاطِقَ، لما تَعَاطَى وَصَفَ مَا أَعْطَاهُ مِنْ كِتَابِهِ المَرْفُوعِ، وَسَبَقَ إِلَيْهِ مِنْ تَعَابِهِ المَرْكُومِ، فَإِنَّهُ مِمَّا يَسْتَبُحُّ حَتَّى الأَمَلُ نَاكِصًا وَهُوَ كَسِيرٌ، وَيَتَقَلِّبُ دُونَهُ البَصَرُ خَاسِمًا وَهُوَ حَسِيرٌ، إِلَّا أَنْ الإِنَامَ الشَّرِيفَ يَبْدَأُ الأَوَّلِيَاءَ بِأَلْوَكَلِهِمْ إِلَى أَمَانَتِهِمْ لَتَهَيَّبَتْ أَنْ تَتَعَاطَى حَظِيَّتَهُ، وَلَوْ قُوَضَتْ إِلَى رَاحَتِهِمْ لَنَكَلَتْ عَنْ أَنْ تَرْتَقِيَ نَصِيَّتَهُ، وَلَا غَرَوَ لَلَسَّحَابِ أَنْ يُصَالِحَ قَطْرُهُ التَّرَى، وَالْفَجَرِ أَنْ يُثْرِيقَ نَوْرُهُ عَلَى عَيْنِ الكَرَى والسَّرَى .

فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَرَّبَ عَلَى المُلُوكِ مَتَالِ الأَمَالِ، وَثَبَّتَ حَصَاةَ قُوَادِهِ لِمَا لَا تَسْتَقِلُّ بِجَهْلِهِ حُمُ الجِبَالِ . وَيَسْتَنْبُحُ عَنْ جَهْرِ الشُّكْرِ بِسِرِّ الأَذْعِي، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا يُغْنِي بِهِ إِلَى المَخَارِبِ وَإِنْ لَمْ يَقْصُرْ عَمَّا يَقْصُرُهُ فِي الأَثَدِي، وَيُطَالِحُ بِأَنْ مَمْلُوكِ الخِدْمَةِ وَأَبْنِ مَمْلُوكِهَا أَخَذَ الكَلْبَ بِقُوَّةٍ، وَتَوَكَّلَ لَخِدْمَةِ أَشْرَفِ خَلْقِهِ لِأَشْرَفِ نُبُوَّةٍ، وَتَقَاءَ تَلَقَّى أَبِيهِ الأَوَّلِ الكَلَمَاتِ، وَرَأَى إِطْلَاعَ أَهْلِ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا فِي ضَمِيرِهِ مِنْ طَاعَتِهِ لِأَحَدِي المَعِجَزَاتِ وَالكِرَامَاتِ، وَتَسَمَّعَ المَشَافَهَةَ خَاشِعًا مُتَصَدِّقًا، وَأَشْتَمَلَ عَلَيْهَا بِفَهْمِهِ سَامِيًا طَرَفُهُ مُتَطَلِّمًا .

. وَلَقَدْ أَشْبَهَ هَذَا الكَلْبَ الكَرِيمَ بَيْعَةً أَخَذَتْ عَلَيْهِ، مَدَّ إِلَيْهَا يَدَهُ أَخَذًا بِكَلْتَا يَدَيْهِ . وَالْمَمْلُوكُ يَرْجُو بَلَّ يَحْقُقُ أَنَّ هَذَا الْعَبْدَ المَشَارَإِلِيهِ سَيُوفِي عَلَى سَاقِهِ مِنْ عَيْدِ الدَوْلَةِ الْعَبَاسِيَةِ فِي الزَّمَانِ، وَيَكُونُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ أَسْبَقَ مِنْهُمْ بالإِحْسَانِ .

. وَقَدْ صَادَرَتْ خِدْمَتَانِ مِنْ جِهَتِهِ وَبَعْدَهُمَا تَصَدَّرَ الخِدْمَ، وَلَا يَأْلُو جَهْدًا فِي الخِدْمَتَيْنِ مَبَازِيرًا بِيَدِهِ السَّيْفِ وَمُسْتَنْبِيًا عَنْهَا الْعِلْمَ، وَلَهُ نُصْرَةٌ بَاقِيَةٌ فِي الْوَلَاءِ وَهُوَ قَوِيٌّ بِهَا عَنْ النُّصَيْرِ، وَسِرْرَةٌ بَادِيَةٌ فِي الطَّاعَةِ هُوَ إِلَيْهَا أَسْكَنُ مِنْهَا إِلَى كُلِّ سُبَيْرٍ . يَمُودُ المَمْلُوكُ إِلَى مَا لَا يَزَالُ يَفْتَحُّ بِهِ الصَّلَواتِ المَعْرُوضَةِ، وَيَحْتَمُّ بِهَا الْخَلِئَاتِ المَعْرُوضَةِ :

من الدعاء الصالح الذى [وان] أغنى الله وليه عنه فقد أوحى نوى العقائد السليمة إليه :
 لأنه مُزَكَّ لأعمالهم ؛ بل متمم لإسلامهم ، وكيف لا يتحون لمن يُنحون به يوم يُدعى
 كلُّ أناس بإمامهم ؛ فيقول : - جمع الله لأمر المؤمنين طاعة خلقه ؛ وأذلَّ رقاب
 الباطل سيف حقه ؛ ، وجعل الله ما هو قبضته فى الأخرى قبضة أمير المؤمنين
 فى الأولى ؛ من الأرض التى هى موطوءة كالسموات العلوى ، وأدام نعمه على
 هذه الأمة بإمامته ، وأظهر كرامة نبيه عليه السلام بما يُظاهره من كرامته ؛ وعجل
 لمن لا يقوم بفرض ولايته إقامة قيامته ، وردَّ بسببونه التى لا تُردُّ ما الإسلام ممطوّل
 به من غلاته ، وأقام به مناجى الدين لأهله ، وأظهره بمظاهرتة على الدين كله ،
 حتى يلحق الله وما خلّف فى الدنيا كافرا ، ولا ضعيّا إلا بالتوحيد طامرا ، ولا بلدا
 إلا وقد بات الإسلام به أهلا وقد أصبح منه الكفر داثرا ، إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الثالث

(أن يبدأ بآية من كتاب الله تعالى تناسب الحال)

كما كتب القاضى الفاضل ، من السلطان « صلاح الدين يوسف بن أيوب »
 إلى الخليفة المستغنى ببغداد بشرى بفتح بلد من بلاد التوبة والنصرة عليها :
 (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذّكر أن الأرض يرثها عبادى الصّالحون) :
 (سلام قولاً من ربّ رحيم) : (فروح وريحان وجنة نعيم) . وصلاة بتمها
 تسليم ، وكأش يزوجها تسليم . وذكر من الله سبحانه فى الملأ الأعلى ورحمة الله وبركاته
 معلومة من النشأة الأولى على مولانا الإمام « المستغنى بالله » المستضاء بأنواره ،
 المستضاف بداره ، الداعى إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، الراعى لخلق كما يرغى

النسيم السليم، العام فضله، التأم عدله، المطروق مَورِدُ فَنَائِهِ، المصدوق في مَورِدِ ثَنَائِهِ، المحقوق من كل وَلِيٍّ بولايته، ابن السادة القَوِّ، والقادة الزُّهر، والدَّادَةِ الحُسن، والشَّادَةِ للحق على الأُس، سَقَاةِ الكَوْثَرِ وزمزمَ والسَّحاب، وولادة المَوسِمِ والمَوقِفِ والكِتَاب، والموصول الأنساب [يوم] إذا تُخِغ في الصور فلا أنساب، والصَّابِرُونَ على حساب أنفسهم فهم الذين يُؤْتَوْنَ أجْرهم بغير حساب .

ملوك العتبات الشريفة وجبها، ومن أشتمل على خاطره ولاؤها وودها، وكانت المشاهدة لأواره العلية التي يودها، ومن يقرن بفرض الله سبحانه فرضها، ويسابق بطاعته إلى جنه وصفها الله تعالى بقوله ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ﴾ : يَلْمُ وجه تزيانها، ويرى على بُد دَارِهَا الأنوار التي ترى بها، ويقف لثبها وقوف الخاضع، ويضع أقدامه الآتام عن ظهري منها بأشرف المواضع الواضع، ويحيث إليها إخبار الطامع الطامع، ويرجو فضلها رجاء الطامع الطامع . ولولا أن الكتاب حجاب بينه وبين المَهَابَةِ التي تحوّل بين المرء وقلبه، والخلالة التي هو في تعظيمها على نُور من ربه، لكان خاطره في قبضة الملع أسيرا، ولا تقلب إليه البصر خاسئا حسيرا، ولكن قلبه قد تساجع، أن كان لسانه عن الإبانة قد راجع . فيقول :

إِنَّ اللَّهَ قَدْ رَفَعَ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ عَلَى الْمَلَلِ، وَكَفَلَ نَصْرَهَا وَكَفَى مَا كَفَلَ، وَحَىٰ مُلْكُهَا وَحَلَّ ، وجعل لما الأرض في أيدي المخالفين ودائع ، ومكن يده من أعناقهم فهي إما تقيد الأغلال أو تصوبغ الصنائع ، والحق بها قائم العمود ، والسيف الكفاية لازم العمود، والبشارئ ممسك الصبح وتُحَقِّقُ الدُّجَى، والخليل على طول ما تستعمل الوحا فتعمل الوجى، والإيام زاهره، والآيات باهره، وعزّة أولياتها قاهره، وذلة أعدائها ظاهره ، وعنايات الله لثبها متوالية متظاهره . إذا تقرب أسمها يوما عن

مُنِيرٌ أَعِيدَ إِلَى وَطَنِهِ قَدَا ، وَإِذَا أُوقِلَتْ نَارُ قَتْنَةٍ فِي مَعْصِيَتِهَا أُوقِلَتْ فِي طَاعَتِهَا نَارُ هُدًى .

وقد كان النسل قديما قَرَّتْ عن القرات أبنائوه ، وتحصنت ظل المؤمنين عنه فلم يتغلغل إليها مأوه ، وكادت السماء لأتبعينه بمطرها ، والأرض لأتوشيه بزهرها ، والأعناق قد تهاصر دون الراجين بلبو معصبا ^(١) ، والقلوب قد لاذت بأستار الجدار معصوبا ^(٢) ، والأوتان متصوبا ، والآيات مفعوبا ، والتيجان بغير أكفائها من الهامات معصوبا ، والذين أدياناً ، والمذكرون بالآيات يحرون عليها صمًا وعُمياناً ، والعاقلون بالله قد وكنوا السنة وصرحوا عقائد ، والمعتدون قد أضلوا ضلالاً وضلوا مقاصد ، وكرايس خلافة الله قد ألقي عليها أجساد كانت تتعد منها مقاعد ، ومنازل كميات الله قد كاد كَيْلُهم ياتي بئيلها من القواعد ، وبرت على بئو النبوة أشد نبوه ، وقصبرت الأيدي فلاحاً سوط ولاحد سطوه ، ثم قست قلوب ^(٣) (فهى كالبحارة أو أشد قسوه) وغررت الأيام وما وعدت ، وأوردت الهيم وما أصدرت ، وطفى طوفان الطغيان ولا حاصم ، وسما بناء البهتان ولا هادم ، وضائق الصدور ، ورحلت بقليلها إلى القبور ، وتكن أن طى دولتهم معدوق بالشور ، حتى إذا جلاها الله لوقتها ، وأنجز جموع الضلال إلى مياد شتيا ، وأراهم آية معللة ^(٤) (وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها) (وجاء الحق وظاهر أمر الله وهم كارهون) : (وحيط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) .

كانت نعمة من الله يمنها على الملوك أن أتعبه من بين أهل أرضه ، وأتعبه لإقامة ما بات الباطل من قرضه ، ويمره لما يمر من نصرة الحق وأهله ، وبشره

(١) كذا في الأصول بهذا الرسم ولم تشر على هذه الرسالة في الرسائل .

بما بَشَّرَهُ من لواء النصر ومَدَّ من ظِلِّهِ ، وألهمه الهِمَّةَ الَّتِي اقْتَرَعَ مِنْهَا بَكَرًا ، وبِمتحه
النُّصْرَةَ لَمَّا يَسْتَطِيعُ الْعَدُوُّ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا . مَكَّنَهُ مِنْ صَيَاصِيهِمْ خَلْقَهَا ، وَمِنْ دِمَائِهِمْ
فَعَلَّقَهَا ، وَمِنْ سِيوفِهِمْ فَعَلَّقَهَا ، وَمِنْ أقدامهم فاستقرَّهَا ، وَمِنْ مَنَائِرِ دُعَاتِهِمْ فَجَبَّلَ تَدَاعِيَهَا ،
وَمِنْ أَنْفُسِ أَعْدَائِهِمْ فَكَثَّرَ تَتَاعِيَهَا ، وَأَبْرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ ،
وَيَسَّرَ الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمُ الْعَفْوُ إِلَى مَنَافِعِهِمْ ، وَتَرَحَّرَزَاتِ الْمَلِكِ مِنْ تَيْبَانِيهَا ، وَفَضَّعَ
عَلَى يَدِهِ وَبِلْسَانِهِ مَا زَوَّرَتْهُ مِنْ أَنْسَابِهَا ، وَحَاسَبَهَا فَأَظْهَرَ زَيْفَ حِسَابِهَا ، وَقَتَّلَهَا مِنْ
ظُهُورِ أَسْرَتِهَا إِلَى بَطْنِهَا ، وَوَعَدَ إِلَى أَهْلِ دَعْوَتِهَا الَّذِينَ بَسُّوْا بُسُوقَ النَّمْلِ
فَأَعْلَاهُمْ عَلَى جُنُودِهَا ، وَحَمَلَتْ قُلُوبُهُمْ قُوْفَ الْحَقْدِ فَأَنْزَحِيهَا مِنْ أَجْسامِ طُلُوعِهَا ، فَهَلْ
تَرَى لَهَا مِنْ بَاقِيَةٍ ، أَوْ تَسْمَعُ لَهَا مِنْ لَاحِيَةٍ ، أَوْ تَجِدُ إِلَيْهِمْ مِنْ صَاحِبِيَةٍ ، فَاصْبَحُوا
لَا تَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ أَوْ مَسَاكِينَهُمْ ، وَحَصَلُوا حَصْدَ الْحَشِيشِ ثُمَّ لَا تُخَافُ سِيُوفَهُمْ
وَلَا سَكَاتِيَهُمْ ، وَاسْتَبْرَأُوا مِنْ عِقَابِ الْأَوْحِ ، وَتَجَنَّبُوا فِي الْهَمِّ مِنْ طُولِ مُدَاوِمَةِ عِقَابِ
الرُّوحِ ، ثُمَّ تَدَارَكُوا إِلَى الدَّرَكِ ، وَاشْتَرَكُوا فِي الشَّرِكِ ، وَأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ عِرَاصُ ، وَزَيْغَتْ
فِيهِمْ خَوَاصُ ، وَعَلِمَ أَنَّ لَيْسَ لَهُ غَالِبٌ ، وَأَنَّ لَيْسَ بِقُوَّتِهِ طَالِبٌ ، وَأَنَّ الْمَلِكَ لَهُ
وَحْدَهُ ، وَأَنَّ الْوَيْلَ لِمَنْ تَجَاوَزَ أَمْرَهُ وَحْدَهُ .

وَكَانَ الْمَمْلُوكُ مِنْ عَطَلٍ مِنْ أَوْتَانِهِمْ ، وَأَبْطَلٍ مِنْ أَدْيَانِهِمْ ، فَاتَّزَا بِمَحْسَنَةٍ يَنْظُرُ إِلَى
حَسَنَاتِ خَلِيلِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي كَيْدِهِ الْأَصْنَامِ وَتَكْسِيرِهَا ، وَتَضْلِيلِهِ طَائِفِيهَا
وَتَكْفِيرِهَا . وَعَمِدَ الْمَمْلُوكُ إِلَى الْمُخَاضِرِ بِحَمَمَتِهَا ، وَإِلَى الْمُنَاسِبِ بِفَرْقَتِهَا ، وَاجْتَمَعَ فَأُطَاعَ
مِنْ شَرْعِهَا ، وَأَسْمَاءُ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَصَّلَهَا بِاسْمِهِ وَمَا بَقَعَهَا ،
وَعَمِيمَتِهِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ فَتَلَاهَا لَهُ وَأَتْبَعَهَا ، وَأَشَادَ بِاسْمِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَتَكُونَ
الصَّلَاةُ جَامِعَةً ، وَالذِّكْرُ شَامِلَةً وَالْإِمَامَةُ لِلْجَمَاعَةِ شَارِعَةً ، وَالْهَدَايَةُ لِلضَّلَالَةِ صَارِعَةً ،
فَعَادَتْ لِلَّهِ أَعْيَادُ ، وَأَخْضَرَتْ لِلنَّبِيِّ أَعْوَادُ ، وَأُنْجِزَ لِلْأُمَّةِ مِيعَادُ .

وبعد ذلك تماشدت أولياء الناهيين وتنادت ، وتساءلت نحو مستقر المملوك وتعادت
 ﴿وَإِذْ زَيْنُ لَهْمُ الشَّيْطَانِ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ
 فَلَمَّا تَرَآفَ الْفِتْيَانَ نَهَضَ عَلَى حَقِيصِهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ ﴾ وكانوا حمية حامية
 من بني حارم كالجراد أرجلا ، إلا أن الله أصلاها بنيانها ، وكالماء مدا إلا أن الله
 أضرقها بطوفانه ، وكانملا لونا وطرقا إلا أن الله حطمها بسليانه ، مع من أنفم
 إليهم من ألقاف وأطراف ، وأوشاب وأوباش : من جندى كسبه سيفه ذلة ، وطرده
 عن مواقف الكرام وبمحال الخزي أحله ، ومن أرمي كانوا يفزعون إلى نصرة
 نصرائيته ، ويستمدون منه على ابن مموذيته ، ومن حامي أجابهم لقرط عماء وتقريط
 حاميته ؛ فلا العيون سوادهم الأعظم ، ووراهم بأس الله الذي لا يرد عن أحرم ،
 فامطرهم السيوف مطرا كانوا غثاء لسيله الجوارف ، وعصفت بهم الأعنة عصفا
 كانوا هباء هوجه العواصف ؛ ﴿ فَظَلَّتْ أَعَانَتُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ وهوتت الأنفس
 والأرواس ﴿ فَهَآئِلًا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ . وظلّت حيفاف بني حارم تحت غربان الفلاغرانا ،
 وشوهت ظلمات بعضها فوق بعض أفعالا وألوانا ؛ وصفت موارد السلطان
 من القدي ، وطغى ذلك القم فلا يجهد التفائق بعده ما تتعلق به الحدي ، وبلغت
 الغابات في كشف كل أدنى ، لا يضرب بموعيد يقال فيه إذا .

وكتب المملوك ، وأسم أمير المؤمنين قد كتب سطره على جبين التقدين ، وسمع
لغظه من قم المنبرين بالبلدين ، ومد كل منبرين بل يدن ؛ حين سمع الناس قالوا
حقا ما قاله ذو الينين ، وصارت تلك الأسماء دهر الآذان ورواء الظهور ، وحصلت
الحبة العباسية سرا من أسرار القلوب إذا حصل ما في الصدور ، والحلاق مباحة
متابعة وإفية بعده متوافية ، داخلون في الحق أنواج ، سالكون منه شرعة
ومنها .

والحمد لله الذى جعل أمير المؤمنين إماما نلحقه، ووارثا لأرضه ولم يذرف فوق الأرض
منازعا لحقه، ولا مناهبا لأرضه، وأرتجى له الحق الذى كان نادا، وردّ عليه الأمر
الذى لم يكن له غير الله رادا، وبلغ كل مؤمن من إعلاء كلمة الإيمان به ما كان له
وأذا، وأخذ بيد انتقامه من كان عن سبيله صادقا، والإسلام قد استدار ككشاته،
والزمان قد استدار كهيمته، والحق قد قرّ في نصابه، والأمر قد قرّ عن صوابه .
فقد وفى الله القرار له بضمائه، وأخذ بيده ما روى عن ابن عمه صلى الله عليه وسلم
وأصغى من لسانه .

فالحمد لله الذى صدّقه وعده، وأورثه الأرض وحده، وبيدّ ضلّاه وأهل بيته،
وأسمع نجه وأنجم سعده، ووعد نجسه وأنجح وعده، وأورده وصفه وأصغى ورده .
المملوك ينظر الأمثلة ليتمّطها، والأمانة ليحمّتها، والتقليدات المطاعة ليتلوها،
والتشريفات الشريفة ليجلّوها، والسواد ليحلب الحلاّك عن ضمائر الميطلين، والسيف
الحائى لحكيه في رقاب المعطلين، والآراء الشريفة تفصل برهانيها، وفضل سلطانها،
وأمرها الذى لا يخرج حين يخرج عن عزّ الملة وتوطيد بُيانها، وعزمها الذى يرفع
حين يرفع ظلمة أذنانها . إن شاء الله تعالى .

الأسلوب الرابع

(أن يبدأ الكتاب بالصلاة)

كما كتب القاضى الفاضل، عن الملك الناصر "صلاح الدين يوسف بن أيوب"
إلى الخليفة ببغداد، في البشّرى بفتح بلد من بلاد التوبة أيضا، وانتهزام ملكها
بساكره .

صلوات الله التي أمتها لأوليائه وذخرها ، ونجياته التي قذف يئسها شياطين
أعدائه ودحرها ، وبركاته التي دما بها كل موحد فاجاب ، وأتقشع بها عمام النعم وظلام
الظلم فاكجاب عن أنجاب ، وزكاته التي هي للؤمنين سكن ، وسلامه الذي لا يعترى
المؤمنين في ترينده حصرو ولا لكن - على مولانا عاقد ألوية الإيمان ، وصاحب دور
الزبان ، وساحب ذيل الإحسان ، وغالب حزب الشيطان ؛ الذي زلزلت إمامته قدم
الباطل ، وحلت خلافته ثراب الدمر العاقل ، واقتضت سيوفه ديون الدين من
كل غيرهم ما طل ، وأمضت غرب كل عزم للحق مفلول وأطلعت غارب بنجم كل
هذى آفل ، وشفت يقطات استغفاره إلى طافر ذئب كل ظالم ؛ وعلى آبابه الغاية
والمغزى ، والملاذ في وقت الفرع ، والقائمين بحقوق الله إذ قعد الناس ، والحاكين
بسل الله إذ طم القسطاس ، والمستضيئين بأنوار الإلهام المورثة من الوحي
إذا تجر الاقتباس ، والصابرين في البأساء والضراء وحين الباس ؛ نزل الحكيم ،
وحفاظها ، ومعاني النعم ، وأفظاها ، وأعلام السلوم المنشورة إلى يوم القيامة ،
وكالتي الشروح المنتشرة من كلا سيد الإمامة ؛ ومن لا ينفذ منهم عمل إلا إذا شحذ
بموالاتهم ، ولا يتألق صبح هداية إلا إذا استصبح السارى بدلائلهم .

الملوك يقبل الأرض بمطالع الشرف ومنازله ، ومرايع المعج ومعاقله ؛ ومجالس
الجود ، ومخالف السجود ؛ ومخطف أنباء الرحمة المترلة ، ومرسى أطواد البسيطة
المترلة ؛ ومفتر مباسم الإمامة ، وبجر مساحب الكرامة ؛ ومكان جنوح أجنحة
الملائك ، ومشجر مناسك المناسك ، حيث يدخلون من كل باب مسلمين ،
ويقيمهم ملوك الأرض مسلمين ؛ ومشاهد الإسلام كيوم أنزل فيه اليوم أكلت
لكم دينكم - وينقذ على الولاية فاما غيره فله قوله : قاتلوا الذين يؤمنكم ؛ ويناجيها

(١) كذا في الأصول مضافا عليه وفي الضوء "المنتشرة يد الإمامة" .

بلسان جلى الإخلاص الصادق حقيقته ، وألنشط الولاء السابق حقيقته ؛ وأرهق الإيمان الناصح مضاربه ، وفسح المعتد الناصح مذهبه ، فأعرب عن خاطير لم يحيط فيه لغير الولاء خطره ، وقلب أعانه على ورود الولاء [أن] صفاء المصافاة فيه فطره . - ويخبر أنه ما وهن عما أوجبه الآؤه ولا وهى ، ولا أنقضى عزمه عن أن يقف حيث أظلت سدرة المنتهى ، ووصحت الآيات لأولى النهى . والله سبحانه يزل عنه في شرف المثول عوائق القدر وموانعه ، ويكشف له عن قناع الأنوار التي ليست همتة بما دون نظرها قانعه . - وكان توجه منصوراً بجيش دعائه ، قبل جيش لوائه ، وبمسكر إقباله ، قبل صكر قتاله ، وبنصال سلطانه ، قبل نصال أجفانه ؛ لأجرم أن كاتب الرعب سارث أمام الكاتب ، وقواضب الحذر تخضت في جفونها عيون القواضب . وسار أولياء أمير المؤمنين الذين تجمعوا من كل أمه ، وتداخوا بلسان النعمة ، وتصرفوا بيد الخليفة ، وصالوا بسيف العزمه ؛ متواخية نيأتهم في الإقدام ، متالفة طويأتهم في طاعة الإمام ؛ كالبنيان المرصوص أنتظاما ، وكالغاب المشجر أعلاما ؛ وكالنهال المانع حديثا وهاجا ، وكالليل الشامل عجاجا عجاجا ؛ كالنهر المتدافع أفعابا ، وكالمنشط المطرد أصعطا ؛ والأرض ترجل برجلهم لما ترفقه الحوافر من غيومها ، والسماء تقبل تزولم لما تضمه الدوايل من نجومها ؛ لما أنتشرت رياضها المزهره ، وغياضها المشجره ؛ إلا ذلك على أن السحاب الذى مقام كريم ، والإنعام الذى تحرم عظيم ، والدنيا التى وسعته من عزمته تظعن وتقيم .

ولما علم السدوان الخطب المظنون قد صرح خطابه ، والأمل المندوع قد صغر وطأه ؛ راسل ورأى سل السيوف يمينه ، وما كره لما كره له أنه الخلف يمينه ، وأنفع هاربا هائبا ، وخضع كلينا كلينا ؛ فغنى الملوك قلما ، وحمل ظلمة وقد خاب من حمل ظلمة ، وأجابه بأنه إن وطئ الإساط برجله ولا يطئه برأسه ، وإن قدم

على الملوك بأمله وإلا أقدمه بيأسه، وإن لم يظهر أثر التوبة وإلا أقام عليه الحد
بسكرة الموت من كأسه؛ فلم يخرج من مزاولة تحتها مغاوره، ومكاسرة ورامها
مكاشره؛ فاستخار الله في طلبه، وأتمز فيه فرصة شغل قلبه بربيه، ولم يتره مأملي له
في البلاد من تحليه؛ وسار ولم يزل مقصحا، وهدم أول العسكر محسدا؛ وإذا الدار
قد ترحل أهلها منها فباؤوا، وطمعوا من ساحتها فكأنهم ما كانوا؛ ولم يبق إلا مواقد
نيران رحلت قلوبهم بضرأها، وأثافي دهم أعجلت المهابة مارد سغبهم من طعأها؛
وغير بأن بين كأنها في الديار ما قطع من رءوس بني حامها، وعوافي طير كانت تتنظر
من أشلائهم فطرصاها؛ وعادت الرسل المنقذة لاقتفاء آثارهم وأداء أخبارهم؛
ذاكرة أنهم ليسوا الليل حادا على النعمة التي خلعت، وغسلوا بماء الصبح أطاع
نفيس كانت قد طلعت؛ وأنهم طلموا الأوطار أوعالا والمقاب عقبانا، وكانوا لمهابط
الأردية سيولا ولا على الشجر قضيانا - فرأى الملوك أن الكتاب فيهم قد بلغ أجله،
والعزم منهم قد نال أمه، والفتك بهم قد أعمل منبلة؛ وأن سيوف صاكر أمير
المؤمنين متهمة أن تريق إلا دماء أكفائها من الأبطال، وأن تلقى إلا وجوه أظفارها
من الرجال؛ وأن المذكورين تمل حطمه سليمان عليه السلام وجنوده، ورمل أطاره
العاصف الذي يسحقه ويقوده - وأصدر هذه الخدمة والبلاد من معرفتهم تاريخه،
والكلية بانخفاضهم ظلية طالعه؛ ويذكر الله على أعدائه حاديه، وأنفس المخاذيل في وثاق
مهايته العالية عاييه - فرأى الملوك أن يرتب بسره الأمير فلانا لينزل الأمانات، لسوقه
أهل البلاد ومزارعها، ويفصل الحاكمات، بين متاجي السلطنة ومطوحيها، ويفسح
بجبال الإحسان لمعايدي المواطن ومراجيحها؛ فيعمر من البلاد ما قد شقر، ويشير
بالأمانة لا شمر؛ فإن مقام الملوك ومن معه من عساكر تمنع الشمس من مطليها،

(١) هو بقاء من تورط بصفحت الرجز السباب إذا ذعبت به العفاف في الأصول تصحيف .

وترد حربة البحر عن موقعها ؛ مما يضر بالفلل ويُسِفها ، ويُجحف بالرعايا
ويُسِفها .

فالحمد لله الذي جعل النصر لائتداً بأعطاف أعدائهم ، وأأمّل الرعب السائر إلى
الأعداء بحركة صلاب أعلامه ؛ والساكر المناضلة بسلاح ولائه ، تُثني باسمائها عن
مُرهقاتها ، والكاتب المقاتلة بشعار عَلائمه ، تقرأ كُتُب النصر من حماتها .

الأملوب الخامس

(أن يتبدأ الكتاب بالسلام)

كما كتب القاضي الفاضل من السلطان "صلاح الدين" أيضاً ، يتنذر له من تأثر
الكتب ، ويدكر له خبر صاحب قُسطنطينية وصاحب صِقْلِيَّة من ملوك النصرانية
من الروم والفرنج :

سلامُ الله الأُطيب ، وبركاته التي يستدرها الحضر والغيب ؛ وزكواته التي ترفع
أوليائه إلى الدِّرج ، ونعمته التي لم تجعل ملأ أهل طاعته في الدين من حرج - ملأ
مولانا سيّد الخلق ، وساد الخرق ، ومسند أهل الحق ؛ ولايس الشعار الأطهر
سواداً ، ومستحق الطاعة التي أسعد الله من خصه بها بدما ومعاداً ، ومولى الأمة الذي
تَنابَه يوم نَداه وبأيسه إن ركض جوداً أو جواداً ؛ وواحد الدهر الذي لا يُثني ،
وإليه القلوب تُثني ؛ ولا يقبلُ الله جمعاً لا يكون لولائه جمع سلامة لا جمع تكسير ،
ولا استقبَالَ قبلةٍ من لا تكون محبته في قلبه هُيم وأسمه في عمله إلى الله يَمِير ؛ مولانا
أمير المؤمنين ؛ وعلأ آبائه الماتى الأرض عدلاً ، الملاء أهلاً وقضلاً ، والضارين قبصلاً
والقاتلين قضلاً ، ومن تحول الجنة لأهلها بهم أهلاً ؛ المخصوصين بالنعاة الإلهية ،

الحاكين فكلُّ أمةٍ بطاعتهم مأمورةٌ وعن معصيتهم منبهةٌ ، والمشرِّفُ الأسارى على
أسرةِ الشرفِ فكم ملأتِ البُيوتُ مناظرهم البهيةَ .

المملوكُ — يخدم الحرمَ الشريفَ باحترامه ، والفناءَ الكريمَ بإعظامه ؛ والبساطَ المقبلَ
بطُولِ استلامه ، والسترَ الذي أسبلهُ اللهُ على العبادِ بتحيته وسلامه ؛ ويُنبئُ أنه آخرُ
الخدمِ عن أن ينظم الأوقاتَ المتجدِّدة ، ويقتضب الحالاتَ المتجدِّدة ؛ والرُّسلُ عن
أن تتواردَ دراكبا ، وتتوالى وشاكا ؛ والإنهاعاتُ عن أن تثبتَ بالمقاماتِ الشريفةِ
النبويةِ ، وبجالسِ العرضِ عليه ؛ ما انتهتْ إليه الأقدارُ ، وما أفضى إليه من كثير
المتأجِ وقليلِ الأعداءِ ؛ فإن أدبَ الأمانى عن المطالعةِ كالصومِ لا يُقْضَى ختامه ،
ولا يُجَلُّ نظامه ؛ إلا بُعيدَ طُلُعِ هلاله مبشِّرا ، ويُنثَرُ خبره في الآفاقِ معطِّرا ؛ فلو أن
متكلفا أظفرَ قبلَ مؤدته ، ووردَ الماءُ قبلَ مؤدته ؛ لكان مُفسِدا لعقدِهِ ، ناكثا لعهدِهِ .

كذلك المملوكُ أمسَكَ حينَ كانت الأخبارُ بجانبه مشتبهه ، والحقائقُ لديه ضيرةٌ
متوجَّهة ؛ فإن طامعِي الكفرِ بفسطاطِ طينةٍ وصيقةٍ كانا قد أوقدا لهُربِ ناراً ، ورفعا
لها أوزارا ؛ واتخذوا لها أسطولا جاريا وصكرا جارا ، وتباريا ولم يزد الله الظالمين إلا تبارا ؛
وكتبنا إلى الفرنجِ بعد أن هزمهم بالنجدة والنصرة ، ونضمنا لهم الخروجَ والكثرة ، ويصفان
ما استعدَّاه به بما لا يبرِّعه إلا بالكثرة ؛ واستطارت الشناعةُ وتداولتها الألبسُ ،
ونحرحت من الأنواءِ حتى لقد كادت تدخلُ فيما رآته العينُ ؛ ووردَ إلى المملوكِ رسولٌ
من طائفةِ القسطنطينيةِ وهو أقدمُ ملوكِ النصرانيةِ قدما ، وأكثَرُهم مالا متنى ؛
فعرض عليه مؤادعةً يكونُ بها عسكره مُودعا ، ويكونُ له بها مَقْرعا ؛ له ولصاحبِ
صيقةٍ الذي زعم أنه أصلُ البشرِ يكونُ الشربُ منه مُقرعا ؛ فلم يَنْ ولم يُجِبْ إلى السلمِ ،
ولم يرعه أن عسكره خذله اللهُ مُبارِكُ في البرِّ وفي الآمِ ؛ إن شاء الله تعالى .

الأسلوب السادس

(أن تُفتتح المكاتبة بخطبة مفتحة بالحمد لله)

وذلك يختص بالتشوق وغيره مما حدث فيه نعمة ، وربما بُدئت بآية من كتاب الله ، كما كتب الهادي الأصفهاني عن السلطان " صلاح الدين يوسف بن أيوب " إلى الناصر لدين الله ببغداد بفتح القدس :

(ولقد كتبت في الزبورين بيد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) .

الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد ، على نصرة هذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ؛ وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما أشتمل على شئها كرام الصحائف ، ولم يُجادل عن مثلها في المواقف ؛ في الأيام الإمامية الناصرية زادها الله غررا وأوضاحا ، ووالى البشائر فيها بالفتوح غنوا ورواحا ؛ ومكن سيوفها في كل مازق ، من كل كافر ومارق ، ولا أخلاها من سيرة سيرة تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق ، وأطال أيدي أوليائها لتجني بالحقيقة حرم الحقائق ، وأنجزها الحق وقذف به على الباطل الزاهق ، وملئكمها هوائى المغارب ومرايم المشرق ؛ ولا زالت آراؤها في الظلمات مصابيح ، وسيوفها للبلاد مفتح ، وأطراف أسننها لدماء الأعداء نوازح .

والحمد لله الذى نصر سلطان الديوان العزيز وأبيه ، وأظفر جند الغالب وأنجده ، وجلا به جلايب الظلماء وجدد جنده ؛ وجعل بعد عسر يسرا ، وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا ، وهو الأمر الذى ما كان الإسلام يستطيع عليه صبرا ، وخوطب الدين بقوله : (ولقد منّا عليك مرة أخرى) : فالأولى في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ، والأخرى هذه التي عتق فيها من رق الكآبه ؛ فهو قد أصبح حرا فالزمان كهيئته استدار ، والحق بمهجته قد استنار ؛ والكفر قد ردما كان عنده من

المُسْتَمَار، وَغُسِلَ نَوْبُ اللَّيْلِ بِمَاءِ الْفَجْرِ مِنْ أَنْهَارِ النَّهَارِ؛ وَأَتَى اللَّهُ بَيَانَ الْكُفْرِ
 مِنَ الْقَوَاعِدِ، وَشَفَى ظِلِيلَ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ بِرُقَاقِ مَاءِ الْمَوْرِدَاتِ الْبَوَارِدِ. أَنْزَلَ
 مَلَائِكَةً لَمْ تَقْطُرْ لِلْعِيُونِ اللَّاحِظَةِ، وَلَمْ تَحْفَ عَنْ الْقُلُوبِ الْحَافِظَةِ؛ عَزَّتْ سِيَمَا
 الْإِسْلَامِ بِمَسْوَمِهَا، وَتَرَادَفَ نَصْرُهُ بِمُرْدِفِهَا، وَأَخَذَتِ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ قَرَّتْ مُتَرَفِهَا
 كَأَن لَمْ تُؤْوِ فِيهَا، فَكَمْ أَقْدَمَ بِهَا حِزْوْمٌ، وَرَكَضَ فَاتِبُهُ حَتَّابُ عَجَاجِ مَرْكُومٍ، وَضَرَبَ
 فَإِذَا ضَرَبَهُ كَأَبْ حِرَاجِ مَرْكُومٍ؛ وَإِلَّا فَإِنَّ الْحُرُوبَ إِنَّمَا عَقِدَتْ حِجَالًا، وَإِنَّمَا جَمَعَتْ
 رِجَالًا، وَإِنَّمَا دَعَتْ خِفَافًا وَثِقَالًا؛ فَلَمَّا سَبَّوْهُ قَاتِلُ سُبُوفًا، أَوْزُحُوفَ تَقَاتِلُ
 زُحُوفًا؛ فَيَكُونُ حُدُّ الْحَدِيدِ بِيَدِ مُدْكَرٍّ وَبِيَدِ مُؤَنَّثَةٍ، وَيَكُونُ السَّيْفُ فِي الْيَدِ الْمُوَحَّدَةِ
 يُغْنِي بِالضَّرْبَةِ الْمُوَحَّدَةِ فِي الْيَدِ الثَّلَاثَةِ لَا يُغْنِي بِالضَّرْبِ مِثْلَتَا؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ فِي فِتْنَتَيْنِ
 التَّقَاتَا، وَمُؤْمِنَيْنِ لِنَصْرِ مَوْدَةٍ أَعْتَقَتَا. وَإِنْ هَذِهِ النُّصْرَةُ إِنْ زُوِيَتْ عَنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ
 بُحِلَتْ كِرَامَاتُهُمْ، وَإِنْ زُوِيَتْ عَنِ الْبَشَرِ قَدْ عُرِفَتْ قَبْلُهَا مَقَامَاتُهُمْ؛ فَكَانَ
 سَيْفٌ يَنْقُطُ مِنْ جَفْنِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْبُتَ الصَّرِيخُ، وَلَا كَانَ ضَرْبُ يُعْلِيهِ الْهَامُ قَبْلَ ضَرْبِ
 بَرَاهِ النَّاطِلِ وَيَسْمَعُهُ الْمُصْبِحُ، فَكَمْ فَرِيَةً كَانَتْ هَجْرَةُ الْمَوْتِ وَبِهَا التَّارِيخُ، وَكَمْ طَعْنَةً
 تَحْتَزُّهَا حِصَابُ الْحَدِيدِ وَلَهَا تَحْمَارِخُ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطَاعَ الْإِسْلَامَ جَلِيدًا تَوْبُهُ؛ بَعْدَ أَنْ كَانَ جَلِيدًا حَبْلُهُ، مُبِيعًا
 نَصْرُهُ، مُحْضَرًا فَضْلُهُ، مَتَّبِعًا فَضْلُهُ، مَجْتَمِعًا شَمْلُهُ. وَالْحَادِمُ يَشْرَحُ مِنْ نَبْلِ هَذَا الْفَتْحِ
 الْعَظِيمِ، وَالنَّصْرِ الْكَرِيمِ؛ مَا يَشْرَحُ صُدُورَ الْمُؤْمِنِينَ، وَيَمْنَحُ الْحُبُورَ لِكَاثَةِ الْمَسَامِينِ؛
 وَيُكَرِّرُ الْبُشْرَى بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ - مِنْ يَوْمِ الْخَمِيسِ الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبِ الْآخِرِ

(١) أَيْ مَقْطُوعًا قَالَ الشَّاعِرُ .

أَبِي حَسَنِ لَمْ يَأْنِ يَسِدَا * وَأَسَى جَلْبَاهَا خُفَا جَلِيدَا

فَمَا فِي الْأَصْلِ وَالنُّصْرَةِ مِنَ الْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ أَحْصَالُ مِنَ النَّاسِجِ .

إلى يوم الخميس منسَلَخَه - وتلك سبع ليالٍ وثمانية أيام حُسُوماً يحرقها الله على الكُفَّار
 ﴿قَدْ رَأَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُتِخَزَوا فِيهَا خَالِيَةً﴾ ورأيتها إلى الإسلام ضاحكة كما
 كانت من الكُفْرِ باكية ؛ فيوم الخميس الأول قُضِيت طَيرِيَّةٌ وفاض رِيُّ النصر
 من بِحِيرَتِهَا ، وقُضِيت على جَمَرِهَا الفَرَجُ فَقُضِيت نَحْبُهَا بِحِيرَتِهَا ؛ وفي يوم الجمعة
 والسبت كُفِرَ الفَرَجُ الكسرة التي مالم يعلها قائمه ، وأخذ الله أعداءه بأيدي أوليائه
 أخذ القُرَى وهي ظالمه . وفي يوم الخميس منسَلَخَ الشهر قُضِيت عَمَّا بالأمان ، ودُفِعت
 بها أعلام الإيمان ؛ وهي أم البلاد ، وأخت لرم ذات اليماد ؛ وقد أصبحت كأن لم
 تَنَنَّ بالكفر وكان لم يفتخر من الإسلام .

وقد أصدر هذه المطالعة وصليبُ الصِّلْبُوت مأسور ، وقلب ملك الكُفْرِ الأسير
 جيشه المكسور مكسور ؛ والحديد الكافر الذي كان في الكفر يضرب وجه
 الإسلام ، قد صار حديداً مُسَلِّباً يُفَرِّقُ خُطُوات الكُفْرِ عن الأقدام ؛ وأنصار
 الصليب وبكّاره ، وكل من المعمودية مُعَذِّبُهُ والذير دارُهُ ؛ قد أحاطت به يدُ القبضه ،
 وأخذ رَهْناً فلا يُقْبَلُ فيه القناطير المقتطرة من الذهب والفضة ؛ وطَيرِيَّةٌ قد رُفِعت
 أعلام الإسلام عليها ، ونَكَصَتْ من عَمَّا مِلَّةَ الكفر على حَقِيقَتِهَا ، وعَمَرَتْ إلى أن
 شهِدَتْ يومَ الإسلام وهو خير يومٍ ؛ بل ليس من أيام الكُفْرِ يوم فيه خير ،
 وقد غُسل عن بلاد الإسلام بدماء الشُّرك ما كان يَنْظِلُّهَا فلا ضَرَرَ ولا ضَرِرَ ؛
 وقد صارت البيع مساجدَهم بها من آمن بالله واليوم الآخر ، وصارت المناجر مواقيف
 نُظُوبِهَا النَّاسِر ، وأهتزت أرضها لوقوف المسلمين فيها وطلأ ارتجت لمواقف
 الكافر ؛ والبأس الإيماني الناصري قد أمضى شِكَائَهُ على يد الخادم حتى بالديني
 في الكائن ، وإن عزَّ أول الإسلام بحط تاج فارس ، فكم حطت سيوفه في هذا
 اليوم من تاج فارس .

فاما القتل والأسارى فإنها تريد على ثلاثين ألفا .

وأما قرسان الدبوية والاستبارية فقد أمضى الله حكمه فيهم وقطع بهم سيوف نار الجحيم ، ووصل الراحل منهم إلى الشقاء المقيم ؛ فتك بافرنس كافر الكفار ، ومشيد النار ، من يده في الإسلام كما كانت يده الكلم ، وأقترت النصرة عن قتر عكا بحمد الله الذى يسر فتحها ، ونسألتها الملة الإسلامية بالأمان وعرفت في هذه الصفقة ربحها .
وأما طبرية فاقترتها يده الحرب فانهزت الحرب بجرها .

فالحمد لله حمدا لا تضرب عليه الحدود ، ولا تُرثى بأزكى منه القود ؛ وكأنه بالبيت المقدس وقد دنا الأضفى من أقصاه ، وبلغ الله فيه الأمل الذى علم أن يخلصه وأحاط بأجله وأقصاه ؛ لكل أجل كُتب ، وأجل المدو هذه الكتاب الجامعة ، ولكل عمل ثواب ، وثواب من هدئ لطاعته جنات نعيمه الواسع ؛ والله المشكور على ما وهب ، والمسئول في إدامة ما استيقظ من جد الإسلام وهب .

وقد توجه من جانبه الأمير رشيد الدين دام تأييده في إهداء هذه البشري نيابة عن الخادم ، ووصف ما يسهه الله لأوليائه من العزائم . والبلاد والمنازل التى فُتحت هى : « طبرية ، عكا ، الناصرة ، صفورية ، قيسارية ، نابلس ، حيفا ، معلية ، القزله ، الطور ، الشقيف ، وقلاع بين هذه كثيرة . والوالد المظفر نقي الدين بصور وحضرتين . والأخ العادل سيف الدين نصره الله قد أوفت (٤) بالوصول من عنده من عنده من الساكر فيتل في طريقه على غزّة وصقلان ، ويجهز مراكب الأسطول المنصور ويكثر عددها ، ويسير بها إلى قتر عكا المحروس ويتسحنها بالرجال ويوفر سلاحها ومعدنها ، والنهوض إلى القدس فهذا أوان فتحه ولقد دام عليه ليل الضلال ، وقد آن أن يستقر فيه الهدئ مشكور الإحسان ، إن شاء الله تعالى .

الجملة الثانية

(في المكتبات الخاصة ، إلى خلفاء بني العباس)

قال أبو جعفر النحاس : وقد يكتب الإمام بغير تصدير إذا لم يكن ذلك في شيء من الأمور التي سبيلها أن تُنشا الكتب بها من الدواوين . كما كتب القاسم بن عبد الله إلى المكتفي مهتأ له بالخلافة :

بسم الله الرحمن الرحيم ، والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ،
وأسأل الله أن يعظم بركة هذا الأمر على أمير المؤمنين وعلو الأئمة كافة .

قال : والمستعمل في هذا الوقت في مكتبة الوزير الإمام :

أطال الله بقاء أمير المؤمنين ! وأعزّه وأبدّه ، وأتم نعمته عليه ، وأدام كرامته له .
ثم قال : وربما استحصلت مكتبة المرءوس إلى الرئيس على غير ترتيب الكتاب .
كما كتب إبراهيم بن أبي يحيى إلى بعض الخلفاء يعزّيه :

أما بعد فإن أحق من عرف حق الله عليه فيما أخذ منه ، من عظم حق الله عليه فيما
أثبناه له ، وأعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون أعظم من النعمة عليهم فيما يعاقون فيه .

الطرف الخامس

(في المكتبات الصادرة إلى الخلفاء الفاطميين بالديار المصرية)

قد ذكر في "مواد البيان" أن المستعمل في دولتهم أن يقال بعد البسملة : أفضّل
صلوات الله وبركاته ، وأشرف رضوانه ونعماته ، على مولانا ومسيدينا الإمام الفلاّح
أمير المؤمنين ، وعلو آبابه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين - إن كان له أبناء - فإن لم

يكن له أبناء قبل مكان الأكرمين : المنتظرين . ثم يقال بعد قضاء واسع : كتب عبد الموفق النبويّ خلد الله ملكه ، من مقرّ خدمته بناحية كذا ، وأمر ما علق به وردّ إلى نظره منتظماً بسماعة مولانا أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى جته - والحمد لله رب العالمين ، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين وسلّم تسليماً . ثم يقال : العبد يُنبئ كذا وكذا ينص الأغراض التي بُني الكتابُ على إنهاؤها وشرّح حالها . قال : فإن كان الكتابُ مبدئاً على المطالعة ببعض الأخبار ، قيل في آخره بعد قضاء يسير : "أنهى العبد ذلك ليستقرّ عليه بالموقف الأشرف" إن شاء الله تعالى . وإن كانت مبدئاً على الاستمرار في بعض الأحوال ، قيل في هذا الموضع : "ومولانا أمير المؤمنين صلّى الله عليه والرأي العالي في ذلك" إن شاء الله تعالى .

وهذه نسخة كتاب من هذا النمط في جواب عن كتاب ورد من الخليفة بالسؤال عن المكتوب عنه في مرضه ، وهو :

صلوات الله الزاكية ، ونعمائه الدّكية النّازكية ، وسلامه الذي يتّزل على الروح بالروح ، ويؤذن من رضا الله بأشرف موهوب وأكرم ممنوح ، وبركاته التي فيها للمؤمنين سكن ، وبشفاعتها تتقبل أعمال المؤمن بقبول حسن - على إمام الحق المنظور المعنى من المنتظر ، وحمّة الله التي أرسلها نذيراً للبشر ، وخليفة الله الذي نزلت بدمه ممرّت ثلاث السّور ، قبل مرّبات السّير ، وبعثه الله بالنور الذي لا يمكّن الكافر من إطفائه ، وبرهان الله الذي لا يطعم الجاحد في إخفائه ، ونائب النبوة ووارثها ، ومحيي القلوب وباحيتها ، ومفيض أسرار الأنوار ونافيتها ، سيدنا ومولانا الإمام الفلاني : ولا زالت الأقدار له جنوداً وجنوداً ، والجديدان يسوقان إليه من أيامهما وليالهما إماماً وعبيداً ، وعلى آياته الذين سبقَتْ لهم من ربهم الحسنى ، ورضوا عن عَرْض هذا الأدنى ، ولا تتم ولا تُتم على الخليان ، ولا يتم للخلين أن ينفلوا ما لم يكونوا منهم

بِسُلْطَانٍ - وَعَلَى أُنْبَاءِهِ وَجْوهُ الْهَدْيِ الْبَارِزَةِ مِنَ الْأَكِنَّةِ ، وَأَيْدِي النَّدَى وَالْإِهْنَةِ
وَالْأَيْسَنَةِ .

كُتِبَ عَبْدُ الْمَوْكِبِ النَّبِيُّ خَلَّدَ اللَّهُ مَلَكُهُ مِنْ مَقَرِّ خِدْمَتِهِ بِالْمَكَانِ الْفَلَاني ؟
وَأُمُورٌ مَأْصِدٌ بِهِ وَرَدَّ إِلَى نَظَرِهِ عَلَى أَتَمِّ حَالٍ وَأَكْمَلِهِ ، وَأَحْسَنِ نِظَامٍ وَأَجْمَلِهِ ؛ بِسَعَادَةِ
مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى جَدِّهِ وَأَبَائِهِ الطَّاهِرِينَ . الْعَبْدُ يُنْهِي
أَنَّهُ لَوْ أَخَذَ فِي شُكْرِ الْمُنَى الَّتِي تُرْقِيهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ لِحُضَابِ بَعِيدَةِ الْمَوْتَى ، وَتَوَرَّدَهُ جَمَائِعُ
قَرِيَةِ الْمُسْتَقَى ، وَتَوَجَّهَ عَلَى لِسَانِهِ أَنْ يَبْثُلَ جُهْدٌ مِنْ أَسْتَقْسَلَ وَعَلَى قَلْبِهِ أَنْ يَبْثُلَ
جُهْدٌ مِنْ أَتَى ؛ لَقَصَّرَ بِهِ الْوَصْفُ ، وَأَعْيَاهُ مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ الْخَصْفُ ؛ وَكَيْفَ يُجَارَى
مِنْ يَدِهِ دَيْمَةُ اللَّهِ بِقَلْبِهِ ، أَوْ كَيْفَ يَتَرَجَّحَ بِمَحْرَجِ الْجُودِ الَّذِي يَمْتَدُّ سَبْعَةُ أَمْجَرٍ نَعْمَةٍ ،
وَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ التَّشْرِيفُ بِالسُّؤَالِ الَّذِي أَحْيَاهُ بِنَسِيمِ رَوْحِهِ ، وَفَضَحَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ؛
فَوَقَعَ لَهُ سَاجِدًا ، وَثَابَ إِلَى السَّجُودِ طَائِفًا ؛ وَبَذَلَ مَعَ ضَرَّاعَتِهِ الْإِبْتِهَالُ جَاهِدًا ،
وَأَخْلَصَ فَرَضَ الْوَلَاءِ مَعْقِدًا وَرَفَعَ لَوَاءَ الْحَمْدِ طَاقِدًا ؛ وَكَشَفَ عَنْهُ الضَّرَّ ، وَأُطْلِعَتْ
عَلَى وَجْهِهِ النَّعْمُ الْفَرَّ ، وَتَكَافَّتِ الْأَنْدَادُ فِي مَحَلِّ عَيْشِهِ لِحُلِيِّ الْحُلُومِ وَالْمُتَرِّ ؛ وَأَتَتْهُ
مِنَ الدَّعَوَاتِ إِلَى مَا أَتَتْهُ بِهِ الْمَرَضُ ، وَتَحَلَّلَ مِنْهُ الْجَوْهَرُ الَّذِي حُزِلَ بِهِ الْعَرَضُ ،
وَصَالَحَ بِمُجْهَتِهِ السَّمَاءُ الَّتِي تَقْدَحُ بِهَا الْغَرَضُ ؛ وَكَادَ يَشَاهِدُهُ مَرَضُهَا بِهِ الضُّعْفُ وَالْأَلَمُ ،
وَفَعَلَتْ أَنْوَارُهُ فِي ظُلُمَتِهِ مَا لَا تَفْعَلُ الْأَنْوَارُ فِي الظُّلَمِ ؛ وَلَمْ يَرِدْ قَبْلَهُ حُلُومُ الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ ،
مَأْمُونُ الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ ، مَضْمُونُ الشِّفَاءِ فِي الْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ ، عَادَتِ الْقُلُوبُ
عَلَى الْأَجْسَامِ بِفَضْلِهِ ، وَسَطَّتِ الْعَاقِبَةُ عَلَى الْأَسْقَامِ بِفَضْلِهِ بَلْ بِفَضْلِهِ ؛ وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ
يَمْلِكُهُ أَحْتَاكُ الْبِلَادِ ، كَمَا أَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَكُتِبَ
فِي يَوْمِ كُنَّا مِنْ شَهْرِ كُنَّا مِنْ سَنَةِ كُنَّا .

الطرف السادس

(في المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن في معانهم
إلى خلفاء بني أمية بالأندلس)

وكانت المكتبة إليهم بالافتتاح بالدعاء بطول البقاء، مع الإطناب في الإطراء
في شأن الخليفة ومذحه والثناء عليه والدعاء له ، والخطاب فيه للخليفة بأمر المؤمنين
منعوتاً بمولاي وسيدى ونحو ذلك ؛ والتعريض عن المكتوب عنه بلفظ الوحدة من ناء
التمك ونحوها . كما كتب أبو المطرف بن المنثى من إنشائه عن المنصور إلى هشام
أبن الحكم يخبره بمران الصلح بينه وبين الموفق ، بعد ما كان بينهما من عداوة :

أطال الله بقاء أمير المؤمنين ١ مولاي وسيدى وسيد العالمين ، وأبن الأئمة
الراشدين ؛ عزيزاً سلطانه ، مُتبراً زمانه ؛ سامية أعلامه ، ماضية أحكامه ؛ ظاهرها
على من نواه ، قاهرها لمن عاداه ؛ كما يحب . أيد الله أمير المؤمنين مولاي وسيدى
على أحسن ما يكون عليه .

العبد المخلص ، والمولى المتخصص ؛ الذى حسن مضمرة ، وأستوى سره
وجهره ؛ ولاح استبصاره وجته ، وتنامى سعيه وجهده ؛ فى مضمار الجرى إلى
الطاعة ، وبذل إذطائه وأتقياده ، وأستعبد إمكانه وإجهاده ؛ فيما يقى بحكمين الإمامة
المهديّة ، والخلافة المرثية ، ويشد مباني المملكة المصنقة ثبائير اليمن والبركة ؛
واقه سبحانه ولّى العون والتأييد ، والملى بالتوفيق والتسديد ، لأرب خير .

وبعد - أبقى الله أمير المؤمنين - فإن كفى إليه سلف مبريا عن التزعة التى كانت
بنى وبين الموفق بملوكه ، وقديما ترغ الشيطان بين المرء وصدقته ، والأخ وشقيقه ؛
وضرب ساعيا بالتثنية والتشبيب ، والتبديد والتقريب ؛ بين الأب الحاني الشفيق ،

والأخب البهر الرقيق ؛ ثم يعود ذؤوب البصائر والنهى ، وأولو الأحلام وإيجها ؛ إلى ما هو
للسخنة أذهب ، وبالتجامل أولى وأوجب . وكتابى هذا وقد نسخ الله بيننا آية
الافتراق ، بالاكتمال والافتاق ؛ وعاصمة التباين والخلاف ، وبدو التألف والإصاف ؛
وحدات النفوس إلى صفاتها ، وأطلوت على وفاتها ؛ وخبث نار الفتنة ، وأمتد رواق
المهذنة ؛ وثبتت الأسباب الراضحة ، والأواصر العاطفة بأزمة قلوبنا إلى معاهد الخلة
القديمة ، ومواطن العشرة الكريمة ، والمعروف من الامتراج في كل الأحوال والتشابك
وجلاء الشك باليقين ، وقرئت بالانتظام العيون ، وصرتنا في القيام بدعوة أمير المؤمنين
مولانا سيدنا رضى الله عنه ، وشريكى عنان ؛ وألفى تناصراً ، وحليفى تظافراً ؛ فنعن
عن قوم واحدة في نصرتها نرى ، ومن وراثتها نكود جاهدین ونهى ؛ قد فتننا الجياد
في السبق إلى الطاعة ، وأحرزنا قصب السبق في المظاهرة والمشايعة ؛ فما فتننا نسعى
في تمهيدها ونلعب ، ولا تنفك نكدح لها وتتصب ؛ والله الكفيل بالجمادنا بمرتته
وقدرته ، وحوله وقوته ؛ لا إله إلا هو .

وإن الذى عقده الله تعالى لنا ، وحسمه من دواعى القطيعة عنا ؛ ما أطلود وثاقى ،
وسنح وتبياً إلا بسعد طائر أمير المؤمنين سيدنا ومولانا أحره الله ، وبمين فقيته ،
فن تمسك برؤيته وماذ بعصمته ، فقد فاز قلدحه ، وتبلغ في ظلم الأمور صبحه ؛
وأستدل بأوضح الدليل ، وصرض بالرأى الأصيل ؛ وأستنار بأضواء سراج ، وسلك
على أقصده منهاج ؛ ولم يزأل الرشاد أراءه ، وصاحب السداد أئامه . والله تهنس أسمه
لا يزال يعزفنا من سعادة الدعوة الزكية ما يصلح به أحوالنا ، ويفسح به آجالنا ، بمنه .

ولما أتاح الله من السلم ما أتاحه ، وأزاح من المكروه ما أزاحه ؛ لم أجد في فُسحة
ولا غنى ولا سعة ؛ من إطلاع أمير المؤمنين مولانا وسيدى من ذلك على الجليله ،

وإعلامه بالصورة؛ فأنهضت إلى حضرته العلية ذا الوزارتين عبد الرحمن بن مطروح
رسولى وعبدى وخاصتى مملوكه لينهى إليه الحال على حقيقتها، ويوقئها بكائنها؛
وأقرئ به رسول الموقى، متحملاً مثل ما تحمله رسولى، ومتقلداً كالذى تقلده؛
ولأمير المؤمنين مولائى وسيدى الفضل العميم فى الإصغاء إليهما، والوعى عنهما،
والسماح لهما جميع ما يوردانه ويوصحانه، ويستوفيانه ويشرحانه، والتطول
بالمراجعة فيه، بما يستوجب ويقتضيه، واصلاً لعزيمته وأيديه؛ إن شاء الله تعالى.

الطرف السابع

(فى المكتبة الصادرة إلى خلفاء الموحدين بالمغرب، القائم بقاياهم الآن بتونس
وما معها من سائر بلاد أفريقية، وفيه ثلاثة أساليب)

الأسلوب الأول

(أن تفتح المكتبة بالدعاء، وهى على ضربين)

الضرب الأول

(أن تكون المكتبة من ملك آخر)

والرسم فيه أن تفتح بالدعاء المناسب للحال، ويعبر المكتوب عنه عن نفسه بنون
الجمع ويخاطب المكتوب إليه بأمر المؤمنين. كما كتب القاضي الفاضل عن السلطان
«صلاح الدين يوسف بن أيوب» إلى المنصور يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن:
أحد خلفائهم فى سنة خمس وثمانين وخمسمائة، يستحيش على الروم الفرج القاصدين
بلاد الشام والديار المصرية، وهو:

فتح الله بحضرة سيدنا أمير المؤمنين ، وسيد العالمين ، وقسم الدنيا والدين ؛
أبواب الميادين ، وأسباب المحاسن ؛ وأحلّه من كفايته في الحرم الآمن ، وأنجزه
من نُصرة الحق ما الله له ضامن ، وأصلح به كلّ رأى عليه الهوى رائى ؛ ومكّن له
في هذه البسيطة بسطة ، وزاده بالعلم غبطة ؛ حتى يكون للأنبياء بالعلم والأرض
بالعزم وإراثاً ، وحتى يُسَيّد بمجديّ قديما من مجده الذى لا يزال بنص الحديث حادثا .

كان من أوائل عزّمتنا وفواتح رأينا عند ورودنا الديار المصرية مقبلة دولة سيدنا ،
وأن نتيمن بمكاتبها ، ونقرّين بخطاباتها ؛ ونهض إليها أمائل الأصحاب ، ونستسقى
معرفة أسسها ؛ وننتجسها بالخواطر ونجعل الكتب رسائلها ، وأيدي الرسل
سبلها ؛ ونمسك طرفاً من حبل الجهاد يكون بيد حضرة سيدنا العالية طرفه ، ونمسح
غُرة سبقي وارثها وارث نورها سلفه ؛ ونجاذب أعداء الله من الجانحين ، لاسميا
بعد أن بُنينا عنه نيايتين في نوبتين : فالأولى تطهير الأرضين المصرية واليمنية من ضلالة
أغضت صيوان الأيام على قنأها ، وأنامت صيوان الأنام بائعة يقطتها بكرها ؛ ونياية
ثانية في تطهير بيت المقدس ممن كان يعارض برجسه تهديته ، ويروج بيناء ضلاله
تأسيسه ؛ وما كان إلا جنة إسلام فخرج منها الماسمون ثمروج أبيهم آدم من الجنة ،
وأعقبهم فيها إبليس الكفر ونا أجارته مما أعقبه اللعنة ، وما كانت لنا بذلك قوة
بل لله القوة ، ولا لنا على الخلق منة بل لله المنّة .

ولما حطّت لدين الكفر يميان ، وحطمت للنويه صلبان ؛ وأثرت النافوس
الأذنان ؛ ونسخ الإنجيل القراءان ؛ وقطعت الصخرة من أسرها ، وخفّ ما كان على
قلب الحجر الأسود بينة ما كان على ظهرها ؛ وذلك أن يد الكفر خطتها وغمرتها .
فله الحمد أن أحرم الصخرة بذلك البنيان المحيط ، وعلوها باطر من دم

الكُفْر وما كان يُطهرها البحر المحيط ؛ فهنا لك غلب الشرك وأقلب صاغرا ، واستجاش كافر من أهله كافرا ؛ واستغضب أنفاره النافره ، واستصرخ نصرايته المتناصرة ؛ وتظاهروا علينا وإن الله مولانا ، وطاروا إلينا زرافاتٍ ووحداً ، فلم يبق طائفة من طواغيمهم ، ولا أئمة من أئمة فيهم ؛ إلا ألجم وأسرج ، وأجلب وأرج ، ونرج وأخرج ، وجاد بنفسه أو بولده ، وبعده وبعده ؛ وبذات صدره وبذات يده ، وبكاتبه برآ ، وبمراكبه بحرا ؛ وبالأقوات تحيل والزجال ، والأسلحة والجئن لليمن والشمال ؛ وبالتقدين على اختلاف صنفيهما في الجمع ، وأتلاف وصنفيهما في النفع ؛ وأنقض أبطال الباطل ، من فارس وراجل ، ورايح وتايل ، وحاف وناعل ، ومواقف ومقائيل ؛ كل خرج متطوعا ، وأقطع مسيرما ، وأنى متبرعا ، ودما نفسه قبل أن يُستدعى ؛ وسعى إلى حثها قبل أن يُستسعى ؛ حتى غلننا [أث] في البحر طرقة يسا ، وحتى تيقنا أن ما وراء البحر قد خلا وصا ؛ وقلنا : كيف ترك ، وقد علم أنه يدرك ؛ وزادت هذه الحشود المتوافية ، وتجاقت عنها الهيم المتجافية ؛ وكثرت إلى أن خرجت من مجن حصرها ، ومستقر كفرها ، وبقية ثغرها - وهو صور - فتأزلت ثغرها عكا في أسطول ملك بخره ، وجمع سلك بره - فنهضنا إليه ، ونزلنا عليهم وعليه ؛ فضرب معنا مصابف قتل في قوسائه ، وجذلت شجائته ، وخذلت صلبانه ؛ وساوى الضرب بين حاسير القوم ودارعهم ، وبرز الذين كُتب عليهم القتل إلى مصابجهم ؛ فهناك لاذوا بالحنادق يمحرونها ، وإلى الستائر ينصبونها ؛ وأخذوا إلى الأرض متاقلين ، وحملوا أقصمهم على الموت متحاملين ، وظاهرُوا بين الحنادق ، وراوخوا بين الحبايق ؛ وكسب يمين القتل من مددهم مائة أو صلبها البحر من يصل وراعه بألف ، وكثما قلاوا في أيلنا في زحف ، قد كثروا فيما يليه من الزحف ؛ ولو أن دُرْبَة عساكرنا في البحر

كدرتها في البر، لعل الله منهم الاكتشاف واستقل واحدنا بالعشرة ومائتنا بالآلف ؛
وقد أشتهر خروج ملوك الكفار في الجمع الجلم، والعدد اللخم، كأنهم إلى نصيب يؤفون،
وعلى نار يرضون، ووصولهم على جهة القسطنطينية. يسر الله فتحها. على عزيم الاتهام
إلى الشام في منسلخ الشتاء ومستهل الصيف، والساكر الإسلامية لم تستقل،
والى حريم تنقل ؛ فلا يؤمن على قنور المسامين أن يتطرق العدو إليهم واليها،
ويفرغ لها ويتسلط عليها ؛ والله من ورائهم محيط . وإنما قُسمت القوة على ثلثي
القادح وتوفي المقيم، قريبا أضر بالإسلام أقسامها، وتلته والباذ بالله انقلاها .

ولما غص النظر زبد، وأعطى الرأي حقيقة ما عنده ؛ لم تزل مكاترة البحر إلا
بحرا من أساطيله المنصورة فإن عددها واف، وشطرها كاف ؛ ويمكنه - أدام الله
تمكينه - أن يمتد الشام منه بمد كفيف، وحد رهيف، ويهد إلى واليه أن يقيم
لأن أن يرتفع ويصيف ؛ ويمكنه أن يكف شطرا لأنبطول طاغية صقيلة ليحصى
جناح قلوبه أن تغلر، ويقل حباب بحره أن يغير، ويستقله في جزيرته، ويحمر
إليه قبل جريته ؛ فيذهب سيدنا وعقبه بشرف ذكر لا ترد به الحامد على عقبها،
ويقيم على الكفر قيامة يطليح بها شمس النصر من مغربها ؛ فإذا نفذ طريقه وعلم
الناس بموفده، أوردوا وأصدروا في موره ؛ ونخص المسلم والكافر : هذا ينتظر
بشرى الدمار، وهذا يستطليح لمن تكون عقي النار ؛ وخاف وطأة من يصل
من رجال الماء من وصل من رجال النار . ولو برقت عليهم بازقة غريبة لأغرقهم
طوفانها، ولو طلعت عليهم جارية بحرية لتعقت فيهم بالشتات غير بانها .

وما رأينا أهلا لهذه العزة إلا حضرة سيدنا أدام الله صدق محبة الخير فيه ؛
إذ كان منحه عادة في الرضى به وقدرته على الإجابة، ورغبة في الإجابة ؛ ولاية لأمر

(١) كذا في الأصول ولم نشرطها في رسائل القاضي القاضل .

المسلمين ، ورياسة للدنيا والدين ، وقيامًا لسلطان التوحيد القائم بالموحدين ؛ وعَضْبًا لله ولدينه ، وبَدَلًا لَمُشْخَرِهِ في الذَّبِّ عنه دون ما عوده ؛ والآنَ قد خَلَا الإسلامُ بِلَاكِهِ ، لما خَلَا الكُفْرُ بِشِيعَتِهِ ؛ وما أَجَلَتِ السَّوَابِقُ إِلَّا لِإِطْلَاقِهَا ، وَلَا أَثَلَتِ الذِّخَائِرُ إِلَّا لِإِنْفَاقِهَا ؛ وقد آسْتَشَرَفَ المسلمون طُلُوعَهَا من جِهَةِ المَحْرُوسَةِ جَارًا من الْأَسَاطِيلِ تَغْنِي الْبِيعَارَ ، وَلِيَالِي من المَرَاكِبِ تَرْكِبُ من الْبَحْرِ الثَّهَارِ ؛ وَإِذَا خَفَقَتْ قُلُوعُهَا خَفَقَتْ لِلْقِلَاعِ قُلُوبُ ، وَإِذَا تَجَافَتْ جُنُوبُهَا عَنِ الْمَوْجِ تَجَافَتْ من المَلَامِينَ جُنُوبُ ؛ فَهِيَ بَيْنَ تَغْرِ كُفْرٍ تَتَقَلَّبُهُ وَتُحْصِرُهُ ، وَبَيْنَ تَغْرِ إِسْلَامٍ تُفْرَجُ عَنْهُ وَتُشْصِرُهُ ، يَكُونُ بِهَا مَصَائِبُ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ (٩) . وَتَقْلُ فَلَائِدُ الْمُشْرِكِينَ لِفِرْيَانِ بَحْرِهِ طَوَائِدُ ، وَبِمَضَى سَيْفِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُتُّ فِي كُلِّ زَمَانٍ فَيَعْلَمُ مَعَهُ أَنَّ سَيْفَ اللَّهِ خَالِدٌ ؛ أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ بِمَا يَزِيدُ حَضْرَةَ سَيِّدِنَا مِنْ حِرْزِهَا ، فَيَا مَدَّةَ طَلِيهَا مِنْ ظِلِّهَا ، وَبِمَا يُسَكِّنُهُ مِنْ حِرْزِهَا ، فَيَا تَسْطُرَ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِهَا مِنْ بَاسِهَا وَيُزِيلُ بِهِمْ مِنْ رِجْزِهَا ، وَبِمَا يَمُرِّدُهُ مِنْ مَيُوفِهَا الَّتِي تَقْطَعُ فِي الْكُفْرِ قَبْلَ سَلِّهَا وَهَزْهَا .

وقد أَوْفَدْنَاهُ عَلَى بَابِ حَضْرَةِ سَيِّدِنَا ، وَهُوَ النَّاعِي الْمُسْمِعُ ، وَالْمُبَلِّغُ الْمُقْنِعُ ، وَالْمُجْمَعُ الْمُسْتَجْمَعُ ؛ عَلَمَانَهُ أَمْرًا إِسْرًا ، وَبَوَانَاهُ الصَّبْرَ فَكَانَ وَجْهًا ، وَأَوْدَعْنَاهُ السَّرَّ فَكَانَ صَدْرًا .

الضرب الثاني

(أَنْ تَكُونَ الْمَكْتَبَةُ صَادِرَةً عَنْ بَعْضِ الْأَجْبَاعِ)

وَالرَّمَمُ فِيهِ أَنْ تُنْتَحَ الْمَكْتَبَةُ بِالْعَدَاءِ بِطُولِ الْبَقَاءِ ، مِثْلَ أَنْ يَكْتُبَ أَحَدُ أَتْبَاعِهِ إِلَيْهِ ؛ وَيَهْبِزُ الْمَكْتُوبُ عَنْهُ عَنْ تَحْسَةِ بِلَقْظِ الْإِفْرَادِ ، وَعَنِ الْخَلِيفَةِ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . كَمَا كَتَبَ أَبُو الْيَمِينِ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ دَوْلَتِهِمْ إِلَى بَعْضِ خُلَفَائِهِمْ جَوَابَ كِتَابٍ وَرَدَ بِالْكَشْفِ عَنْ حَامِلِ تَغْرِ شُقُورَةٍ .

« أطلال الله بقاء أمير المؤمنين ، وناصر الدين والدنيا بفضله العليم ؛ ولا يرحل مصالح العباد بباله الكريم جائلة مائله ؛ وسيرته الحميدة لدانهم وقاصيهم شاملة كافلة ، ولا زال الله في أرضه بالقسط قائما ، وعلى ما ينفع الناس عافيا دائما .
كتبته - أيد الله أمره ! - صلب جمادى الأولى ، سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، بعد امتثال ما حذره ، والالتناء إلى ما وجب الانتهاء عنه ؛ من أمر نشر شقورة حرسه الله !
على ما أنص متأفله ، وأعرض مرآيته ومتنازله ؛ وذلك أن كتابه العزيز وإفاني على يد رجل من أهلها فيه فصول رفعها ، وأحاديث سطرها وجمعها ، وأندرج الكتاب المرفوع بذلك طيه ، لينظر إليه من أدعى عليهم رفعه ، ويستبين حقيقته أو وضعه ؛
وبإبطاء هذا الرفع سبقته الأنباء ، واستقرت عند جمعها الأقراض والألحاح ؛ فأجتمعا إلى عاملهم فلان وقعه الله ، وحضرهم حاكم الجهة أبقاه الله ؛ وتبعوا تلك الوجوه بالرد لها ، والإلتكار على القائم بها ؛ وعقد وافى كل عقد منها عقدا يناقضه ،
وأستظفروا بشهادات تنافيه وتعارضه ؛ وأندرجت العقود ، ثابتة في كتاب الحاكم على السبيل الممهود في إثبات العقود ؛ فثبتت عندى لثبوتها عنده ، وخاطبوني مع ذلك متبرين من هذا الرفع ، واضعين له في عقله ودينه بأسط الموضح ؛ وصرخوا بأرتضائهم بسيرة عاملهم وأختباطهم بجمائته وسداد نظره ، وعلى ثقة ذلك وصل هذا الرفع بالكتاب العزيز وما أندرج طيه على ما قلنت ذكره ؛ فاستأنفت النظر ، وأصنت العمل ، وخاطبت الحاكم والأعيان والكافة هنالك بما ورد في أمرهم ؛ وأردفت الكتاب المرفوع ليقفوا على نصبه ، وينظروا إلى شخصه ؛ فراجعوني أنه لا يريد عندهم نظي ما قدموه ، ولا خلاف فيما نقلوه وأحكموه ، وأحالوا على ما شئت به العقود ،
وهي من الناس المقاطع والحُدود ؛ فأنقض النظر أعلام أمير المؤمنين وناصر الدين أطل الله أمره . حسب ما حذره ، بما وقست عليه الحساب ، ليرتفع الإشكال ،

ولا يتعلق بهذه الجيبة البال ؛ وقد أدرجت إلى حضرته السامية الكتب المذكورة
لترص عليها ، وتستقر الجيبة منها لديها ؛ إن شاء الله .

وأندرجت العقود إلى الفقيه فلان قاضي الحضرة وفقه الله ، والله يشكر لأمر المؤمنين
وناصر الدين تحريره وأجهاده ، وتوفيقه وسناده ؛ ويؤالي من والاه ، ويكيد
من عاداه . ولو كانت الحال بشقوة على ماضوره هذا الراجح لما أظنوت عن أسرارها ،
ولا [خفيت على] ^(١) على البعد أخبارها ؛ وسنوف إلى فلانة ^(١) ، وهو مفسر متدين ،
وعضده على ما هو بسيله في ذلك الثغر متعين ؛ والله ييسر الجميع إلى ما يقضى
حقوق النعمه ، ويقيم فروض الخدمه ؛ بعونه وقدرته ! .

الأمسلوب الثاني

(أن تفتح المكتبة بالقاب الخليفة نفسه ثم يؤتى بالمصدر معبرا عن المكتوب
عنه بالمبد . ومخاطبا لخليفة بيم الجمع للتعظيم ، ويتم الكتاب
بالسلام . وهو على ضربين)

الضرب الأول

(أن يوصف الخليفة بالمقام .)

كما كتب أبو الميمون أيضا عن بعض أهل دولتهم إلى الناصر لدين الله أحد
خلفائهم :

المقام الأعلى ، المقدس ، المكرم ، الإمامي ، الطاهر ، الزكي ، مقام الخليفة
المؤيد بنصر الله ، الإمام « الناصر لدين الله » كلاً الله جلّالهم ، وفيّاً لظلالهم ، وبوراً
وقود السعود ووجود الظهور والصعود مواطئهم المقلسة وسلاهم .

(١) كتاب في الأجرول وعليه علامة توقف ولعله تمتع بال غلاة الخ والمراد براهه فما نسب إليه .

عندهم المتقلب في نعمتهم ، المتقرب إلى الله عز وجل بالمناجحة في خلستهم ،
المتسبب إلى الزلزال عندهم بالترام طاعتهم ، والاعتصام بخصبتهم ، فلان .

كتب عبدُ المقام الأعلى ، والندى الذى أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
وأحتوى على الفضائل وأسئلى ، من موضع كذا حماه الله تعالى ؛ وجنانه لطاعتكم
قُطِب ، ولسانه بشكر نعمتكم رطب ؛ فبتلك ربياء القوز ، وبها ابتغاء نيل الآمال
والخوز ؛ وكيف لا يطاوعه الحنان ، وشكر اللسان مستعد لإدراك الإحسان ؛ والمقام
الأسنى عوارف ، لا يتلصظ ظلها الوارف ، وقطرات بالرحمة مسطراتٌ يمددوا بها
الواكف ؛ وقد كانت للعبد سهام ، فاضت طيه بها من النعمة رهام ؛ ثم جَزَّ المساء
باسترجاعها الآن ، ويُقى العبدُ باقتراعها كأس الحزن ملأت ؛ وردت لك بهذه
الجهة أقطاع المواساة ، وأمتناع الألسن بالمكابدة لشغلف العيش والمقاساة ؛
وإلى المقام الأعلى الأسنى فززع حين فززع ، ونذهب حين نرجو وزهب ، ونلجا
فلا تفرح طلبائنا ولا ترحبا ، وخدمة العبد هذه توبُّ عنه في تهليل ذلك المقام الأسنى ،
والتعريض لما عهد لديه من فضلات الرضى ، والتضرع فى إدار ما جَزَّ من تلك
المنة ، وقبض من قبض تلك النعمى ؛ ويُنهى من رغبته فى بركة تلك الأدعية ،
التي هى تحيرات كالأوصية ؛ ما يرجوه بشفاعته تأكد الامتنان ، ويجرد عوارف الرأفة
والحنان ؛ إن شاء الله تعالى .

والرب تعالى سقى المقام الأعلى والتصرُّله مظاهر ، والخليرُ لديه متظاهر ،
والسمدُ لوليِّه ناصر ، ولعمدته قاهر ، بحول الله تعالى وقوته لا ربَّ غيره ، ولا خير
إلا خيره ، والسلام .

الضرب الثاني

(أن يعبر عن الخليفة بالحضرة)

كما كتب أبوالمطرف بن عميرة عن صاحب أرغون من الأندلس إلى المستنصر بالله أحد خلفائهم ، يستأذنه في وقادة صاحب أرغون من الأندلس أيضا على أبواب الخلافة مغاضبا لأهل مملكته :

الحضرة الإمامية المنصورة الأعلام ، الناصرة للإسلام ، المخصوصة من العدل والإحسان بما يحلو نوره مزامم الإظلام ؛ حضرة سيدنا ومولانا الخليفة الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين ، أبي يعقوب آبن سادتنا الخلفاء الراشدين ؛ وصل الله لما إسماعد القدر ، وإنجاد النصر والظفر ؛ ولا زال مقامها الأعلى سائر النظر ، مبارك الورد والصدور ؛ وفيض منه الجود ، فيض المطر ، ويحيط به السعود ، إحاطة الهالة بالقمر .

نشأة أيامها الغز ، ورقي إسمائها المواظب على الحمد والشكر ، المشرف باستخدامها الذي هو نعم العون على التقوى والبر ، عبدا وآبن عبدا فلان .

سلام الله الطيب المبارك وتحياته ، فنص المقام الأشرف الأعلى ورحمة الله وبركاته . وبعد فكتب العبد - كتب الله المقام الأعلى قوتها يوم جميع الأمصار ، وسعدا يقضى بقل الشعر الطوال والبيض القصار - من بليسية ، وبركاته تظهر ظهور النهار ، وتفيض على البلاد والعباد فيض الأنهار ، فالخلق من واري في سلسالها المعين ، ورايح الذي منها وهو من رجائه على أوضح مراتب اليقين ؛ والله يقي عز الإسلام ببقائه ، ويعيننا على امتثال أوامره المباركة معشر عبيده وأرقائه ! بمنه .

(١١)
وقد تقرر له من المقام الكريم - أدام الله طوّه ، وكَبَتَ عدوه ، أمر بالسك -
وطال ماله في البلاد الأرغونية من زَعَامَةٍ في شَأوِها برز ، ولغَايَها أحرز ؛ وكان
قد كَفَلَ صاحب أرغون في الزمان المتقدّم كِفَالَةً دار أمرها عليه ، وأُلْقِيَ زَمَانُهَا
إليه ؛ وتقرّد منها حبسه وحمله ، وخُطِلَ بلغ منها أَمَلُهُ ؛ ثم إنه حطّ من رُتْبَتِهِ ،
وتأكّدتِ المبالغة في نُكْبَتِهِ ؛ لقضية عرَضَتْ له مع أهل أرغون ، فلغَطَتْه تلك
الجنّات ، وأزعجه أمرٌ لم يمكنه عليه الثّبات ؛ ورأى أن يلجأ بجماله إلى المقام الباهر
الأنوار ، العزيز الحوَارِ ؛ فواصل هذا الموضع قبل مقدّم العبد عليه ، مقرراً ما نزل به ،
ومستأذناً في الوجه الذي ترض لطلبه ؛ فأذِنَ له في مقصده ، وأنصَرَفَ عن التّأهّب
للحركة من بلده ؛ ثم لما وصل العبد هذه الجهة وفرغ هو من شأنه أقبل متوجّها إلى
الباب الكريم ، ومتوسّلاً بأمله إلى فضل الميم ؛ والظاهر من حَقِّقه على أهل أرغون
وشدة عداوته لهم ، وما تأكّد من القطعية بينه وبينهم ؛ أنه إن صادف وقت فتنة
معهم ووجد ما يؤمّله من إحسان الأمر العالي أيّده الله فيلتبس من نكائبتهم والإضرار
بهم إلى غاية غريبة الآثار ، مُقْضِيَةً به إلى ذلك الشر ؛ وكثيرٌ من زعماء أرغون
ورجالها أقاربُه وقُرَّبانُه ، وكلُّهم في حَبْلِهِ حاطب ، ولإيجاده متى أمكنه خاطب ؛
ولقّام الكريم أصلُ الرأى فيه أجاءه الله شافياً للعَلَل ؛ وكافياً طوارق الخطب الجَلَل ،
مأمولاً من ضروب الأمم وأصناف المَلَل ، وهو سبحانه يُدِيمُ سعادته جَدّه ، ويُنصِّبُه
من البقاء الذي يَسُرُّ أهل الإيمان ويَضَاعِفُ بهجة الزمان بأطوله وأمدّه ،
والسلام .

الأسلوب الثالث

(أن تُفتَح المكتبةُ بأوصاف الخلافة والتناء عليها، والخطابُ فيه بأمير المؤمنين
وعن المكتوب عنه بنون الجمع)

وهذه المكتبة من المكتبات البديعة المُسَفَّرة عن صُبح البلاغة .

ونسختها بعد البسملة على ما كتب به ابن الخطيب عن ملاحظه ابن الأحمر
صاحب الأندلس إلى المستنصر بالله أبي إسحاق إبراهيم خليفة الموحدين يومئذ
بالأندلس . والاستفتاح :

الخلافة التي ارتفع عن عقائد فضيلها الأصيل القواعد الخلاف ، واستقلت مباني
نفرها الشائع وعزها الدائم على ما أسسه الأسلاف ؛ ووجب لحقها الجازم وفرضها
اللازم الاعتراف ؛ ووسعت الآملين لها الجوانب الرحبة والأخلاف ، فامتزجت بملامها
الذئب ، وولآتها الشريف ، كما أمتزج الماء والسلاف ؛ وثأؤنا على مجدها الكريم ،
وفضيلها العيم ، كما تأرجت الرياض الأقواف [لما زارها الغمام الوكاف] ^(١) ودعاؤنا بطول
بقائها ، وأتصال علاحها ، يسمو به إلى قرع أبواب السموات العلل الاستشراق ؛
وحرصنا على توفية حقوقها العظيمة ، وفواضيلها العيمية ، لانهصر الحدود ولا تُذكره
الأوصاف ؛ وإن عُد في التقصير ، عن نبيل ذلك المرام الكبير ، الحق والإنصاف . خلافة
وجهة تعظيمنا إذا توجهت الوجوه ، ومن قُورّه إذا همّت ما زرجوه ، ونُقدّيه وُبُدّيه
إذا استمنح المحبوب واستدفع المكروه ؛ السلطان [الخليفة] ^(١) الجليل ، الكبير ، الشهير ،
الامام ، المهام ، الأعلى ، الأوحّد ، الأصمّد ، الأسعد ، الأسمى ، الأعدل ، الأفضل ،
الأسنى ، الأطهر ، الأظهر ، الأَرْضى ، الأحفل ، الأكل ، أمير المؤمنين أبي إسحاق

(١) الزيادة من مخاب "ريحانة الكتاب" المخطوط المحفوظ بدار الكتب الخديوية تحت نمرة ٤
أدب ش .

آبن الخليفة الإمام البطل الهام، عين الأعيان، وواحد الزمان، الكبير، الشهير،
الظاهر، الظاهر، الأوسد، الأعلى، الحبيب، الأصيل، الأسمى، العادل،
الحافل، الفاضل، المعظم، الموقر، الماجد، الكامل، الأرضي، المقدس، أمير المؤمنين
أبي يحيى أبي بكر، آبن السلطان الكبير، الجليل، الرفيع، المسجد، الظاهر، الطاهر،
المعظم، الموقر، الأسمى، المقدس، المرحوم أبي زكريا، آبن الخليفة الإمام، المجاهد الهام
[الكبير الشهير، الخليل، بطل الميدان، مَفَخَر الزمان، الطاهر الظاهر، الأسمى المقدس
الأرضي أمير المؤمنين أبي إسحاق آبن الخليفة^(١)] الهام الامام ذى الشهرة الجاهية، والمقاسير
الواضحة، عَلم الأعلام، نحر السيف والأفلام، المعظم، المجد، المقدس، الأرضي،
أمير المؤمنين، المستنصر بالله أبي جده الله بن أبي زكريا آبن عبد الواحد بن أبي حفص
أبقاه الله. ومقامه مقام إبراهيم رزقا وأمانا، لا ينحس جلب الثمرات إليه وقتنا ولا يمين
زمانا، وكان على من يتخلف الناس من حوله مؤيدا بالله معانا. معظم قدره العالى
على الأقدار، ومقابل داعى حقه بالابتدار، المثني على مآليه المخلدة الآثار،
في أصونية النظام والنثار، ثناء الروضة المعطار على الأمطار، الداعي إلى الله بطول
بقائه في عصمة منسيلة الأستار، وعزرة ثابتة المراكز مستقيمة المدار، وأن يتم له
بعد بلوغ غايات الأجل ونهايات الأعمار، بالزلفى وعقوى الدار.

سلام كريم كما حلت نسبات الأصهار، أحاديث الأزهار، وروى ثغور الأملح
والبحار، من مسلات الأنهار، ويحلى على منصة الأشتار، وجه صروس النهار،
[ينحس خلافتكم الكريمة النجار^(١)] الزيرة الجار، ورحمة الله وبركاته.

أما بعد حمد الله الذى أخفى حكمته البالغة عن أنعمان البشر، فصجرت عن قياسها،
وجعل الأرواح كما ورد في الخبر، أجنادا مجتدة تين إلى أجناسها. مُجَدِّ هذه

الملة ، من أولياته الحلة ، بمن يروى الآمال بعد شماسها ، ويُمرّ الأغراض قبل
الشماسها ، ومعنى تجليد المودات في ذاته وانتفاء مرضاته على حين إخلق ليأسها ،
المليك الحق وأصل الأسباب بخوله بعد انتكاث أمراسها ، ومغنى النفوس بطوله
بعد إفلاسها - نَحْمَدُ يَدَ أَخْلَافِ النَّعْمِ بعد إنسانها ، ويُشْرِىمُ الآمال من أرامها ،
وَيُقَدِّسُ النفوس بصفات ملائكة السموات بعد إبلاها .

والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسول الهديّة ونيراسها ، عند
اقتناء الأنوار واقتباسها ، مطهر الأرض من أوضارها وأدناسها ، ومُصْطَفَى الله من
بن ناسها ، ومسجد الرُسل الكرام ما بين شينها وإلياسها ، الآتي مُهَيِّئًا على آثارها
في حين قترتها ، ومن بعد فخرتها وأستئناسها ، مُرْغِمُ الضراغم في أخياسها ، بعد أقرارها
وأقرارها ، ومعقر أجرام الأصنام ومُصَيِّت أجرامها .

والرضا عن آله وأصحابه وصقته وأحزابه حُماة شرعته البيضاء وحُرامها ، ومُغْنِي
غيراسها ، لِيُوثِقَ الوضى عند احتلام مَرَّاسها ، ورُغْبَانِ الرِجاء تشكُّلًا بمنجاة السميع
العليم ، في وَحْشة الليل البهيم ، بإيناسها ، وتَفَاحِ قَوَائِمِ الْأَحْصَارِ عند الاستغفار
بِطِبِّ أَنْفَاسِهَا .

والدهاء لِمَلَايِكَةِ الْعِلْمِ المستنصرية بالسعادة التي تَسْتَعِشُّ أَيْدَى الْعِزَّةِ الْقَسَاءِ من
أكوابها ، ولا زالت الْعِصْمَةُ الْإِلَهِيَّةُ كَفِيلَةً بِاحْتِرَامِهَا وَأَحْتِرَامِهَا ، وأنباء الفتوح ،
المؤيدة بالملائكة والروح ، رِيحَانُ جُلَّاسِهَا ، وآيَاتُ الْمَفَانِيرِ التي ترك الأهل للاتباع
مكتبة الأساطار بأطراسها ، وميادين الوجود مجالًا لجياد جُودِهَا وبِاسِهَا ، والعز
والعدل منسوين لِقُسْطِهَا وَقُسْطِهَا ، وَصَفِيحَةُ النَّصْرِ العزِيزِ مُخَيِّضُ كَفِّهَا
المؤيدة بآفه على رياسها ، عند احتياج أضدادها وشرّة إنكاسها ، لكتماب السلاط
وأتماسها ، وهبوب رياح رياحها وتمرد مرءاسها :

فإنا كتبناه إليكم - كتب الله لكم من كتاب نصره أمداداً تليقُ أعضاء الأنام ،
لطاعة ملككم المنصور الأعلام ، عند إحصائها ، وآتاكم من آيات العناية آية
تضرب الصخرة السماء بمن عصاها بمصاها فتبادر بانجاسها - من حراء غرناطة -
حرمها الله - وأيام الإسلام ، بعناية الملك العلام ، تحتفل وفود الملائكة الكرام
لولايمها وأعراسها ، وطواعين العلماء ، في علق الدين المعان ، تجتدها
بإمام غمواصها .

والحمد لله حمداً يعيد شوارذ النعم ، ويستلذ مواهب الجود والكرم ، ويؤمن من
استجاب الجود وانكاسها ، وللى الآمال ومكاسها . وخلائكم هي المتابعة التي
يزعم الوجود بحاسن مجدها زهو الرياض يوردها وآسها ، وتستمد أضواء الفضائل من
مقباسها ، وتروى روضة الإفادة والإجادة غريب الوجدان عن محاسنها وعباسها ،
وللى هذا أعل الله معارج قدركم وقد قل ، وأطلق بجمع نفركم من أحصى وأتعل ؛
فإنه وصلنا كتابكم الذي حسبناه على صنائع الله لنا تيممة لا تقف بعدها عين ، وجعلناه
على حلل مواهبه قلادة لا يحتاج معها زين ، ودعوانه من جيب الكتابة آية ببضاء الكتابة
لم يبق معها شك ولا مئين ، وقرأنا منه وثيقة ود هضم فيها عن غريم الزمان دين ؛
ورأينا منه إنشاء ، ختم البراء بين يديه وشاء ، وأخترع بهيمان عقدته مشاء ، وسئل
عن معانيه الاختراع فقال : إنا أنشأنا من إنشاء ؛ فأهلا به من عربى أنى يصف
السامع وألهاه^(١) ، ويبين فيحسن الإبانة أدنى الأمانه ، وسئل عن حبه فأتى إلى مكانه ؛
وأفصح وهو لا يتيسر ، وتهللت قسماته وليل حبه ينهس ؛ وكان خاتمه المغفل على
صوانه ، المصحف بياكر الورد في غير أوانه ، رصف من مسك عنوانه . والله من قلم

(١) ضب طيه في الأصول بلامه الحرف ولم نهد الى تحفيقه .

دَبَّحَ تِلْكَ الْحُلَّالَ ، وَتَقَعَ يَحْتَاجُ الدَّوَاءَ الْمُسْتَمْتَعَةَ مِنْ عَيْنِ الْحَيَاةِ الْغُلَّالَ ؛ فَتَقَدَّ تَحَارَقَ
فِي الْجُودِ ، مُتَقَدِّمًا بِالْخِلَافَةِ الَّتِي خُلِدَ نَفْسُهَا فِي الْوُجُودِ ؛ فَخَادَ بَاسِرَ الْيَتَانِ وَكُبَابَهُ ،
وَتَمَحَّحَ فِي سَبِيلِ الْكَرَمِ حَتَّى بَمَاءِ شَبَابِهِ ؛ وَبَجَعَ لِفَرْطِ بَشَاشَتِهِ وَقَهَامَتِهِ ، بَعْدَ شَهَادَةِ
السَّيْفِ بِشَهَامَتِهِ ، فَتَنَى مِنْ التَّرْجِيبِ فِي الطَّرْسِ الرَّحِيبِ عَلَى أُمِّ هَامَتِهِ .

وَأَكْرَمَ بِهِ مِنْ حَكِيمٍ أَفْصَحَ بِمَلُؤُزِ الْإِكْسِيرِ ، فِي الْفَلَفِظِ الْيَسِيرِ ، وَضَرَحَ بِلِسَانِ
الْخَبِيرِ ، مَرَّ صِنَاعَةِ التَّدِيرِ ؛ كَأَنَّمَا خَدَمَ الْمَلَكَةَ السَّاحِرَةَ بِتِلْكَ الْبِلَادِ ، قَبْلَ أَشْتَجَارِ
الْخِلَادِ ، فَاتَمَرَّتْهُ بِالطَّارِفِ مِنْ مَحْرُهَا وَالتَّلَادِ ؛ أَوْ مَرَّ بِالْمَلَقَةِ ، وَتِيكَ الْقَدِيمَةِ الْمَطْلَقَةِ ؛
بَذَنِيَّةِ دَارِ ، أَوْ كَرَزَتْ حِجَارِ ، أَوْ ظَفِرَ لِبَانِ الْحَنَاءِ ، قَبْلَ أَنْ تَقَطَعَ بِهِ عَنْ أَمَانِيَةِ
الْمَتَايَا ، بِبِدِيَّةِ ، أَوْ خَلَفَ جَرِيدَ الرُّومِ ، قَبْلَ مَنْازِلَةِ الْقُدُومِ ، عَلَى وَدِيْعِهِ ؛ أَوْ أَسْهَمَهُ
أَبْنُ أَبِي سَرِجٍ ، فِي نَسَبِ الْفَتَحِ وَنَسْرِجِ ؛ أَوْ حَسَمَ لَهُ رُوحَ بَنِ حَاتِمٍ بِبُلُوغِ الْمَطْلَبِ ،
أَوْ عَظَبَ الْخَطُوطِ بِخِصْمَةِ آلِ الْأَعْلَبِ ؛ أَوْ خَصَمَهُ زَيْدَةُ اللَّهِ بِمَزِيدِ ، أَوْ شَارَكَ الشَّيْعَةَ
فِي أَمْرِ ابْنِ أَبِي يَزِيدَ ؛ أَوْ سَارَ عَلَى مِنْهَاجِ ، فِي مُنَاصَحَةِ بَنِي صِنْهَاجِ ، وَفَضَّحَ بِمُخْلِدِ
أَمْدَاحِهِمْ كُلِّ هَاجِ .

وَأَعْجَبَ بِهِ ! وَقَدْ عَزَزَ زَمَنُهُ مَثْنَى الْيَانِ بِثَالِثِ ، بِجَلْبِ بَحْرِ الْأَسْمَاعِ ، وَأَسْتَرْفَاقِ الطَّبَاعِ
بَيْنَ مَثْنَى الْإِبْدَاعِ وَمَثَالِ . كَيْفَ اقْتَدَرَ عَلَى هَذَا الْمُجِيدِ ، وَنَاصَحَ مَعَ التَّثْلِيثِ مَقَامَ
التَّوْحِيدِ ؛ نَسْتَفِرُّ اللَّهَ وَلِيَّ الْعَوْنِ ، عَلَى الصِّمْتِ وَالصُّوْنِ ، فَالْقَلَمِ هُوَ الْمَوْحَدُ قَبْلَ
الْكُؤُنِ ، وَالْمُتَصِفُ مِنْ صِفَاتِ السَّادَةِ ، أَوْلَى الْعِبَادَةِ ، بِضُمُورِ الْجِسْمِ وَصُفْرَةِ
الْوَلَوْنِ ؛ إِنَّمَا هِيَ كَرَامَةُ فَأَرْوَقِيهِ ، وَأَعَارَةُ مِنْ حَدِيثِ سَارِيَّةَ وَبَقِيَّةِ ؛ سَفَرُ وَجْهِهَا
فِي الْأَعْقَابِ ، بَعْدَ طَوْلِ الْإِتْقَابِ ، وَتَدَاوُلِ الْأَحْقَابِ ، وَلِسَانُ مُنَابِ ، عَنْ كَرِيمِ
جَنَابِ ؛ وَإِصَابَةُ الْمَنَّمِ لِسِوَاهُ مَحْسُوبُهُ ، وَلِإِلَى الرَّأْيِ الَّذِي سَبَدَهُ بِمَقْسُوبِهِ ؛ وَلَا يُشْكِرُ

على الغلام بارقة، ولا على المحققين بمقام التوحيد كرامة خارقه، فاشاهه الفضل من غرائب برّ وجهه، وعاريف خلق كريم ركن الشكر فيها وتجدد حديقه بيان استنارت نوايسم الإبداع من مهبطها، واستارت غمائم الطباع من مصبها، فانت أكلها مرتين بإذن ربها؛ لا، بل كتيبة عز طاعنت بقنا الألفات سطورها، فلا يرومها النقد ولا يعطورها، وتزعّت عن قمى الثنونات خطوطها، وأصططت من بياض الطرمس وسواد النفس بلى نحوطها.

فما كاش المدير، على القدير، بين الخورق والسدير؛ ثمائم برد الحباب، عقول ذوى الأسباب، وتفرق كسرى في العباب، وتهدى وهى الشمطاه نشاط الشباب؛ وقد أخرج ابن سريج وأبلم، وأفصح الغريص بعد ما جمعهم، وأعرب الناصي الاتحيم، ووقع معبد بالفضيب، وشرعت في حساب العقد بأن الكف الخصب، وكان الأنايل فوق مثالي العود ومثانيه، وعند اغراء القيل ثنانيه، واجابة صدى الفناء بين معانيه، والمراد تشرح في الوثى، أوالعناكب تشرح في المثى؛ وما الخبر بئيل الرغائب؛ أوقدوم الحبيب الغائب؛ لا بل إشارة البشير، بكم المشير على العشير. بأجلب للسرور، من زائر الملقى بالبرور؛ وأدعى للعبور، من سفيره المبيع للسفور؛ فلم ترمثله من كتيبة كلاب توجب الجرد [تمرح] ^(١) في الأرسان، وتشتوف بجلى ظهورها إلى حرائس الفرسان؛ وتزمر معاطف الارتياح، من صهيلها الفرح، بالثغرات الحسان، إذا وجدت الصريح تازعت أثناء الأعت، وكاثرت بأسنة أذانها مشرمة الأسنة، فإن أدعى الظلم أشكلم فهو ظالم، أو نازعها الظلم هو كاذبها وأكفالمها فهو هاذي أو حالم، وإن سئل عن حبوب الفرر والأوضح، قال مشيرا إلى وجوها الصباح، جلدة بين العين والأثف سالم؛ من كل حبل الشوى،

مُسَابِقِيَّ لِلْجَمِّ إِذَا هَوَى، سَامِيَّ التَّلِيلِ، غَرِيضَ مَا تَحْتَ التَّلِيلِ، مَمْسُوحِيَّ أَعْطَافِهِ
 يَمْتَدِيلُ النَّسِيمِ الْبَلِيلِ : مِنْ أَحْمَرَ كَالْمُدَامِ، مُجَلِّئًا عَلَى النَّدَامِ قَبْلَ الْفِدَامِ، أُخِصَفَ
 لَوْنُهُ بِالْوَرْدِ، فِي زَمَنِ الْبَرْدِ، وَحَيَّيْ أَفْقِيَّ حَيَّاهُ بِكَوْكَبِ السَّعْدِ، وَتَشَوَّفُ الْوَاصِفُونَ
 إِلَى عَدِّ حِمَاسِنِهِ فَأَعَيْتَ عَلَى الْعَدِّ، بِمَرِّ سَاجِلِ الْبَحْرِ عِنْدَ الْمَدِّ، وَرِيحُ تَبَارِيٍّ الرَّيْحِ عِنْدَ
 الشَّدِّ، بِالذَّرَاعِ الْأَشَدِّ، حَكَمَ لَهُ مَدِيرَ فَطَاكَ الْكَفْلَ بِاعْتِدَالِ فَصْلِ الْقَدِّ، وَمِيزَهُ قَدْرُهُ
 الْمَيِّزُ يَوْمَ الْأَسْتَبَاقِ، بِقَصَبِ السِّبَاقِ، عِنْدَ آخِثَارِ الْحَدِّ، وَوَلَدَ غَضْطُ غُرَّتِهِ أَشْكَالَ
 الْجَمَالِ، عَلَى الْكَمَالِ، بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالْحُمْرَةِ وَتَهَاءِ الْحَدِّ، وَحَفِظَ رَوَايَةَ الْخَلْقِ الْوُجِيهَ
 [عَنْ جَدِّهِ الْوُجِيهِ] ^(١) وَلَا تُشْكِرُ الرِّوَايَةَ عَلَى الْحَافِظِ بْنِ الْحَدِّ - وَأَشْقَرُ أَبِي الْخَلْقِ وَالْوَجْهَ الطَّلَاقِ
 أَنْ يَحْمَرَ كَأَنَّمَا صَبِغَ مِنَ السَّجْدِ، وَطُرِفَ بِالْبَرْزِ وَأُتْعِلَ بِالزَّرْجَدِ، وَوُعِمَ مِنَ الْحَدِيثِ
 بِسِمَةِ الْيَمْنِ وَالْبَرَكَةِ، وَأَخْصَصَ بِقُلُوبِ الْخِلَصَامِ، عِنْدَ اشْتِجَارِ الْمَرْكَةِ، وَأَتَفَرَّدَ بِمُضَاعَفِ
 السَّهَامِ [الْمُنْكَسَرَةِ عَلَى الْهَامِ] ^(١) فِي الْفَرَائِضِ الْمَشْتَرَكَةِ، وَاتَّصَفَ فَلَاكَ كَفَلَهُ بِمَرْكَتِي
 الْإِرَادَةِ وَالطَّلُوعِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَرَكَةِ، أَصْنَى إِلَى السَّمَاءِ بِأُذُنِ الْمُتَلَهِّمِ، وَأَعْرَبَ لِسَانُ
 الصَّيْلِ، عِنْدَ التَّيَاسِ مَعَانِي الْهَمَزِ وَالنَّصِيلِ، بَيْنَانَ الْمُتَهِّمِ، وَقُدَّتِ الْعَيُونُ مِنْ ذَهَبِ
 جِسْمِهِ، وَجَلَّيْنِ تَجَمُّهُ بِحُبِّ الدِّينَارِ وَالذَّرْهِمِ، فَإِنْ انْقَضَى فَرْجُهُ أَوْ رِيحُ لَهَا هِجْمُ،
 وَإِنْ أَعْتَرَضَ فَشَقُّ لَاحٍ بِهِ لِلتَّجْمِ نَجْمٌ - وَأَصْفَرَّ قَيْدَ الْأَوَاكِدِ الْحَزَّ، وَأَمْسَكَ الْحَاسِنَ
 وَأَطْلَقَ الْفَرْهَ، وَسُيِّلَ مَنْ أَنْتَ فِي قَوَادِ الْكَتَابِ، وَأَوَّلِي الْأَخْبَارِ السَّجَابِ،
 فَقَالَ أَنَا الْمُتَهَلَّبُ بْنُ أَبِي مُنْقَرِهِ، تَرَجَّسَ هَذِهِ الْأَلْوَانِ، فِي رِيَاضِ الْأَكْوَانِ،
 تَحِيَا بِهِ وَجْهَ الْحَرْبِ السَّوَّانِ، أَغَارَ بِشَقْوَةِ الصَّبَاغِ، عَلَى مُعْصِمَاتِ الْأَصَابِلِ فَارْتَدَاها،
 وَعَمِدَ إِلَى خُيُوطِ شُعَاعِ الشَّمْسِ، عِنْدَ جَانِحَةِ الْأَنْسِ، فَالْهَمَّ مِنْهَا حُلَّتَهُ وَأَمْدَاها،
 وَأَسْتَعَدَّتْ تَحْلِيَهُ مَلِكُ الْحَاسِنِ لَهَا أَعْدَاها، فَهُوَ أَصِيلٌ تَمَسَّكَ بِذَيْلِ الْبَلِيلِ عُرْنَتُهُ

وَذَيْلُهُ ، وَكَوْكَبٌ يُطْلِعُهُ مِنَ الْقَتَامِ لَيْلُهُ ، فَيَحْصُدُهُ فَرَقْدَ الْأَثْقِ وَسَيْلُهُ - وَأَشْهَبَ
تَقَشَّى مِنْ لَوْنِهِ مُضَاهَاةً ، وَتَسْرِيلَ مِنْهُ لَأَمَّةٌ قَضَبَاةً ، قَدْ أَحْضَلَتْ زَيْنَتَهُ ، لَمَّا رُقِمَ
بِالنَّبَالِ لُحْيَتُهُ ، فَهُوَ الْأَثْمَطُ ، الَّذِي حَقُّهُ لَا يُغْمَطُ ، وَالذَّرَاعُ الْمُسَارِعُ ، وَالْأَعَزْلُ
الذَّارِعُ ، وَرَاقِي الْمِضَابِ الْفَارِعُ ، وَمَكْتُوبُ الْكِتَابَةِ الْبَارِعُ ، وَأَكْرَمُ بِهِ مِنْ مُرْتَايَ
سَالِكٍ ، وَجَتِيدٍ عَلَى غَايَاتِ السَّابِقِينَ الْأَوَّلِينَ تَهْلِكَ ، وَأَشْهَبُ يَرُوى مِنَ الْخَلِيقَةِ ،
ذِي الشِّيمِ الشَّيْفَةِ ، عَنْ مَالِكٍ - وَجَبَّارِي كَلِمَا سَابِقِي وَبَارِي ، أَسْتَعَارَ جَنَاحَ الْحُبَّارِي ؛
فَإِذَا أُعْجِلَتْ هَذِهِ الْحِسْبَةُ ، قَبْلَ مَنْ هَذَا جَاعَتِ النَّسَبَةُ ، طَرَدَ النِّمْرُ ، لَمَّا حَقَّطَ
أَمْرُهُ وَأَمْسَرَ ، فَانْسَخَ وَجُودَهُ بَسْمِهِ ، وَأَبْرَأَ الْفَرَوَةَ ثُمَّ لَعَلَّه بَدَمَهُ ، وَكَانَ مُضَاهَفَ
الْوَرْدِ ثَبْرٍ عَلَيْهِ مِنْ طَبَقِهِ ، أَوْ الْفَلَكَ ، لَمَّا ذَهَبَ الْحَلَّكُ ، مُزِجَ فِيهِ بَيَاضَ صَبْغِهِ بِحَمَةِ
شَقَقِهِ - وَقِرْطَاسِي حَقُّهُ لَا يَحْجُلُ ، حَتَّى مَاتَرَفَا الْعَيْنَ فِيهِ تَنْهَلُ ، إِنْ تُرْعَ عَنْهُ جُلُهُ ،
فَهُوَ لَيْجَمُ كَلَمُهُ ، أَنْفَرَدَ بِمَادَّةِ الْأَكْوَانِ ، قَبْلَ أَنْ تُشَوِّبَهَا بِدُ الْأَكْوَانِ ، وَتَمَزَّجَهَا أَفْلَامُ
الْعَلَوَانِ ، يَنْقُصُ مِنْهُ الْكِتَابَةُ الْمُقْبِلَةُ لَوَاءُ نَاصِعٍ ، أَوْ أَبْيَضُ مَاصِعٍ ، لَيْسَ وَقَارَ
الْمَشِيبِ ، فِي رِيْعَانِ الْعُمَرِ الْقَشِيبِ ، وَأَنْصَبَتْ الْأَذَانُ مِنْ صَوِيلِهِ الْمُطِيلِ الْمُطِيبِ ،
لَمَّا أَرْدَيْتُ بِالْبَيَاضِ إِلَى نَفْسَةِ الْخَطِيبِ ، وَإِنِ تَعَبْتُ مِنْهُ لِلتَّأْخِيرِ الْمُتَعَبِّ ،
قُلْنَا الْوَاوُ لَا تُرْتَبِّ ، مَا يَنْ خَلَّ وَثَرُهُ ، وَبِهِرْمَانَةُ وَدَّرُهُ ، وَبَاقِهِ مِنْ أَبْتَسَامِ غُرْوِهِ ،
وَوُضُوحِ يَمْنِي فِي طَرْوِهِ ، وَبِهِجَةِ الْعَيْنِ وَقُرْوِهِ ، وَإِنْ وَلَّحَ النَّاسَ بِامْتِدَاحِ الْقَدِيمِ ،
وَحَقَّصُوا الْخَلِيقَ بِفَرِي الْأَدِيمِ ، وَأَوْجِبَ الْمُتَعَبِّ ، وَإِنْ أَبَى الْمُنْصَبِ ، مَرْتَبَةُ
التَّقْدِيمِ ، وَمَلَّحَ إِلَى رُتْبَةِ الْمَخْدُومِ طَرَفَ الْخَلِيدِ ، وَقُرْنِ الْمُقَرَّبِ بِالْقَدِيمِ ، وَبُخِيسَ
فِي سُوقِ الْحَسَدِ الْبَيْلِ ، وَدَجَى اللَّيْلِ ، وَظَهَرَ فِي فَلَكِ الْإِنْصَافِ الْبَيْلِ ، لَمَّا تَلَوَّ كَرْتِ
الْخَيْلِ ، بِجَفَى بِالْوَجِيهِ وَالْخَطَّارِ ، وَالذَّائِدِ وَذِي الْإِنْخَارِ ، وَدَاحِيسِ وَالسَّكْبِ ،
وَالْأَيْجَرِ وَزَادَ الرُّكْبِ ، وَالْجَمُوحِ وَالْيَحْمُومِ ، وَالْكُتَيْتِ وَمَكْتُومِ ، وَالْأَغْوَجِ وَخُلُوانِ :

ولاحق والنضبان ، وعفور (٩) والزعفران ، والمحبر ، واللآب ، والأغر ، والثراب ،
 وشُعلة ، والمقَاب ، والقياس والحبوب [والمُثَبِّب واليعسوب ، والصموت
 والطبيب ، وهيدب والصيب وأهلوب ^(١١)] وهَنَاج ، والحُرُون ونَحْرَاج ، وجلوى ،
 والحناج والأخوى ، ونَجَاج والمَصَا ، والتعامه ، والبَقَاء والحماء ، وبَبَكَب والجرادة ،
 وحوصاء ، والعرّاده . فكم بين الشاهد والغائب ، والفروض والرغائب ، وفرق ما بين
 الأثر والعيان ، فقي عن البيان ، وشتان بين الصريح والمشتبه ، وقه القائل في مثلها
 « خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ » والناصح يختلف به الحكم ، وشر الدواب عند
 التفضيل بين هذه الدواب السُمُّ البُكْم ، إلا ماركبه نبي ، أو كان له يوم الاختيار برهان
 خفي ، ومفضل ما تبيع على ما رأى فقي ، فلو أنصفت محاسنها التي وصفت
 لأفضمت حبّ القلوب علقا ، وأوردت ماء الشئنة نطقا ، وأثقلت لها من جُلد
 الخدود الملاج طُر موسىه ، وعُلّلت بصغير الحان القيان كل حشيه ، وأنزلت
 بالآهله ، وعُظمت بالرياض بدل الأجله .

إلى الزريق ، الخلق بالحسن الحقيق ، تسوقه إلى مثنوى الرماية روقة الفتيان
 رماته ويهدي عقيقها من سبجه أشكالا تشهد لاعتز سبحاته بإحكام عقرماته ،
 وقفت ناظر الاستحسان لايريم ، لما بهره منظرها الكريم ، وتغامل العظيم وتضائل
 الرّيم ، وأعرس مقوله اللسان وهو بملكات البيان الحفيظ العليم ، وناب لسان الحال ،
 عن لسان المقال ، عند الاعتقال ، فقال يخاطبُ المقام الذي أطلعت أزهارها غمام
 جوده [وأنتخت أخبارها بركة وجوده ^(١١)] : لو علمنا أيها الملك الأصيل ،
 الذي نكرم منه الإجمال والتفصيل ، أن الثناء يوازينا لعلنا لك ببحك ،

أو الشكرُ بِمَادِلِهَا وَمُجَازِيهَا لِمَتَرَضْنَا بِالْوَشْلِ إِلَى نَيْلِ نَيْلِكَ ، أَوْ قُلْنَا : هِيَ الَّتِي
أَشَارَ إِلَيْهَا مُسْتَصْرِخُ سَلَفِكَ الْمُسْتَنْصِرُ بِقَوْلِهِ : أَذْرِكُ بِحَيْلِكَ ، حِينَ شَرِقَ بِدَفْعِهِ
الشَّرْقُ ، وَأَتَهَزَمُ الْجَمْعُ وَأَسْتَوْسِلُ الْفَرَقَ وَأَتَبَعُ فِيهِ وَالْحَكْمُ فَهُوَ الْخُرْقُ ؛ وَرَأَى أَنْ
مَقَامَ التَّوْحِيدِ بِالْمُظَاهَرَةِ عَلَى التَّثْلِيثِ ، وَحِزْبِهِ الْخَلِيفَةُ ، هُوَ الْأَوَّلِيُّ وَالْآخِرُ .
وَالْآنَ قَدْ أَغْنَى اللَّهُ بِتِلْكَ النَّيَّةِ ، عَنْ إِنْجَادِ الطَّوَالِ الرَّدِّيَّةِ ، وَبِالْإِثْمَاءِ مِنْ تِلْكَ
الْمُتَابَةِ الدِّينِيَّةِ إِلَى رَبِّ الْبَيْتِ ، عَنْ الْأَمْدَادِ السَّيِّئَةِ ، وَالْأَجْوَادِ نَحْوِضِ بَحْرِ الْمَاءِ
إِلَى بَحْرِ الْمَنِيِّ ، وَمِنْ الْجُرُودِ الْعَرَبِيَّةِ فِي مَقَاوِدِ الْبُيُوتِ الْأَيُّمِ . وَجَدْتُ بِرَسْمِ هَذِهِ
الْمُهْدِيَةِ ، مَرَاسِمَ الْيَهُودِ الْوُدِّيَّةِ ، وَالذَّمَّ الْمُوَحِّدِيَّةِ ، لِتَكُونَ عَلَامَةً عَلَى الْأَصْلِ ،
وَمَكْدَبَةً لِدَعْوَى الْوَقْفِ وَالْقَبْلِ ، وَإِسْمَارًا بِالْأَلْفَةِ الَّتِي لَا تَزَالُ أَفْهَمُ أَلْفَ الْوَصْلِ ،
وَلَا مَهَا حَرَامًا عَلَى النَّصْلِ .

وَحَضَرَ بَيْنَ بَيْنِنَا رَسُولُكُمْ فَلَانِ قَقَرَّ مِنْ فَضْلِكُمْ ، مَا لَا يُبْكِرُهُ مَنْ عَرَفَ طَوْلَ
مِقْدَارِكُمْ ، وَأَصَالَةَ دَارِكُمْ ، وَفَلَكَ إِبْدَارِكُمْ ، وَقُطِبَ مَدَارِكُمْ ؛ وَأَجْبَنَاهُ عَنْهُ بِجَهْدِ مَا تَكُنَّا
لِنَقْنَعُ مِنْ حَنَاهُ الْمُهْتَصِرِ ، بِالْمُقْتَضِبِ الْمُخْتَصِرِ ، وَلَا تَقَابِلَ طَوْلَ طَوْلِهِ بِالْقَصْرِ ،
لَوْلَا طُرُوءُ الْحَضَرِ .

وَقَدْ كَانَ بَيْنَ الْأَسْلَافِ - رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَضَوَانَهُ - وَدُأْبِرَتْ مِنْ أَجْلِ اللَّهِ
مَعَايِدُهُ ، وَوُثِّرَتْ مَخْلُوصُ ، أَبْغَلِي النَّصُوصِ ، مَضَاجِعُهُ الْفَازَةَ وَمَرَافِقُهُ ، وَتَعَاهُدُهُ
بِالْجَمِيلِ تَوَجُّعُ لِقَائِهِ ؛ أَيْ اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكُمْ التَّفَضُّلُ فِي تَجْدِيدِهِ ،
وَالْعَطْفُ بِتَوْكِيدِهِ ؛ فَحَنُّ الْآنَ لَا تَدْرِي أَيُّ مَكَارِمِكُمْ يَبْدَأُكَرُ ، أَوْ أَيُّ تَوَاضِعِكُمْ تَشْرَحُ
أَوْ تُشْكِرُ ، أَمْفَاتِحُكُمْ الَّتِي هِيَ عِنْدَنَا فِي الْحَقِيقَةِ قَتْعُ ، أَمْ هِدْيَتُكُمْ وَفِي وَصْفِهَا لِلْأَقْلَامِ
سَبْعُ ، وَلَعَلَّ الْإِسْلَامَ بِحِكْمَةِ حِكْمَتِهَا كَبَّحُ ، لِنَمَّا تَكُنْ الشُّكْرُ لِنِ يُوَقِّيْ جَزَاءَ الْأَعْمَالِ

الْبَرَّةَ ، وَلَا يَخْشَ مِثَالَ النَّزَّةِ وَلَا أَدْنَى [مِنْ] مِثَالِ الذَّرَّةِ ، ذِي الرَّحْمَةِ الثَّرَّةِ ، وَالْإِلَاطَافِ
الْمُتَّصِلَةِ الْمُسْتَمَرَّةِ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ .

وَأَن تَسْتَوْتُمْ إِلَى الْأَحْوَالِ الرَّاهِنَةِ ، وَأَسْبَابِ الْكُفْرِ الْوَاحِيَةِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ الْوَاحِدَةِ ،
فَنَحْنُ نُطَرِّقُكُمْ بِطَرَفِهَا ، وَنُطْلِمُكُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ بِطَرَفِهَا ، وَهُوَ أَنَّنَا لَمْ آدِ اللَّهُ
مِنَ التَّحْيِصِ ، إِلَى مَثَابَةِ التَّخْصِصِ ، مِنْ بَعْدِ الْمَرَامِ الْمَوْصِي ، كَلَّحْنَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ
بَصَرَ الْبَصِيرَةِ ، وَوَقَّفْنَا عَلَى سَبِيلِهِ مَسَاعِيَ الْحَيَاةِ الْقَصِيرَةِ ، وَرَأَيْنَا كَمَا قِيلَ إِلَيْنَا ، وَكُرِّرَ
عَلَى مَنْ قَبْلَنَا وَعَلَيْنَا ، أَنَّ الدُّنْيَا - وَإِنْ غَرَّ الْفُرُورُ ، وَأَنَامَ عَلَى سُرْرِ الْغَفْلَةِ السُّرُورُ ،
فَلَمْ يَنْفَعِ الْخَطُورُ عَلَى أَجْدَاثِ الْأَحْجَابِ وَالْمُرُورِ - جَسْرٌ مُجَبَّرٌ ، وَمَتَاعٌ لَا يُقْبِطُ مِنْ حُجَى
بِهِ وَلَا يُخَبِّرُ ، إِنَّمَا هُوَ خَبَرٌ يُخَبِّرُ ، وَأَنَّ الْحَسْمَةَ بِمِقْدَارِهَا عَلَى تَرْكِهَا نَجَبٌ ، وَأَنَّ الْأَعْمَارَ
أَحْلَامَ ، وَأَنَّ النَّاسَ نِيَامَ ، وَرُبَّمَا رَحَلَ الرَّاحِلُ عَنْ انْطِلَاقٍ ، وَقَدْ جَلَّلَهُ بِالْأَذَى
وَالدَّخَانِ ، أَوْ تَرَكَ بِهِ طَيِّبًا ، وَثَنًا يَهْوِمُ بَعْدَهُ لِلآتِي خَطِيئًا ، فَجَعَلْنَا الْمَلِكَ فِي الْأُمُورِ
مَلَاكًا ، وَالتَّقْدِيرَ لِلشُّعُورِ مَسْوَاكًا ، وَجَمَّعَ الْمَهَادَءَ . حَدِيثَ الْجِهَادِ ، وَأَحْكَامَهُ مَنَاطَ
الْاجْتِهَادِ ، وَقَوْلُهُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ مِنْ مُجِبِّحِ الْأَسْتِشَادِ ،
وَبَادِرِنَا مِنَ الْحَصُونِ الْمُضَاعَةِ وَجَنَحِ الثَّقِيَّةِ دَامِسَ ، وَسَاكِتِهَا بَائِسَ ، وَالْأَعْصَمِ
فِي شَعْمَاتِهَا مِنَ الْعِصْمَةِ يَائِسَ ، فَزَيْنًا بِيضِ الثُّرُفَاتِ ، ثَنَائِيهَا ، وَأَفْعَمْنَا بِالْعَلْبِ
الْفُرَاتِ ، رَكَايَاهَا ، وَغَشَيْنَا بِالْقَفِيحِ الْمُضَاعَفِ أَبْوَابَهَا ، وَاحْتَسَبْنَا عِنْدَ مُوَقِّ الْأَجُورِ
ثَوَابَهَا ، وَبَيَّضْنَا بِنَاصِعِ الْكُلْسِ أَلْوَابَهَا ، فَهِيَ الْيَوْمَ تُؤَمُّ حَسَّ الْعِيَانِ ، أَنَّنَا قَطَعُ
مِنْ بِيضِ الْعَنَانِ ، تَكَادَ تَنَاقَلَتْ قُرْصُ الْبَدْرِ بِالْبَنَانِ ، مَتَكَفَّلَةٌ لِلزُّمَنِ مِنْ فَرَزِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ بِالْأَمَانِ ، وَأَقْرَضْنَا اللَّهَ قَرْضًا ، وَأَوْضَعْنَا مَدْقُونَةَ الْجَيْشِ عَرْضًا ، وَفَرَضْنَا
إِنْصَافَهُ مَعَ الْأَهْلَةِ فَرْضًا ، وَاسْتَنْدَنَّا مِنَ التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ الْغَنَى الْحَمِيدَ إِلَى ظِلِّ لَوَاهِ ،

وَبَدُّنَا إِلَى الطَّافِيَةِ عَهْدَهُ عَلَى سَوَاءٍ ؛ وَقُلْنَا : رَبَّنَا أَنْتَ الْعَزِيزُ كُلُّ جَبَّارٍ لِيَمْرُكَ ذَلِيلٌ ، وَحِزْبُكَ هُوَ الْكَثِيرُ وَمَا سِوَاهُ قَلِيلٌ [أَنْتَ الْكَافِي ، وَوَعْدُكَ الْوَعْدُ الْوَاقِي ، فَافْضُ عَلَيْنَا مَوَازِعَ الصَّابِرِينَ ^(١)] وَاجْتَنِبْنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِمَحْطُوطِ رِضَاكَ الظَّالِمِينَ ، وَتَجَمَّعْنَا أَقْدَامَنَا وَأَضْرَعْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

فَصَحَرْنَا أَوَّلَى الْحَرَكَاتِ ، وَفَاتَحْنَا مُصْحَفَ الْبَرَكَاتِ ؛ فِي خِيفٍ مِنَ الْحُشُودِ ، وَأَقْصَصْنَا عَلَى مَا مَحْضَرْنَا مِنَ الْعَاكِرِ الْمَقْفُورَةِ وَالْحُنُودِ ؛ إِلَى حِصْنِ آشِ الْبَاذِي الْمُطْلِ ، وَرَكَابِ الْمَدْرَةِ الضَّالِّ الْمِضِلِّ ، وَمُهْدَى فَتَنَاتِ الصَّلِّ ؛ عَلَى أَمْتِنَاغِهِ وَأَرْغَمَاغِهِ ، وَمُسْتَوْبَقَاغِهِ ؛ وَمَا بَدَّلَ الْمَدْفُوفِ مِنْ أَسْتَعْدَادِهِ ، وَتَوَفِيرِ أَسْلِحَتِهِ وَأَزْوَادِهِ ، وَأَقْتَنَابِ أَنْجَادِهِ ؛ فَصَلَبْنَا بِنَفْسِنَا نَارَهُ ، وَزَاخْنَا عَلَيْهِ الشَّهْدَاءُ نُصَابِرُ أَوَارِهِ ؛ وَنَلْقَى بِالْجَوَارِحِ الْعَزِيزَةِ سِهَامَهُ الْمُسُومَةَ ، وَجَلَامِيدَهُ الْمَلُومَةَ ، وَأَحْجَارَهُ ؛ حَتَّى فَرَعْنَا بِحَوْلٍ مَنْ لَاحَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ أَبْرَاجَهُ الْمُنِيْعَةَ وَأَسْوَارَهُ ، وَكَفَفْنَا عَنِ الْعِبَادِ وَالْبِلَادِ أَضْرَارَهُ ، بَعْدَ أَنْ اسْتَضَفْنَا إِلَيْهِ حِصْنَ السَّهْلَةِ جَاوَهُ ؛ وَرَحَلْنَا عَنْهُ بَعْدَ أَنْ نَحْنَاهُ رَابِطَةً وَحَامِيَهُ ، وَأَزْوَادَنَا نَامِيَهُ ؛ وَعَمَلْنَا بِسَيِّدِنَا فِي رَمِّ مَائِلِ الْفِتَالِ ، وَبَقَرٍ مِنْ يُطُونُ مَسَالِحِهِ الرِّجَالِ ، وَأَقْتَنَدْنَا بِنَهْنَاهَا صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَامِهِ فِي الْخُنْدُقِ لَمَّا حَمَى ذَلِكَ الْحَبَالُ ، وَوَقَعَ الْأَرَنْجَارُ الْمُتَقَوِّلُ خَبْرَهُ وَالْأَرَنْجِيَالُ ، وَمَا كَانَ لِيَقْرَ لِلْإِسْلَامِ مَعَ تَرْكِهِ الْقَرَارِ ، وَقَدْ كُتِبَ الْجَوَارُ ، وَتَدَاعَى الدَّعْوَةُ وَتَعَاوَى الشَّرَارُ .

وَكَمَا أَفْزَيْنَا إِلَهِيَّةَ الْغَرِيْبَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِمَدِينَةِ بَرْقَةِ الَّتِي سَلَّتْ بَيْنَ الْقَاعَدَتَيْنِ : مَاقِفَةً وَرُتْنَةً الطَّرِيقِ ، وَالْمَسْتُ ذُلُّ الْفِرَاقِ ذَلِكَ الْفَرِيقِ ، وَمَتَعْتُمَا أَنْ يُسَيِّمَا الرُّبْقِ ؛ فَلَا سَبِيلَ إِلَى الْإِسْلَامِ ، لَعَلَّيْفَ الْمُنَامِ فِي الْأَحْلَامِ ، وَلَا رِسَالَةَ إِلَّا فِي أَجْنَحَةِ

هَدَى الْحَتَامَ ، فَيَسِّرَ اللَّهُ فَصْحَهَا ، وَيَجْعَلَ مَفْعَهَا ، بَعْدَ حَرْبٍ أَنْبَتَ فِيهَا الشُّجُورَ ،
وَتَزَيَّنَّتِ الْحُورُ ، وَيَسَّعَ هَذِهِ الْأُمُّ بَنَاتُ شَهِيدِهِ ، وَيُقْعَ لِلزَّوْجِ وَالضَّرْعِ خَيْرُهُ ، فَشَفِي
النَّفْسُ مِنْ يُوسُفَ ، وَتَهَلَّلَ وَجْهُ الْإِسْلَامِ بِتِلْكَ النَّاحِيَةِ بَعْدَ حُبُوسِهِ .

ثم أعملنا الحركة إلى مدينة الجزيرة على بُعد المَدَى ، وتعلقها على بلاد العِدَا ،
وأقتحام هَوْلِ الْفَلَا وَغَوْلِ الرِّدَا ؛ مَدِينَةً بَقِيَّتْهَا حَصْنُ فَارُوسَتِ الدَّارِ ، وَأَغْلَتِ الشُّوَارِ ،
وَرَاغَتْ الْأَسْتَكْثَارَ ، وَبَسَطَتْ الْأَعْتَارَ ؛ رَجَّحَ إِلَيْنَا قَصْدَهَا عَلَى الْبُعْدِ ، وَالطَّرِيقِ
الْجَدِّ ، مَا أَسَقَتْ بِهِ الْمُسْلِمِينَ ، مِنْ اسْتِثْصَالِ طَائِفَةٍ مِنْ أَسْرَاهُمْ مَرَّوْهَا بِهَا آمِنِينَ ،
وَبَطَائِرِهَا الْمَشُومِ مُتَمَيِّنِينَ ؛ قَدْ أَنْهَكَهُمُ الْإِعْتِقَالُ ، وَالْقَيْودُ الثَّقَالُ ، وَأَضْرَعَهُمُ
الْإِسَارَ ، وَجَلَّلَهُمُ الْإِتْكَسَارَ ؛ بَحَثْلُوهُمْ فِي مَصْرَعٍ وَاحِدٍ ، وَتَرْكُوهُمْ حَبْرَةً لِلرَّائِي
وَالْمُشَاهِدِ ، وَأَهْدُوا بِوَقِيْعَتِهِمْ إِلَى الْإِسْلَامِ تُكَلِّلُ الْوَاحِدَ ، وَتِرَّةُ الْمَاجِدِ ؛ فَكَسَنَاهَا
كِبْسًا ، وَبَغَّانَاهَا بِالْهَامِ مِنْ لَا يَضِلُّ وَلَا يَلْمُ ؛ فَصَبَّحَتْهَا الْخَيْلُ ، ثُمَّ تَلَاحَقَ الرَّجُلُ
كَجَا بَيْنَ اللَّيْلِ ، وَحَاقَ بِهَا الْوَيْلُ ؛ فَأُبْيِعَ مِنْهَا الدَّمَارُ ، وَأَخْضَاهَا الدَّمَارُ ، وَخُفَّتْ
مِنْ مَصَابِعِهَا الْبَيْضِ الْأَهْلَةُ وَخُسِفَتِ الْأَنْسَارُ ، وَشَفِيَتْ مِنْ دِمَاءِ أَهْلِهَا الشُّبُلُوعُ
الْحِرَارُ ، وَسَلَطَتْ عَلَى هَيَاكِلِهَا النَّارُ ، وَأَسْتَوْلَى عَلَى الْأَلَاافِ الْعَدِيدَةِ مِنْ سَبِيهَا
الْإِسَارُ ، وَاتَّهَى إِلَى إِشْبِيلِيَّةِ الْكُلِّ الْمَفَارُ ، بِقَلِّلِ وَجْوهٍ مِنْ بَهَا مِنْ بَكَارِ النُّصْرَانِيَةِ
الصَّبَارِ ، وَأَسْتَوْلَتْ الْأَيْدِي عَلَى مَا لَا يَسَعُهُ الْوَصْفُ وَلَا تَهْلُهُ الْأَوْقَارُ .

وَعُدْنَا وَالْأَرْضُ تَحْجُجُ سَبِيًا ، لَمْ تَرْكُ بَغِيرَيْنِ شَبْلًا وَلَا بَوَجْرَةَ غُلِيًا ؛ وَالْعَقَائِلُ
حَسْرَى ، وَالْعَبُودُ تَهْرَا الصَّنْعَ الْأَمْرَى ، وَصَبِيحُ السَّرَى قَدْ حُدَّ مِنْ بَعْدِ بَعْدِ الْأَمْرَى ،
فَسُبْحَانَ الَّذِي أَمْرَى . [وَلِسَانُ الْحَمِيَّةِ يُنَادِي ، فِي تِلْكَ الْكَائِثِ الْخُزْبَةِ وَالنُّوَادِي ،
بِالْقَارَاتِ الْأَمْرَى] ^(١) .

ولم يكن إلا أن نُفِلَت الأفعال ، ووُصِفَتْ بالأرضاخ الأفعال ، وتميزت الهوادي والأكفال ، وكان إلى غزو مدينة جِيَانِ الأحضال ؛ قُدْنَا إليها الجُرْدَ تَلَايِبَ الظلالِ
تَشَاطَا ، والأبطالَ تَقَيَّعِمَ الأخطارِ رِضًا بما عِنْدَ اللَّهِ وَأَعْيَاطَا ، والمهْدَةَ الزُّرْقَ أَسْبَقَ
إِلَى الرِّقَابِ أَمْسِتَالًا واختراطَا ، والرُّدْيَةَ السُّمْرَ تَسْرَطَ حَيَاةَ النَّفُوسِ أَسْرَاطَا ،
وَأَزَحْنَا اللَّيْلَ عَمَّنْ أَرَادَ جِهَادًا مُنْجِيًا غُبَارَهُ مِنْ دُخَانِ جَهَنَّمَ وَرِيَاطَا ؛ وَنَادَيْنَا الْجِهَادَ
الْجِهَادَ ، يَا أَمَّةَ الْجِهَادِ ، رَايَةَ النَّبِيِّ الْمَادِ ، الْجَنَّةَ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ الْحِدَادِ ؛
فَهَهِزْنَا الدَّاءَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كُلِّ عَامِرٍ وَظَامِرٍ ، وَأَمْرَ الْجَلْمِ مِنْ دَعْوَةِ الْحَقِّ إِلَى أَمْرِ آتَمِ ،
وَأَتَى النَّاسَ مِنَ الْفُجُوجِ الْعَمِيقَةِ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ؛ وَكَاتَرَتِ الزِّيَادُ أَزْهَارَ
الْبَطَاحِ لَوْنًا وَعَدَا ، وَمَسَدَّتِ الْحُشُودُ مَسَالِكَ الطَّرِيقِ الْعَرِضَةِ سَدًّا ؛ وَمَدَّ بِحَرْمِهَا
الزَّائِرُ مَدًّا ، فَلَا يَمِيدُ لَهَا النَّظَرُ وَلَا الْمُنَاطَرُ حَدًّا .

وهذه المدينة هي الأمُّ الْوُلُودِ ، والجنة التي في النار لِبُكْنِهَا مِنَ الْكُفَّارِ الْخُلُودِ ؛
وَكَرَّمِي الْمَلِكُ وَمَجْنَتِهِ الْوَسْعَى مِنْ الْمَالِكِ بَأَمْتٍ بِالْمَزَايَا الْعَمِيدَةِ وَنَجَحَتِ ، وَعِنْدَ
الْوِزَانِ بَغِيرَهَا مِنْ أُمَامَاتِ الْبُلْدَانِ رَجَحَتْ ؛ غَلَبَ الْأَسْوَدُ ، وَجَحَرَ الْحَيَاتِ السُّودُ ؛
وَمَتَّصِبَ الْقَاتِلِ الْمَاهِلُ ، وَمَخْلَقِ النَّوَاقِيسِ الصَّاهِلِ .

وَأَدْنَيْنَا إِلَيْهَا الْمَرَاحِلَ ، وَحِينًا لُتْجَارَ الْحَمَلَاتِ الْمُسْتَقْلَاتِ مِنْهَا السَّاحِلُ ؛ وَلَمَّا أَكْثَبْنَا
جَوَارِهَا ، وَكِدْنَا تَلَحَّجَ نَارَهَا ، نَحْرُكَا وَوَشَّاحَ الْأَنْفُقِ الْمَرْقُومِ ، بَزَهَرَ النُّجُومِ ، قَدْ نَارَ
دَائِرُهُ ؛ وَاللَّيْلُ مِنْ خَوْفِ الصَّبَاحِ ، عَلَى مَرَحَةِ الْمُسْتَبَاحِ ، قَدْ شَابَتْ فَعْدَاتُهُ ، وَاللَّسْرُ
يُرْفِقُ بَيْنَيْنِ طَائِرُهُ ، وَالْمَهَالِكُ الرَّاحِ يَنَارُ قَفْرِ الْإِسْلَامِ نَائِرُهُ ؛ وَالنَّعَائِمُ وَاحِدَةٌ فَرَاغِصُ
الْجَسَدِ ، مِنْ خَوْفِ الْأَسَدِ ؛ وَالْقَوْسُ يُرْسِلُ مَتْنَهُ السَّعَادَةِ ، بِوَرَعِ الْعَادَةِ ، إِلَى أَهْدَافِ
النَّعْمِ الْمَعَادَةِ ؛ وَالْجُوزَاءُ طَائِرَةٌ نَهْرُ الْمَجْرَى ، وَالزُّهْرَةُ قَنَارٌ مِنَ الشَّعْرِى الْعَبُورِ بِالْقَصْرِ ؛

وعطارد يُسدى في حيل الحروب على البلد المحروب ويُحمي ، وينظر على أشكالها الهندسية فيفهم ، والأحرى به ، والعلم الأبيض يقرى ونهر ، والمشتري يُسدى في فضل الجهاد ويُسيد ، ويُنَاج في الخلفات على ما للسعادة من الصفات ويزيد ، وزحل على الطالع متزل ، ومن العاشر مرتحل ، وفي زلق السقوط وحل ، والبدر يطرح سحر المتجنين ، كيف يتوى إلى النقي ، ومطلع الشمس يرقب ، ويجدار الأتقى يكاد بالعيون عنها ينقب .

ولما فشا سر الصباح ، وأهتزت أعطاف الرايات لسيحات موشرات الرياح ، أطلنا عليها إطلال الأسود على الفراش ، والفحول على العرائس ، فنظرنا منتظرا يروع بأسا ومتمه ، وبروق وضعا وصنعه ، تلقت معاقله الشم للسهاب يروء ، ووردت من غدير المزن في برود ، وأسرعت لاغتلاف أزهار النجوم والذراع بين التلطف معاصم روء ، وبلدا يني المسح والذراع ، ويتظم الحاني والأجارع ، قلنا : اللهم فله أيدى عبادك ، وأرأ فيه آية من آيات جهادك ، فقلنا بساحتها العريضة المثنون ، تزول الفيت المثنون ، وتيمنا من قحصها الأفيج بسورة التين والزيتون ، متربة من إمان الرحمان للبلد المثنون ، وأعجلنا الناس بحجة قومهم النعيسة ، وحبية شجاعهم النعيسة ، عن أن نبوء للقتال المقاعد ، ونذني بإسماع شهير التغير منهم الأبعد ، وقيل أن يلتقي الخلد في بالخدوم ، وبركة المتجنين ركن القُدوم ، فدخوا من أحمر اليحم من الفرسان ، وسبق إلى حومة الميدان ، حتى أبحرهم في البلد ، وسلبوا لباس الجلد ، في موقف يُلحل الوالد عن الولد ، صارت السهام فيه عظاما ، وطارت كأمرباب الحتام تُسدى حاما ، وأصحت القنا قصدا ، بعد أن كانت شهابا رصدا ، وملاج بحر القتام بأمواج النصول ، وأخذ الأرض الرخا لزلزال الصباح الموصول ، فلا ترى إلا شهيدا

تُثَقِّلُ مَصْرَعَهُ الْحُورُ، وَصَرِيحاً تَحْنِيفُ بِهِ إِلَى السَّاحِلِ أَمْوَاجُ تِلْكَ الْبُحُورِ، وَتَوَاشِبُ
تُبَايَإِهَا الْوُجُوهُ الْوَجِيهَةُ عِنْدَ اللَّهِ وَالتُّحُورُ، فَلَمِيقَصَبُ، قَوْدُهُ يُحْطَبُ، وَالْأَمْرُ،
غُصْنُهُ يَسْتَمِرُّ، وَالْمِغْفَرُ، حِمَاءُ يَحْفَرُ، وَظُهُورُ الْقِسِيِّ تُقْصَمُ، وَصَعَمُ الْجُنْدِ الْكَوَاغِرُ
تُغْمَمُ، وَوَرَقُ الْبَلْبِ، فِي الْمَقْلَبِ، يَسْقُطُ، وَالْبَرْقُ تَكْتَبُ وَالسَّمَرُ تَنْقُطُ، فَالْقَضِيمُ
الرَّيْضُ الْأَعْظَمُ لِحَيْسِهِ، وَأَظْهَرَ اللَّهِ لِعَيُونِ الْمُبْصِرِينَ وَالْمُسْتَبْصِرِينَ عِزَّةً دِينَهُ،
وَتَبَرُّ الشَّيْطَانُ مِنْ خَدِينِهِ، وَنَهْبُ الْكُفَّارِ وَخُذِلُوا، وَبُكْلُ مَرْصِدِ جُدُلُوا، ثُمَّ دُخِلَ
الْبَلَدُ بَعْدَ غِلَابَا، وَجُلُّ قَتْلًا وَاسْتِلَابَا، فَلَا تَسْلُ، إِلَّا الظُّلَى وَالْأَسْلُ، عَنْ قِيَامِ
سَاعَتِهِ، وَهَوْلٍ يَوْمَهَا وَشَتَاتِهِ، وَتَحْرِيبِ الْمَبَاتِ وَالْمَبَاتِي، وَغِيَا الْأَيْدِي مِنْ نَحْزَانِ
تِلْكَ الْمَغَانِي، وَقِلُّ الْوُجُودِ الْأَوَّلِ إِلَى الْوُجُودِ الثَّانِي، وَتَحَارُقِ السَّيْفِ لِهَاجِهِ بِغَيْرِ
الْمَتَادِ، وَتَهْلُ التَّنَا الرَّدِيئَةُ مِنَ الدَّمَاءِ حَتَّى كَانَتْ تُورِقُ كَالْأَغْصَانِ الْمَغْتَرَمَةِ وَالْأَوْتَادِ،
وَمَهْمَتْ أَفْلَاكُ الْقِيَمِ وَصَحَّتْ، وَأَرْنَتْ حَتَّى بَحَّتْ، وَفَسَدَتْ مَوَادُّهَا فَشَحَّتْ
بِمَا لَحَّتْ، وَسَدَّتِ الْمَسَالِكَ جُثَّتِ الْقَتْلُ فَنَمَتْ الْعَارِ، وَاسْتَأْصَلَ اللَّهُ مِنْ صُلُوقِهِ
الشَّافَةَ وَقَطَعَ الدَّائِرَ، وَأُزْلِفَ الشَّهِيدُ وَأُحْصِبَ الصَّابِرُ، وَسَبَقَتْ رُسُلُ الْفَتْحِ الَّذِي
لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الزَّمَنِ الْعَارِ، تَنْقُلُ الْبُشْرَى مِنْ أَفْوَاهِ الْمَخَابِرِ، إِلَى آذَانِ الْمَنَابِرِ.

أَقْنَاهَا أَيُّهَا تَغِيرُ الْأَشْجَارِ، وَنَسْتَأْصِلُ بِالتَّخْرِيبِ الرِّجَارَ، وَإِسَانُ الْإِنْتِقَامِ،
مِنْ حَبْدَةِ الْأَصْنَامِ، يَنَادِي بِالنَّارَاتِ الْإِسْكَندَرِيَّةِ تَسْقِيَا مِنَ الْقُبَارِ، وَرَحِمَا لِحَقِّ
الْجَارِ، وَقَفَلْنَا وَأَجْنَعَةُ الرِّيَابِ، بِرِيحِ الْعَيَابِ، خَافَقَهُ، وَأَوْفَاكَ التَّوْفِيقِ،
النَّاشِئَةُ مِنْ خُطُوطِ الطَّرِيقِ، مَوَافَقَهُ، وَأَسْوَاقُ الْمِرْيَاقَةِ نَاقَهُ، وَحَمَلَاءُ الرِّفْقِ
مَصَابِحَهُ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مَرَّاقَهُ، وَقَدْ ضَاقَتْ ذُرُوعُ الْجِبَالِ، عَنْ أَعْنَاقِ الصُّهْبِ
السَّبَالِ، وَرِنَمَتْ عَلَى الْأَشْفَالِ، رُدْفَاءُ كَرَامِ الْأَفْهَالِ، وَقَفَلَتْ مِنَ النُّوَاقِيسِ أَجْرَامُ

الجبال بالهتدَام والأحْيَال ؛ وهلك بمهلك هذه الأمّ بناتٌ كُنَّ يَتَضَمَّنُ ثِيَابًا الحوافِل
وَيَسْتَوْرِثُنَّ حِجْرَهَا الكافل ؛ تَمِيلُ التَّخْرِيبُ أسوارَهَا ، وَجَعَلَتْ النارُ بَوَارَهَا .

ثم تَمَحَرَّكَا بعدها حركة الفتح ، وأرسلنا دِلَاءَ الإِدْلَالِ قبل المتع ، فبَشَّرَتْ بالمتع ؛
وقصصنا مدينةً أبْلَةً وهى ثَانِيَةُ الخناحين ، وَكَبَّرَى الأختين ، وَمَسَاهِمُهُ جِيَّانَ
فِي حِينِ الحَيْنِ ؛ مدينة أَخَذَتْ عَرَضَ الفضاء الأخرق ، وَتَمَشَّتْ فِيهِ أَرْضُهَا تَمَشَّى
الكَتَابَةُ الجاعحة فِي المَهْرَقِ ؛ المشتعلة عَلَى المتأجروالمكاسب ، والوضع المتناسب ،
وَالْفَلَجُ المُنْمِي رُبْعُهُ عَمَلُ الحاسب ، وَكُوَارَةُ الدَّبَرِ اللَّاسِبِ ، المتعسدة اليعاسب ؛
فَانْطَحَ العَقَاءُ بِرُوعِهَا العاصِرِ ، وَدَارَتْ كُؤُوسُ عَقَارِ الحُتُوفِ ، بَنَانُ السُّيُوفِ ،
عَلَى مَتَدِيرِهَا المَعَارِقِ ، وَصَبَحَتْهَا طُلُوعُ الفاقرة ، وَأَغْرِيَتْ بِطُكُونِ أسوارها حُجُوجُ
المَعَاوِلِ الباقرة ؛ وَدَخَلَتْ مَدِينَتَهَا عَنُودُ السَّيْفِ ، فِي أَسْرَعَ مِنْ خَطَرَةِ العُيُوفِ ،
وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الكَيْفِ ؛ فَلَمْ يَلُغِ العَقَاءُ مِنْ مَدِينَةٍ حَافِلُهُ ، وَعَقِيلَةُ فِي حُلِّلِ المحاسن
رَافِلُهُ ؛ مَا يَلِغُ مِنْ هَذِهِ البَاسَةِ الَّتِي صَبَحَتْ لَأَلَمَةِ النَّيْرَانِ اِبْرَاجُهَا ، وَتَضَاعَلُ بِالرَّغَامِ
مِعْرَاجُهَا ؛ وَضَعَتْ عَلَى أَعْطَافِهَا مَلَابِيسَ الحِذْلَانِ ، وَأَقْفَرَتْ مِنْ كَلَامِهَا كُكُوسُ
الْفَزْلَانِ .

ثم تَأَهَّبْنَا لغزْوِ أُمِّ الْقُرَيْيِ الكافرة ، وَتَرَكَتِ المَزَايِنِ الوافرة ، وَرَدَّيَةَ الشُّهُرَةِ السافرة ؛
[وَالْأَنْبَاءِ الْمَسَافِرَةِ] قُرْطَبَةً وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ، ذَاتُ الْأَرْجَاءِ الْحَالِيَةِ الْكَاسِيَةِ ، وَالْأَطْوَادِ
الرَاحِضَةِ الرَّاسِيَةِ ، وَالْمَبَازِيِ الْمَبَاهِيَةِ وَالزَّهْرَاءِ الزَاهِيَةِ ، وَالْمَحَاسِنِ خِزْرِ الْمُتَنَاهِيَةِ ؛ حَيْثُ هَالَةٌ
بَدْرُ السَّمَاءِ ، قَدْ آسْتَدَارَتْ مِنَ السُّورِ الْمَشِيدِ الْبِنَاءِ ؛ وَتَهَرَّتْ هَجْرَةً مِنْ نَهْرِهَا الْفَيَاضِ ،
الْمَسْلُوبِ جُسَامُهُ مِنْ عُجُودِ الْفَيَاضِ ؛ قَدْ لَصِقَ بِهَا جَارَا ، وَفَلَكَ الثُّوْلَابُ الْمُعْتَدِلُ

الانقلاب قد استقام مدارا، ورجح الحينَ آشتاقا إلى الحبيب الأبل وأذكارا؛
 حيث الطود كالنَّاج، يزدان بلجين العنب المجاج؛ فيزرى بتلج كمرى ودارا؛ حيث
 قيس الجسور المدبره، كأنها صوح المطى الغريه، عبر النهر قطارا؛ حيث آثار العامرى
 المجاهد، تبق بين تلك المعاهد، شدى مغطارا؛ حيث كرائم السطاب، ترور عراس
 الرياض الحباب، فتحمّل لها من الدر نثارا؛ حيث شمول الشمال تمارى الأندواح؛
 بالثغر والرواح، قرى النصوص سكارى وما هى بسكارى؛ حيث أيدى الانفتاح،
 قمتض من شقائق الطاح، أبكارا؛ حيث ثغور الأفاج الباسم، قبلها بالسحر
 زوار النوام، فتخفق قلوب النجوم النيارى؛ حيث المصل العتيق قد رحب بجالا
 وطال متارا، وأزرى بيلاط الوليد أحقارا؛ حيث الظهور المثاره بسلام الفلاح
 ثجب عن مثل أسجة المهارا، والبطون كأنها تديم التهام بطون العذارى، والأدواح
 العالية تخترق أعلامها الهادية بالجدول الخبارا؛ لها شئت من جو صليل،
 ومعرض للحسن ومقبل، ومالك للعقل وعقيل. ونحوائل كم فيها للبلابل من قاي وقيل،
 وخفيف يحاوب بتقيل. وسنابل تحكى من فوق سوقها، وقضب بسوقها، الممزات
 فوق الأفتات، والمصافير البديعة الصفات، فوق القضب المؤتلفات، تمل بهبوب
 الصبا والجنوب، مائلة الجيوب يندر الجنوب. وطلج لا تعرف من الحمل، تطلبه
 بالنحل، ولا تعرف فى خدمة بيض قباب الأزهار، عند افتتاح السوسن والهارا،
 غير المبدان من سودان النحل، وبحر الفلاحة الذى لا يترك ساحله، ولا يبلغ
 الطية البعيدة وإحله، إلى الوادى، وتمر الوادى، وقرار دموع النوادى، المتجاسر
 على تحطيه، عند تحطيه، الجمر العادى؛ والوطن الذى ليس من عمرو ولا زيد،

والقرآن الذى فى جوفه كل صيد؛ أقل كرسية خلافة الإسلام، وأعار بالوصافة والجسر دار السلام، وما عسى أن تطيب فى وصفه أيسنة الأفلام، أو تمبر به عن ذلك الكمال فنون الكلام .

فاعلمنا إليها السرى والسير ، وقُذنا إليها الخيل وقد عقد الله بنواصمها الخير .

ولما وقفنا بظاهرها المُنبت المُعجِب ، وأصطفنا بخارجها المُنبت المُعجِب ؛ والقلوب تلتحمس الإمانه من منير مجزل ، وتستزِل مدد الملائكة من مُنجد مُنزِل ، والراكب واقفة من خلفنا مجزل ، نقاشد فى معاهد الإسلام : قفًا نَبك من ذكرى حبيب ومُنزل - برز من حاميها الحمايه ، ووقود النار الحمايه ، وبقية السيف الوافرة على الحصاد النايه ، قطعُ النائم الحمايه ، وأمواجُ البحور الطايه ، واستجنت بظلال أبطال الجبال أعدادُ الرجال الناشيه والرامي ، وتصدى للزلال ، من صناديدها الشهب السبال ، أمثالُ المضارب الراسيه ، تجنُّها جنُّ السوانج الكاسيه ، وقواميسها المُفاديه للصلبان يوم يوسها بنفوسها المواسيه ، وخنازيرها التى عدتها عن قبول مُجيب الله ورسوله ستور الظلم الفاشيه ، ومُضَوِّر القلوب القاسيه ؛ فكان بين الفريقين أمام جسرهما الذى فرق البحر ، وحل بلجينه ولائى زينته منها النحر ، حرب لم تنسج الأزمان على منوالها ، ولا أمنت الأيام الحبالى بمثل أجنة أهوالها ؛ من قاسها بالفجار ألك وبجر ، أو مبتلها بيجفر الهبابة تحرف وبجر ، ومن شَبَّها بجر داحين والقبراه فاعرف الخير ، فليسأل من حرب وخنزير ؛ ومن نظرها بيوم شعب جبلة ، فهو دُوبله ، أو عادتها بطن عاقل ، فنير طاقل ؛ أو أحمج بيوم ذى قار ، فهو إلى المعرفة ذوا أفتقار ، أو ناضل بيوم الكليلد ، فسهمه ^(١) [خير السديد] ، إنما كان مقاماً غير مُعتاد ،

وسمعى فخرى لم يَفِ بوصفه لسانُ مُرتاد، وزَلْزَالَ جبال أوتاد، ومتَلَفَ مَنَحُور
لسلطانِ الشيطانِ وعناد، أُنْظِمَ فيه البطلُ الباسل، وتوردُ الأبيضُ الباترُ وتُؤدِّي الأسمُرُ العاسل،
ودَوَّمَ الجَلْمُدُ المتكاسل، وأنبعثَ من حَتَبِ الحَنِيَّةِ إلى هَدَفِ الرِّيمَةِ النّاشِرُ النَّاسِل،
وَرُويَتْ لمرسَلاتِ السَّهامِ المُرْكَسَل، ثم أنْفَضَى أَمْرُ الرِّمَاحِ إلى التَّشَابُرِ والإِرْتَبَاك،
وَنَشِبَتْ الأَسِنَّةُ في الدُّرُوعِ نَشِبَ السَّمَكِ في الشَّبَاك، ثم آخِطَلَ المَرعى بِالْمَهْل،
وَعُزِلَ الرُّدْيُ عَنِ الْعَمَل، وعَلَدَتِ السُّيُوفُ من فوقِ المَقَارِقِ تَيْجَانًا، بعد أن شُقَّتْ
عُدْرُ السَّوَابِغِ خُلْجَانًا، وَأُتْحِدَتْ جَدَاوِلُ الدُّرُوعِ فصارَتْ بِحَرًا، وكانَ التَّعاقُّ فَلَاحِزًا
إِلَّا تَحَرًّا يَلْزِمُ تَحَرًّا، عِناقَ وَدَّاعٍ، ومَوْقِفَ تَمَثُّلِ ذِي أَنْصِدَاعٍ، وإِجَابَةَ مَنَادٍ إلى
فِرَاقِ الأيْدِ وَدَّاعٍ، وَاسْتَكْشَفَتْ مَالَ الصَّبْرِ الأَهْمُسُ الشَّقَاقَةَ، وَهَبَّتْ بِرِيحِ النُّصْرِ
الطَّلَاحُ المِهْمَرَةَ المَهْفَاقَةَ، ثم أَمَدَ السَّيْلُ ذَاكَ العُبابِ، وَصَقَلَ الأَسِيْبُ صَارُ الأَلْبَابِ،
وَأَسْتَعْطَصَ الْعِزْمُ صَفْوَةَ الأَلْبَابِ، وَقَالَ لِسَانُ النُّصْرِ: أَدْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ، فَاصْبَحَتْ
طَوَائِفُ الكُفَّارِ، حَصَائِدَ مَنَاجِلِ الشَّفَارِ، قَفَّارُهُمْ قَدْ رَضِيَتْ حُرْمَتُهَا بِالْأَعْفَارِ،
وَرُؤُوسُهُمْ مَحْطُوطَةٌ في خَيْرِ مَعَالِمِ الأَسْتِغْفَارِ، وَطَلَّتِ الرَّاياتُ من فَوْقِ تِلْكَ الأَبْرَاجِ
المُسْتَعْرِفَةِ والأسوارِ، وَرَفُوفٌ عَلَى المَدِينَةِ جَنَاحُ البَوَارِ، لَوْلَا الاِئْتِمَاءُ إِلَى الحِلْدِ والمِقْدَارِ،
وَالْوَفُوفُ حِنْدَ أَخْفَافِهِ سِرِّ المِقْدَارِ.

ثم صَبَرْنَا نَهْرًا، وَشَدَدْنَا بِأَيْدِي اللهِ قَهْرَهَا، وَضَيَّقْنَا حَصْرَهَا، وَأَقْبَلْنَا أَيَّامًا
نَحْمُومُ عَقِبَاتِ البُنُودِ عَلَى فَرَسَتِهَا حَيَامًا، وَتَرَى الأَرْوَاحَ يَبْوارها، وَتَسْلُطُ النِّيرانُ
عَلَى أَطْفَارها، فَلَوْلَا طَائِفُ المَطَرِ، لَحَصَلْنَا مِنْ فَتْحِ ذَلِكَ الوَطَنِ عَلَى الوَيْطَرِ، فَرَأَيْنَا
أَنْ تَرُوحَهَا بِالْإِجْتِنَابِ والإِئْتِسَافِ، وَتُوَالِيَ عَلَى زُرُوعِهَا وَدُرُوعِهَا كَرَّاتٍ رِيحُ
الإِغْتِسَافِ، حَتَّى يَتَهَيَّأَ للإِسْلَامِ لَوْكُ طُعْمَتِهَا، وَيَتَهَيَّأَ بِفَضْلِ اللهِ إِرْثُ نِعْمَتِهَا،

ثم كانت عن موقفها الإفاضة من بعد نحر النحور، وقَفَّ جوار الدنار على العنود
المندحور، وتداغت خلقنا السابقات المستقلات تداعج أمواج البحور.

وبعد أن أقمنا على جنتها المصيرة، وكرومها المشجرة، إلحاح الغريم، وغوضناها
المنظر الكريمة من المنظر الكريم، وطاف عليها طائف من ربنا فاصبحت كالصريم،
وأغرمتنا حلاق النار بحم الجحيم، وراكنا في أجواف أجوائها غمام الدخان، قد شحز
طيبة البان، بيوم النسيم، وأرسلنا رياح الغارات لا تدر من شيء أتت عليه إلا جعلته
كالريم، وأستقبلنا الوادي يهول مدا، ويروع سيفه الصبيل حذا، فيمره الله من
بعد الإعواز، وأطلقت على الفُرصة [بتلك الفرصة^(١)] أيدي الانتهاز، وسألنا من سأله
أسد بن الفرات فاقى برُحمان الجواز فم الأكساح والاستباح جميع الأحواز، فأديل
المصون، وأتتهب القرى وهلمت الحصون، واجتثت الأصول وحطمت النصبون،
ولم ترفع عنها إلى اليوم غارة تُصالحها بالبوس، وتطليع عليها غررها الضاحكة باليوم
الأيوس، فهي الآن تجرى السواقي ويجز الموالى، على التوالي، والحسرات تعبد
في أطلالها البوالى، وكأن بها قد صرعت، وإلى الدعوة المحمدية قد أسرعت بقدر
من لو أنزل القرآن على الجبال لخشعت من خشية الله وتصدعت، وعزرة من أذعن
الجبابرة لزمه وخنت، وعدنا والبؤود لا يعرف ألف تنثرها، والوجوه المبهدة
لا يخالط التقطيب بشرها، والأيدى بالعروة الوثقى معتقبه، والألسن بذكر نعم الله
مُطليعه، والسيوف في مصابح النمود قلعه، ومرايل الدروع خيلقه، والبياد من
رذها إلى المراتب والأوارى رد العوارى حقيقه، ومبرات النيط المكظوم محتقيقه،
تنظر إلينا نظير العائب، وتعود من ميادين المراح والاختيال تحت حلال السلاح عود

العَبَّانَ إِلَى الْكَتَابِ ؛ وَالطَّبِيلُ بِلِسَانِ الْعِزِّ هَادِرٌ ، وَالْعَزَمُ إِلَى مُتَادِي الْعُودِ الْحَمِيدِ
مُبَادِرٌ ، وَوَجُودُ نَوْحِ الرَّمَّاحِ ، مِنْ بَدَنِكَ الْكَفَّاحِ ، نَادِرٌ ، وَالْقَاسِمُ تَرْتِيبٌ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
السَّيِّئِ النَّوَادِرِ ، وَوَارِدُ مَنَهْلِ الْأَجُورِ ، غَيْرُ الْمُحَلَّلِ وَلَا الْمَهْجُورِ ، صَادِرٌ ، وَمُنَاطِرُ الْفَضْلِ
الْآتِي عَقِبَهُ أَخِيهِ السَّانِي عَلَى الْمَطْلُوبِ الْمَوَاقِي مُصَادِرٌ ؛ وَاقَّةٌ عَلَى تَسِيرِ الصَّبَابِ
وَتَحْوِيلِ الْمَنَنِ الرَّطَابِ قَادِرٌ ؛ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، لَمَّا أَجْمَلَ لَنَا صُنْعَهُ الْخَفِيُّ ؛ وَأَكْرَمَ بِنَا لُطْفَهُ
الْخَفِيُّ ؛ اَللّٰهُمَّ لَا تُخَيِّئْ شَأْنَهُ عَلَيْكَ ، وَلَا تَلْجَأْ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ ، وَلَا تَقْتَمِسْ خَيْرَ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ إِلَّا لَدَيْكَ ، فَاعِذْ طِينًا عَوَائِدَ نَصْرِكَ بِأَمْبِدِي بِأَمْبِيدِ ، وَأَعِزَّنَا مِنْ وَسَائِلِ
شُرُوكِ عَلَى مَا نَتَّالِ بِهِ الْمَزِيدِ ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ يَا فَعَّالًا لِمَا يُرِيدُ .

وَقَارَنْتُ رِسَالَتَكُمْ الْمِيمُونَةَ مِنْهُ لَتَيْنَا حَقَّقَ فَضَحَ بِمَعْدِ صِهْنَتِهِ ، مَشْرُوبٌ لَيْتُهُ ، وَنَفَرٌ
مِنْ نَوْحِ النُّجُومِ السَّوَامِ مَيْتُهُ ، عَجَبْنَا مِنْ تَأْتِي أَمَلِهِ الْبَارِدِ ، وَقَلْنَا الْبَرَكَةُ فِي قُدُومِ الْوَارِدِ ،
وَهُوَ أَنَّ مَلِكَ النَّصَارَى لَا طَقْنَا بِجَمَلَةٍ مِنَ الْحَصُونِ كَانَتْ مِنْ مَمْلَكَةِ الْإِسْلَامِ
قَدْ خَصِصَتْ ، وَالْقَمَائِلُ فِيهَا بِبُيُوتِ اللَّهِ قَدْ نَصِبَتْ ؛ أَدْلَاهَا اللَّهُ بِمُحَاوَلَتِنَا الطَّبِيبِ مِنْ
الْحَبِيبِ ، وَالْوَحِيدِ مِنَ التَّثْلِيثِ ؛ وَادَّاءَ إِلَيْهَا الْإِسْلَامُ عَوْدَةَ الْأَبِ الْغَائِبِ ، إِلَى الْبَنَاتِ
الْجَبَائِبِ ؛ بِسَأَلٍ عَنْ شُؤْنِهَا ، وَبِمَسْحِ دُمُوعِ الرِّقَّةِ عَنْ جُفُونِهَا ؛ وَهِيَ لِقَرُومِ خُطَّةِ
خَسِيفٍ قَلَمًا أَرْتَكِبُوهَا فِيمَا نَعْلَمُ مِنَ الْعُهُودِ ، وَتَادِدَةٍ مِنْ نَوَادِرِ الْوُجُودِ ؛ وَاللَّهُ اللَّهُ طِينًا
وَعَلَيْكُمْ عَوَارِفُ الْجُودِ ؛ وَجَعَلْنَا فِي مَحَارِبِ الشُّكْرِ مِنَ الرَّكْعِ السُّجُودِ .

عَرَفْنَاكُمْ بِجَمَلَاتِ أُمُورٍ تَحْتَهَا تَحْسِيرٌ ، وَمِنْ مَنْ لَقَّهِ وَتَسِيرٌ ، إِذْ أَسْفَاهُ الْحَزَنَاتِ
عَسِيرٌ ، لِلشُّرْكِ بِمَا مَنَحَ اللَّهُ دِينَكُمْ ، وَتَوَجَّعَ مِنَ الْمَلَّةِ الْخَنَفِيَّةِ جَبِينَكُمْ ، وَخُطِّبَ بَعْدَهُ
بِدَعَائِكُمْ وَتَأْمِينِكُمْ ؛ فَإِنَّ دَعَاءَ الْمُؤْمِنِ لِأَخِيهِ بَطْهَرُ النَّسَبِ سِلَاحُ مَاضٍ ، وَكَفِيلٌ بِالْمَوَاقِبِ
الْمُسْئِلَةِ مِنَ الْمُنِيعِ الْوَهَابِ مِيقَاضٍ ؛ وَأَتَمَّ أَوَّلَى مَا سَلَّمُ فِي رِزٍّ ، وَطَمَلُ اللَّهُ يَطْلُوسُ

سِرٍّ ؛ وأين يذهب الفضل من بَيْتِكُمْ ، وهو صفة حَيْكَمٍ وَثَرَاتٍ مَيْتِكُمْ ؛ ولكم حَزِينَةٌ
الْقِدَمُ ، ورسوخُ الْقَدَمِ ؛ والخلافةُ مَقَرُّهَا لِيَوَانِكُمْ ، وأصحابُ الإمامِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ
مُسْتَقَرُّهَا قِيَرَوَانِكُمْ ؛ وهجيرُ المنابرِ ذِكْرُ إِمَامِكُمْ ، والتوحيدُ أَعْلَامُ أَعْلَامِكُمْ ؛ والوقائعُ
الشهيرةُ فِي الكفرِ مَسْئُوبَةٌ إِلَى أَيَّامِكُمْ ، والصحابَةُ الكرامُ فَتْحَةُ أوطَانِكُمْ ، وَسُلَالَةُ
الفاروقِ عليه السلامُ وَشَائِخُ سُلْطَانِكُمْ ، ونحنُ نَسْتَكْثِرُ مِنْ بركةِ خِطَابِكُمْ ، وَوَصْلَةِ
جَنَابِكُمْ ، ولولا الأضرارُ لَوَالَيْنَا بِالْمَتَرِيدَاتِ تَعْرِيفُ أَبْوَابِكُمْ .

والله عز وجل يتولى عنا مِنْ شُكْرِكُمُ المَحْتَمُومُ ، مَا قَصُرَ المَكْتُوبُ مِنْهُ عَنِ المَكْتُومِ ؛
وَيُفِيكُمُ لإقامةِ الرُّسُومِ ، وَيُحِلُّ مَحَبَّتَكُمْ مِنْ القلوبِ عَمَلُ الأرواحِ مِنَ الجَسُومِ ؛
وهو سبحانه يَصِلُ سَعْدَكُمْ ، وَيَحْرُسُ مَجْدَكُمْ ، وَيُوَالِي نِعْمَةَ عِنْدَكُمْ .

والسلامُ الكريمُ ، الطَّيِّبُ البرِّ العَمِيمُ ؛ يَغْضَمُكُمْ كَثِيرًا أَثْمِيرًا ، مَا أَطْلَعَ الصَّبِيحُ وَجْهَهَا
مُثِيرًا ، بعدَ أَنْ أُرْسِلَ النِّسَمُ سَفِيرًا ، وَكُلَّ الوَيْصُ البَاسِمُ ، لَا كَوَاسُ الفَتَامِ ،
عَلَّ أَزْهَارُ الكِبَاشِمِ مَدِيرًا ؛ وَرَحمةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الطرف الثامن

(فِي المَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنِ الأَمْرَاءِ مِنَ التَّهْلِيلِ وَأَمْزَاءِ السَّرَايَا)

فِي صدرِ الإسلامِ إِلَى مَنْ فِي مَعَاهِمِ

وَكَانَ التَّالِبُ فِي مَكَاتِبَاتِهِمُ الْاِفْتِتَاحَ بِأَمَّا بَعْدُ وَالتَّعْمِيزَ عَنِ المَكْتُوبِ عَنْهُ بِلفظِ
الوَحْدَةِ ، وَخِطَابَ المَكْتُوبِ إِلَيْهِ بِالكَافِ .

كَما كَتَبَ الْحَاجُّ بْنُ يُوْسُفَ إِلَى المَهْلَبِ بْنِ أَبِي صُفْرَةَ ، وَهُوَ يَوْمُئِذٍ نَائِبٌ عَنِ الْحَاجِّ
عَلَى بَعْضِ الأَعْمَالِ وَالْحُرُوبِ .

أما بعد ، فإنك تتراخى عن الحرب حتى تأتيك رُسُل ويرجعون بِمُدرك ، وذلك أنك تُسك حتى تَبْأ الجراح وتُنسى القتلى ويَجْم الناس ، ولو كنت تَقْلهم بذلك الحدة لكان الداء قد حُصم ، والقرن قد قُصم ، ولعمري ما أنت والقوم سواء ، لأن من ورائك رجالا ، وأمامك أموالا ، وليس للقوم إلا ما معهم ، ولا يدرك الوجيف بالديب ، ولا الظفر بالتذير .

وكما كتب المهلب إلى الججاج مجيبا له عن ذلك .

أما بعد ، فإنى لم أعط رُسلك على قول الحق أجرا ، ولم أحسب فيهم مع المشاهدة إلى تلقين . فذكرت أنى أجم القوم ، ولا بد من راحة يستريح فيها الغالب ويحتال المغلوب . وذكرت أن فى الجَم تُنسى القتلى وتَبْأ الجراح ، وهيات أن يُنسى ما بيننا وبينهم ، يأبى ذلك قتل من لم يَم ، وقروح لم تعرق ، ونحن والقوم على حالة وهم يرقون منا حالات ، إن طعموا حاربوا ، وإن ملؤا وقفوا ، وتطلب إذا هربوا ، فإن تركنى فالداء بآذن الله محسوم ، وإن أعجبتى لم أطعك ولم أعص وجعلت وجهى إلى بابك ، وأنا أعود بأفقه من يحفظه ومقت الناس .

الطرف التاسع

(فى المكاتبات الصادرة عن الملوك ومن فى منافعهم ، إلى الملوك ومن فى منافعهم ، على ما كان عليه مصطلح أهل المشرق ، وهو على ثلاثة أضرب)

الضرب الأول

(أن تكون المكتبة عن ملك إلى غير ملك)

ورسمهم أن يفتح الكتاب بلفظ « كتابنا إليك فى يوم كذا ، ومن مكان كذا ، والأمر على كذا وكذا » . ويذكر الحال التى عليها المكتوب عنه حيثئذ أوالتى عليها

الخليفة إن كان المكتوب عنه من أتباع الخليفة، أو ألقى عليها الملك إن كان من أتباع الملك ومحذرك ؛ ويكون الصبر في هذه المكتبة عن المكتوب عنه بنون الجمع ، والخطاب للمكتوب إليه بالكاف . ولا يقال في المكتوب إليه في هذه الحالة : سيدي ومولاي ، ولا سيدنا ولا مولانا . وبذلك يكتب عن الملوك ومن في معانهم من سائر الرؤساء إلى المرءوسين .

ثم هو على مرتبتين :

المرتبة الأولى . — أن يُراعى جانب المكتوب إليه في الرتبة بعض المراتبة . كما كتب أبو إسحاق الصبّاح عن شمس الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة ابن بويه ، إلى صاحب كاف الكفاة إسماعيل بن عباد وزير غفر الدولة ، في الشفاعة في شخص من بعض الزمان :

كاتبنا . أدام الله تأييد صاحب الجليل كاف الكفاة . وإن وثقتنا من المسؤولين بالإيجاب والإيجاب ، ومن المأمورين بالامتثال والطاعة ؛ فإننا نحس بكتبنا الصادرة عنا في المآرب العارضة لنا من خصمت^(١) من كلا الفريقين نهضته إليها ، وظهورت منارته عليها ؛ وإذا آتينا إليه . أدام الله عزه . في ذلك عهدنا مع ما قدم الله عندنا من رتبته في الطبقة الأولى ، وميزتنا مع ما أقر الله علينا من طاعته عن الطبقة الأخرى ؛ وأرسلنا منه طاعة مشكورة في اتباع محبوبنا ، والإسماعيل بطلونا ؛ ليسلّس لنا إلى مخاطبته قياد يتقاضى عن سواه ، وتنسبط منا في مكاتبته أنامل تقبّل عن لا يجرى مجراه ؛ ولا سيما إذا كان ذلك في مكرمة يطيب ثاؤها ، ومتقبة يُشاد بناؤها ؛ والله يحمي ويمدنا فيه من طيب السجيا ، وصالح العطايا ؛ بما هو الولي به ، والحقيق بالشكر عليه .

(١) الله صحبت أروضت أروض ذلك .

وكتابتنا هذا - أدام الله عزَّهٗ صاحب الجليل كافى الكُفَاة - مبنًى على إذكاره بحقِّ
لنا رعيَّته ، وذيَّام من أجله أوجَّبتْه ؛ وذلك أسدُّ لإحكامه وأزْمُ لإيجابه ، وأوكد
لأسبابه ؛ وقد عَرَفَ مكان أبى منصور يزداها دار بن المرزبان من خدمتنا ، ودوقعه
فى جملتنا ، وتوفَّر حظُّه من جميل رأينا ، وخالص اعتقادنا ؛ ومن أوجه وسائله
لدينا ، التى أوجبتْ له ذلك علينا ، أنا لانزال عدده عليه ، من الاعتداد ^(١) بأحسن
الصاحب الجليل كافى الكُفَاة إليه ، وإلى أبيه من قبله ، والاعتراف بأنه أيد الله
أبوهة صنيته ، والسابق إلى الجنب بضمِّه ؛ ولأن كان أقرله من ذلك معروف
لأينكر ، ودخل من الثناء عليه فى إجماع لا يُحرق ؛ قد بين عن نفسه أنه من يطبق
حمل المَن ، ويحسن مصاحبة النَّم ؛ ويستحق أن تُعزَّز عنده أسلافها ، وتُقدَّر عليه
أخلاقها ؛ إذ لم يُلحَلْ الرُّبُوع فيها عن التحيد من اصطرافها وأنصرافها ، ولم يُلحَلْ
التوسط لها من حياطة أطرافها وأكافئها ؛ ومن لنا اليوم بالشكور الذى لا يَطمِط ،
والذُّكُور الذى لا ينسئ ؟ والعلم بما يلزمه ، والقُوم بما يحقُّ عليه . وأعلَّنا حال
قريبين له يقال لهما الفرکان بن حرزاد ، ووسم بن يزد ؛ وأنها تصرفان بعض الخدمة
تصرفاً تزيلاً فيه عن نهج السَّداد ، وسنن الرِّشاد ؛ وأقتضى ذلك أن طُلبا بالتقويم
والتهذيب ، ووجَّحا مضيق القصاص والتأديب ؛ وأنه قد مضتْ لهما فيه مدَّة طويلة
فى مثلها ما صلَّح المعاقب ، واكتفى المعاقب ؛ وسؤاله لهما ، ومرادنا له فيهما ، شفاعة
الصاحب الجليل كافى الكُفَاة إلى مولانا الأمير السيد شاهنشاه نغرا الدولة فى أن
يسمَّهما العفو ، ويدركهما العطف إما بأستخدام يتطوَّقان به المَن ، وإذْذُّ لهما
بانصراف إلى الوطن ؛ وقد أستظهرنا بكاتب كتهنه فى أمرها : هذا الكجاب
يشتمل عليه ، حتى إذا وجب أن يجعله الصاحبُ الجليل كافى الكُفَاة ذريعة إلى

(١) كذا فى الأصول وله أنه لانزال يده ماطيه من الاعتداد الخ .

الفرض ، وبعطية إلى المقصد ؛ أمضى في ذلك رأيه ، وعقد عليه تدبيره . فإن رأى
الصاحب الجليل أن يتوصل في هذا الأمر إلى ما يُسّا كل عادته عندنا في الأمور
الواردة عليه فعل ، وتوثق في الجواب أن يكون متضمناً لذكر الفعل دون القول ،
والإنجاز دون الوعد ؛ إن شاء الله تعالى .



وكما كتب الصابي عن مضمّام الدولة المقّم ذكره ، إلى الصاحب بن عباد أيضاً
في حالة أخرى ، بسبب ردّ إقطاع إلى أبي جعفر محمد بن مسعود قرين كتاب
إلى نضر الدولة

كتبتُ والسلامة لدينا راحته ، وعادة الله لإقرارها ضامنه ؛ والحمد لله رب العالمين ،
والصاحبُ الجليلُ كافٍ الكفاة - أدام الله تأييده - يعلم أنه لم يزلْ لمالكنا أفيّةً
نُقام بها أسوأئي المكارم ، ونحيا بها سُتن المحامد ؛ وقد جعله الله بتفضله الحافظَ
لجمال ذلك علينا ، والضاربَ بسهمه فيه معنا ؛ فالحمد لله على أن قرّن الحفظَ التي
نحوّنا ، والمنازلَ التي تولّنا ، بالخلّ الخليفة بها ، الداعية إلى استقرازاها ، والطرائق
المطرقة إلى ثباتها واستقرازاها ، وأن زانَ إيماناً هذه الحاضرة ، بآثار الصاحب
كافٍ الكفاة أدام الله عزه . فيها الناضرة ؛ ومباهية الرشيدة ، وأفعاله المستقيمة ؛
وأحاديثه الجميلة ؛ ولأياه نسال أن يُجبرتنا وكلّ تابعٍ على أفضل ما عودنا وأحسن
ما أولاه ومنعنا بقُبرته .

وإذا كان مولانا الأميرُ السيدُ شاهنشاه نضر الدولة ، وقلّك الأئمة ؛ بالمحلّ الذي
أهله الله له : من استعذاب الإحسان إلى أوليائه ، وأقراض الإفضال على نصّحائه ؛
وكان الصاحبُ الجليلُ بالحلّ التي فويها من القيام بما حمل به الكتابُ فيه عنه .^(١)

(١) في الأصل « من القيام قد كل له والمنازل الخ » وهو تحطيط من التابع .

فقد وجب أن تكون الرّواية لِذَوِي الحُرّمات مستَحِكّة الأسباب ، ثابتة الأطناب ؛
واضحة الأعلام ، ماضية الأحكام ، ولا سيما فيمن تملّق مِنّا بالعناية ، وأخذ
من ذِمّاتنا بالوثيقة ؛ و « أبو جعفر محمد بن مسعود » أيده الله جامع لَوَات ، التي
يَسْتَحِقُّ بها اجتماع العناية ، سائقاً صالحاً في الخُلعة ، وسابقةً متمكّنة في الجملة ؛
وأشتمالاً على كلّ ما وجبت به الحقوق ، ولزمت به الرّعايات . وذَكَرَ أنه كانت له
بنواحي الجبل تسويغاتٌ ومعايشٌ أنعم بها مولانا الأمير السيد نغر الدولة عليه
في حالٍ بعد حال ، وشرّفه بها في مقام بعد مقام ؛ منها كذا وكذا ، وإذا جُمع الجميع
كان قليلاً في جنب ما يُقبضه مولانا الأمير السيد شاهنشاه نغر الدولة ، وفلك الأمة
على خَدَمته : من جليل حوارفه الجارية على يد الصاحب الجليل كافي الكفاة آدم الله
تأييده ، والواصلّة إلى مستحقّها بلطف توصّله ، وجميل متقدّمه . وكان موقعه
جليلاً عند أبي جعفر محمد بن مسعود أيده الله في جنب ما يُصلح من شأنه ، ويُقيم
من جاهه ، ورب من معاشه ، وعلّم من حاله . وقد كتبنا إلى مولانا في ذلك كتاباً
بجمل قصراته على الرّغبة إليه ، في ردّ هذه المعاش عليه ؛ وعزّلنا على الصاحب الجليل
في إخراج أمره العالی بذلك له ، وإحكام المناشير والوثائق بمجمعه ، والتّتم بمكاتبه
الأمال والولاية بتقوية أيدي أصحابه ، في استيفاء ما يجب من الأسلاف والبقياء ، على
الأكرّة والمزارعين ، والوكلاء والمعاملين ، وتأكيد الكُتُب بغاية ما تؤكّد به أمثالها ،
ويبلغ به أبو جعفر تحابه كلّها . فإن رأى الصاحب الجليل أن يأتي في ذلك كلّ ما يجده
ويهدو ويرّاه ويحقّقه ، جارياً على المألوف من مُتأبّريته على ما عاد علينا وعليه معناه
بطبيب الذّكر والبشر ، ونشأ اليوم والفد ، قد أنشدنا بهذا الكتاب ركائب لنا دِلالة
على خصوص متضمّناته في تملّقه بالأهتمام منا ، فعل إن شاء الله تعالى .

الضرب الثاني

(أن تكون المكتوبة من ملك إلى ملك)

ورسمهم في ذلك أن يُفْتَحَ الكتابُ بلفظ : كَتَبَ والأمرُ على كذا وكذا ، ويُقَرَأُ
 بالتعبير عن المكتوب عنه في أثناء الكتاب بلفظ الأفراد دون الجمع ، وهنا يَنْهَضُ
 شأنُ المكتوب إليه ، فيعبر عنه بمولاي وسيدى ، ومولانا وسيدنا ، ونحو ذلك .

ثم هو على مراتب ^(١) :

المرتبة الأولى

(أن يكون المكتوب إليه ملكاً أيضاً)

فيخطبه على قدر مقامه بالسيادة أو غيرها مع النداء بما يناسبه : من طول البقاء
 ونحوه ، ثم تارة يَفْتحُ التعرُّض فيها بذكر الطلب ويرفع الحال التي هو عليها ، وتارة لا يَفْتحُ
 التعرُّض إلى ذلك - كما كتب أبو إسحاق الصابى عن عز الدولة ، بن مُعز الدولة ،
 ابن بويه ، إلى عضيد الدولة بن بويه في طلب الصلح ، وقد جرى بينهما اختلاف .

كتابي - أطال الله بقاء مولانا الملك الجليل المنصور عضيد الدولة - من العسكر
 بظاهر سوق الأهواز ، ومولانا أمير المؤمنين مشمول بالكفاية والتأييد ، مخصوص
 بالعز والتكبير ، يجرى على أفضل ما عود الله خُلفاءه وأرضه ، وأحبائه في رعاية خلقه ،
 من التَّكْفُل لم بالإظهار والإداله ، وتوليهم بالإعلاء والإتانه ، وأنا مستظل بكف
 طاعته ، مستكن في حرم مشايعته ، شاكر لله على بَلَّاه ، مثن عليه بالآله ، راغب

(١) لم يذكر في الأصول غير الأولى ويظهر أن القسم هو فإن القسم هو الكتابة من ملك إلى ملك وهو
 من المرتبة الأولى شامل .

إليه أن يعصمني في مولانا الملك الجليل المنصور وفي نفسي من كل مكروه
ومستحسن، ويوفقني وإياه لكل مستحب ومستحسن، ويعيذنا من المقام على
الفرقة، والزوال عن سنن الأئمة، وهو المصمود رب العالمين .

والحقوقي بين مولانا الملك وبينى فيما قرره منا الله، وأكده المصم، وأثله
الأسلاف، ونشأت عليه الأخلاف، حقيقة بأن لا تسرع إليها دواعي التقص،
ولا تمنكن منها ملذات النسخ، ولا يطمع للشيطان عليها ما يحاوله برفه، وتوصل إليه
بكيد، وأن تتراح العوارض عنها، وتضمحل دون التأثير فيها، وأن تمتد جميعا
أن يتقارضا رعايتها ثبات النعم المتصلة بها، فلا يستنكف مستنكف منا أن
يخفف جناحه لأخيه، ويضع من حماه في مقاربة ذويه، إذ كان ذلك حاييا
له في أهول الأحوال مما هو أشد خفضا، وأبلغ رضا، وأسوأ مغبة، وأتكر عاقبة .

وقد علم مولانا الملك المنصور بالشاقب من تأمله، والصحيح من تميزه وتذره،
أن دولتنا - حرما الله مبيدة على أسس الترافد والتعاضد، موضوعة على قاعدة التوازد
والتظافر، وأن مشيختنا وسادتنا رضوان الله عليهم جعلوا الأسلاف رجا بين
الأعداء وبينهما، ثم إن مفتاحه هو الخلاف المتطرق لهم عليها، ولو حدث التناقض
في أيام رياسة أصفهنا منه، وأوهنا عقده، وأحدثنا سنا، وأقلنا حنكة، لكان ذلك
أقل في التعجب من أن يعرض في رياسة أصفهنا رأيا، وأمدنا تدبيرا، وأوفانا
حكما، وأكلنا جزا . وقد تكررت - أيد الله مولانا - على ذات بيننا قوارص
أخفرتها حاجتي ابتلا الإنا من قطرها، وأسقينا منها على العظيمة التي لا تواءم معها،
وما أعود على نفسي بلوم في ابتداء قبيح ابتدائه، ولا يتركب شنيع ركبته ولا حق
أطرحته، ولا استصلاح تركته، ولا أدفع مع ذلك أنى قابلت لما تصاحف بالأمل

الأمير، وجازيت لما ترادف بالأذون الأثر؛ إلا أني ما آثرت كثيره ولا قليله، ولا آثرت دقيقه ولا جليله؛ لكنه لم يصلح في السيرة - وقد أشفينا على التراخف للحرب، والتدائف للطعن والضرب - أن أستعمل ما كنت عليه من توفية الحقوق، وإقامة الرسوم، فيرائي الأولياء الذين بهم نمتحي البيضة، ونحاط الخوذة، ومتناقص الفعيلين، متنافي المذهبين؛ وكنت في ذلك الفصل النميم، والرأي الذي ليس بمستقيم، مقتدياً لا مبتدئاً، ومتبعا لا مبتدئا؛ ولو وقف بي مولانا الملك الحليل قبل أوامر الجلاء، وظلف معي إلى أول شرائع الصفاء؛ لكانت عريكتي عليه آتية، وطريقه إلى ارتباط طاحتي وولائي أقصده؛ لكنه أيده الله أقام على ما لا يليق به من مجانبتي ومغالفتي، وبث الحسائل في ودس المكائد إلى، ومتابعته الجواسيس والكتب إلى الأولياء في عسكري الذين هم أوليائه، إن أنصف وعدل، ونصحاؤه، إن أحسن وأجمل.

وكان الأشبه بمولانا لو كنت الفالط عليه، والباصت لهذه الأسباب إليه، أن يسوسني سيااسة الحكيم، ويستخلصني استخلاص الكريم؛ إذ كالم تقدمه معشر أهل البيت علينا، ونؤله أزمة أمورنا؛ إلا لياسو جروحنا، ويحمر كسورنا، ويتعهد منيكتنا، ويستميل نافرنا؛ فاما أن يحاول منا استباحة الحرم، ولزكاتب المركب العظيم؛ فكيف يجوز أن تقوم على هذا طامعه، أو تصلح عليه جماعه؛ أو يفضي عليه مفضن، أو يصفق عنه صانع؟ وكان من أشد هذه الجفوة وأفظمها، وأصاها وأغلظها؛ أن جاد رسول من حضرته خالياً من جواب بما كتبت إليه، وما أعرف له أيده الله في ذلك عذراً يسطعه، ولا سلك منه السبيل التي تشبهه؛ وبالله جهد القسم ومتهامها، وأجلها وأوقاها؛ لقد سار مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، ونسرت إلى نفعنا الموضع، واعتقاده لا يحاور جفيرة الخنوة والأطراف، وخياطة النهايات

والأكناف ؛ والأغلب علينا أن مولانا الملك - أدام الله تأييده - لا يتجاوز معنى
 المعاتبة اللطيفة ، والمخاطبة الجميلة ؛ والاستدعاء متى لمبا يسوغ له أن يطلبه إلى أن
 أبطله ، من تغية السالف ، وإصلاح المستأقب ، وتوفية الحق في رتبة لا أضيق بها
 عليه ، ولا أسترثر التزول عنها له ؛ وبقرار أصل بيتنا يكون . أيده الله به معقلا
 لي وموتلا ، وأكون نائباً له ومظفراً - إلى أن بدأ الأصحاب بالبيت في هذه البلاد ؛
 والحوأ عليها بالفارات ، وأحتموها بالنكبات ؛ وكان هذا كلرأش الذي يؤذن
 بالانسكاب ، والوميض الذي يؤمد بالأضطرأمد وأوجبت قبل المقابلة عليه والشروع
 في مثله في حق مولانا الملك الجليل ، الذي لا أدع أن أحفظ منه ما دعاني إلى
 إضاحته ، وأتمسك بما أضطرني إلى مفارقتها ؛ أن أقدم أمام الانكفاء على الحرب التي
 هي بحال كما يعلم ، إبلاغ معنى طرأها وإعطاء المقادة منها ؛ داعياً له إلى طاعة الخالق
 والإمام ، وصلة لهم والأرجام ، وحقن الساء والمهج ، وتسكين الدعاء والرجح ؛
 وفقى العنان عن الموزد الذي لا يدري وارده كيف يصبر عنه ، ولا يبقى بالسلامة منه ؛
 وتصرفي ما يريد مني لأتبعه ما لم يكن ثامناً لي ، وعائداً بالوهن علي ؛ والله الشاهد
 على شهادة قد علم إخلاصي فيها ، وسماحة ضميري بها ؛ وأخفى أكره أن أتال منه ،
 كما أكره أن يتال مني ، وأتألم من أن أعطهر عليه ، كما أتألم أن يظهر علي ، وأحب أن
 يرجع مني وأرجع عنه ؛ وقد ألفت قلوبنا ، وتألف حل الجليل ثملنا ؛ وطرفت أعين
 الأعاذي عنا ، وأخسست مطامهم فينا ؛ فإن فعل تلك لحقيق به الفضل ، وهو لعمر
 الله له أهل ؛ ولا طرأ له في أن لا يفعله ؛ وقد وسع الله ماله ، ووفر حاله ، وأغناه
 عما يلتمسه المضلوك ، ويخطر له الشبروت ؛ وجعله في جانب الفنى والثروة ،
 والحزم والحيلة ؛ وإن أبى فكأنى هذا حجة عند الله الذي تستل منه المعونة وتعد
 الناس الذين تلتصم منهم المهيبة ؛ وقد أهدت به إسفندان بن خسرويه ، وأبرأهم

أَبْنِ كَلَى ، وَهَمَا تَقَاتَى وَأَمِينَا ، لِيُؤَدِّيَاهُ وَيُسَافِهَاهُ عَنِّي بِمَنْحَلٍ مُتَضَمِّنَةٍ وَتَجَوَاهُ ،
وَاللَّهُ يُبَيِّدُنَا فِي مَوْلَانَا الْمَلِكِ الْجَلِيلِ مَنْ أَنْ يَخْتَارَ إِلَّا أَوْلَى الْأُمَرَاءِ وَالْيَقَهُمَا يَدِينُهُ
وَمُرُوءَتُهُ ، وَهُوَ لِي مَا يَرَاهُ فِي الْأَمْرِ بِتَسْجِيلِ الْإِجَابَةِ بِمَا أَعْمَلُ عَلَيْهِ ، وَأَتَبَيُّ
بِالتَّعْدِيرِ إِلَيْهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الضرب الثالث

(أَنْ تَكُونَ الْمَكْتُوبَةُ عَنْ دُونِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ)

وَرَسْمُهُمْ فِيهِ أَنْ يُتَبَدَأَ بِلَفْظِ كِتَابِي ، وَالدِّعَاءُ لِلْكَتُوبِ إِلَيْهِ بِطَوْلِ الْبَقَاءِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ،
وَيُخَاطَبُ فِي أَوَّلِ الْكُتُوبِ بِمَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، وَفِي أَثْنَاءِ الْكُتُوبِ بِالسَّيِّدِ
وَالْمَلِكِ وَنَحْوِ ذَلِكَ ، وَيُعْبَرُ عَنِ الْمَكْتُوبِ عَنْهُ بِلَفْظِ الْإِنْفِرَادِ :

كَأَنَّ كُتُبَ أَبُو إِسْحَاقَ الصَّابِي عَنْ الْأَمِيرِ نَصْرُوحُوزِهِ فَيُرْوِزُ بِنَ عَضُدِ الدَّوْلَةِ إِلَى
أَبْنِ عَمِّهِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ بِذِكْرِهِ حَالَهُ مَعَ أَخِيهِ مَحْصَمِ الدَّوْلَةِ .

كِتَابِي - أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ الْأَجَلِّ ، شَرَفِ الدَّوْلَةِ ، وَزَيْنِ الْمِلَّةِ ،
وَالسَّلَامَةِ لِي شَامِلَةً بِمَا مَدَّ اللَّهُ تَعَالَى حَيَّ مِنْ ظِلِّهِ الظَّلِيلِ ، وَرَأْيِهِ الْحَسَنِ الْجَمِيلِ ،
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَقَدْ تَأَدَّى إِلَيَّ مَوْلَانَا الْمَلِكِ السَّيِّدِ مِنْ أَخْبَارِي مَا اسْتَفْنَيْ بِهِ
عَنْ تَطْوِيلِ الْمَقْصَلِ ، وَكَتَفَنِي بِهِ عَنْ إِحْمَالِ الْجُمْلِ ، وَفَكَ أَنْ أَسْفَارَ بِنَ كَرْدُوِيهِ
وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بِنَ سَبَفِ الْكَافِرِينَ لَتَمَّاهُ اللَّهُ وَنِعْمَةَ الْمَلِكِ السَّعِيدِ حَضُدِ الدَّوْلَةِ أَيْدِيَا
رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ قَبْلَنَا ، النَّاعِمِينَ لِمَا تَفَاطَهَرَ عَلَيْهِمَا مِنْ إِحْسَانَاتِنَا وَإِفْضَالِنَا ، هَجَّاهُمَا لِيْنَا
مُحَمَّدَةَ تَفَاطَرَا عَلَيْهِمَا ، وَشَبَّهَ جَدَّائِي إِلَيْهَا ، وَأَبْرَمَا كَذِبًا مِنَ الْقَوْلِ لَمْ أَظُنَّهَا يُقْدِمَانِ

على مثله ، ولا يتفوهان بإطلاقة ؛ فأصغيت إليهما إصغاءً الواثق بهما لا المتخدع لهما ؛ فلما أتركتني على حكمهما ، وأوتقاني بحيث لا أستطيع مخالفتهما ؛ ظهرت الجيلة ، ووصحت النيلة ؛ وفاتني الاختبار ، وغلبني المقدار ؛ فخرى ما كانت طاقته خذلان الله ، لإحسا ، وإزاله بأسه وهمته عليهما ؛ وخلصى بسلامة الصدر ، وانضاح الصدر ، من حبائلهما المنصوبة ، وأشراكهما المبثوثة . ولما حصلت في كنف الملك السيد صمصام الدولة أفندي العثم ، وقيل مني المئذنة ؛ وأحلى من دراهم حكامه بحيث لم أصد عاده ، ولا أقطعت عن مائه ؛ وكانت الحال توجب مقامي فيها إلى أن تنتفى آثار الفتنة التي أثارها ذانكا الخيبتان الجانيان .

ثم ورد فلان في الرسالة ، وتمم الله على يده عقد الصلح والمسالمة ؛ فأخرجت عن الاحتجاب إلى الظهور ، وعن الاختيار إلى البروز ؛ وأزلت من الدار المعمورة في جانب يصل إلى منه سبب وصوله على العموم دون الخصوص ، وطامنى الملك السيد صمصام الدولة بما يليق بفضله متبعا في ذلك مقاطعة السيف بينه وبينى ؛ وطاعة مولانا الملك السيد الأجل شرف الدولة في أمرى ، وجتد عندى من الإنعام والتوسعة والإيثار والتكرمة آثرا ماشع تلك الشفقة أولا ؛ ولقيتني فلان دفتات ، وشافني مرآت ؛ وتعمل عني إلى مولانا الملك موالى الشكر كثيرا ، وأعتادا طويلا جريضا ؛ ودعا الله يستمع مرفوعه ، ويحيب مسموعه ؛ بمنه وقدرته ، وحوله وقوته .

والآن إذ قد جمع الله الكلمه ، وكدب الألفه وحرس النعمه ؛ وحسن الدولة وأخرج عنها من كان يسبب الفتنة ، ويسبى ويثير في القرع ؛ فإني واثق بالله جل وعز وبما تترقى الحال إليه في غاية محبوبى ، ونهاية مطلوبى ؛ وأقاصى ما تبليغه

أُمْنِيَّتِي ، وَقَسَمُوا إِلَيْهِ هِمَّتِي ، وَتَحْتَضِيهِ أُخُوَّتِي وَعِصْمَتِي ؛ وَفِيهِ الْمَشِيئَةُ ، وَمِنْهُ الْمَعُونَةُ ؛
 فَإِنْ رَأَى مَوْلَانَا الْمَلِكُ السَّيِّدَ أَنْ يَسْكُنَ إِلَى سُكُونِي ، وَيَطْعَمَنِي إِلَى طَعْمَانِيَّتِي ،
 وَيُجِيرَنِي إِلَى غَايَةِ فَضْلِهِ وَطَوْلِهِ فِي الْأَمْرِ الَّذِي أَحْسَنَ فِيهِ وَأَجَلَ : لِيَشْمَلَنَا إِعْنَانُهُ ،
 وَيَتَظَاهَرَ عَلَيْنَا آمَتَانُهُ ؛ وَأَسْتَوْفِي بَقِيَّةَ حَقِّي مِنْ ثَمَرَةِ ذَلِكَ وَعَائِدَتِهِ ؛ وَجَلْوَادِ
 وَقَائِدَتِهِ ؛ وَيَأْمُرَ بِتَشْرِيفِي بِكَتَابِهِ ، وَأَهْلِي بِإِحْلَالِ خِطَابِهِ ؛ وَتَصْرِيفِي بَيْنَ أَمْرِهِ
 وَنَهْيِهِ ، فَعَلْ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

تم الجزء السادس . يتلوه إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى الجزء السابع

دَاوُدُ الطَّرْفُ الْعَاشِرُ

(فِي الْمَكَاتِبَاتِ الصَّادِرَةِ عَنْ مُلُوكِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ)

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . وَصَلَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ

وَأَلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ وَسَلَامُهُ

وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

